

هذه الطبعة
أهداء من المركز
ولا يصح بشرها ورقاً أو
تدواها تجاريًا

ال ISSN ٢٣٥٣ - رقم ٠٢٠٢٠ - العدد ١١ ذي القعدة ١٤٤١ هـ - يوليو ٢٠٢٠ الطبعة الأولى في المجلة العلمية العربية أرسيف ARCIF

مجلة اللسانيات العربية تتوج في المرتبة الأولى في تخصصي الآداب واللغة العربية ٢٠٢٠ م
في معامل التأثير والاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية أرسيف (ARCIF)

- مركب المفرد المضاف إلى جمجمة

بين هشاشة المقاربة المجمعيّة وقوة التفسير الإدراكي

- دور المعنى الدلالي- التداولي في تأويل الخطاب النحوي

- حروف المعاني من منظار عرفاني:

نظريّة لانغلاكر أنموذجا

- فلسفة الذهن من مقاربة أفلاطون إلى الثورة الإدراكية

- الفعل «وجب» تركيباً ودلالة في المدونات الحاسوبية العامة والمختصة

- المعالجة الآلية للتطور الدلالي وفق لغويات المدونة المحوسبة

دراسة دلالية حاسوبية

- في المناويل المعجمية

- تسكين اللغة: (إشكالات المنطوق والمكتوب في اللسانيات الحديثة)

- مشكلات المصطلح والترجمة في معجم « اللغويات الاجتماعية »

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريًّا



هيئة التحرير:

أ.د عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي

رئيس التحرير

أ.د. ناصر بن عبدالله الغالي

مدير التحرير

أ.د. عبد الرحمن بن حسن العارف

عضو هيئة التحرير

محمـد الدـين محسـن

عضو هيئة التحرير

د. محمد لطفي الزليطني

عضو هيئة التحرير

أ. فهد بن عبدالله الماجري

أمير المجلة

الهيئة الاستشارية

أ.د. ابراهيم بن مراد (تونس).

أ.د. بسام بركة (لبنان).

أ.د. سعد مصلوح (مصر).

أ.د. عبد القادر الفاسي الفهري (المغرب).

أ.د. علي القاسمي (العراق).

أ.د. محمد صلاح الدين الشريفي (تونس).

أ.د. محمد غاليم (المغرب).

أ.د. محمود إسماعيل صالح (السعودية).

أ.د. نهاد الموسى (الأردن).

الإسهامات

ترسل البحث باسم رئيس التحرير

٢٩٨٨ الرياض ١٨٤٥٢ ص.ب

المملكة العربية السعودية

۰۴۷۲۱۰۶۹۸ - فاکس ۰۴۷۵۲۳۶۹ هاتف

www.kaica.org.sa

للاشة اکات السنہ ۰۶

محله دیده اسله

arabiclisa@kaica.org.sa

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولاً لها تجاريًّا

ترتيب البحث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.
يرسل الكاتب الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة مع بحثه سيرته
الدائنية والعلمية مختصرةً وعنوان مراحلـته.

ترسل إلى الباحث (نـسخـة) من العدد الذي شارـك فيه، (20ـمستـلةـةـ) من
بحـثـهـ أو دراستـهـ.

لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثـهـ بعد إرسـالـهـ إلى لجنة التـحكـيمـ
إلا لأسبـابـ تـقـنـعـ بهاـ إـداـرةـ التـحرـيرـ، ولـمـجلـةـ طـالـبـةـ البـاحـثـ بـدـفعـ
الفـاقـاتـ الـمـالـيـةـ الـتـرـتـبـةـ عـلـىـ إـجـرـاءـاتـ التـحـكـيمـ إـذـاـ أـصـرـ البـاحـثـ عـلـىـ
طـلـبـهـ بـسـبـبـ مـشـارـكـتـهـ وـدـمـعـ مـاتـابـعـ إـجـرـاءـاتـ نـشـرـهـ، وـلـمـ تـقـنـعـ إـداـرةـ
الـتـحرـيرـ بـمـبرـراتـ طـلـبـهـ.

خطوات النشر في المجلة:

تكون المراسلة موجهة لإدارة تحرير المجلة بالأمانة العامة للمركز على البريد الإلكتروني الخاص بالمجلة أو على صندوق بريدها.

يقوم رئيس التحرير بإشعار صاحب المشاركة بمصوّلها.
تعرض المشاركات في اجتماع هيئة التحرير بعد حذف أسماء المشاركين وعناوينهم وكل ما يدل عليهم؛ تؤخذ للمصادقة والعدالة في حال قولها المبدئي يتم إرسالها مع خطاب مذيل باسم رئيس التحرير إلى الفاحص الذي قررت هيئة التحرير، وبناءً على ضرورة الرد خلال ثلاثة أسابيع من تاريخ تسلمه خطاب التحكيم.

تعرض النتيجة على هيئة التحرير في اللقاء الدوري، ثم يبلغ صاحب المشاركة بالنتيجة قبلًا أو اعتدالاً عن عدم القبول مرفقاً معها تعديلات الفاحص.

بعد وصول المشاركة المعذلة تُعرض على هيئة التحرير، وفي حال الإقرار يرسل للباحث خطاب الموافقة على النشر ويبلغ بالوقت المتوقع لنشر مشاركتـهـ.

صفتها

مجلة تختص بالدراسات والبحوث التي تعنى باللسانيات العربية والمعارض اللسانية المختلفة وعلاقتها باللغة العربية وتنشر المشاركات التي تتناول اللسانيات النظرية منها والتطبيقية مثل الأصوات والتركيب وتحليل النص وتحليل الخطاب والتداوـلـيةـ وكذاـ علمـ اللغةـ النفسيـ وعلمـ اللغةـ الاجتماعيـ بـفـروعـهماـ المـخـلـفةـ وجـوانـبـهماـ النـظـرـيةـ والتـطـبـيقـيةـ، كماـ تـهـتمـ بـتـعـلـيمـ الـغـلـةـ الـأـوـلـىـ وـالـثـانـيـةـ وـالتـحـكـيمـ أـهـلـهـاـ وـاـكـتسـابـ الـغـلـةـ الـأـوـلـىـ وـالـثـانـيـةـ وـالتـحـكـيمـ الـغـوـيـ واـخـتـارـاتـ الـغـلـةـ وـدـرـاسـاتـ التـرـجـمـةـ وـالـمـدوـنـاتـ الـلـغـوـيـةـ.

قواعد النشر بالمجلة:

تنـشـرـ المـجـلـةـ الـبـحـوثـ الرـصـيـنةـ الـمـتـعـلـقـةـ بـقـضاـياـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ وـالـلـسـانـيـاتـ
الـعـرـبـيـةـ بـالـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ، معـ إـمـكـانـ النـشـرـ بـالـلـغـتـيـنـ الـأـنـجـلـيـزـيـةـ وـالـفـرـنـسـيـةـ
وـاحـدـىـ الـلـغـاتـ الـعـالـمـيـةـ الـأـخـرـيـةـ؛ إـذـاـ رـأـيـتـ هـيـةـ التـحـرـيرـ أـهـمـيـةـ دـلـلـ فـيـ
خـدـمـةـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ.

تنـشـرـ الـبـحـوثـ فيـ المـجـلـةـ بـعـدـ أـنـ تـخـضـعـ لـفـحـصـ لـجـنةـ تـحـكـيمـ مـنـ ذـوـيـ
الـاـخـتـاصـاصـ؛ لـتـقـيـيـمـ وـإـبـادـهـ الرـأـيـ فـيـ صـلـاحـيـةـهـ لـنـشـرـ أوـ دـعـمـهـ.

لـتـلـقـمـ المـجـلـةـ بـرـدـ ماـ يـصـلـهـاـ مـنـ مـشـارـكـاتـ إـلـىـ أـصـحـابـهـ، سـوـاءـ نـشـرـتـ
أـمـ لـمـ تـنـشـرـ.
يـفـتـرـقـ فـيـ الـمـشـارـكـاتـ الـمـعـدـةـ لـلـنـشـرـ فـيـ المـجـلـةـ أـنـ تـرـسـلـ مـطـبـوـعـةـ
وـمـصـحـحـةـ عـلـىـ أـقـرـاصـ حـاسـوبـيـةـ (CD)، أـوـ مـنـ خـلـالـ الـبـرـيدـ الـإـلـكـتـرـوـنيـ
لـلـمـجـلـةـ.

أـنـ لـتـقـلـ صـفـحـاتـ الـمـشـارـكـةـ عـنـ عـشـرـينـ صـفـحـةـ، وـلـاـ تـزـيدـ عـنـ أـربعـينـ
صـفـحـةـ مـنـ الـحـجـمـ الـعـادـيـ (A4).

يـرـاعـيـ فـيـ تـسـبـيقـ خـطـ الـمـشـارـكـاتـ الـمـرـسـلـةـ إـلـىـ الـمـجـلـةـ الـلـاتـرـامـ بـالـآـتـيـ:
فـيـ مـقـنـنـ الصـنـصـ يـسـتـخـدـمـ الـخـطـ (Traditional Arabic) (عـادـيـ (16ـ حـجـمـ).
فـيـ الـهـوـامـشـ يـسـتـخـدـمـ الـخـطـ (Traditional Arabic) (عـادـيـ (12ـ حـجـمـ).
فـيـ الـعـنـاـوـنـ الـرـئـيـسـ يـسـتـخـدـمـ الـخـطـ (Traditional Arabic) غـامـقـ
(حجمـ 18ـ).

فـيـ الـعـلـاـوـنـ الـفـرـعـيـةـ يـسـتـخـدـمـ الـخـطـ (Traditional Arabic) غـامـقـ
(حجمـ 16ـ)

يـتـكـبـ الـإـحـالـاتـ الـعـلـمـيـةـ وـالـتـعـلـيـقـاتـ جـمـيعـهـاـ بـعـدـ الـمـشـارـكـةـ مـيـاـشـرـةـ،
وـفـقـ تـسـلـلـ وـرـوـدـهـاـ فـيـ الـمـشـارـكـةـ، مـعـ التـزـامـ وـضـعـ أـقـامـ الصـفـحـاتـ.
يـتـكـبـ مـلـوـعـاتـ الـمـصـادـرـ وـالـمـرـاجـعـ مـفـصـلـةـ فـيـ أـخـرـ الـمـشـارـكـةـ فـيـ قـائـمـةـ
خـاصـةـ بـهـاـ، وـفـقـ الـهـيـةـ الـأـتـيـةـ: الـمـؤـلـفـ (الـاسمـ الـأـخـيـرـ)، الـاسمـ الـأـوـلـ ثـمـ
الـثـانـيـ، عـنـوـانـ الـمـصـدـرـ أـوـ الـمـرـجـعـ، اـسـمـ الـمـحـقـقـ أـوـ الـمـتـرـجـمـ، الـطـبـعـةـ،
مـلـوـعـاتـ النـشـرـ (بلـدـ النـشـرـ: اـسـمـ النـاـشـرـ، سـنـةـ النـشـرـ).

يـرـفـقـ الـبـاحـثـ مـلـخـصـاـ لـبـحـثـهـ فـيـ حـوـودـ (200ـ كـلـمـةـ) بـالـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ
وـالـلـغـةـ الـإـنـجـلـيـزـيـةـ، وـإـنـ كـانـتـ الـمـشـارـكـةـ مـكـتـوبـةـ بـالـلـغـةـ الـإـنـجـلـيـزـيـةـ أـوـ الـفـرـنـسـيـةـ
أـوـ غـيـرـهـماـ، فـعـلـيـةـ إـفـاقـ مـلـخـصـ مـشـارـكـتـهـ بـالـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ فـقـطـ.

يـشـتـرـقـ فـيـ الـمـشـارـكـةـ الـمـقـمـةـ أـلـاـ تـكـوـنـ مـنـشـرـةـ أـوـ قـدـمـتـ لـلـنـشـرـ فـيـ أـيـ
وـسـيـلـةـ نـشـرـ أـخـرـيـ، كـمـاـ يـلـتـزـمـ الـبـاحـثـ بـعـدـ إـرـسـالـ مـشـارـكـتـهـ إـلـىـ أـيـ جـهـةـ
أـخـرـ لـلـنـشـرـ حـتـىـ يـصـلـهـ رـدـ الـمـجـلـةـ.

يـحقـ لـلـبـاحـثـ أـنـ يـنـشـرـ بـحـثـهـ فـيـ مـكـانـ آخـرـ بـعـدـ نـشـرـهـ فـيـ (مـجـلـةـ)
الـلـسـانـيـاتـ الـعـرـبـيـةـ) بـعـدـ مـرـوـنـ سـنـةـ بـشـرـطـ أـنـ يـشـرـ إـلـىـ ذـلـكـ.

يـخـبـرـ أـصـحـابـ الـمـشـارـكـاتـ الـوـارـدـةـ بـوصـولـهـاـ إـلـىـ الـمـجـلـةـ خـلـالـ أـسـبـوعـ مـعـ

يـخـبـرـ أـصـحـابـ الـمـشـارـكـاتـ بـقـرـارـ لـجـنةـ التـحـكـيمـ بـصـلـاحـيـةـهـ لـلـنـشـرـ أـوـ
عـدـمـهـاـ خـلـالـ مـدـدـ لـأـتـجـاـزـ ثـلـاثـةـ أـشـهـرـ مـنـ تـارـيـخـ وـصـولـهـاـ إـلـاـدـارـةـ التـحـرـيرـ.
قـرـاراتـ هـيـةـ التـحـرـيرـ بـشـأنـ الـمـشـارـكـةـ الـمـقـمـةـ إـلـىـ الـمـجـلـةـ نـهـائـيـةـ،
وـتـحـفـظـ هـيـةـ التـحـرـيرـ بـحـقـهـاـ فـيـ عـدـمـ إـلـفـاظـ عـنـ مـبـرـراتـ قـرـاراتـهـ.

أـنـ يـلـتـزـمـ الـبـاحـثـ تـعـدـلـ الـبـحـثـ فـيـ ضـوـءـ مـلـحوـظـاتـ الـمـحـكـمـينـ
وـفـقـ الـتـقارـيرـ الـمـرـسـلـةـ إـلـيـهـ، وـمـوـافـقـةـ الـمـجـلـةـ بـنـسـخـةـ مـعـدـلـةـ فـيـ مـدـدـ لاـ
تـجـاـزـ 30ـ يـوـمـاـ مـنـ تـارـيـخـ إـرـسـالـهـ إـلـيـهـ.

فهرس الموضوعات

13

مَرْكَبُ الْمَفْرِدِ الْمُضَافٍ إِلَى جَمِيعِهِ:
بَيْنِ هَشَاشَةِ الْمَقَارِبِ الْمَجَمِعِيَّةِ وَقُوَّةِ
الْتَّفَسِيرِ الْإِدْرَاكِيِّ
أَدَمُ مُحَمَّدُ الدِّينُ مُحَسِّبٌ

129

المعالجة الآلية للتطور الدلالي وفق لغويات
المدونة المحاسبية
دراسة دلالية حاسوبية
د. بدرية بنت براك العنزي

51

دور المعنى الدلالي-التداولي في
تأويل الخطاب النحوي
أ.د. ناصر بن فرحان الحريص

185

في المناويل المعجمية
أ.د. عبدالعزيز المسعودي

77

حروف المعاني من منظار عرفانيٌّ
نظريّة لانغacker أنموذجاً
د. إيمان الشرفي

251

تسكين اللغة: (إشكالات المنطوق والمكتوب
في اللسانيات الحديثة)
د. عزمي محمد عيال سلمان

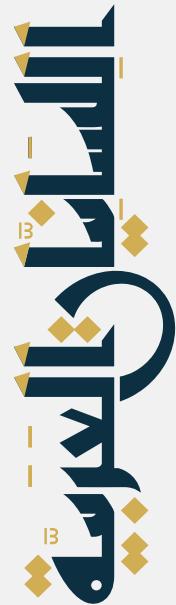
97

فلسفة الذهن من مقاومة أفلاطون
إلى الثورة الإدراكية
أ.د. الخامس مفيد

279

321

مشكلات المصطلح والترجمة في معجم «اللغويات الاجتماعية»
د. منتصر أمين عبد الرحيم



المقدمة

مجلة اللسانيات العربية تتوج بالمركز الأول في مجال الآداب

في معامل التأثير العربي لسنة ٢٠٢٠

بين يديك، أيها القارئ، العدد الحادي عشر من مجلة اللسانيات العربية، جامعاً للأعداد التي سبقته بين المقاربات النظرية والمعالجات التطبيقية، فيتناول القضايا الأصلية للغتنا العربية من خلال منهجيات معاصرة تنهل من النظرية اللسانية المعاصرة. وهو النهج الذي التزرت به المجلة منذ صدورها وحافظت عليه في كل أعدادها، يطارح القضايا اللغوية العربية بمنظور العصر.

هذا النهج الذي التزرت به مجلة اللسانيات العربية منذ عددها الأول وفي جميع أعدادها اللاحقة قاد إلى حصولها على اعتماد معامل التأثير والاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية (أرسيف ARCIIF) ونجاحها في معاييره البالغ عددها (٣١) معياراً بمعامل تأثير (٠.٢٣٥٣)، وقد حصلت المجلة على المرتبة الأولى في تخصص الآداب ضمن (٩١) مجلة على المستوى العربي، وصنفت في هذا التخصص ضمن فئة الـ (Q1) وهي الفئة الأعلى. وأحرزت المجلة المرتبة الأولى في تخصص اللغة العربية من بين (٣٦) مجلة على المستوى العربي، وصنفت في هذا التخصص ضمن الفئة الأولى (Q1) أيضاً.

إنَّ التتويج المشرف الذي حصلت عليه مجلة اللسانيات العربية بحلولها في المركز الأول في مجال الآداب متقدمة على جميع مجلات العالم

العربي في التقرير الخامس للمجلات لمعامل التأثير والاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية (أرسيف ARCIF) للعام ٢٠٢٠ يعني لنا في هيئة التحرير الكبير، فهو دلالة على تقدير الجهة العلمية المعنية التي أصدرت التقرير لاحترافية هيئة التحرير ووضوح الخط التحريري للمجلة والتزامها بمعايير نشر دقيقة على مستوى شمولي. فعلى مستوى معايير النشر، يأتي هذا التتويج تقديراً للتزام هيئة تحرير مجلة اللسانيات العربية بمعايير الاتفاقيات والأعراف الدولية للتحرير في المقالات المنشورة فيها والتي تهدف إلى تحسين قابلية استرجاع مقالات المصدر، والعناصر الأساسية للنشر مثل عنوانين المجلة، وعنوانين المقالات الوصفية الكاملة، والبيانات الببليوغرافية لجميع المراجع المستشهد بها، وملخصات المقالات من المؤلفين، والبيانات الأساسية لكل مؤلف.

وهو كذلك دليل على التزام المجلة بمعايير الأساسية الفنية والعلمية المتعارف عليها مثل كونها مجلة علمية بحثية محكمة منتظمة الصدور ولها هيئة تحريرية وهيئه استشارية ذات سمعة علمية مرموقة ولديها ردمد ISSN للنشر الورقي والإلكتروني، مثلاً هو تقدير من الجهة التي أصدرت التقرير للتزام المجلة بقواعد محددة للنشر وأخلاقياته، وباستقرار شكل النشر، والتزامها باستمرارية توقيت الصدور. ويشير اعتماد المجلة أيضاً إلى التزامها بالإطار التحريري الذي انتهجه من حيث كونها مجلة متخصصة في الدراسات اللسانية العربية الحديثة وهو مجال متداخل التخصصات مع العديد من مجالات العلوم الإنسانية، مثلاً ما يشير إلى إقرار جهة الاعتماد بنهج المجلة التحريري في التزامها الأصول العلمية المتعارف عليها في الأبحاث والتوثيق، وتناول القضايا والموضوعات بشكل جاد ورصين، والتركيز على نشر الدراسات العلمية الجادة واستبعاد الأنشطة الإخبارية والثقافية العامة.

لقد حرصت مجلة اللسانيات العربية على الالتزام بمعيار التنوع العربي والدولي فاستهدفت في موضوعها البحثية اللغة العربية والمجتمع العربي، وكانت اللغة العربية لغة النشر الأساسية فيها (مع إمكانية النشر باللغتين الإنجليزية والفرنسية). ونُوّعت على مستوى المساهمين فيها من حيث المؤلفون، وعضوية هيئة التحرير ، والهيئة الاستشارية، وراعت أيضاً تنوع جمهور المستفيدين عربياً، مثلاً راعت هذا التنوع أيضاً في اختيار محكمي أبحاثها الذين يتّمرون إلى اتجاهات بحثية متنوعة وينتسبون إلى جامعات متعددة في أقطار عديدة..

وقد دأبت المجلة على وضع الاقتباسات والاستشهادات المرجعية لبحوثها التي تنشرها في الاعتبار إيماناً منها بأن تحليل الاقتباسات والاستشهادات المرجعية يلعب دوراً هاماً في تحديد مدى تأثير المجلة في البيئة العلمية والبحثية المحاطة، ولذلك

تنظر هيئة التحرير عند إدراجها للبحوث التي تحيلها إلى التحكيم إلى مستوى اقتباس المقالات المدرجة من مقالات المجلات المعتمدة في معامل التأثير العربية والعالمية ومستوى اقتباسها من مقالات المجلات غير المعتمدة.

وتدرك المجلة بفخر أن التزامها الدقيق بتلك المعايير المنهجية هو الذي قادها إلى أن تتبوأ هذه المكانة الرائدة بالحصول على المركز الأول لمعامل التأثير العربي، وهي مكانة تقدمنا إلى الإصرار على المحافظة على هذا المستوى الذي وصلت إليه وتجعلنا أشد التزاماً بتلك المعايير في البحث التي ستنشر مستقبلاً.

ويأتي هذا العدد الحادي عشر متضمناً تسع دراسات، نستهل بدراسة عن «مركب المفرد المضاف إلى جمعه: بين هشاشة المقاربة المجمعة وقوه التفسير الإدراكي»، يتلتها بحث في «دور المعنى الدلالي التداولي في تأويل الخطاب النحوي»، ثم دراسة «حروف المعاني من منظار عرفاً: نظرية لانغacker أندوزجا»، تتلتها دراسة عن «فلسفة الذهن من مقاربة أفلاطون إلى الثورة الإدراكيّة»، وتعقبها دراسة عن «ال فعل «وجب» ترکيبياً ودلالة في المدونات الحاسوبية العامة والمختصة»، تتلتها دراسة عن «المعالجة الآلية للتطور الدلالي وفق لغويات المدونة المحوسبة: دراسة دلالية حاسوبية»، وتأتي بعدها دراسة في في «المناويل المعرفمية» فبحثعنوان «تسكين اللغة: إشكالات المنطق والمكتوب في اللسانيات الحديثة، ويختتم العدد ببحث تحت عنوان «مشكلات المصطلح والترجمة في «معجم اللغويات الاجتماعية»».

ولا بدّ أن يلاحظ القارئ تميز العدد بتنوع موضوعاته تنوع مشارب اللسانيات العربية بفرعيها النظري والتطبيقي، فتراوحت بين اللسانيات النظرية والتداولية والعرفانية والمدونات الحاسوبية والمعرفمية واللسانيات الاجتماعية، ورتبت ترتيباً منطقياً يتفق مع تنوع فروع اللسانيات وأهميتها.

إنّ هيئة التحرير إذ تشكر الزملاء الباحثين الذين أسهموا في كتابة دراسات هذا العدد، فإنها تأمل في أن يستمر عطاؤهم وأن يسهم آخرون في الأعداد القادمة خدمة للغتنا العربية ومساهمة في تيسير فهمها ونشرها في كل مكان، كما تشكر الأساتذة الذين تفضلوا بتحكيم مقالات هذا العدد مؤملة استمرارهم في تحكيم القادم من موضوعات المجلة، وتدعى هيئة التحرير الباحثين في العالم العربي وشتي أنحاء العالم لنشر دراساتهم وبحوثهم اللسانية في هذه المجلة المتميزة المعتمدة.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

رئيس التحرير
أ.د. عبدالعزيز بن ابراهيم العصيلي



التاريخ: 25-10-2020
الرقم: L20/065 ARCIF

سعادة أ. د. رئيس تحرير مجلة النسانيات العربية المحترم
مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض / السعودية
لهمه عليه وبعد ...

ببر معامل التأثير والاستنادات المترتبة لمجلات العربية (Arcif - ARCIF)، أحد مبادرات فاعلة بيانات معرفة لإنجاز والمحظوظ
الخاص، إعاتكم بالـ، قد أطلق التقرير السنوي الخامس للمجلات للعام 2020.

يوضح معامل التأثير Arcif "مؤشر موطس الإثبات والتسلسل" الذي يتكون من مئتين لعة جهات عربية ودولية: (مكتب الونيسكو
الإقليمي للتربية في الدول العربية بيروت، لجنة الأمم المتحدة لغوب آسيا (إيسكو)، مكتبة الاستدراية، قاعدة بيانات معرفة مجتمع المجلات
المترتبة العالمية/فرع الخليج). بالإضافة لتجهيز حلقة علمية من خبراء وأكاديميين ذوى سمعة علمية رائدة من عدة دول عربية ودولية.

ومن الخبر بالذكر بأن معامل Arcif قائم بالعمل على المحسن ودراسة بيانات ما يزيد عن (5100) جدول مجلة عربية علمية في
ستين التخصصات، والصادرة عن أكثر من (1400) جهة علمية أو بعلبة في (20) دولة عربية، (استثناء دولتين جنوبية وجزر القمر عدم توفر
بيانات)، وبلغ منها (681) مجلة علمية فقط تكون محددة ضمن المعايير العالمية لمعامل Arcif في تقرير عام 2020.

ويسراً لكم واعتمادكم على مجلة التخصصات العربية الصادرة عن مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، السعودية قد
توجه بالحصول على معايير اعتماد معامل Arcif المترابطة مع المعايير العالمية، والتي يبلغ عددها (31) معياراً، وللأطلاع على هذه
[المعايير يمكنكم الدخول إلى الرابط التالي:](http://e-marefa.net/arcif/criteria)

و كان معامل Arcif "سيجلكم" سنة 2020 (0.2353)، ويعتمد بمصطلح المجلة على:

- * **الصنف الأولي** في تخصص الأدب من إجمالي عدد المجلات (91) على المستوى العربي، مع العلم أن متوسط معامل Arcif لهذا
التصنيف كان (0.044)، وصلت في هذا التخصص ضمن الفئة (الأولى Q1)، وهي الفئة الأولى.
- * **الصنف الثاني** في تخصص اللغة العربية من إجمالي عدد المجلات (36) على المستوى العربي، مع العلم أن متوسط معامل Arcif
لهذا التخصص كان (0.056)، وصلت في هذا التخصص ضمن الفئة (الأولى Q1)، وهي الفئة الأولى.

و يؤكدكم الإعلان عن هذه النتيجة سواء على موقعكم الإلكتروني، أو على موقع التواصل الاجتماعي، وكذلك الإعلان في النسخة الورقية لمجلاتكم
إلى معامل Arcif الخامس بمملكتكم.

ونفضلوا بقبول فائق الاعتزام والتقدير

أ. سامي الطراش
رئيس مبادرة معامل التأثير
Arcif



إنا لله وإنا إليه راجعون

في غضون الأسابيع القليلة الماضية، فقدت أسرة مجلة «اللسانيات العربية» اثنين من أعمدتها: رئيس هيئة تحريرها الأستاذ الدكتور عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي الذي وافته المنية في الرياض يوم ٢٩/٣/١٤٤٢، بعد صراع مع المرض، وعضو هيئة تحريرها الأستاذ الدكتور محيي الدين محسب (١٩٥٤ - ٢٠٢٠ م) الذي وافته المنية في مصر قبل ذلك ببضعة أسابيع، بعد صراع مع المرض هو الآخر. فالحمد لله على قبائه وإننا لله وإننا إليه راجعون.

والدكتور العصيلي، أستاذ اللسانيات التطبيقية وعلم اللغة النفسي ونظريات اكتساب اللغة، حصل على الماجستير عام ١٤٠٥هـ من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، برسالة تناول فيها بالوصف والتحليل «الأخطاء الشائعة في الكلام لدى طلاب اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى». وحصل على الدكتوراه من الولايات المتحدة الأمريكية برسالة في مجال علم اللغة النفسي، قبل أن يلتحق بسلك أعضاء هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض. عمل وكيلاً ثم عميداً لمعهد تعليم اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وتركزت دراساته حول قضايا اكتساب اللغة وتعليم اللغة الثانية. من أهم مؤلفاته كتاب «أساسيات تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى» (منشورات جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية، مركز بحوث اللغة العربية وآدابها ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م)، وكتاب «علم اللغة النفسي» (منشورات عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م)، وكتاب النظريات اللغوية والنفسية وتعليم اللغة العربية (مطبع التقنية، الرياض)، وكتاب «مناهج البحث في اللغة المرحلية لمتعلمي اللغات الأجنبية» (عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠١٠م). ولم يعدد كثیر من البحوث العلمية في المجال نفسه، منشورة في دوريات البحث العلمي. ومنذ إنشاء مجلتنا، مجلة «اللسانيات العربية»، قبل خمسة أعوام أو تزيد، عمل الدكتور العصيلي جاهداً رحمة الله على إدارتها بحزم ومثابرة، وكان حريصاً على أن تكون المجلة على درجة عالية من العمق والجديّة فيما تلتقي وتنشر من

البحوث، بحيث يكون لها طابعها العلمي المميز. وكان - بحكم موقعه على رأس هيئة التحرير - يواجه من أجل ذلك نقداً واتهاماً بالتشدد. وكم كانت سعادته يوم جاء الخبر بحصول المجلة على المركز الأول ضمن تصنيف معامل التأثير العربية (أرسيف) لهذا العام ٢٠٢٠، فكانت وصيته أن « علينا التمسك بهذا المبدأ العلمي الرصين » للحفاظ على هذا المستوى. رحم الله أبا عبد الله، الأستاذ الدكتور عبد العزيز العصيلي، وغفر له وأسكنه فسيح جناته.

وأما الدكتور محبي الدين محسب، أستاذ علوم اللغة والدراسات الأسلوبية منذ عام ١٩٩٨م، فقد درس في عدد من الجامعات المصرية. وكان رئيساً لقسم علم اللغة والدراسات السامية والشرقية بكلية دار العلوم، جامعة المنية، وكان عميداً لها أيضاً لبعض سنوات. كما عمل أستاذاً للنقد واللسانيات والأسلوبية في جامعة الملك سعود وعدد من الجامعات السعودية.

رحل الأستاذ الدكتور محسب بعد سنين من العطاء البحثي والتدريسي في اللسانيات وتاريخ الفكر اللغوي عند العرب، ويعتبر من أبرز الدارسين العرب في هذا المجال خلال العقدين الأخيرين. من أبرز إسهاماته العلمية: كتاب « فطرية اللغة بين الأساس البيولوجي والنظريّة اللسانية » (المنية، ١٩٩٢م)، وكتاب « اللغة والفكر والعالم » (القاهرة، ١٩٩٨م)، وكتاب « افتتاح النسق اللساني: دراسة في التداخل الاختصاصي » (٢٠٠٣)، وكتاب « الثقافة المنطقية في الفكر النحوي: نحاة القرن الرابع أنموذجاً » (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، ٢٠٠٧)، وكتاب « علم الدلالة عند العرب: فخر الدين الرازي نموذجاً » (٢٠٠٨).

وللدكتور محسب أيضاً إسهامات في الترجمة، لعل من أبرزها « ستيفن أولمان: الأسلوبية وعلم الدلالة، ترجمة وتعليق » (القاهرة، ١٩٩٣م)، وكتاب « كيس فريستيج، ترجمة وتعليق » (المنية، ١٩٩٧). ولهم في الإبداع الشعري ديوان « عند قوس الانقسام » (١٩٨٨)، وديوان « مراودة الماء » (١٩٩٨).

وكان الأكاديمي الراحل صديقاً ظريفاً لكل من عرفوه، ومجادلاً عالماً. ولم يشارك في مشروعات ثقافية مهمة في مجاله، وكان له حضور بارز في العديد من الندوات والمؤتمرات العلمية على صعيد مصر والمملكة العربية السعودية والبلاد العربية عموماً. وكان يرحمه الله عضواً نشطاً في رحاب « المجلس الأعلى

للثقافة» بمصر، حيث شارك في عضوية «لجنة الدراسات الأدبية واللغوية» بالمجلس منذ عام ٢٠١٤، وعمل عضواً في هيئة تحرير مجلتنا هذه، «مجلة اللسانيات العربية» منذ صدور عددها الأول في يناير/ كانون الثاني ٢٠١٥، وكان يقول عنها إنها «إحدى الثمار اليابانة التي طرحتها مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية ... وواحدة من بين عطاءات متعددة في مجال (علية) اللغة العربية والعمل على نشرها وتعزيز مكانتها الدولية، وتنمية دورها في المجتمعات العربية». وكان يعده هذه المجلة «إسهاماً متميّزاً بوصفها عملاً رائداً ومؤسساً، في مجال دقيق ذي أهمية علمية، وله أبعاد ومقتضيات حضارية، وهو مجال اللسانيات العربية».

وتندرج هذه النظرة التي صدر عنها الزميل الراحل ضمن ما عرف عنه من سعي إلى تعزيز الاهتمامات المعرفية الرصينة باللغة العربية، ودراسة ظواهرها المختلفة، وتعزيز حضورها في المؤسسات التعليمية باعتبار هذا المطلب أمراً ذات قيمة حضارية، وإسهاماً في تحقيق الاندماج والمواطنة، وأن هذا هو المدخل الصحيح لتعزيز مكانة اللغة العربية في أي بيئات العالم المعاصر وربط محتواها التعليمي بالقيم الإنسانية المشتركة، وقيم الدولة المدنية الحديثة مع مراعاة التنوع الثقافي في مختلف بيئات العالم العربي.

وقد شاء الله أن يكون آخر أعماله هذا البحث الرصين بعنوان «إضافة المفرد إلى جمعه: بين هشاشة المقاربة المجمعة ونجاعة التحليل الإدراكي»، الذي يتصدر بحوث هذا العدد الحادي عشر من مجلتنا.

رحم الله الفقيدين الكبيرين الأستاذ الدكتور عبدالعزيز بن ابراهيم العصيلي، والأستاذ الدكتور محيي الدين محسب، وغفر لهما وأسكنهما فسيح جناته وعوضنا عنهم خيراً، وتعهد هيئة التحرير باستكمال المستوى الرصين الذي وصلت إليه المجلة في حياتهما وبفضل جهودهما.

هيئة تحرير مجلة اللسانيات العربية

مَرْكَبُ الْمَفْرِدِ الْمُضَافِ إِلَى جَمِيعِهِ بَيْنَ هَشَاشَةِ الْمَقَارِبِ الْمَجَمِعِيَّةِ وَقُوَّةِ التَّفْسِيرِ الْإِدْرَاكِيِّ

أ.د. محي الدين محسوب^١

ملخص المقالة^١:

في هذه المقالة محاولة لبيان أوجه القصور التي تبدّلت في مقاربة مجتمع اللغة العربية بالظاهرة لظاهر المركب اللغوي المكون من (المفرد المضاف إلى جمعه) في العربية. ومن ثمة تتجه المقالة إلى تقديم تفسير لهذا المركب مبنيًّا على معطيات اللسانيات الإدراكية، وبخاصة معطيات نظرية التراتب الطرازي؛ ليكون في ذلك ما نأمل منه أن يكون مساهمة في مبادرة الأخذ بمنجزات النظر اللساني الحديث والمعاصر من أجل إحداث تطوير حقيقي في الفكر اللساني لدى هذه المؤسسة اللغوية.

الكلمات المفاتيح: مجتمع اللغة العربية - قرار اللجنة المجمعية - التفضيل - المركب الإضافي - المبالغة - نفي التشيل - الإدراك - التراتب الطرازي

مدخل:

لم يعد أمر اللغة العربية شأنًا يعني العرب بداعي الحب والهياج في جمالها وأسرارها؛ فتلك أسباب تدخل تحت بند (الميلol اللغوية العربية) التي أصابها كثيرٌ من التشوّهات والتجريف في العقود الأخيرة بدرجة جعلتها على الأقل غير ناجحة للتعويل عليها في حمل عبء النهوض بالمسؤولية اللغوية؛ وأصبح اللازム لتحميل

^١ - أستاذ العلوم اللغوية - مصر

أعباء شأن العربية أن يكون ثمة تخطيطٌ لغوي وسياسة لغوية معدّان إعداداً علمياً دقيقاً، ومؤهلاً في الاستجابة للأغراض القومية والحضارية والاستثمارية المعرفية التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بشأن العربية في ظرفها الراهن وأمرها المستقبلي.

ولا شك أن المجامع اللغوية تعد إحدى الوسائل المهمة بالنسبة إلى مؤسسات التخطيط اللغوي. وهذه هي العين التي نظر بها إلى مؤسسة مجمع اللغة العربية المصري. ومن ثم فكُل ما يصدر عن هذا المجمع لا بد أن يكون صادراً عن وعيٍ عميق برسالة أهدافه، وبكيفيات تحسينها وإنجازها. وهذا النظر التقديري هو ما يؤسس لهذه المداخلة العلمية التي رأيتُ جدوئها بسطها إزاء مسألة لغوية صدر بشأنها قرار من المجمع ومؤقره في دورته رقم ٨٣ لسنة ٢٠١٦م. فعلى الرغم من أن الأمر يبدو قضيةً ليست بذات خطرٍ أو أهمية كبيرة تستدعي كل هذا الحشد في هذه المداخلة، فإنني أرى أن ما وراء تصرف المجمع في تلك المسألة اللغوية من دلالات هو الأشد خطراً، وقد يتلقفها من يجعل منها مؤشراً لما لا نرغب جميعاً أن تُؤطر به صورة الممارسة العلمية اللغوية لدى هذا المجمع العربي، كما أن الخشية كل الخشية أن يكون لتلك المسألة أخواتٌ شبيهاتٌ في كيفية مسار اتخاذ القرار المجمعي اللغوي.

على أن ما دفع إلى هذه المداخلة ليس هو فقط الرغبة في محاججة مقاربة المجمع، من أجل تفنيدها، وإنما هو استئثار هذه المقاربة بوصفها سانحةً للكشف عن إمكانات ما تقدمه الإدراكيات من كفاية تفسيرية في معالجة القضايا التركيبية. فإن استطاعت هذه المقاربة أن تقدم تفسيراً ذا نجاعةٍ ظاهرة فإن ذلك يمكن من طرح السؤال الكبير: إلى متى تظل ثمة إمكانة، أو مساحة، لقبول مجمع اللغة العربية معالجاتٍ تتناول قضايا اللغة العربية دون أن تكون هذه المعالجات آخذةً بأسباب الأنظار اللسانية الحديثة؟

ولندخل في الموضوع..

في يوم ٨ مايو؛ من عامنا الحالي (٢٠٢٠م)، اطلعتُ على تدوينة منشورة على صفحة الفيسبروك للأخ الفاضل الأستاذ الدكتور محمد الوزير عضو المجمع، ويعود نشرُها إلى ٨ مايو ٢٠١٧م؛ أي إلى الفترة التي كان فيها الدكتور الوزير (خبراء) بالمجمع، وسبقت الوضعَ الحالي لتحوله إلى أن يكون (عضواً) بالمجمع. ونص

التدوينة يقول:

”قرر مجتمع مؤتمر اللغة العربية أمس قاعدةً نحويةً جديدةً اكتشفها الدكتور محمد رجب الوزير الخبير بالمجتمع وهي إضافةُ الاسم المفرد إلى جمعه للدلالة على معنى التفضيل والتفرد أو مطلق الزيادة مثل: سر الأسرار، وملك الملوك وبدر البدور وشيخ مشايخ (الطرق الصوفية) وكأس الكؤوس (الأوروبية)، ونجم النجوم، وأسد الأسود، وفتح الفتوح، وقاضي القضاة“.

وبمجرد اطلاعي على هذه التدوينة كتبت مباشرةً تعليقاً وجيزاً عليها فقلت: ”أظن أن هذا النمط من التراكيب قد أشار إليه، وقال إنه للمبالغة، صاحبُ (تاج العروس) في مادة (أح د). سأحاول توثيق ذلك.“

ورداً الدكتور محمد الوزير بقوله:

”الإضافة هنا [يقصد في تركيب: ملك الملوك] بمعنى الملك الأعلى وهو الله، وفتح الفتوح بمعنى أعظم فتح، وبدر البدور أي أجمل امرأة... وغير ذلك، ففيها معنى التفضيل والتفرد أو مطلق الزيادة وليس مجرد المبالغة“.

وبعد سويعات من هذا الحوار وافاني الألح الفاضل الأستاذ الدكتور محمد الوزير بمستند مقترجه الذي قدمه للمجمع، وفي ذيل المقترح قرار اللجنة المجمعية؛ (لجنة أصول اللغة والألفاظ والأساليب). وجاء نص قرار اللجنة على النحو الآتي:

”ترى اللجنة أنه لا مانع من إضافة الاسم المفرد إلى جمعه للدلالة على معنى التفضيل والتفرد أو مطلق الزيادة؛ توسيعةً في اللغة ولшиوعه“.

وبطبيعة الحال فقد رجعت إلى قراءة الصفحات الأربع التي حملت مقتراح الأستاذ الفاضل الذي انبني عليه قرار اللجنة، أو بالأحرى توصيتها التي اعتمدها مؤتمر المجمع. وأول ما استلفت نظري هو أنني لم أجده ذكرًا أو إشارة لرأي يذهب إلى (المنع) أو (التضييق) الذي يتطلب (توسيعة) تكمن من استعمال هذا المركب؛ وذلك لكي يقال لهذا المانع أو المُضيق إن المجمع يرى أنه (لا مانع)! ثم: كيف يتسرق أن تكون إجازة استعمال المركب (توسيعة) في اللغة وأن يوصف المركب نفسه بـ(الشيوخ) في اللغة؟ فإذا قيل هنا إن (الشيوخ) وصف حال الاستعمال الحديث نقول إننا سنتثبت أن المركب مستعمل بشيوع منذ القدم. كذلك استلفت نظري أنني لم أجده في المقترن المقدم تمثيلاً لأيٍّ من هذه المفاهيم الثلاثة؛ بمعنى أن المقترن خلا من التفريق بين الحالة التي يكون فيها هذا المركب يدل على (التفصيل) والحالة التي يدل فيها على (التفرد)، والحالة التي يدل فيها على (مطلق الجمع). ثم استلفت نظري ثالثاً ذلك الغموض البادي في وضع كلٍ من (التفضيل والتفرد) و(مطلق الجمع) جهتين دلاليتين مفصولتين بـ(أو)؛ بما يعني أن الدلالتين الأوليين تقعان معًا، أو تتلازمان، والدلالة الثانية تقع وحدها. ويزداد هذا الغموض غموضاً حين نعرف أن المصطلح (مطلق الجمع) له استخدام شهير في النحو العربي؛ وهو تلك الوظيفة الدلالية التي تقوم بها (واو العطف)؛ إذ لا تدل على الترتيب بين المعطوف والمعطوف عليه وإنما على مطلق الجمع بينهما. فهل المقصود في حالة إضافة المفرد إلى جمعه «أنه يكون أحياناً بهدف (مطلق الجمع) بين المضاف والمضاف إليه؛ فلا قصدية لـ(تفضيل) الأول على الثاني؟! كل ذلك في الحقيقة، وفي غياب التمثيل الشارح، يظل تساؤلات معلقة.

ولما كان أمر المجمع يهمنا جميعاً بقدر يصل إلى الغيرة عليه وعلى تاريخه الناصع، وعلى القامات الراسخة التي تعمل فيه وتقوم بخدمات جليلة للغة العربية،

ولما كان أخي الدكتور محمد الوزير من الأساتذة الذين يُكَنُّ لهم كل الاحترام والتقدير، وأرى أن لنا في خلقه العلمي مساحةً واسعةً جداً لإثارة حوار علمي لا يستهدف، ولا ينشد، إلا الوصول إلى حقائق المعرفة والعلم، فقدرأيت أن أدون هنا على هذا المقترح، وعلى القرار الآخذ به، جملةً من الملحوظات قبل الانتقال إلى محاولة تقديم مقاربة إدراكية تفسيرية لهذا المركب اللغوي. فإن أدت هذه المقاربة إلى نجاعة تفسيرية فإن ذلك يكون مسوغاً لتأكيد ضرورة أن يأخذ القرار المجمعي بما تقدمه التطورات المستجدة في اللسانيات من أجل فهم ظواهر العربية وإبداء الرأي فيها.

وعلى ضوء كل ما سبق فإن هيكل هذه المداخلة يتكون من ثلاثة أجزاء هي:

أولاً: رصيد الظاهرة في الاستعمال.

ثانياً: الظاهرة في معالجة علماء العربية.

ثالثاً: التفسير الإدراكي بالإضافة المفرد إلى جمعه.

أولاً: رصيد الظاهرة في الاستعمال:

في مستهل مقترح الدكتور الوزير نجد العبارة الآتية:

”شاع حديثاً إضافةُ الاسم المفرد إلى جمعه للدلالة على معنى التفضيل والتفرد أو مطلق الزيادة“.

وما يُفهم من هذه العبارة هو أن هذه ظاهرة طارئٌ شيوّعها في استعمال العربية حديثاً. وهذا الشيوع إما أن يكون معناه أننا إزاء مُركب لغوي جديد لم يُستعمل من قبل، أو أننا إزاء مُركب قديم نادر الاستعمال أو قليل الاستعمال، ولكنه فشا وانتشر في الاستعمال الحديث. والسؤال هنا هو: هل هي فعلًا ظاهرة حديثة على أيّ وجه من الوجهين؟. والجواب قطعاً: لا. وبطبيعة الحال فإن هذا الجواب الحاسم يتطلب سوق الدليل عليه. ولأن القالب المجرد (مضاد مفرد + مضاد إليه) هو جمع لهذا المفرد يمكن أن يملأه ما لا نهاية له من الأمثلة فسأكتفي بنتيجة استقراءً أوليًّا خرجنا

منه بهذه الأمثلة الآتية هي قليلٌ من كثيرٍ في رصيد هذه الظاهرة. ولقد كان ثمة حرصٌ على أن تكون الأمثلة المذكورة متنسبةً إلى عصور مختلفة من تاريخ اللغة العربية، وإلى مجالات مختلفة من أوعية استعمالها.

١- في الشعر^(٢):

- قال الشاعر الجاهليّ مهلهل بن ربعة (٩٤ ق. هـ)^(٣):

أَعِينَيْ جُوداً بِالدُّمُوعِ السَّوَافِحِ عَلَى فَارِسِ الْفُرْسَانِ فِي كُلِّ صَافِحِ

- وقال أبو زيد الطائي (شاعر مخضرم بين الجاهلية والإسلام، توفي ٦٢ هـ)^(٤):

لَيْثُ الْلَّيْوَثِ فِي الصَّدَامِ مَصَدِّمٌ وَكَهْمَسِ اللَّيلِ مِصَبٌ مِلَدَمٌ

قالت حميدة بنت النعمان بن بشير الأنباري الخزرجي (٨٥ هـ):

لَيْثُ الْلَّيْوَثِ عَلَيْنَا بَاسْلُ شَرْسُ وَفِي الْحَرُوبِ هَيْوَبُ الصَّدَرِ جَيَاضُ

- وقال جرير (ت. ١١٠ هـ):

مِنْتَاقِي الْفِتْيَانِ وَالْجُودِ مَعِقُلٌ وَمِنْتَادِي لَاقِي بِدِجلَةَ مَعِقَلاً

- وقال ابن مطير الأسدبي (توفي ١٦٩ هـ):

وَلَيْسَ فَنِي الْفِتْيَانِ مَنْ رَاحَ وَاغْتَدَى لِشَرْبِ صَبُوحٍ أَوْ لِشَرْبِ غَبُوقٍ

وَلَكِنْ فَنِي الْفِتْيَانِ مَنْ رَاحَ وَاغْتَدَى لَضَرِّ عَدُوٍّ أَوْ لِنَفْعِ صَدِيقٍ

- وقال أبو نواس (ت. ١٩٨ هـ):

وَلَدَيْنَا الْمَهَذَبُ ابْنُ رَبَابٍ عِصْمَةُ الْمُعْتَفِينَ بَحْرُ الْبُحُورِ

- وقال أبو تمام (ت. ٢٣١ هـ):

وَيَا أَسَدَ الْمَنْوِنِ فَرَسَتْ مِنْهُ غَدَاءَ فَرَسَتْهُ أَسَدَ الْأَسْوَدِ

كما قال أبو تمام أيضًا في بايئته الشهيرة عن فتح عمورية:

فَتْحُ الْفُتُوحِ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ نَظَمٌ مِنَ الشِّعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ الْخُطْبِ

- وقال المتنبي (ت. ٣٥٤ هـ):^(٥)

فَيَا بَحْرَ الْبُحُورِ وَلَا أُورَّيِّ وَيَا مَلِكَ الْمُلُوكِ وَلَا أَحَادِي

ويروى: فيا بدر البدور...

- ويقول أبو الحسن الشستري (ت ٦٦٨ هـ):

يَا رُوحَ الْأَرْوَاحِ أَنْتَ مَرَادِي وَمَالِي

ويتكرر المركب الإضافي (ملك الملوك) عشرات المرات عند شعراء (الموسوعة الشعرية)، وحتى المركب الذي نظنه مركبًا مستحدثًا؛ وهو (نجم النجوم)، نجده مستعملاً منذ القرن الثالث الهجري؛ عند ابن الرومي (ت. ٢٨٣ هـ):

أَنْتَ نَجْمُ النَّجْوَمِ وَالدَّهْرُ لَيْلٌ مَا لِنَجْمٍ سُوكَ فِيهِ ثُقُوبٌ

وعند ابن الرومي يتكرر تركيب (ليث الليوث) مرات عدّة. ويستخدم التركيب (رب الأرباب):

وَكَانَ أَوْلَى بِأَنْ يَهْذِبَ مَا يَخْلُقُ رَبُّ الْأَرْبَابِ لَا إِلَهُ

وهذا المركب نفسه يرد عند أبي العتاهية، وأبي حامد الغزالي. وعلى غراره يستخدم تركيب (إله الآلهة) كما في (نفح الطيب) للمقربي.

وإذا كان صاحب المقترح يسوق مركب (بدر البدور) على أنه مما «شاع حديثًا»، وأنه يعني «أجمل امرأة»، فإن مراجعة التراث تفيد أن المركب قديم؛ حيث نجده عند أكثر من شاعر، وبدلالة ليس فيها معنى التفضيل لأجمل امرأة، وإنما فيها الدلالة على حسن المدح، وبخاصة الرسول (ص). وقد مر الإشارة إلى رواية ليبيت للمتنبي تتضمن مركب (بدر البدور) مجاورةً لمركب (ملك الملوك). ومن الشائق أن نجد مجاورةً مماثلة عند ابن الرومي^(٦) في قوله:

وكان أهلاً لما يولاه من حسنٍ بدرُ البدُورِ وصَنْدِيدُ الصَّنَادِيدِ

وهذه المجاورة نفسها بين تركيبين إضافيين من النمط نفسه الذي نحن صدده نجدها في قول ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦ هـ):

فتُحُّ الفتوحِ بلا مَيْنٍ وصَاحِبُهُ مَلْكُ الْمُلُوكِ وَمَوْلَاهَا بِلَا كَذِبٍ

ومن الشائئ أن ابن رشيق في هذه القصيدة نفسها يستخدم المركب الإضافي نفسه مكوناً من اسمين مؤنثين:

ما دَارَ قَطُّ عَلَيْهَا دُورُ دَائِرَةٍ كَلَا وَلَا وَأَصَلَّتْهَا نُوبَةُ النُّوبِ

ويجاور ابن الأبار (ت ٦٥٨ هـ) أيضاً بين تركيبين في قوله:

بُشَرَاكَ بُشَرَاكَ يَا مَلْكُ الْمُلُوكِ يِهِ فَتُحُّ الْفُتُوحِ وَبُشَرَانا

وعند مهيار الديلمي (ت. ٤٢٨ هـ) نجد مركب (أمير الأمراء):

يَمِّمُّ أَمِيرَ الْأَمْرَاءِ جَانِبًا بِجَانِبِ الْأَهْوازِ تِلْكَ الْخِلَالَا

وسيلفت النظر البحترى (ت ٢٨٤ هـ) عندما يأتي بمركب من هذا النوع بصورتين مختلفتين في البيت نفسه: صورة المضاف إليه النكرة، وصورة المضاف إليه المعرفة:

إِنْ يَكُنْ فِي الْأَنَامِ سَعْدُ السُّعُودِ بَشَرِّيًّا فَأَنْتَ سَعْدُ السُّعُودِ

وهذا المركب نفسه نجده قبل البحترى عند الشاعر الكميت (ت ١٢٦ هـ) حيث يقول:

وَلَكَنَّ نَجَمَكَ سَعْدُ السُّعُودِ دِ طَبَقَتْ أَرْضَيْ غَيْثَا دَرَورَا

والحقيقة هي أن مركب (سعدي السعدي) له حضور أسبق بكثير من البحترى والكميت معًا؛ فهو مصطلح أطلقته العرب في أدبياتها الفلكية على أحد منازل الكواكب، ويمكن مثلاً مراجعة كتاب (الأنوار) لابن قتيبة حيث يقول «وهي ثلاثة كواكب أحدها نير والآخران دونه، وقيل له سعد السعدي لتيمُّنهم به»^(٧). ويورد ابن قتيبة أن ساجع العرب يقول «إذا طلع سعد السعدي، نصر العود...»^(٨).

والمركب المقابل لمركب (سعد السعوٰد) هو (نحس النحوس). فهـما إِذَا قائمان بوصفـهما مصطلحان في المجال الدلالي للفلك، وقائمان لتشبيهـه بطالع التفاؤل والتشاؤم. وبهذه الدلالة الأخيرة نتذكـر قول حافظ إبراهيم (ت ١٩٣٢ م) وشـکواه من الطالع النحس الذي اقتنـن بفقد عزيـز:

يَا طالعاً لِلشَّرْقِ لَبَّجَ بِهِ نَحْسُ النَّحْوِ سِ فَقَرَّ فِي زُحْلٍ

وعلى النمط نفسه الوارد في بيت البحتري [مضاف إليه نكرة] نجد
محب الدين بن عربي (ت ٦٤٠ هـ) يقول:

هو الوجود ولكن ما حكمت به فإنه عين أعيان بذلت فيه

وإذ نصل إلى يوسف النبهاني (١٩٣٢ م) نجد هذا النمط مكرراً مرتين في البيت الواحد:

فَهُنَّ لِلْمُؤْمِنِينَ سَعْدٌ سَعْوَدٌ وَعَلَى الْكَافِرِينَ نَحْسُنُ نَحْوَسٌ

ويورد الدكتور محمد الوزير مُرَكَّب (سعيد السعداء) على أنه تعبير مستحدث. وهذا المركّب يمكن أن نعود به على الأقل إلى القرن السادس الهجري حيث نجده وقد تكرر مراراً في (التذكرة الحمدونية) لابن حمدون (أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي ٤٩٥هـ - ٥٦٢هـ^(٩)). وما يذكر هنا أن صلاح الدين الأيوبي (ت ٥٨٩هـ) أنشأ أول خانقاه بالقاهرة عُرِفت باسم (خانقاه سعيد السعداء) «ووقفها على الصوفية في سنة تسع وتسعين وخمسة وأربعين (?) وكان شيخها يلقب بشيخ الشيوخ... إلى أن كانت الحوادث عام ٨٠٦هـ وتلاشت الرتب أو فقدت شيئاً من مدلولاتها فتلقب شيخ كل خانقاه بشيخ الشيوخ»^(١٠).

وبطبيعة الحال فإننا عندما نصل إلى العصر الحديث نجد أمثلة مماثلة، وقد أورد الدكتور الوزير في مستهل مقترنه جملة منها بلغت ثلاثة عشر تركيّاً هي (سر الأسرار - قدس الأقداس - جنة الجنات - ملك الملوك - بدر البدور - أميرة الأميرات - جميلة الجميلات - شمس الشموس -شيخ مشايخ (الطرق الصوفية) كأس الكؤوس - أستاذ الأساتذة - نجم النجوم - سعيد السعداء). وكما ذكرنا فإن بعض هذه المركبات يعود إلى استعمالات أقدم بكثير من استعمالها (حديثاً) بحسب

تعبير الدكتور الوزير. فهو يورد مثلاً المركب (شمس الشموس) ويقول إن معناه (أشهر امرأة)، ولا يورد هنا دليلاً نصياً، ويبدو أن هذا المعنى جاء من شيوخه نعاناً لمطربة لبنانية شهرية! غير أن الحقيقة هي أن هذا المركب مستخدم بكثرة - مثله مثل مركب (قطب الأقطاب) - في الألقاب الصوفية^(١١); فنجد مثلاً وقد أطلق على أحد أقطاب القرن السابع الهجري: (أبو الغيث سعيد بن سليمان بن جمیل: «شيخ مشايخ اليمن في عصره يلقب بشمس الشموس»)^(١٢). كذلك نجد أحد أعيان القرن العاشر الهجري (الشيخ الكبير والعلم الشهير القطب الرباني شمس الشموس الشيخ أبو بكر بن عبد الله العيدروس)^(١٣). على أنه من المهم أن يلاحظ أيضاً أن هذا المركب نفسه يخرج من أن يكون وصفاً بمعنى (أشهر امرأة) ليستخدم في التصوف تعبيراً عن الحقيقة المحمدية؛ وذلك كما في قول الشاعر عمر بن محمد اليافي (ت ١٨١٨ م):

أشرقتْ في سمائيِّ شمسُ الشموس فاضمحلَّتْ بها ظلماتُ النفوس

وهذا التعبير عن الحقيقة المحمدية نجده في تعبيرين آخرين استخدماهما البزني (ت ٦٢٢ هـ) وهما: (نور أنوار المعارف) و (سر أسرار العوارف)^(١٤). ومركب (شمس الشموس) نجده في العصر الحديث مجاوراً لمركب (بدر البدور) وقد مُدح بهما النبي (ص)؛ كما فعل الشاعر الفلسطيني يوسف النبهاني (ت ١٩٣٢ م) وهو يتحدث عن (المدينة المنورة):

هيِّ أُمُّ الْأَنوارِ قَدْ حَلَّهَا الْمُخْ تَأْرُبَدُ الْبُدُورِ شَمْسُ الشَّمْوَس

وفي السياق الصوفي الرمزي نفسه نجد استعمال المركب (روح الأرواح) مقترباً مع مركب (سر الأسرار)؛ كما نجد في قول الشاعر عمر الرافعي (ولد ١٨٨١ م):

وَهِيَ رُوحُ الْأَرْوَاحِ فِي الْكَوْنِ طَرَّاً وَهِيَ سُرُّ الْأَسْرَارِ فِي الْإِجْمَالِ

وفي المركب (قدس الأقداس) نجد استخداماً له يعود إلى القرن الثامن عشر الميلادي؛ إذ يقول الشاعر جرمانوس فرحت (ت ١٧٣٢ م):

يَا هِيكَلَ الْقَدِيسِ رُوحُ الْقَدِيسِ حَلَّ بِهِ مِنْهُ ظَفَرَتِ بَسْرُ قُدْسِ أَقْدَاسِ

وبالنسبة إلى المركب (شيخ المشايخ) الذي رأينا إطلاقه في القرن السادس الهجري على مشايخ الصوفية في مصر، نجد المقترن يقتصر على ذلك فيشير إلى المركب بالصيغة

الآتية (شيخ مشايخ الطرق الصوفية). والحق أن هذا المركب لا يقتصر على المجال الصوفي. فالجبرتي مثلاً (ت ١٨٢٥ م) منذ أوائل القرن التاسع عشر استخدم تعبير (شيخ مشايخ الأزهر)^(١٥). وظل هذا المركب في الاستخدام يطلق على بعض شيوخ الأزهر؛ مثل الشيخ أحمد الرفاعي (ت ١٩٠٧)^(١٦). كذلك لا يلتفت المقترح إلى أن هذا المركب هو صيغة أخرى من المركب (شيخ الشيوخ) المتداول في كتب التراجم العربية، وأن التركيين كلديهما لا يختلفان عن مركب (فقيه الفقهاء) أو مركب (علماء) وكلاهما ورداً مثلاً في كتاب (المتنظم في تاريخ الملوك والأمم) لابن الجوزي (٥٩٧ هـ)^(١٧) تَعَيَّنَ لـ (سعيد بن المسيب) عالم المدينة المنورة وأحد الفقهاء السبعة التابعين. كذلك يدخل في هذه المجموعة نفسها مركب (إمام الأئمة) الذي استخدمه الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م) عندما قال:

إِمَامُ الْأَئِمَّةِ مِنْ هَاشِمٍ وَأَكْرَمَهَا فِي الْمَعَالِي نِجَارَا

ومادمنا في سياق الشعر فلنختتم بواقة لها من الشهرة ما كان حرّياً باستلفات النظر إلى هذا المركب الإضافي لو أن العلماء وجدوا فيه أدنى عدول عن النظام التحوي في تركيب الإضافة. وهذه الواقعة تمثل في ذلك الحوار بين الخليفة عمر بن الخطاب وابن عباس الذي يروي فيقول: «قال [يقصد عمر]: يا ابن عباس. ألسنت نشدني لشاعر الشعراء؟ قلت: يا أمير المؤمنين: ومن شاعر الشعراء؟ قال: زهير. قلت: لم صيرته شاعر الشعراء؟ قال: لأنَّه لا يعاظِل...»^(١٨).

والنتيجة التي نرتبعها على ذلك كله هي أن هذا المركب اللغوي كان شائعاً قائماً في كل عصور الاستعمالات الشعرية. ومن ثم يتتفق بهذه الأدلة الشعرية مضمون التعبير (شاع حديثاً) الذي استهل به المقترح المقدم للمجمع. فهل شمة أدلة من أوعية نصية أخرى. في الحقيقة لدينا وعاءان: عنوانات الكتب، والمصطلحات.

٢- في أسماء الكتب:

إذا تركنا الشعر إلى غيره من مجالات الاستعمال فإن في تسميات الكتب المؤلفة

معيناً لاستعمال هذا المركب الإضافي. وعلى سبيل المثال يذكر أن لأبي بكر الرازي (٢٥٠ هـ) كتاباً عنوانه (سر الأسرار)، وأن لعبد القادر الجيلاني (٥٦١ هـ) كتاباً بالاسم (سر الأسرار ومظهر الأنوار فيما يحتاج إليه الأبرار)، وأن لأحمد بن أبي سعيد الأميتوبي الحنفي (١١٣٠ هـ) كتاباً هو (نور الأنوار في شرح المنار)، ولمحمد بن عبد الله القادري كتاباً هو (نور الأنوار وكتز الأبرار في ذكر الصلاة على النبي المختار). فلو كان في كل هذه العنوانات دلالة غير معهودة لكان هذا بلا شك سيمثل مستلقتاً قوياً لأنظار علماء العربية وبلا غيبة ليجدوا في هذه العنوانات محِّضاً للنظر.

٣- في المصطلحات:

هناك في التراث الصوفي ذلك المصطلح الشهير (حقيقة الحقائق) وعنه يقول ابن عربي: «الحقيقة المعقولة الجامعة ... فسمه إن شئت حقيقة الحقائق أو الهيولي أو المادة الأولى أو جنس الأجناس»^(١٩). ونلحظ في هذا الاقتباس مركب (جنس الأجناس)، وهو من زمرة الاستعمال نفسه. وفي الدرس المنطقي يعرف (جنس الأجناس)، بأنه «هو الجنس الذي لا يعلوه جنس آخر فوقه»^(٢٠). ويقابل هذا المصطلح مصطلح (نوع الأنواع)^(٢١)؛ وهو من نوعية المركب الإضافي الذي نحن صدده. وتعريفه أنه النوع الذي ليس تحته نوع.

وفي مجال المصطلحات القضائية نجد مصطلح (قاضي القضاة) الذي أطلق على منصب استحدث في الدولة العباسية يوازي تقريراً منصب (وزير العدل) في حياتنا المعاصرة، وقد شغله أعلام مشهورون مثل عبد الجبار المعزلي (ت ٤١٥ هـ)، والمارودي (ت ٤٥٠ هـ) الذي أنشأ ديواناً سُمِّيَ بـ (ديوان قاضي القضاة)، وأبن خلكان (ت ٦٨١ هـ) صاحب وفيات الأعيان، وغيرهم^(٢٢). والمطلع على هذا الكتاب الأخير -وفيات الأعيان- وعلى غيره من المصادر التراثية، يجد كثيراً من المصطلحات التي تدل على مناصب ورتب إدارية؛ وذلك مثل (رئيس الرؤساء) و (ناظر الناظر)^(٢٣). ولا يبعد عن هذا المجال الدلالي مركب (أمير الأمراء)؛ وهو منصب سياسي وإداري استحدثه الخليفة الراضي عام ٣٢٤ هـ^(٢٤).

خلاصة رصد الاستعمال:

قبل أن نحاول استخلاص عدد من نتائج رصدنا لأُوعية الاستعمال اللغوي هذه نود أن نشير إلى نوع من الاستعمال معاير في طبيعته تماماً لكل ما سبق من أمثلة الظاهرة التي نحن صددها، ولكن مع ذلك يأخذ صورة توهם بالانصواء تحتها. ففي العبارات الآتية مثلاً:

أ. قَمْتُ بِجَمْعِ الْجَمْعِ مِنْ مَعْجَمِ لِسَانِ الْعَرَبِ

ب. سَرَّنَا الْكَرِيمُ بِبَذْلِ الْبَذْلِ

ج. وَرَدَ فِي كِتَابِ (الْفَرْقَانِ فِي تَدوِينِ الْقُرْآنِ) لِابْنِ الْخَطَّيْبِ^(٢٥): «نَهَى عَمَانُ عَنْ قِرَاءَةِ الْقُرَاءَاتِ بِتَائِنَا»

د. نَذَرُ النَّذَرِ مُحَكَّمٌ بِالْاسْتِطَاعَةِ لِلْفَوَاءِ بِهِ

وهذه النوعية من المركبات الإضافية تحتاج تفسيراً مغايراً تماماً للتفسير الذي تتطلبه الأمثلة التي سقناها من رصيد استعمالات الظاهرة؛ حيث لا يمكن الأخذ بمقوله (المبالغة) أو بمقوله (التفضيل) لتفسير هذه المركبات. ولكي يتضح ذلك فلنعقد مقارنة بين المركب (ليث الليوث) مثلاً ومركب (جمع الجموع) الوارد في (أ). ولتبسيير توضيح المصود سنطلق على مقدم المركب مصطلح (رأس)، وعلى العنصر الثاني فيه مصطلح (الذيل). فعلى حين أن العنصر الأول (= الرأس = ليث) في المركب (ليث الليوث) هو فرد من أفراد الثاني (= الذيل = الليوث)، فإن رأس المركب الثاني (= جمع) ليس فرداً من أفراد الذيل (= الجموع). وهذا فرق دلالي مهم. ف(ليث) في المركب الأول (هوية ذات entity)؛ ومن ثم تخضع لمقوله (العدد)، في حين أن (جمع) في المركب الثاني هو (عملية process) أو (نشاط activity)؛ ومن ثم تقع إشاراته الدلالية على كثيره وقليله. ولذلك يصح أن يُحوَّل المصدرُ الصريح في هذه الأمثلة إلى مصدرٍ مؤولٍ فنقول مثلاً:

- (أ)- كلف الأستاذ طالبَه أن يجمعَ الجموعَ من لسان العرب
- (ب-) سرّنا أن يبذل البذول كُلّ كريمٍ
- (ج-) نهى عثمانُ عن أن يقرأ القراءاتِ أحدُ
- (د-) أن تنذر النذور مُحکومٌ بالاستطاعة للوفاء بها

ومن الواضح أن الظاهرة التي نحن صددها ليست من باب هذا النمط من الإضافات الذي أطلق عليه اللغويون العرب (باب إضافة المصدر إلى مفعوله). فما نحن صدده هو إضافة مفردٍ من الجهة الصرفية العددية إلى جمعه الصرف العددي.

وعلى أية حال فإن ما يتضح لنا من كل الاستعمالات التي أوردنها أنها إزاء ظاهرة قارئة فاشية في الاستعمال اللغوي في أوعية نصية مختلفة في كل عصور اللغة العربية؛ ومن ثم فهي ليست ظاهرة مستجدة أو طارئة تتطلب موقفاً معاصرًا منها يقضي بالجواز أو المنع. والأمر الذي يستلفت إليه النظر أن صاحب المقتراح الفاضل بعد أن بدأ بالإشارة إلى شيوخ حديثٍ في استعمال هذا المركب يقول:

«ويستأنس مؤلفُ هذا الكتاب بورود هذا الاستعمال في نصوص عربية قديمة منها...»

وبصرف النظر عن اللبس القائم في تعبير (مؤلف هذا الكتاب) - إذ لا ندرى إلى أي كتاب يحيل؟! - فإن فكرة (الاستئناس) هنا هي الشديدة للبس والتعمية. فإيراد ستة أمثلة من نصوص عربية قديمة يوحى - تحت تأثير مقوله (الاستئناس) - بأنها ظاهرة مغمورة الاستعمال؛ ف تكون هذه الأمثلة شيئاً يتبعُ به المقتراح ليقويَ ما زعم أنه «شاع حديثاً» في الاستعمال، وكأنه يواجه أمثلة أخرى تناقض هذا الاستعمال، أو أنه إزاء رأيٍ معتبرٍ على هذا الاستعمال. أما وقد رأينا فشوَ استعمال الظاهرة منذ القِدَم، ولم نجد ثمة من يعتريض على هذا الاستعمال، فالأمثلة الستة التي أوردها الأستاذ الفاضل تدخل ضمن استعمالٍ لا معارضَ له، وليس ثمة ما ينقضُه.

هذا من جهة الاستعمال، فماذا عن جهة التناول المعجمي أو الدلالي أو النحوبي أو البلاغي لهذا المركب من قبل علماء العربية؟

يقول الدكتور الوزير في مقتره:

«هذا ولم يلتفت علماء العربية قديماً وحديثاً إلى إضافة المفرد إلى جمعه بهذه الدلالة».

وهو يقصد بتعبير (بهذه الدلالة) أن هذا المركب يدل - كما يقول - على «الفضيل والتفرد أو مطلق الزيادة». وهنا ينهض سؤال: هل صحيح أن علماء العربية لم يلتفتوا إلى إضافة المفرد إلى جمعه؟ وإذا ثبت التناقض فهل كان التفاوتاً إلى الظاهر بهذه الدلالة، أم أنه كان التفاوتاً إليها بدلالة أخرى؟ وإن كانوا قد قالوا بدلالة أخرى فلم يذكر ذلك في عرض المقترح حتى يوازن القاريء بين الدلالة التي قالوا بها والدلالة الجديدة المقترحة؟ وفي الجواب عن ذلك كله نمضي بثلاث خطوات: الأولى إثبات أنهم التفتوا. والثانية الكشف عن الدلالة التي قالوا إن استعمال إضافة المفرد إلى جمعه يقوم بها. والثالثة المقارنة بين الدلالة التي أقروها، والدلالة الجديدة التي توصل المقترح إليها وأقرّه المجتمع عليها.

ثانيًا: الظاهرة في معالجة علماء العربية:

لنأتوقف كثيراً عند معالجة هذه الظاهرة في أدبيات العصر الحديث؛ فهي فيها يبدو لي بالفعل ضئيلة الحضور. ولا أستثنى من ذلك سوى وقفة ابن عاشور (ت ١٩٧٣ م) في ردّه على تفسير الزمخشري القائل بأن (إحدى الأمم) في قوله تعالى «وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ تَذِيرٌ لَيَكُونَنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمُّمِ» تعني (أفضل الأمم). ففي ذلك يقول ابن عاشور إن تفسير الزمخشري هذا «بناء على التنظير بما ليس له تنظير، وهو قولهم: إحدى الإِحد، ولا يتم التنظير؛ لأن قولهم (إحدى الإِحد) جرى مجرى المثل في استعظام الأمر في الشّرّ أو الخير. وقرينة إرادة الاستعظام إضافة «إحدى» إلى اسم لفظها فلا يقتضي أنه معنى يُراد في حالة تجرد (إحدى) عن الإضافة [إلى اسم من لفظها]»^(٢٦). وما نخرج به من هذه اللفتة هو أن مركب (إحدى الإِحد) يفيد «استعظام الأمر في الخير أو الشرّ»، وما جعله يقوم بهذه الدلالة هو إضافة المفرد إلى اسم من لفظه. فكان ابن عاشور يريد أن يقول إن إضافة اللفظ إلى اسم من لفظه تفيد دلالة (الاستعظام). وهذا مفهوم تفسيري إدراكي يبين على هذا النمط الإضافي.

وكأننا من ثمّ أمّا التفافات تنطوي على تفسيرٍ لنوعٍ من الإدراك الجمعي منعكسٍ في طريقة تعبير العربي باللغة عن العالم. ولعلّ ما يعزز من قيمة التفافات ابن عاشور أنّ ثمة أمراً له حضور واضح في العربية؛ وهو أنّ العربي حين يريد أن يعبر عن قوة أمرٍ ما، أو شدة أمرٍ ما، فإنه يلجأ إلى تكريرٍ جناسيٍ للفظ الدالٌ على هذا الأمر. وفي هذا يمكن أن نشير إلى أن السيوطي مثلاً يعقد باباً تحت عنوان «ذكر الألفاظ التي جيء بها توكيدياً مشتقة من اسم المؤكّد»^(٢٧) ومن ذلك: الجاهلية الجهلاء، ووتد واتد، ووبيل وابل... إلخ. وفي هذا السياق يورد بعض المركبات الإضافية التي تتّمّي إلى نمطنا موضع الدراسة؛ مثل: صلُّ أصلال، وهترٌ أهتار... إلخ.

والسؤال هنا: هل كانت تلك اللفتة من ابن عاشور مغایرةً للمقاربة التراثية لهذا المركب؟ هذا ما نتوجّه لبيانه الآن.

إذا ذهينا إلى القواميس^(٢٨) العربية فإننا نجد في (لسان العرب) تحت المدخل (أح د): «إحدى الإحد: الأمر المنكر الكبير؛ قال: (بعكاظٍ فعلوا إحدى الإحد)»^(٢٩).

وتحت المدخل نفسه في (القاموس المحيط) للفيروز آبادي: «ويقال للأمر المتفاقم: (إحدى الإحد)، و(فلان أحد الأحدين)، و(واحد الأحدين)، و(واحد الآحاد)، و(إحدى الإحد)؛ أي: لا مثيل له، وهو أبلغ المدح. و(أتهي بإحدى الإحد) أي: بالأمر المنكر العظيم»^(٣٠). وهذا القول الوجيّز يجد تحت المدخل نفسه (أح د) عرضاً موسعاً عند الزبيدي في (تاح العروس)^(٣١): «(الإحد) جمع (إحدى)... و(فلانُ أحد الأحدين) محركة فيها، و(واحد الأحدين) هكذا في النسخ، وفي نسخة شيخنا (واحد الواحدين)، وفي التكلمة (واحد الإحدين) بكسر ففتح، وهو جمع أحد وواحد... وسئل سفيان الثوري عن سفيان بن عيينة قال: ذاك أحد الأحدين، قال أبو الهيثم: هذا أبلغ المدح... و(واحد الآحاد) و(إحدى الإحد) هو كالسابق... قال رجل من غطفان:

إنكم لن تنتهوا عن الحسدٍ حتى يُدَلِّيْكُمْ إلى إحدى الإحدٍ

... (أي لا مثل له. وهو أبلغ المدح) لأنّ جعله داهية في الدواهي ومنفرداً في المنفردin؛ ففضّله على ذوي الفضائل لا على المطلق ... قال الدمامي في شرح التسهيل: الذي ثبت استعماله في المدح (أحد وإحدى) مضاداً إلى جميع من لفظهما،

ك (إِحَدٌ وَاحْدَيْنِ)، أو إلى وصف، ك (أَحَدُ الْعُلَمَاءِ)، ولم يُسمَعْ في أَسْمَاءِ الْأَجْنَاسِ، انتهى. قال ابن الأعرابي: قوله: (ذاك أَحَدُ الْأَحَدِينَ) أَبْلَغَ الْمَدْحُ. ويقال: (فَلَانَ وَاحِدُ الْأَحَدِينَ)، و(وَاحِدُ الْأَحَادِ)، وقولهم (هَذَا إِحْدَى الْأَحَادِ)، قالوا: التَّائِنُ لِلْمُبَالَغَةِ بِمَعْنَى الدَّاهِيَّةِ. كَذَّا فِي مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ. وفي الْمَحْكُمِ: وَقُولُهُ

حتى استشاروا بي إِحْدَى الْإِحَدِ

لِيَثَا هَزِبِرَا ذَا سَلَاحِ مَعْتَدِي

فسره ابن الأعرابي بأنه واحد لا مثل له... تقول: (أَتَى بِإِحْدَى الْإِحَدِ)؛ أي بالأمر المنكر العظيم، يقال ذلك عند تعظيم الأمر وتهويله. ويقال: (فَلَانَ إِحْدَى الْإِحَدِ)؛ أي واحد لا نظير له. قاله ابن الأعرابي... فكأنه قيل: هو داهية الدواهي... وقد يقال لما يُستعظم مما لا نظير له: هو إِحْدَى الْأَحَدِينَ / إِحْدَى الْإِحَدِ». والحديث هنا واضح عن دلالة التفرد.

وقد نص ابن مالك (ت ٦٧٢ هـ) في التسهيل على أنه «قد يقال لما يُستعظم مما لا نظير له هو أحد الأحدين، وإحدى الإحد»^(٣٢). ويصعب ألا تقول إن ابن مالك غضط الطرف عن وجود هذا المركب في هذا البيت الذي هو للفرزدق، والذي يورده ابن مالك نفسه في التسهيل أيضًا؛ وهو:

بِالْبَاعِثِ الْوَارِثِ الْأَمْوَاتِ قَدْ ضَمِّنْتُ إِيَّاهُمُ الْأَرْضُ فِي دَهْرِ الدَّهَارِir^(٣٣)

ويهمنا من هذا البيت الأخير أن ابن منظور أورد في سياق تعليقه عليه قوله: «و(دَهْرُ دَهَارِir) مُخْتَلِفَةٌ عَلَى الْمُبَالَغَةِ» ثم أورد ملحوظة للأزهرى هي: «يقال ذلك في (دَهْرِ الدَّهَارِir)»^(٣٤)؛ أي أن هذا المركب الإضافي (دَهْرُ الدَّهَارِir) للْمُبَالَغَةِ أيضًا.

وفي (المحيط في اللغة) للصاحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ) - وبالمناسبة كان يطلق عليه لقب (كافِي الكفاة) وهو مُركَبٌ إضافي من نمط ما نتحدث فيه! - نجد «(ونزل به إِحْدَى الْإِحَدِ) أي إِحْدَى الدَّوَاهِيَّةِ»^(٣٥). وإذا عدنا إلى ابن منظور ثانية فإننا نجد تحت مدخل (أَبْ د): «الْأَبْدُ: الْدَّهَرُ، وَالْجَمْعُ آبَادٌ وَآبُودٌ»، ثم يورد قولهم «وَلَا أَفْعَلْ ذَلِكَ أَبْدَ الْأَبْيَدِ وَأَبْدَ الْآبَادِ وَأَبْدَ الدَّهَرِ».

والسؤال هنا: ما الخلاصة التي نخرج بها من كل هذا الشرح القاموسي؟ والجواب
نصوغه على النحو الآتي:

ثمة اهتمام واضح بالمركب الإضافي (أحد الأحدين) أو (إحدى الإحد). ومن الشائق أن هذا المركب (أحد الأحدين) يصلاح أن يكون قالباً مجرداً لهذا النمط من المركبات الإضافية. ولكن على الرغم من هذا الاشتراك في الصورة المركبة لكل ما أوردناه من أمثلة فإن ثمة ضرورة دلالية وتداوילية للتفريق بين هذه المركبات التي لا يمكن أن تؤخذ جيئاً على تفسير وظيفي واحد. وسنأتي لبيان ذلك في قادم هذا البحث. ولبيق تركيزنا هنا على توضيح التفسير التراثي وما وقف عنده علماء التراث من أنماط لهذا المركبات الإضافية.

القانون العام الذي نجده واضحاً بجلاء عند النهاة هو أن الإضافة لا تتطلب إلا وجود علاقة ما بين (المضاف) و (المضاف إليه) حيث «يضاف الشيء لأنني ملابسة»^(٣٦)، ولأن الملامسات لها وجوه كثيرة، فإن الوجه الذي ركز عليه الشراح القاموسيون هو وجه (المبالغة)؛ أي إرادة المنشئ لهذا النمط المركبي الإضافي أن يبين أمرين معًا: الاشتراك (في المجموعة) والامتياز (عن أعضاء المجموعة)؛ فالتركيز من ثمّ هو على وجه الفائض الدلالي في الخاصية أو الصفة التي تزيد عند عنصر على بقية العناصر المشتركة في الصفة أو الخاصية. وهذا التحليل يوصلنا إلى إدراك القيمة التفسيرية التي تكمن في عبارة تاج العروس ومؤداها أن مُطلق هذا المركب على شخصٍ ما أو أمرٍ ما، إنما يريد «تفضيله على أصحاب صفتة لا على المطلق». لقد أدرك أصحاب القواميس ما في هذا المركب من دلالة على أنه يطلق عندما يكون أحد عناصر زمرة معينة فائضاً عليها في الصفة الجامعة لهذه العناصر. فهو منها، من جهة الاشتراك في الصفة، وهو مفارق لها من جهة حجم هذه الصفة. فالمضاف غير المضاف إليه؛ لذا فال الأول يتعرف، أو يتخصص، بالثاني؛ ومن ثم فالتركيب يلبي شرط الإضافة ووظيفتها. ونلاحظ أن القاموسيين العرب وصفوا مجال التفضيل بأنه «الأمر المنكر الكبير - الأمر المتفاقم - - الأمر المنكر العظيم - ما يُستعظم»، أو الأمر الذي «لا مثيل له» و «لا نظير له»، وأن المقصود من وراء هذا الإطلاق هو «تعظيم الأمر وتهويله». ولذلك فإنه «يقال للرجل إذا كان داهية: إنه لصلٌّ أصلٌّ، والصل:

الحياة التي لا تنفع منها الرّقيقة، وإنّه لسيّدُ أُسْبَادِ، إذا كان داهية في اللّصوصية، وإنّه لفتر أهتارٍ، أي داهية من الدواهي، ... وفي أمالٍ ثعلب: يقال هو صل الأصل؛ أي داهية الدواهي»^(٣٧). ومن ثمة فإننا نجد لدى الشرح القاموسين ربطاً لهذه الظاهرة بمفهوم (المبالغة). وهذا ما يقودنا إلى وقفة لبيان هذا المفهوم، واستيضاح مدى قوته التفسيرية لهذا المركب.

مفهوم (المبالغة) وكفايته التفسيرية:

مفهوم (المبالغة) ذو ثقلٍ إبستمولوجي يمتد إلى بلاغة أرسسطو و كانتيليان وغيرهما. وبเดءاً من ثمانينات القرن العشرين الماضي عاد الاهتمام مجدداً بهذه الظاهرة اللغوية، وبخاصة في إطار دراسات اللسانيات النفسية. وعلى المثال وصلت إحدى الدراسات التجريبية (الإمبريقية) - بعد دراسة ثمانية أشكال من الصور البلاغية في مدونة أدبية - إلى أن (المبالغة hyperbole) تشغّل الموقّع الثاني في التواتر؛ ومن ثم جاءت الدعوة القائلة بأنه «في إطار هذا التواتر المطّبِق فإن المبالغة تستحق اهتماماً أكثر مما تلقّتها حتى الآن»^(٣٨).

وفي التراث البلاغي العربي شغل هذا المفهوم مساحة واسعة^(٣٩). ومن هذه المساحة يهمنا هنا ذلك التفسير التداولي الذي يقدمه ابن قتيبة للمبالغة حيث يرى أن المبالغة يلجأ إليها العرب «في كل ما أرادوا أن يعظّموه، ويستقصوا صفتة»^(٤٠). وهذا تحديد بالغ الأهمية؛ لأنّه يدرك أنّ الخاصيّة الجوهرية في المبالغة هي (دلاليتها وتداوليتها) وليس (نحويتها)؛ بمعنى أنها ظاهرة دلالية تداولية، وليست ظاهرة نحوية؛ فهي تتجسد في أشكال لغوية متعددة: معجمية أو مركبة أو تركيبية. كذلك هي استعمال لغوي يتضمن تقسيماً إيجابياً أو سلبياً^(٤١) في المشاعر والتوجهات لدى مستعمله نحو موضوع ما. وهنا لا بد أن نفهم أن المقصود بـ(التعظيم) أو (استقصاء الصفة) ليس دلالة (المدح) وحدها وإنما دلالة (التحقير والذم) أيضاً. فإذا كنا قد رأينا ربط هذا النمط المركيبي الذي نحن صدده بالمتّفقة فإن هذا النمط إذاً يكون من باب (التعظيم) و (استقصاء الصفة)، أو من قبيل ما أسموه أحياناً بـ«الإفراط في الصفة»^(٤٢)، أو البلوغ «بالمعنى أقصى غاياته، وأبعد نهاياته»^(٤٣)، أو الدلالة على كبر المعنى على وجه التغيير عن أصول اللغة^(٤٤)؛ أي على وجّه التغيير عن المعنى

الحرفي. على أن خصوصية المبالغة في نمط هذا المركب الإضافي تتأتي من كون هذه (الصفة) يشترك فيها المضاف والمضاف إليه مع امتياز زائد في هذه الصفة نفسها عند المضاف. وهذا هو جوهر (المبالغة) فيه؛ لأنـه - كما قال الزيدي في تاج العروس - يؤدي معنى التفضيل للمضاف في الصفة القائمة عنده وعند من يملكون الصفة نفسها؛ فـ(الصفة)- بالمعنى الوجودي القائم بالموصوف - هي ميدان التفاضل بين المضاف والمضاف إليه. ومعنى (التفضيل) هذا مثلـ له البحترى بصوغٍ شعري حين قال في مدح أحدهم^(٤٥):

بِيَنْ بِالْفَضْلِ أَقْوَامٌ فِي فَضْلِهِمْ مُوحَّدٌ بِغَرِيبِ الذِّكْرِ مِنْفِرٌ
تَوْحِيدُ الْقَمَرِ السَّارِي بِشَهِرِتِهِ وَأَنْجُمُ الْلَّيلِ نَثْرُ حَوْلَهُ نَدْدُ

فهذا المدح الفاضل يقاس فضله على فضل أقوامٍ فضلاء، ولا يقاس على غير الحائزين لهذه الصفة. وعلى هذا يمكن أن يقال في هذا المدح إنه (فضل الفضلاء). ومن ثم فإننا نصل إلى نتيجة مهمة؛ وهي أن دلالـة (التفـرد) التي اقتـرـحـها المـجمـع دلالـةً لهذا المركـب لا تـظـهـر دلالـة (القياس) التي يـعـطـيـها هذا المركـب الإضافـي وما يتضـمنـه من خـصـوصـيـة المـقـيـاسـ (المضافـ) بالـنـسـبةـ إـلـىـ المـقـيـسـ عـلـيـهـ (المضافـ إـلـيـهـ). فالقول بالـتفـرد يـقـضـيـ على خـصـيـصـةـ الاـشـتـراكـ الدـلـالـيـ بـيـنـ المـضـافـ وـالمـضـافـ إـلـيـهـ، أيـ علىـ مـجـالـ المـفـاضـلـةـ وـالـمـقـاـيـسـ بـيـنـهـماـ. ولوـ كانـ المـقـصـدـ هوـ فـحـسـبـ إـظـهـارـ (تـفـردـ) المـقـيـسـ لـكـانـ فـيـ اللـجوـءـ إـلـىـ أحـدـ آنـهـاطـ أـسـلـوبـ التـفـضـيلـ المـعـتـادـ عـوـنـ تـبـيـريـ؛ فـقـيلـ مـثـلاـ (فـلـانـ هوـ الأـفـضـلـ أوـ الأـشـجـعـ أوـ ...ـ إـلـخـ). وـفـيـ ذـلـكـ يـمـكـنـ النـظـرـ إـلـىـ ماـ تـقـولـهـ بـيـنـكـاـ سـتـيـيفـاـ Penka Statevaـ؛ وـهـيـ دـارـسـةـ لـسـانـيـةـ مـهـمـةـ فـيـ تـحـلـيلـ صـيـغـ التـفـضـيلـ superlativesـ؛ حيثـ تـذـهـبـ إـلـىـ أـنـ «ـكـلـ صـفـةـ مـنـ نـوـعـ (ـالـأـعـلـىـ the highestـ) وـ (ـالـأـغـنـىـ the richestـ) وـ (ـالـأـكـثـرـ إـثـارـةـ لـلـإـعـجـابـ the most impressiveـ) تـعـنيـ ضـمـنـاـ تـفـرـدـ الفـرـدـ الـذـيـ أـسـنـدـتـ إـلـيـهـ هـذـاـ الـخـاصـيـةـ»^(٤٦). وـهـذـاـ مـاـ يـقـودـنـاـ إـلـىـ ضـرـورـةـ عـقـدـ مـقـارـنـةـ بـيـنـ المـرـكـباتـ الإـضـافـيـةـ مـنـ النـمـطـ الـذـيـ نـحـنـ صـدـدـهـ وـمـرـكـباتـ صـيـغـ التـفـضـيلـ فـيـ الـعـرـبـيـةـ؛ وـذـلـكـ لـيـتـبـيـنـ لـنـاـ وـجـهـ الـاـتـفـاقـ أـوـ الـمـغـاـيـرـةـ الـدـلـالـيـةـ وـالـتـدـاوـلـيـةـ بـيـنـ الـاستـعـمـالـيـنـ. ولـتـأـمـلـ التـرـكـيـبـيـنـ الـآـتـيـيـنـ:

- فلان أشعرُ الشعراء

- فلان شاعرُ الشعراء

والسؤال هو: ما وجه الاختلاف بين المقارنة في التركيب الأول والمقارنة في التركيب الثاني؟ في التركيب الأول نحن نقارن في أفضليّة القيمة الشعرية، وفي التركيب الثاني نحن نقارن بين إنجاز شاعر معين وإنجاز غيره من الشعراء. ومن ثم فالمقارنة الأولى لا تتضمن معنى الصفة المستقرة الثابتة؛ ولذلك قال النحاة إن اسم التفضيل أشبه بالفعل من جهة دلالته على التجدد ومن جهة الوصف به؛ فهو «نعتٌ كما أن الفعل نعتٌ»^(٤٧). أما المقارنة الثانية فهي تتضمن التأكيد على إسناد صفة ثابتة مستمرة، فكأنها (لقب) دالٌ على الثبوت.

أما وجه الاختلاف الآخر فهو أن كثيراً من أمثلة هذا المركب الإضافي لا يمكن صياغتها بأسلوب التفضيل: فلا يمكن مثلاً أن نصوغ اسم تفضيل من: (زيد فارس الفرسان) أو (عين الأعيان)، أو (شيخ الشيوخ)... إلخ.

وبما أن مفهوم (المقارنة) مرتبط بمفهوم (القياس)؛ فإننا نكون الآن قد وصلنا إلى اعتاب حاولتنا تقديم تفسير إدراكي لهذا المركب الإضافي الذي نعالجه.

نحو تفسير إدراكي:

في بحث بعنوان (الاستدلال القياسي بؤرة الإدراك)^(٤٨) يذهب القائمون به، وهم ثلاثة من العلماء الاختصاصيين في مجال دراسة القياس، إلى أن القياس analogy طالما عُدَّ جزءاً مركزيّاً في الذكاء والإدراك cognition البشريين. ولأنه «سَدَّاهُ الإدراك ولُحْمَتُه»^(٤٩)، وأنه قدرة «فطرية»^(٥٠)، و «وجزء لا يتجزأ من نظام الفرد اللغوي الدائم النمو طوال حياته»^(٥١)؛ فهو العنصر المهم في عناصر القدرات الإدراكية المتنوعة مثل التمكّن من التذكرة، والتكييف، والتعلم، والمنطق، والإبداع، وحل المشكلات، واتخاذ القرار، والحجاج، والإدراك الحسي، والتعميم، والتنبؤ، ووضع المفاهيم... إلخ. ولقد أشار دارسو القياس إلى نقطة مهمة وهي أن «الحجج القياسية قد تكون قوية وقد تكون ضعيفة؛ وذلك حسب وثاقة صلة الخصائص المذكورة في المقدمات بالخصوصية المنشقة في النتيجة»^(٥٢). وبالاعتماد على هذه النقطة الأخيرة

نقول إن الحجاج على أمرٍ ما يقوى بقوة حججه، ويضعف بضعف حججه. فإذا أردنا مثلاً أن نحاجج لصالح إثبات (شجاعة زيد) يمكننا إعطاء أحد القياسين الآتيين:

القياس الثاني	القياس الأول
كل الفرسان شجعان	كل الفرسان شجعان
زيد لا مثيل له في الشجاعة	زيد شجاع
إذاً زيد فارس من الفرسان	إذاً زيد أشجع من الفرسان

ولا شك أن القياس الثاني أقوى في إثبات شجاعة زيد من القياس الأول. وما ذلك إلا لأن الحجاج الأول هدفه تأسيس علاقة (انضواء في الصفة أو في الصنف)، أي انضواء زيد تحت مقوله (الفرسان). فهو إذن ينتمي إلى القياس التصنيفي. أما القياس الثاني فهدفه تأسيس علاقة (مقارنة في الصفة)، والمقارنة لا تقوم إلا عند وجود تفاوت في درجات امتلاك الصفة. فهو من ثم قياسٌ تناسبيٌّ *proportional analogy* ينظر إلى النطابقات بين الكائنات الواقعية داخل المجال نفسه. وهذا ما يجعل أحد الأهميات الرئيسية في المركبات الإضافية التي تعالجها تطوي ضمناً على أحکام قيمة، وليس مجرد أحکام تفضيلية. ويوصلنا هذا التحليل إلى أهمية الفكرتين اللتين طرحتهما تراينا اللغوي في تحليل هذا النمط الرئيس:

- فكرة (نفي المثيل) عن المضاف؛ وهو نفيٌ يطالُ المثيل القائمَ في الفئة المعروفة بطرزيتها لتمثيل المقوله المتضمنة في المضاف إليه،
- وفكرة (المبالغة) في إثبات الصفة لهذا المضاف؛ وذلك بالنظر إلى ما أنتجه التركيب من تعديل لدى المتلقى يخص الممثل الطرازي *prototypical exemplar*^(٥٣) لهذه المقوله.

فبدون هاتين الفكرتين لا يمكن نسبة المركب إلى دلالة حكم القيمة.

وهاتان الفكرتان معًا تقتضيان منا أن نستدعي طرح السؤال الآتي: هل يتسوق وجود هذا المركب في اللغة وعمل الذهن البشري في إجراء عملية القياس التي ذكرناها؟ ولقد أشرنا منذ قليل إلى تعبيرات إدراكية تتعلق حول فكرة (الطرازية

Prototype). والمقصود من ذلك هنا هو نظرية الطراز الإدراكية **Prototypicality Theory** التي اقترحتها وطورتها إلينور روش E.Rosch منذ سبعينيات القرن الميلادي الماضي. ولقد عرَّفت روش (الطُّرُز) بأنه «التمثيلات الإدراكية المجردة للمفاهيم». وهذه التمثيلات للمفاهيم تتوجه إلى تجميع المفاهيم المتماثلة أو المترابطة في فئات دلالية، أو مقولات تصنيفية **categories**. وتتسم هذه المفاهيم التصنيفية بأن الوارد منها يضم عناصر غير متكافئة الدرجة؛ فمنها ما هو أقرب لتمثيل خصائص المفهوم، ومنها ما يبتعد نسبياً عن التمثيل الدقيق لهذه الخصائص. وبسبب من طبيعة المرونة، وقابلية إعادة التشكيل العصبيوني في الدماغ البشري وظيفياً وبنويأً ^(٤٤) فإنَّه يحدث إدخالٌ **functional and structural plasticity** عناصر جديدة في الفتة المفهومية، وكذلك يحدث تعديلٌ في مراتب العناصر بالنسبة إلى نموذجية التمثيل للمفهوم المعين، أو يحدث أخيراً إخراج عنصر من فئة هذا المفهوم وانتقاله إلى فئة مفهومية أخرى. وما ذلك إلا لكون طبيعة الفئات التصنيفية في أدمعتنا «ذات طبيعة ديناميكية، وتمثيلاتها تتکيف مع البيئات المتغيرة»^(٤٥). ومن ثم فنحن بوصفنا بشراً في حال تشغيل دائم لآلية دماغية أساسية تسمح لنا بإدراك العالم وتنظيمه والتکيف معه.

وبتطبيق هذه النظرية على المركبات الإضافية التي نعالجها نقول إن (المضاف إليه) (فيها هو ما يستحدث الذاكرة لاستدعاء الارتباطات النموذجية الخاصة بالصفة المعينة التي يمتلكها المفهوم الذي يمثله هذا المضاف إليه. ومن ثم فعند إضافة المفرد وتبيئه كرأسٍ لهذا المركب الإضافي يقوم الذهن بإجراء قياسٍ تفاضلي بين المضاف والمضاف إليه؛ أي بين ما يعرفه نموذجيًّا من قبل عن خصائص الصنف المقولي التي يمثلها المضافُ إليه، وهذا الوارد الجديد (المضاف) الذي يفوق في تمثيله لهذه الخصائص تمثيل هذه الصنف. فـ (المضاف) هو المفهوم الجديد في هذا النمط الإضافي، و (المضاف إليه) هو المفهوم الطرازي المعلوم سلفاً لدى الموجَّه إليه القول. وبصياغة جشطالية أخرى نقول إن المتلقى لهذا المركب الإضافي يفهمه (المضاف) على أرضية (المضاف إليه). ومن ثم فالمضاد إليه يعمل بوصفه الإطار المرجعي frame of reference الذي تقادس عليه صفة المضاف. ومن خلال هذه (القراءة) الذهنية يكتشف المتلقى قصد المرسل من تبيئ (المضاف) وتكريس

أماميته - بالمفهوم الحشطالي للأمامية foreground - في الرتبة المركبة بما يؤسس لأماميته في الصفة الجامعة بينه وبين المضاف إليه. وكما تقول شازيا أكبر جيلزاي Shazia Akbar Ghilzai في دراستها المقارنة بين الإنجليزية واليونانية عن «أثر العوامل الإدراكية والنفسية في التنوع التركيبي للإضافة» فإنه «عندما يدخل المتكلم المفاهيم الجديدة إلى المخاطب، فإنه [أي المخاطب] يربط المعلومات الجديدة بالمعلومات السابقة»^(٥٦). وبناء على ذلك فإن تفكيرك الذهن لنمط المركب الإضافي الذي نعالج هنا هو أنه يقوم بعملية تعديل لممثل النموذج الطرازي الذي يعرفه من قبل والمتضمن في المقوله التي يشير إليها (المضاف إليه). وهذا التعديل يجري لصالح تصعيد (أو نقل) نسبة التمثيل النموذجي لهذه الخصائص إلى (المضاف) ليكون هو (الممثل الطرازي الجديد للمقوله). وكما يوضح الرسم الشارح التالي فإن وضع المفهوم بين معقوفين [] يشير إلى أنه مفهوم متاح من قبل في الذاكرة، بخصائصه النموذجية التي تدركها الذاكرة الثقافية الجماعية. ومع إدراك المتكلقي أن المرسل يريد منه أن يحصل حملاً بخصوص مفهوم (المضاف)، بدليل جعل هذا المضاف رأس المركب نحوياً؛ ومن ثم جعله مركزَ الهيمنة الدلالية على الصفة المشتركة مع المضاف إليه، فإن هذا المتكلقي يبدأ - خلال وقت المعالجة processing time - في عملية نقل الخصائص النموذجية التي يمتلكها المضاف إليه إلى هذا الرأس (المضاف). والمثال المعطى في الرسم الآتي هو مركب (فارس الفرسان):



ييد أن أهم سؤال جاء وقت طرحه الآن في هذه المقاربة هو: هل كل أنماط هذا المركب الإضافي ذات دلالة واحدة في إقامة هذا التراتب الطرازي؟ وللإجابة عن هذا السؤال نقول إن ما تحصل لدى الباحث من تأمل استقصائه لأمثلة هذا المركب هو تقسيم أمثلته من وجهاً الدلالة الإدراكية الطرازية إلى الخمسة الأنماط الآتية:

• نمط التراتب الطرازي القيمي المباشر:

وفي هذا النمط يتم تصعيدهُ مباشر لأحد أفراد الفتنة ليكون هو الممثل الطرازي التموزجي *prototypical exemplar* لهذه الفتنة. فنحن مع كل مركب من مركبات هذا النمط نكون -بلغة المنطق- أمام زمرة *set* ماصدقها عدد من العناصر المشتركة في خاصية جامعية لهذه الزمرة. وحيث إن إدراك التشابه أو الاختلاف يقوم على قاعدة معالجة النطاق في السمة *a feature matching process* فإن ذهن المتلقى لهذا المركب الإضافي يدرك أن المرسل يقصد إلى إعطاء رأس المركب قيمةً علياً في امتلاك السمة تزيد عما لدى الجماعة الأصلية الممثلة لتلك السمة. وفي هذه الحالة يمكننا أن نسمى هذا النوع من الوصف بهذا النمط من المركب: والوصف الأقصى *maximative*. فعندما نقول مثلاً (فارس الفرسان) فـ (فارس) = (أحد) هؤلاء (الأحديين) الذين هم (الفرسان). وإذا رمنا لمجموعة (الفرسان) بالرمز (ف)، ولعناصرها بالرموز (ف١، ف٢، ف٣...). فإننا نكون إزاء الترميز الآتي: ف = {ف١، ف٢، ف٣...}. ولكن لأن طبيعة التفكير البشري مصممة على الإدراك التدرجية وليس المعياري *graded rather than criterial*^(٥٨)، ولأن (الطرز) هي الأساس للتدرجية *prototypes as a basis for gradability*^(٥٩) التي تظهر في التركيبات المقارنة والتفضيلية حيث تدل على خاصية مشتركة بدرجات متفاوتة بين مجموعة عناصر، فإن أحد هذه العناصر يفوق -في هذه الخاصية المشتركة- غيره من العناصر الأخرى. لقد أصبح هو الممثل الطرازي لتلك الخاصية (= الفروسيّة هنا).

ولو أخذنا مثلاً آخر هو المركب (سر الأسرار): فإن مفهوم (الأسرار) يعني

الأمور التي يُتكتَّم عليها، ويُمتنع البوح بها. فإذا وجد منها ما يكون التكتُّم عليه أشدَّ وألزَّم؛ فيُصبح هو الطراز النموذجي الذي يمثل مفهوم الأسرار. فالعناصر المضافة إِذَا ذُو هوية معتمدة **dependent entity** من جهة الخاصية المشتركة، وذو هوية مائزة **distinguishing** من جهة حجم امتلاك الخاصية أو قدرها أو درجتها أو وظيفتها.

والأمثلة المركبة لهذا النمط هي مثل: سر الأسرار - فارس الفُرسان - فَتَى الفِتَيَانِ - شاعر الشعراة - صنديد الصَّنادِيدِ - جميلة الجميلات - سعيد السعداء - أميرة الأميرات - عين الأعيان - أستاذ الأساتذة - فتح الفتوح - نوبة النُّوبِ - كأس الكؤوس.

• **نمط التراتب الطرازي القيمي المجاري:**

وفي هذا النمط يتم التصعيد الطرازي عن طريق قياس مجازي تشبيهي حيث يستنتاج الذهن طرازية (المشبَّه) بالنسبة إلى فئته من طرازية (المشبَّه به) بالنسبة إلى فئته. فعندما يقال مثلاً: (هذا الملائم هو أسد الأسود) فإن الذهن يستنتاج الطرازية النموذجية لهذا الملائم بالنسبة إلى الملائمين عن طريق إجراء قياس على طرازية (أقوى أسدٍ تمثيلاً لمفهوم (الأسدية) بين الأسود الأخرى. وعادة ما تكون الصفة / البُؤرة في الخصائص الطرازية للمضاف إليه هي الصفة التي يتم نقلها وإسنادها إلى (المشبَّه) المراد نعته بهذا المركب الإضافي. صفة (الشجاعة) هي الصفة البُؤرة في الأسود، وهي التي تنقل وتُسند إلى (المشبَّه)؛ فكأن (زيد أسد الأسود) = (زيد أشجع الشجاع).

والأمثلة المركبة لهذا النمط هي مثل: قمر الأقمار - شمس الشموس - بدر البدور - نجم النجوم أو نجمة النجوم - بَحر الْبُحُورِ - زهرة الزهور - أَسَدُ الْأَسُودِ - لَيْثُ الْلَّيْوَثِ - سَعْدُ السُّعُودِ (بالاستعمال التشبيهي وليس المصطلحي الفلكي) - نَحْسُ النُّحُوسِ (بالاستعمال التشبيهي وليس المصطلحي الفلكي).

• نمط التراتب الطرازي الوظيفي:

وفي هذا النمط يتم^(٦٠) التصعيد الطرازي ليس بقصد تفضيل أحد عناصر الفئة مبالغة أو استعظاماً على حد تعبير القدماء، وإنما للدلالة على وضعية وظيفية، أو رتبة سياسية، أو مهنية، أعلى في التدرج الهرمي من الوظائف الأخرى الواقعة في مجالها. ولذلك ما يصح هو أن نسمّي الوصف بهذا النمط الفرعي من المركب الإضافي بـ (الوصف السُّلْمَيِّ scalar). فعندما نقول مثلاً إن (القاضي عبد الجبار كان قاضي القضاة) فهذا مجرد إخبار تقريري لا يحمل أي حكم قيمة. وإنما يحدد الموقع الإداري للموصوف بهذا الوصف؛ فهو يشغل درجة تعلو غيره من القضاة. وترد في كتاب (مرأة الزمان في تاريخ الأعيان) العبارة الآتية (بعث الخليفة شيخ الشيوخ عبد الرحيم يأمر السلطان بالرحيل). ومن الواضح أن المقصود هنا هو تحديد وظيفة هذا الشيخ؛ فلا تفضيل هنا مدحًا أو ذمًّا، وإنما إبراد معلومة عن الرتبة الطرازية التصنيفية. ومع ذلك يلاحظ أن هذه المجموعة منها ما قد يُستخدم أحياناً استخداماً مجازياً؛ فتدخل في هذه الحالة في النمط الثاني الذي ذكرناه من قبل. ففي المركب (أمير الأمراء) مثلاً - حين يراد به الدلالة غير الوظيفية التي نعرفها في النظام الإداري العباسي - قد يشبّه به شخصٌ شخصاً آخر على سبيل المدح فيقول له مثلاً (أنت أمير الأمراء في أدبك وأخلاقك).

والأمثلة المركبة لهذا النمط هي مثل: قاضي القضاة - شيخ المشايخ - إمام الأئمة - أمير الأمراء.

• نمط التراتب الطرازي الميتافيزيقي:

وفي هذا النمط يتم التصعيد الطرازي ليس بقصد المقارنة التفضيلية، وإنما لإثبات المغايرة والانفراد بخاصية معينة. فالمركب (ملك الملوك) مثلاً - عندما يستخدم في سياقات الخطاب الديني - توصف به الذات الإلهية للدلالة على امتلاك الله تعالى

السلطة المطلقة التي تعلو كل سلطة. وهو في ذلك مثل المركبين (رب الأرباب) و (إله الآلة). وهذان المركبان في العربية يمثلان المركبين الإضافيين اللذين نجدهما مثلاً في اللغة العبرية: (נָסִיר הַנְּסִיכִים) بمعنى (أمير الأمراء)، و אלוה האלים بمعنى (إله الآلة)، وهمما مرکبان يطلقان على الله تعالى؛ ويُترجمان إلى الإنجليزية بـ Prince of the lords (Lord of lords) و Princes (نوع من المركب الإضافي الذي يضاف فيه المفرد إلى جمعه إنما هو ظاهرة قائمة في اللغات الإنسانية استجابةً لمطلب أداء وظيفة دلالية بالنسبة إلى الإدراك الإنساني).

والأمثلة المركبة لهذا النمط هي مثل: إله الآلة - روح الأرواح - نور الأنوار -

قدس الأقداس - جنة الجنات

• نمط التراتب الطرازي المصطلحي

وفي هذا النمط يتم التصعيد الطرازي أيضاً ليس بقصد المقارنة التفضيلية، وإنما لإثبات عموم المضاف لكل ما ينضوي تحت اسم (المضاف إليه). فالطرازية هنا هي طرازية (العموم). ويمكن القول هنا إن اتجاه المركب الإضافي لا يحيل إلى حكم قيمة داخل ذهن المرسل، وإنما إلى عملية ذهنية تصنيفية لعلاقات مفهومية بين أفراد مجموعة مصطلحية معينة. فمثلاً المركب (جنس الأجناس) يطلق على (جنس) هو شاملٌ لجميع الأجناس المنضوية تحته (فمثلاً: جنس (الجوهر)، يعلو جنس (الجسم)، الذي يعلو جنس (السائل)، الذي يعلو جنس (الماء)): فـ(الجوهر) هو جنس أجناس (الجسم) و (السائل) و (الماء).

والأمثلة المركبة لهذا النمط هي مثل: جنس الأجناس - نوع الأنواع - حقيقة الحقائق، سعد السعود (=منزل فلكي) (٦١).

الخلاصة:

في محصلة هذه المداخلة يمكن إيجاز ما توصلنا إليه في النقاط الآتية:

- ١ - إثبات أن ظاهرة إضافة المفرد إلى جمعه ظاهرة شائعة عبر تاريخ استعمالات اللغة العربية شعراً ونثراً، وفي عناوين الكتب وفي المصطلحات.
- ٢ - إثبات أن علماء التراث، وابن عاشور في العصر الحديث، قد التفتوا إلى مركبات الإضافة في هذه الظاهرة وقدموها مفهوم (المبالغة) تفسيراً لها.
- ٣ - تقديم معالجة جديدة للظاهرة باستئثار معطيات نظرية النموذج الطرازي في الإدراكيات.
- ٤ - الخروج بتقسيم دلالي / تداولي غير مسبوق لأنواع مركبات الظاهرة؛ حيث بلغت أنماطها خمسة أنماط هي:
 - أ. نمط التراتب الطرازي القييمي المباشر
 - ب. نمط التراتب الطرازي القييمي المجازي
 - ج. نمط التراتب الطرازي الميتافيزيقي
 - د. نمط التراتب الطرازي الوظيفي
 - هـ. نمط التراتب الطرازي المصطلحي

وعلى ضوء هذه النتائج فقد برهنت المداخلة على قصورٍ واضح في المعالجة المجمعية للظاهرة من ثلاثة جهات: جهة النظر إليها في سياق الاستعمال العربي، وجهة النظر إلى معالجة علماء التراث لها، وجهة استئثار النظر اللساني الحديث في تفسيرها.

الهوامش

١. أتقدم بكل الشكر والتقدير لأستاذنا العالم اللسانى الكبير الدكتور سعد مصلوح على تجشم قراءة هذه المقالة، وعلى توجيهاته باستدراكاته القيمة. وكذلك أتوجه بالعرفان والتقدير لأنّي الدكتور حافظ إسماعيل علوى، وهو المبرز في جهوده اللسانية المروقة، وقد كان له تسديداته الموجهة والمصححة. وبطبيعة الحال فإنني المسؤول الوحيد عن أي أخطاء أو قصور في المقالة.
٢. في كل أمثلة الأبيات الشعرية الآتية اعتمدنا على ورودها إما في: موسوعة الشعر العربي. الإصدار الأول ٢٠٠٩م - مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، أو في: الموسوعة الشعرية. المجمع الثقافي (أبو ظبى) (١٩٩٧-٢٠٠٣م). وفي حال الاعتماد على مصدر آخر فسيُنصَّ على ذلك.
٣. ديوان مهلل بن ربيعة. ص ١٠١. شرح وتقديم طلال حرب. الدار العالمية (ب.ب)
٤. في الضبط النحوي لنص هذه القصيدة ما يحتاج إلى إعادة نظر وتدقيق.
٥. عبد الرحمن الرقوقي: شرح ديوان المتنبي. ص ٧٠٨. مؤسسة هنداوى، ٢٠١٤م. ويقول العكّري (ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكّري المسّمي بالتبيان في شرح الديوان. تحقيق مصطفى السقا + خـ - دار المعرفة - بيروت) ٢١١/٢: «يقول: أنت بحر البحور وملك ملوك الأرض، ولا أورّي أي أستر قولي، ولا أستثنى من الملوك ملّكاً، ويروى: بدر البدور».
٦. وهنا يمكن القول إن هذه المجاورة قد تعدّ ظاهرة أسلوبية محاذية لهذا النمط من الإضافة. وتستحق هذه المسألة دراسة مستقلة، وبخاصة ما يتعلّق منها بما أسميه الإضافة المحولة كتلك التي نجدها عند ابن الرومي؛ في البيت الآتي:

يا شمس زهر الشموس يا قمر الـ أقمار حسناً يا زهرة الزهر

حيث إننا إذا أدركنا أن التركيب محوّل عن (ياشمس الشموسِ الزهرُ) فإننا نكون إزاء ثلاثة مركبات إضافية في البيت الواحد. وتلك الملاحظة تتقدّم

وقول ابن مالك في تحليل المركب الإضافي (كرام الناس) في البيت:

إِنَا مُحِيُّوكِ يَا سَلَمِي فَحِيَّنَا وَإِنْ سَقَيْتَ كَرَامَ النَّاسِ فَادْعِنَا

عندما قال إن الأصل هو «وإن سقيت الناس الكرام، ثم قدم الصفة وجعلها نوعاً مضافاً إلى الجنس». انظر: ابن مالك: شرح التسهيل. ج ٣ / ٢٣١. تحقيق د. عبد الرحمن السيد & د. محمد بدوي المختون. هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٩٩ م

٧. ابن قتيبة: كتاب الأنواء في مواسم العرب. حيدرآباد، ١٩٥٦ م، ص ٧٨-٧٩

٨. السابق نفسه، ص ٧٩

٩. ابن حمدون: التذكرة الحمدونية. تحقيق إحسان عباس، وبكر عباس. دار صادر-بيروت-١٩٩٦ م.

١٠. طاهر سليمان حمودة: جلال الدين السيوطي: عصره وحياته وأثاره وجهوده في الدرس اللغوي. المكتب الإسلامي- بيروت ١٩٨٩ م، ص ٦٢ وموضع آخر. ويلاحظ عدم دقة سنة الوقف بالنسبة إلى سنة وفاة صلاح الدين.

١١. ومن ثم هناك موقع إسلامي صوفي على الشابكة باسم (موقع شمس الشموس).

١٢. انظر: أبو العباس أحمد الهيثمي: الإجازة البالغة. تحقيق حسين حسن كريم. ص ٣١٨ (هامش رقم ٩)، دار الكتب العلمية-بيروت-٢٠٢٠ م

١٣. عبد القادر العيدروس: النور السافر في أخبار القرن العاشر. تحقيق أحمد حالو وآخرين. دار صادر-بيروت-٢٠٠١ م، ص ١٢٤

١٤. أحمد بن علي بن يوسف البوسي: شمس المعارف الكبرى. ص ١٦٣. مكتبة جمهورية مصر-القاهرة. (ب.ت.)

١٥. انظر: حلمي النمنم: الأزهر: الشيخ والشيخة. مكتبة مدبولي ٢٠١٢ م

١٦. محمد حسين مخلوف العدوبي المالكي: الحاشية الثانية على الجواهر المنتظمة في عقود المقولات. ص ٣. دار الكتب العلمية-بيروت-٢٠١٦ م

١٧. ابن الجوزي: المتنظم في تاريخ الملوك والأمم. ج ٦ / ٣٢١. تحقيق محمد عبد القادر عطا & مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية-بيروت
١٨. أبو زيد القرشي: جمهرة أشعار العرب. ص ٦٨. تحقيق علي محمد البيجاوي.
نهضة مصر-١٩٨١م.
١٩. حبي الدين بن عربي: إنشاء الدوائر. ص ١٦. مكتبة الثقافة الدينية-القاهرة ١٩٩٨
وانظر حول هذا المصطلح عند ابن عربي: محمد الصالح الضاوي: أولى
الحقائق الوجودية الكبرى (أين وجد هذا العالم؟ وكيف؟ ومم؟): الفصل
الثاني وعنوانه (حقيقة الحقائق). دار الكتب العلمية-بيروت-٢٠١٦م
٢٠. د. مهدي فضل الله: شرح الشمسية في القواعد المنطقية. ص ٦٣. المركز الثقافي
العربي-بيروت.
٢١. السابق نفسه، ص ٢١٠
٢٢. راجع: د. محمد عصام شبارو: قاضي القضاة في الإسلام. دار النهضة العربية.
بيروت، ط ٢، ١٩٩٢م.
٢٣. ابن خلkan: وفيات الأعيان. ٥ / ٢٠٧. تحقيق د. يوسف علي طويل ॥ مريم
قاسم طويل. دار الكتب العلمية-بيروت.
٢٤. هاشم يحيى الملاخ: طبيعة الدولة الإسلامية: دراسات تاريخية في المفهوم
والنظم والإدارة. ص ١٦٢. دار الكتب العلمية-بيروت-٢٠٠٩م. وانظر:
حسام الدين السامرائي: المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية، (فترة أمراء
الأمراء) ٦٨-٨٠-١٤٠٣هـ-دار الفكر العربي-
٢٥. ابن الخطيب: الفرقان في تدوين القرآن. ص ٢٣٥. دار الكتب العلمية، ١٩٩٣
٢٦. يراجع تفسير الآية رقم (٤٢) من سورة فاطر في: محمد الطاهر بن عاشر:
تفسير التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر مجلد ٢٢ / ٣٣٢. وقد أضفتُ
هذه الزيادة بين معقوفين لأن (إحدى) في (إحدى الأمم) مضافة ومع ذلك لا
تؤدي دلالة الاستعظام؛ لأن إضافتها تلك لغير اسم من لفظها.

٢٧. السيوطي: المزهر، ٢/٢٤٦-٢٤٩ (سبق ذكره).
٢٨. للتفرقة التي أصبحت لازمة بين (المعجم و (القاموس) انظر: د. محيي الدين محسوب: نقل المصطلح اللساني. دار الهدى-القاهرة-١٢٠٠ م
٢٩. ابن منظور: لسان العرب (أحد). ط. دار المعارف-١٩٧٩ م
٣٠. الفيروزآبادي: القاموس المحيط (أحد). مؤسسة الرسالة-٢٥١٩٨٧ م.
٣١. الزبيدي: تاج العروس ج ٧/ (أحد)، تحقيق عبد السلام هارون، الكويت (وزارة الإرشاد والأنباء)، طبعة ثانية مصورة، ١٩٩٤ م
٣٢. ابن مالك: تسهيل الفوائد وتكملة المقصد. ص ١١٨. تحقيق محمد كامل برkat. دار الكتاب العربي-١٩٦٧ م
٣٣. يقول بعضهم إن (الدهارير) جمع لا واحد له من لفظه، ولكن ان منظور يقول في لسان العرب «واحد الدهارير دهر على غير قياس.. فكأنها جمع دهور أو دهار».»
٣٤. ابن منظور: لسان العرب (دهر)
٣٥. ابن عباد: المحيط في اللغة. تحقيق محمد حسن آل ياسين. (أحد) ٣/١٨٣-١٨٣-عالم الكتب-بيروت-١٩٩٤ م. وهذا التفسير لمركب (أحد الأحدين) يتسلق والرواية الآتية عن الوليد بن عبد الملك: «وصل يوماً العدة فقرأ السورة التي تذكر فيها الحافة فقال: يا ليتها كانت القاضية، [أي قرأ بضمme على تاء ليتها] بلغتْ عمرَ بنَ عبدِ العزيز ف قال: أما إنْ كانَ قالها إِنَّه لَأَحَدُ الْأَحَدِينَ؛ أي داهية من الدواهي. انظر: الجاحظ: البيان والتبيين. تحقيق عبد السلام هارون، ٢/٢٠٥-الخانجي، القاهرة-٧-١٩٩٨ م
٣٦. ابن مالك: تسهيل الفوائد. سبق ذكره، ص ١٥٦
٣٧. السيوطي: المزهر في علوم اللغة. ٢/٢٤٧ - تحقيق محمد أحمد جاد المولى + خ ١٩٨٦ منشورات المكتبة العصرية- بيروت

Kreuz, R.J. et al. (1996). "Figurative Language Occurrence". ٣٨

and Co-occurrence in Contemporary Literature”, p. 91, in: R.J. Kreuz and M.S. MacNealy (eds.) *Empirical Approaches to Literature and Aesthetics*. Norwood, NJ: Ablex Publishing Corporation: 83.

٣٩. انظر: علي سرحان القرشي: المبالغة في البلاغة العربية: تاريخها وصورها. (رسالة ماجستير مخطوطة) في كلية اللغة العربية -جامعة أم القرى- ١٩٨٢م. وهي منشورة على الشبكة.

٤٠. ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن. ص ١٦٨ . شرحه ونشره السيد أحمد صقر - ط ٢ - دار التراث - القاهرة. ١٩٧٣.

٤١. الأمثلة التي سقناها حتى الآن للمركب الذي نحن صدده تصب في التقسيم الإيجابي، أما أمثلة التقييم السلبي فكقول أحدهم في وصف آخر على أحد مواقع الشبكة إنه «جاهم الجهلاء وبائسُ البوسَاء وتعيسُ التعسَاء» (انظر: <https://www.babnet.net/cadredetail-124753.asp>), ويمكن أن يعدّ من الدلالات السلبية قول الشاعر ابن شليون (ت ٦٣٩هـ):

خطبُ الخطوبِ دها العلاءُ مُصَابُهُ فَأَرْبَأْ بِدِمْعَكَ أَنْ يَقُلَّ مَصَابُهُ

٤٢. علي سرحان القرشي، سبق ذكره، ص ١٥

٤٣. هذا هو مفهوم (المبالغة) عند أبي هلال العسكري؛ انظر: أبو هلال العسكري: الصناعتين. ص ٣٦٥ ، تحقيق محمد علي البحاوي & محمد أبو الفضل إبراهيم. ط ١، ١٩٥٢ ، دار إحياء الكتب العربية (اعيسى البابي الحلبي وشركاه)

٤٤. (٤٤) هذا هو مفهوم (المبالغة) عند الرمانى؛ انظر: أبو عيسى الرمانى: النكت في إعجاز القرآن. ص ١٠٤ ، ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. تحقيق محمد خلف الله أحمد & محمد زغلول سلام. دار المعارف بمصر، ط ٣، ١٩٧٦م.

٤٥. ديوان البحترى. تحقيق حسن كامل الصيرفى. ص ٦٤٦-٦٤٧. دار المعارف بمصر - ط ٣، المجلد الثانى

Penka Stateva (2004): Presuppositions in Superlatives. PDF .٤٦

at: www.Researchgate.net

٤٧. المبرد: المقتضب. تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ٣١١ / ٣، ط ٣، القاهرة

١٩٩٤ م

Helmar Gust et al (2008): Analogical Reasoning: A Core of .٤٨
Cognition. PDF at: www.researchgate.net

٤٩. هذا هو عنوان بحث رaimo Anttila:

Raimo Anttila (2017): Analogy: The Warp and Woof of Cognition”
in: Brain D. Joseph & Richard D. Janda (eds.): The ,440-p. 425
.Handbook of Historical Linguistics. Blackwell Publishing Ltd

.Ibid .٥٠

Jim Blevins and Juliette Blevins: Introduction: Analogy .٥١
in Grammar. In: James P. Blevins & Juliette Blevins (eds.),
Analogy in grammar. Form and acquisition. Oxford: Oxford
University Press, 2009. At

/10/http://julietteblevins.ws.gc.cuny.edu/files/2016
.Blevins2009a-AnalogyinGrammar.pdf

Paul Thagard & Cameron Shelley (2001): “Emotional .٥٢
Analogies and Analogical Inference”. In: D. Gentner
& K. H. Holyoak & B. K. Kokinov (Eds.), The analogical
. (362-mind: Perspectives from cognitive science (pp. 335
.Cambridge, MA: MIT Press

٥٣. سنعود في موضع قادم لإعطاء نبذة عن النظرية الطرازية في اللسانيات
الإدراكية.

٤. انظر:

Bruno Will et al (2008):The Concept of Brain Plasticity—Paillard’s Systemic Analysis and Emphasis on Structure and Function. In: Behavioural Brain Research, (2008), doi:10.1016/j.bbr.2007.11.008. pdf at: www.neurotech.org.nz › publications

Lea Frermann (2017): Bayesian Models of Category .٥٥ Acquisition and Meaning Development. University of Edinburgh. PhD, PDF at

www.frermann.de › dataFiles › phd_thesis_leafrermann

Shazia Akbar Ghilzai (2017):The Influence of Cognitive and Psychological Factors on the Syntactic variation of Genitive Constructions: A comparison of English & Greek Language. P. 112, In: Perspectives in Language, Linguistics and Media 2 148-(2017) 111

٥٧. تتفاوت مدة وقت المعالجة بحسب بساطة المركب أو تعقيده، وجدّته أو قدّمه. فمثلاً لو ولدنا مركباً مثل: زيد هو مثل الممثلين) سيستغرق فهم المركب وقتاً أطول بسبب الاشتراك الدلالي في الكلمة (مثل): هل تعني تفوقه عليهم في قدرة الفن التمثيلي، أم تعني النيابة عنهم في أمرٍ ما. وهنا يعوّل على السياق.

Vyvyan Evans, Benjamin K. Bergen and Jörg Zinken (eds.) .٥٨ (2007): The Cognitive Linguistics Reader. p. 126. Equinox Publishing Ltd

Elena Tribushinina (2008): Cognitive Reference Points .٥٩ Semantics Beyond the Prototypes in Adjectives of Space and Colour. P. 78. Published by LOT, (Doctoral Thesis at Leiden University), PDF at: www.LOTpublications.nl

٦٠. يُغَلِّطُ بعْضُ الْمُحَدِّثِينَ اسْتِعْبَالَ الْفَعْلِ (تَمْ) قَبْلَ مَصْدِرِ آخَرَ . وَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا الْأَسْوَدَ الدَّؤْلِيَّ يَقُولُ :

أَلَا أَبْلَغَ أَبَا بَحْرٍ خَلِيلِيَّ فَنِعْمَ أَخْوَ الْمَوَدَّةِ وَالْخَلِيلُ
بِأَنْ قَدْ تَمَّ بَعْدُكُمْ بِنَائِيَّ وَضَنَّ عَلَيَّ بِالْمَعْرُوفِ فَيُلْ

٦١. دَلَالَتِهِ التَّرَاتِبِيَّةُ تَبَدُّو وَاضْحَى عِنْدَمَا نَعْرَفُ مُثَلًا حَدِيثَ الْفَلَكِيِّينَ عَنْ (الْسَّعُودِ الْأَرْبَعَةِ)، وَعَنْ أَنَّ (الْمُشْتَرِيَّ) هُوَ السَّعْدُ الْأَكْبَرُ، وَأَنَّ (الْزَّهْرَةَ) تُسَمَّى السَّعْدُ الْأَصْغَرُ... إِلَخ.

دور المعنى الدلالي-التداوي في تأويل الخطاب النحوي*

أ.د. ناصر بن فرحان الحريص^(١)

ملخص البحث

يهدف هذا البحث، في تبنيه لفرضيات نظرية التداولية المدجحة، إلى إعادة قراءة دور المعنى في تأويل الخطاب النحوي وتحديد الموقع الإعرابي لمكوناته بناءً على تآزر نوعين من المعنى في تحقيق ذلك، أعني المعنين الدلالي والتداوي. يعتمد الأول على المعجم الكامن في المقدرة اللغوية عند المتكلم بينما يعتمد الثاني على معنى يُستقى من الجمل فيما بينها، ومعنى يُستقى من الخطاب الضمني، اعتماداً على ما يزودها به السياق من فرضيات عن قصد المتكلم. وللتدليل على هذا التضاد بين المعنين، يقدم البحث تحليلاً موجزاً لنهاذج من التراكيب النحوية التي عولج تأويلاً إعرابياً في صدر النظرية النحوية التراثية؛ مما يبرهن على أن الدلالة في بعدها المعجمي ليست، دوماً، كافية لتفسير التركيب النحوي، وتقديم تأويل يكشف عن علاقته ومكوناته؛ لأن المواقف اللغوية تؤثر في خيارات المتكلم.

الكلمات المفاتيح: نظرية التداولية المدجحة، الخطاب النحوي، المعنى الدلالي،

المعنى التداوي، الخطاب الضمني، النظرية النحوية التراثية، السياق، الموقف.

١- أستاذ اللسانيات، قسم اللغة العربية وأدابها بكلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، جامعة القصيم.

Abstract

The Semantics-Pragmatics Interface Role in the Interpretation of Syntactic Discourse

Within the framework of integrated pragmatics, this paper aims to reread the role of meaning in the interpretation of Syntactic Discourse by examining two types of meanings: (i) the semantic meaning and (ii) the pragmatic meaning. The first one depends on the linguistic competence of the speaker while the second on the meaning derived from the implicit discourse, depending on the assumptions provided by the context about the speaker's intention. To this end, the paper analyses a number of syntactic constructions that were considered by the Arabic grammatical tradition in order to provide evidence indicating that the semantic meaning is not always enough in the interpretation of syntactic constructions because the situation affects the speaker's choices, thus giving a significant role to the pragmatic meaning in the interpretation of syntactic discourse.

Key words: Integrated pragmatics, syntactic discourse, semantic meaning, pragmatic meaning, implicit discourse, the Arabic grammatical tradition, context, situation.

١. المقدمة

منذ أن أدخلAnscombe Ducrot في نظريةِهما، التي عُرِفت بـ(التدابي المدجحة Integrated Pragmatics)، المكون التدابي إلى جانب المكون الدلالي في عملية تأويل الخطاب، أصبح ينظر إلى المعنى اللغوي بوصفه خليطاً من «الاصطلاح والقصد»، وذلك عبر افتراض أن عملية تأويل الملفوظ تنطلق من التسليم بأن المتكلم يعبر عن أفعال كلامية صريحة وحرفية، أما المعانى الأخرى المتعلقة بمعنى الملفوظ فإنها تنضاف إلى المعانى الحرافية المصرّح بها دون أن تُلغّيها. ووفقاً لهذه العلاقة التعاقية، فإن المخاطب يصل إلى مقاصد المتكلم speaker's intentions انطلاقاً من دلالة الجملة الملفوظ بها إلى معنى القول (المعنى التدابي) من منطلقات سياقية، ومعرفة مشتركة بينه وبين المتكلم، ومن العرف convention الذي يُشكّل منهل الخطاب عند المخاطبين المتممرين إلى فئة اجتماعية معينة.

يهدف البحث الحالى إلى توظيف فرضية التعالق بين المكونين الدلالي والتدابي في الكشف عن دور هذه العلاقة في تأويل الخطاب النحوى والكشف عن العلاقة الإعرابية التي تجعل من تأويله لا يقف عند حد الدلالة المعجمية للألفاظ، بل يتعدى ذلك إلى دور علاقة المقام ومقاصد المتكلم وطبيعة المظاهر الضمنية للمعنى وغيرها من المفاهيم المرتبطة بالظواهر المعتاد إسناد وصفها للمكون التدابي. وللتدليل على دور هذه العلاقة التعاقية في تأويل الخطاب النحوى وإزالت لبسه، يحلل البحث عدداً من التراكيب النحوية الواردة في كتاب سيبويه التي لا يمكن فهم تأويلها النحوى (الإعرابي) إلا في ضوء هذه العلاقة التعاقية بين المعنین الدلالي والتدابي. وفي ذلك دلالة على إدراك النظرية النحوية التراثية في تاريخها المبكر أهمية المكون التدابي وعدم كفاية المعنى في بعده المعجمي في تفسير التركيب النحوى وتقديم تأويل يكشف عن علاقته ومكوناته، وربما، مشكل إعرابه.

ولكي يحقق البحث الحالى أهدافه، فقد قُسمت مباحثه إلى أربعة مباحث رئيسة. يفتح تلك المباحث البحث الثانى الذى يتناول - باختصار - المعنى وتأويل الخطاب النحوى في الأدبيات العربية المعاصرة. ويناقش البحث الثالث أسس نظرية التدابي المدجحة التي تخدم هدف البحث، لا سيما فكرة تمييز «دلالة» الجملة من «معنى» القول،

ومسلمات النظرية وقوانين الخطاب. ويلقي المبحث الرابع الضوء على نماذج مختصرة من التراكيب النحوية التي عولج تأويلاً لها الإعرابي اعتماداً على تضافر المكونين الدلالي والتداولي (في إنجاز الخطاب النحوي عبر تحديد الجمل الكامنة وراء الملفوظات القابلة للإنجاز). وأخيراً، تأتي خاتمة البحث، في المبحث الخامس، لتلخص أفكار البحث وأهم نتائجه.

٢. المعنى وتأويل الخطاب النحوي في الأدبيات العربية المعاصرة

جُلُّ الدراسات التي تناولت دور المعنى في تأويل الخطاب النحوي كانت تقف عند بعده الدلالي مغفلةً بعده التداولي وتعالقه مع نظيره الدلالي. ففي نظر تلك الدراسات، يعالج علم الدلالة معنى الجملة في إطار أدنى من الإشارة إلى المقام، في حين تتولى التداولية المعنى ضمن إطار المقام المحدد المعلم والمقصود، ولا تلاقى بينهما في بنية الخطاب النحوي. وكأننا بين اتجاهين ينبعق عندهما فرضيتان:

أ. اتجاه يعتبر الخصائص المرتبطة بالمقام ظواهر تتعلق بالأداء الكلامي.

ب. اتجاه يعتبر الخصائص المستقلة عن المقام تُشكّل جزءاً من الكفاية اللغوية

للمتكلّم التي هي مكونات الملكة اللغوية.

إذا أخذنا بفرضية الاتجاه الأول يصبح من الضروري وضع نظريتين منفصلتين:

أ. نظرية تختص بوصف الخصائص والعلاقات الدلالية الصرف، باعتبارها كفاية لغوية.

ب. نظرية تختص بوصف الخصائص وال العلاقات المرتبطة بالمقام، باعتبارها أداءً كلامياً.

أما إذا أخذنا بفرضية الاتجاه الثاني فيصبح من مهام النظرية اللغوية أن تقوم بتنظيم النحو على الشكل الذي يجعله يسع وصف الخصائص والعلاقات المرتبطة بالمعنى سواء استقلت عن السياق أم خضعت له. ومن أبرز تلك الدراسات:

- الحموز، عبد الفتاح، القطع نحوياً والمعنى.
- بو قرومة، حكيمة، التداولية وعلاقتها بعلم الدلالة والسيميائية.
- نحلة، محمد أحمد، المباحث التداولية.
- بوجادي، خليفة، في اللسانيات التداولية.
- خليل، خالد، الدلاليات والتداوليات، علاقة وإشكاليات.

ما يروم إليه البحث الحالي مختلف عن تلك الدراسات الآنفة في كونه يربط بين المكون الدلالي والمكون التداولي في تأويل الخطاب النحوي وتفسيره والكشف عن علاقته الإعرابية التي تجعل من تأويله لا يقف عند الدلالة المعجمية للألفاظ بل يتعدى ذلك إلى دور علاقة المقام ومقاصد المتكلم وطبيعة مظاهر المعنى الضمنية^١. والبحث وفق هذا الهدف، يتنزل في صلب البحث الدلالي-ال التداولي الفلسفى ويتحلى جدلية الفصل بين علمي الدلالة والتداولية إلى التلاقي والتصافح بينهما في تأويل المعنى وتفسيره. وهذا مسار جديد بدأ يشق طريقه في الدراسات اللسانية المعاصرة، وهو مسار البحث في التداخل والتعالق بين مستويات ومكونات التمثيل في النظام اللغوي^٢

Interfaces in Linguistics

٣. التداولية المدمجة لأنسكومبر وديكرو^٣

لن ندخل، هنا، في تفاصيل نظرية التداولية المدمجة، وإنما سنركز فقط على فرضيتها التي ترى أن ثمة علاقة تعاقبية بين المعنيين الدلالي والتداولي، وهي الفكرة التي يتکئ عليها البحث الحالي في سبيل تأويل الخطاب النحوي وبيان علاقته الإعرابية. وهذه العلاقة التعاقبية هي محور أفكار نظرية التداولية المدمجة التي تجلت ابتداءً في أعمال ديكرو التي رأت النور في سنوات ١٩٧٢، ١٩٨٠، ١٩٨٢، ثم في العمل الرائد الذي اشتراك فيه مع أنسكومبر سنة ١٩٨٣^٤. ويبدو تأثير نظرية أفعال الكلام التي جاء بها أوستن سنة ١٩٥٠^٥ في أفكار نظرية التداولية المدمجة، لا سيما في تأكيد رفض التصور القائم على الفصل بين الدلالة و موضوعها معنى الجملة، والتداولية و موضوعها استعمال الجملة في المقام (أي، معنى القول)^٦. ف مجال البحث

في نظرية التداولية المدمجة هو الجزء التداولي المدمج في الدلالة، و موضوعه هو بيان الدلالة التداو莉ة لا الخبرية الوصفية المسجلة في أبنية اللغة وتوضيح شروط استعمالها الممكن^٨؛ وذلك لأن غاية هذه النظرية هي البحث عن الجوانب التداو莉ة داخل بنية اللغة نفسها لا خارجها بناءً على «أن اللغة تحقق أعملاً لغوية، وليس وصفاً حالة الأشياء في الكون، وهذا يستلزم أن يكون معنى القول صورة عن عملية القول لا عن الكون»^٩. وهي، بسبب هذه النظرة المترفة للمعنى^{١٠}، نظرية بنائية ترفض المقابلة التقليدية بين المعنى المعجمي والمعنى غير المعجمي، بل تمثل الإشارة إلى إلقاء القول خاصية مميزة للشفرة اللغوية مُسجّلة في بنية اللغة. أما فهم القول فيعتمد مسارات استدلالية خاصة بكل لغة معينة، وهي في طبيعتها استدلالات حجاجية غير استنتاجية وذات طبيعة تدرّجية. كما أنها لا تقوم على شروط الصدق، إذ تهدف إلى إبراز الفرق بين اللغة الطبيعية واللغة الصورية^{١١}. وهذا يقودنا إلى أهمية التمييز بين (دلالة الجملة) و(معنى القول) و(إلقاء القول) وفق فلسفة نظرية التداولية المدمجة، وهو ما يتناوله المبحث المولى.

١-٣. الجملة والقول

يرى ديكترو أنّ ضرورة تمييز معنى الجملة من معنى القول يعدّ أهم مبادئ نظرية التداولية المدمجة. فالجملة، حسب اصطلاح ديكترو، كيان مجرّد تكونه مجموعة من المفردات مركبة وفق قواعد النحو. وأما القول فهو عبارة عن إلقاء (تلفظ) قوليّ مخصوص للجملة. كما ينظر ديكترو في الحالة التي يستحيل فيها أن نستخلص من دلالة الجملة على نحو ما تصوّرها اللسانيون، المعنى الذي تُعيّنه للقول^{١٢}. في المقابل، دلالة الجملة في التقليد اللساني هي «المعنى الحرفي». وتدلّ عبارة المعنى الحرفي على ما يبقى ثابتاً من الجملة بين تحقّق وآخر^{١٣}. وهذا يعني أن دلالة الجملة لم تعد أمراً يمكن قوله ولكنّها بالأحرى مجموعة من التعليقات^{١٤} تمكن، بالرجوع إلى مقام الخطاب، من النفاذ إلى معنى القول. ومن ناحية أخرى، فإن قصد المتكلم المنشئ للقول لم يعد يتمثّل في الإنتاج الآلي لدلالة الجملة، ولكن في أن يُطلع مخاطبه على استنتاج معين هو ما يستهدفه حين ينشئ القول.

٢-٣. الجملة مقابل القول والدلالة مقابل المعنى

من الركائز الأساسية التي قام عليها التحليل البنوي للتداولية المدمجة إجراء تقابل بين الجملة والقول وصفاتها (الدلالة مقابل المعنى)^{١٥}. ووفق هذا التقابل، تتحدد الجملة، لغويًا، أساساً ببنيتها التركيبية وبدلاتها التي تحتسب على أساس دلالة الكلمات المكونة لها. وضمن هذا الفهم، فإن الجملة كيانٌ مجرد في حين أن القول كيانٌ تفاعلي تواصلي؛ لأن المخاطبين، عند التواصل، لا ينشئون جملًا بل يتداولون أقوالًا. ووفقاً لذلك، يصبح القول نتاج إلقاء جملة ما تتمّها المعلومات التي نستخرجها من المقام الذي تُلقى فيه^{١٦}.

وإن كانت الدلالة مرتبطة بالجملة، فإن القول لا ترتبط به الدلالة بل يرتبط به المعنى. وينبغي أن تفهم دلالة الجملة هنا على أنها نتاج إرشادات لغوية تكونَها التعليمات في مصطلحات ديكرو كـ“مر بنا”^{١٧}. وتحسب بواسطة المكون اللساني. وبالمقابل، فإن معنى القول هو دلالة الجملة مضافاً إليها الإرشادات السياقية والمقامية التي تحتسب انطلاقاً من المكون البلاغي. والاتجاه إلى قوانين الخطاب، كما سيأتي، هو من خصائص المكون البلاغي الذي يوافق ما ينتجه عنه معنى القول^{١٨}.

٣-٣. مسلمات التداولية المدمجة

تدافعُ نظرية التداولية المدمجة عن الأطروحتين التاليتين^{١٩} :

(أ) تكمن الأطروحة الأولى في الدفاع عن تصوّر لا وصفيّ للغة مفاده أنّ الأقوال لا تبلغ حالات أشياء في الكون (وظيفتها التمثيلية) بل تبلغ أعمالاً، أي أعمالاً لغوية (من قبيل الأمر والوعد والتمني والإخبار والحجاج).

(ب) أما الأطروحة الثانية فهي أطروحة الإحالة الانعكاسية (أو الإحالـة الذاتـية) للمعنى وهي ما يمكن تلخيصـه في الصيـغـةـ التـالـيـةـ: إنـ معـنىـ القـولـ ماـ هـوـ إـلاـ وـصـفـ لـتـلفـظـهـ^{٢٠}. وتأويل هذه الصيـغـةـ هوـ: أـنـ نـفـهـمـ قولـاًـ ماـ هـوـ أـنـ نـفـهـمـ دـوـاعـيـ إـلـقـائـهـ. فـيـكـونـ وـصـفـ معـنىـ قولـ ماـ وـصـفـاـ لـنـمـطـ العـمـلـ الـذـيـ يـفـتـرـضـ أـنـ يـنـجـزـهـ القـولـ.

ومن هاتين الأطروحتين بُنيت مسلمات التداولية المدمجة، ومن أبرزها^{٢١} :

(أ) غاية وضع النظام اللغوي هي التواصل باعتبار أنّ معنى القول مرتبط ارتباطاً وثيقاً بعملية قوله؛ لأنّ بنية اللغة تعكس عملية إلقاء القول أو تشير إليها.

(ب) لا تمثل اللغة مجموعة من الإمكانيات التحوية داخل الجملة فحسب؛ إذ توجد شروط لغوية دقيقة تقيد تسلسل الأقوال وتعاقبها تحكمه بنحوية الخطاب المثالي التي تضبط حسن ائتلاف المتاليات من الجمل بالاعتماد على مجموعة من القواعد.

(ج) دراسة معنى القول تشمل جانبيْن هما: دلالة الجملة (المجال اللغوي)، ومعنى القول (المجال البلاغي أو التداولي)؛ لأن التمييز بين الدلالة والمعنى ضروريٌ كلياً أرداًنا التمييز داخل عملية بناء المعنى بين دور العناصر اللغوية ودور العناصر غير اللغوية.

(د) إلقاء القول (أي، النشاط الذي يكون وراء إنتاج الأقوال) بنية معقدة من أحداث الخطاب ذات وظائف مختلفة.

٤-٣. قوانين الخطاب في التداوليية المدمجة

كثيراً ما سعى ديكرو^{٢٢} إلى تبرير اللجوء إلى قوانين الخطاب في إطار التداوليية المدمجة. وارتبط هذا اللجوء بالمبادئ العام للتمييز بين الدلالة والمعنى. وصف قول ما لا يتم إلا من خلال بيان صلته بالمكون اللساني والمكون البلاغي. وتكون صلته بالمكون اللساني عبر دلالة الجملة من حيث هي كيان مجرّد يتحقق بواسطة القول الذي يمثّل في حد ذاته نتيجة الحدث التاريخي المتمثل في إلقاء القول. أما صلته بالمكون البلاغي فتعود إلى ملابسات إلقاء القول التي منها تعرف ببلاغة معنى القول. وحيثُنَّ يكون السبب الأول لاستعمال قوانين الخطاب ذا طابع نظري، ذلك أن تلك القوانين هي نتيجة مباشرة للتمييز بين الجملة والقول؛ أي، التمييز بين الدلالة والمعنى من جهة، وبين المكون اللساني والمكون البلاغي من جهة أخرى.

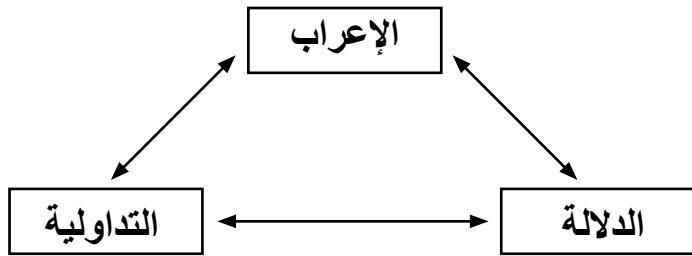
وتفهم قوانين الخطاب في التداوليية المدمجة بكيفيّتين مختلفتين^{٢٣}: (أ) إما على أساس أن قوانين الخطاب تقرن دلالة الجملة بمعنى القول، وهي بهذا تقوم بالدور المنهجيّ نفسه للتحويلات التشومسكية، أي أنها تصلح لتفسير بعض آثار المعنى (ما يقابل

الأبنية السطحية) انطلاقاً من مبادئ غير لغوية ومن الدلالة اللغوية (ما يقابل الأبنية العميقة)^{٤٤}، و(ب) إما على أساس أن قوانين الخطاب تقرن المعنى الحرفي بالتلمين الذي يقصد المتكلّم بإبلاغه. وفي هذه الحالة، يكون مدار قوانين الخطاب معتمداً على المكوّن البلاغي لا على المكوّن اللساني.

٤. تأويل الخطاب النحوي في ضوء تعاشق المعنٰ الدلالي-التداولي

إن علمي الدلالة والتداولية علماً يكمل بعضها الآخر، حيث تُعني الدلالة بتفسير الجمل وفق شروطها وقيودها النظمية، وتحدد معانٰها الحرافية، والإشارة إلى أدنى مقاماتها، وتصف الكلمات ومعانٰ الجمل، وترتبطها بالصدق والكذب أحياناً (وهي في ذلك تقدم خدمة للنظام اللغوي، وليس لمقاصد المتكلمين). في المقابل، تعنى التداولية بما وراء ذلك، فترتبط مقاصد المتكلّم بالبحث عن المقام المناسب، والشروط التي تضمن نجاح العبارة أو الشروط التي تسمح بنجاحها، ولا تهتم بصدقها أو كذبها؛ لأن همها هو الربط بين النص وسياقه، متوجّحة نحوين من المعانٰ: (أ) معنى يؤخذ من الجمل فيما بينها (مجال علم الدلالة)، و (ب) معنى يؤخذ من الخطاب الضمني والمسكوت عنه، اعتماداً على ما يزودها به السياق من فرضيات حول روم المتكلّم وقصده.^{٤٥}

والمتتبع لتأويل الخطاب النحوي وإشكاليات إعرابه يجد أنه لا ينفك يعتمد على التأويل الدلالي-التداولي للمعنى في الكشف عن العلاقة التحوية المنظمة لمكونات جمله. وقد كان ذلك واضحاً أتم الواضح في البدايات المبكرة للنظرية التحوية التراثية. فسيبوبيه كان كثيراً ما يوظف هذا التضافر خاصة في التراكيب المشكّلة الإعراب أو تلك التي تحمل أكثر من وجه إعرابي. ويقترح إدريس مقبول الخطاطة أدناه^{٤٦} التي توضح تمثيل هذه العلاقة التضافرية بين الإعراب والمستويين الدلالي وال التداولي:



و سنستعرض بعضًا من تلك التراكيب في المباحث الفرعية الموالية.

٤-١. مررت بـ رجالين مسلم وكافر / مسلم وكافر

يحلل سيبويه التركيب النحوي لـ: (مررت بـ رجالين مسلم وكافر / مسلم وكافر) من خلفية تداولية يترك فيها الخيار للمتكلم لأن يختار بين حالة الجر موافقة للموصوف (الرجلين)، أو حالة الرفع على اعتبار «مسلم وكافر» خبرين لمبدأ محدوز. وذلك، كما لاحظ سيبويه، لأن المتكلم يحاول أن يستبق السؤال الذي من الممكن أن المخاطب سيطره، إما «بأي ضرب مررت؟ أو فما هما؟». وفي هذا الصدد نجده يقول: «مررت بـ رجالين مسلم وكافر، جمعت الاسم وفرقت النعت. وإن شئت كان المسلم والكافر بدلاً، كأنه أجاب من قال: بأي ضرب مررت؟ وإن شاء رفع كأنه أجاب من قال: فما هما؟ فالكلام على هذا وإن لم يلفظ به المخاطب؛ لأنه إنما يجري كلامه على قدر مسألتك عنده لو سألتة»^{٢٧}.

٤-٢. خير مقدم

يقول سيبويه^{٢٨}: «وما يتتصب على إضمار الفعل المستعمل إظهاره، أن ترى الرجل قد قدم من سفر فتقول: خير مقدم، أما النصب فكأنه المتكلم بناء نحوياً على قوله (قدمت)، فقال: قدمت خير مقدم، وإن لم يسمع منه هذا اللفظ، فإن قدومه ورؤيته إيه لغوياً بمنزلة قوله: قدمت». وقد سوّغ المعنى التداولي، عبر العرف convention الذي يُشكّل منهل الخطاب عند المخاطبين المتممرين إلى فئة اجتماعية

معينة، هذا الحذف؛ لدلالة الحال التي نابت مناب اللّفظ المذوف واستلزم منها معنى الخبر. وهذا الحذف، كما يقول السيرافي^{٢٩}، من الباب الذي يجوز إظهار الفعل فيه وإضماره حال حاضرة ودلالة بيّنة^{٣٠}. وفي تأكيد أهمية تداولية المعنى، يقول كارتر^{٣١} معلقاً على توجيه سيبويه: «إذ ليس المتكلم هو وحده المنخرط في نشاط تعافي مع المخاطب في سياق واقعي، بل إن السياق نفسه يمكن أن يصبح المكون النشط في الشكل النحوي للقول».

٤-٣. «كلمته فاه إلى في» و «بایعته يدًا بیدٍ»

ومن أوضح الأمثلة على تضافر المعنى الدلالي-التدابي في تأويل الخطاب النحوي، ما ذكره سيبويه من تأويل للتركيبين النحويين لـ «كلمته فاه إلى في» و «بایعته يدًا بیدٍ» (أي، نقداً)، حيث يجب فيها النصب؛ لأن المعنى المعجمي هنا غير مراد، وإنما المراد أنه بايده فوراً في موقع البيع، ولا يهم أكان المخاطب قريباً أم بعيداً (الكتاب بولاق ١٩٦/١). وهنا نلحظ التوجيه التدابي أو (الإعراب التدابي)^{٣٢}؛ لأن المراد هنا معنى القول ومعنى إلقائه لا معنى الجملة كما عرضنا له في حديثنا عن نظرية التداولية المدمجة. والكتاب مليء بمثل تعبيرات البيوع هذه من مثل: (بعث الشاء شاةً ودرهماً/ قامرته درهماً في درهم/ بعثه داري ذراعاً بدرهم/ بعث البر قفيزین بدرهم/ أخذت زكاة ماله درهماً لكل أربعين درهماً/ وبينت له حسابه بباباً باباً) وغيرها من التعبيرات التي توضح أن الشيء وقيمه (أي، شاةً ودرهماً) يجب أن يذكرا معاً، وإلا فإن المعنى لا يصح من الناحية الفقهية والشرعية. ولأهمية تداولية معنى القول هنا ودوره في الإعراب، يعلق كارتر قائلاً: (وسيبويه يعني بهذا أن المعنى لا يصح في حالة نية العقد بدليل صحة هذه التعبيرات معنىً عند حذف «القيمة» شريطة انتفاء القصد التعاقدى، نحو: بعث شائي شاةً شاةً، بعثه داري بذراع، ولكن عند حذف القيم سيطرن المخاطب أنك بعث شيئاًك دفعه واحدة، وأن الدار كلها

ذراع، وهكذا (أي أن المعنى دلالي «معجمي» ليس غير)»^{٣٣}.

وعن توجيهات سيبويه السابقة، يعلق كارتر^٤: «لا يعدو المعنى أن يكون أكثر من القصد والمراد؛ وهذا كان الفعل (أراد) ومشتقاته الأكثر شيوعاً في الكتاب... [ما يدلل على] أن سيبويه كان مدركاً تماماً للفرق بين معنى القول ودلالة الجملة؛ إذ قد أشار أكثر من مرة إلى (معنى الكلام)، و(معنى الحديث) اللذين هما جزء لا يتجزأ من معنى القول، وليسوا جزءاً من مجموع مفرداته. وكلمة (معنى) تستعمل في الغالب وبشكل حصري للدلالة على معنى الأفعال الكلامية، وليس على دلالة الكلمات».

وهذا الأمر يكشف لنا مدى تقاطع ذلك مع فرضيات التداولية المدججة لا سيما في تمييزها بين مكونات القول الدلالية الذي نتج عنه تمييز بين القول والجملة والمعنى والدلالة وبين المكون النحوي والمكون البلاغي. وبموجب هذا التمييز، تكون الدلالة نتاجاً للجملة باعتبارها وحدة لغوية مجردة، ويكون المعنى نتاج القول باعتباره الإنجاز المقامي للجملة. ويدلل هذا التمييز على أن سيبويه كان يرى أن المعنى خليط من الاصطلاح والقصد. ومن هنا، لا بد، عنده، من إدراك قصد المتكلم *Speaker's intention implicit meaning*. وهذا مصطلحان يكثر دورانهما في التداولية المدججة، ويرتبطان بدلالة معنى القول ودلالة طرق إلقائه. يراد بقصد المتكلم (أو مقاصد المتكلم) المعنى الذي يريده المتكلم شريطة أن يريد إحداث تأثير على مخاطب بعينه^٥. في المقابل، المعنى الضمني هو كل فرضية نستخلصها من قول لم يقع إبلاغه لنا إبلاغاً صريحاً. وقد فصل غرايس القول فيه في نظريته القصدية وبالتحديد عند حديثه عن التضمين التخاطبي (*conversational implicature*) عندما أكد أن المعاني الضمنية^٦ هي التي تؤدي من دون أن يصرّح بها في الخطاب، مثل الاقتضاء واستلزمات المحادثة، وتقابلاها المعاني الصريحة (الأعمال اللغوية «الفعل اللغوي»).

٥. الخاتمة

لقد حاول البحث أن يبرز، مستعيناً بفرضيات نظرية التداولية المدجحة، أهمية المكون التداوي وعدم كفاية المعنى في مكونه الدلالي (المعجمي) في تفسير التركيب النحوي وتقديم تأويل يكشف عن علاقته وإشكاليات إعرابه؛ وذلك لأنّ أهمية المواقف اللغوية (المقام وغیره) في التأثير في خيارات المتكلم وقصده. وهذا الإدراك لهذه الأهمية هو السبب الذي جعل سبيوبيه يقدم لنا شرحاً نفسية للخيارات التي تكون في ذهن المتكلم والمخاطب. وقد تجلت فرضيات التداولية المدجحة ظاهرة في تحليل سبيوبيه وتفسيره لتلك التراكيب التي عرض لها البحث، ويمكن ملاحظة ذلك في تركيزه على وظيفة النظام اللغوي وهي التواصل عبر اعتبار (أ) معنى القول مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بعملية قوله و(ب) العلاقات النحوية ليست كافية؛ إذ لا بد من مراعاة أن تقيّد تسلسل الأقوال وتعاقبها يحكمها بنوية الخطاب المثالي وأيضاً (ج) المعنى يشتمل على جانبين هما دلالة الجملة (باعتبارها وحدة لغوية مجردة) ومعنى القول (باعتباره الإنجاز المقامي للجملة). وهذا يعني أن تأويل معنى القول، عند سبيوبيه، كما في إطار التداولية المدجحة، يتشكل ضمن علاقة تعاقبية بين البنية النحوية وسياق التلفظ وملابسات القول؛ وذلك لأنّ البنية النحوية للقول ليست بمعزل عن سياقات تلفظها.

إن نهج سبيوبيه في التعامل مع بنية الخطاب النحوي عبر الاتكاء على الإعراب التداولي، يؤكّد لنا أن ما يزودنا به التأويل الدلالي ليس كافياً، ومن ثم تبرز أهمية التأويل التداولي الذي يملأ، كما يقول فرانسوا ريكانتي^(٣٧) التغرات التي لم يسدّها التأويل الدلالي؛ لنصل إلى قصد المتكلم التواصلي الفاعل في إنجاز الخطاب وتأويله.

الهوامش

*أُنجزَ هذا البحث بدعم من عمادة البحث العلمي بجامعة القصيم تحت رقم (٥٢٠٦) خلال السنة الأكاديمية ١٤٣٩-١٤٤٠هـ. والباحث يتلهز الفرصة هنا ليقدم للعمادة الشكر على دعمها وتفعيلها بيئة البحث العلمي في الجامعة.

This research was supported by a grant (n.5206) from Deanship of Scientific Research at Qassim University during the academic year 2019

البريد الإلكتروني: nassser-alhorais@qu.edu.sa

١. أشارت بعض الدراسات إلى فكرة العلاقة التعلقية بين المعينين الدلالي والتداوي على نحو ما نجد عند فرانسوا ريكاناتي في كتابيه: (٢٠١٦) فلسفة اللغة والذهن، ترجمة: الحسين الزاوي، و (٢٠١٨) المعنى الحرفي، ترجمة أحمد كروم (ينظر قائمة المراجع).

٢. كثيرة هي الأبحاث اللسانية الغربية في هذا الموضوع، ولعل من أهم ما كتب فيه الكتاب الضخم الذي نشرته دار أكسفورد الشهيرة ضمن سلسلتها اللسانية الضخمة:

Interfaces in Linguistics: New Research Perspectives, 2011

و كذلك الكتاب الآخر الذي نشرته الدار نفسها وحرره جillian Ramchand وتشارلز ريس) ينظر تفاصيل المرجعين في قائمة المراجع الأجنبية: Oxford handbook of linguistic interfaces/edited by Gillian Ramchand and Charles Reiss, 2007

٣. أود أن أشكر هنا مساعدة الباحث الأستاذة أروى مشاري الصعب؛ لمساهمتها في جمع جزء من المادة العلمية للتعریف بنظرية التداولية المدجحة.

٤. ينظر قائمة المراجع الأجنبية.

٥. فحوى نظرية أفعال الكلام التي جاء بها أوستن وتطورها تلميذه سيرل يتلخص في أن كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، فهو نشاط مادي نحوبي يتوصل بأفعال قوله إلى تحقيق أغراض إنجازية كالطلب والأمر والوعد، وغایيات تأثيرية كالرفض والقبول، فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلاً تأثيرياً ذا تأثير في المخاطب. وفي ضوء ذلك، قسم "أوستين" الفعل الكلامي الكامل إلى ثلاثة أفعال فرعية، وهي: (أ) فعل القول أو "الفعل اللغوي"، و(ب) الفعل المتضمن في القول، وهو الفعل الإنجازي الحقيقي، فهو عمل يُنجز بقول ما، وهذا الصنف من الأفعال الكلامية هو المقصود من النظرية برمتها، و(ج) الفعل الناتج عن القول، وهو الآخر الذي يسببه القول في المشاعر والتفكير، كالإقناع والتضليل والإرشاد والتثبيط. ولذلك يرى "أوستين" أن الفعل الكلامي الكامل له خصائص، وهي: أنه فعل دال، وأنه فعل إنجازي، وأنه فعل تأثيري (ينظر في الجهاز المفاهيمي للدرس التدافي المعاصر، مسعود صحراوي ضمن كتاب في: التداوليات: علم استعمال اللغة، تقديم وتنسيق: حافظ إسماعيلي علوى، ص ٢٥-٦٢، ولمزيد تفصيل عن هذه النظرية وملامحها في التراث اللغوي العربي ينظر كتابه التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي. هذا وقد ترجم عبد القادر قينيني سنة ١٩٩١م كتاب أوستن إلى العربية: (نظرية أفعال الكلام العامة، كيف نجز الأشياء بالكلام). ونشرته دار أفريقيا الشرق. وقد ترجمت أميرة غنيم كتاب تلميذه: سورل، جون: (الأعمال اللغوية: بحث في فلسفة اللغة) ونشر عام ٢٠١٥ عن المركز الوطني للترجمة في تونس. وينصح القارئ إذا ما أراد معرفة ضافية عن هذه النظرية بكتاب شكري المبخوت (٢٠١٠): دائرة الأعمال اللغوية، مراجعات ومقررات. وكذلك كتاب محمد الشيباني (٢٠١٥): من قضايا تصنيف الأعمال اللغوية (مشروع قراءة).

٦. ينظر المبخوت، شكري، نظرية الحجاج في اللغة، ص ٣٥٠. ويرى المبخوت أن هذا التأثير غير الخفي لنظرية أفعال الكلام في المنطلقات الأساسية لنظرية انسكومبر وديكرو، لا ينفي تميز هذا التيار التدافي بمفاهيم كثيرة لعل

من أهمها فكرة القيد: أي اعتبار اللغة قيداً يضبط نسق ترتيب الأقوال في النصوص إضافة إلى كونها احتمالات في التركيب والنظم (المراجع نفسه. ص، ٣٥٢).

٧. يعود التداخل الموجود بين التداولية وعلم الدلالة إلى أنَّ كلاً منها يتناول المعنى، ولكنها مختلفان في تحديد مستوياته، ومن الباحثين من يعُدُّ التداولية امتداداً لعلم الدلالة، ولعل الفضل الكبير في التمييز بين هذين العلمين يعود إلى المحاضرات التي ألقاها أوستين، وفيها ميَّز بينهما من خلال فكرة المقدرة اللغوية والأداء، حيث يصنف علماء اللغة، علم الدلالة ضمن المقدرة اللغوية، أما التداولية فتصنف ضمن الأداء (الإنجاز)، وبناءً على ذلك تقوم التداولية على التبعة لعلم الدلالة الذي يعرِّف شروط المعنى وحقيقة، وتهتم التداولية بدراسة هذه الشروط بربط المعنى بالاستخدام، وتحدد ما يسمح بنجاح الملفوظ أو إخفاقه. وعليه، فإنَّ المقولات التداولية تُبنى على المقولات الدلالية، كما أنها لا يمكن أن نحصر علم الدلالة في دراسة المعنى بعيداً عن المقام؛ فعلم الدلالة يعالج معنى الجملة في إطار أدنى من الإشارة إلى المقام، بينما تتولى التداولية المعنى ضمن إطار المقام المحدد العالم والمقاصد. (بتصرف من كتاب: النص والسيقان، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، لفان دايك، ص ١١٤-١١٦). وللمزيد، ينظر كتاب جيوفري ليتش: مبادئ التداولية، الذي نقله للعربية عبد القادر قيني، ٢٠١٣. وينظر التداولية اليوم، علم جديد في التواصل. ترجمة: سيف الدين دغفوس، وحمد الشبياني، (٢٠٠٣). وكذلك كتاب جورج يول: التداولية، ترجمة: قصي العتابي، ٢٠١٠. ولتطور الأعمال التداولية ينظر الكتاب الذي ترجمه هشام إبراهيم عبد الله الخليفة (٢٠١٦): نظرية الصلة أو المناسبة في التواصل والإدراك لـ: دان سيربر، وديدرري ولسون.

٨. ينظر ديكرو، القول والمقول، ص ١٧٠.

٩. ينظر المبحوث، شكري، نظرية الحجاج في اللغة، ص ٣٥٤.

١٠. "من نتائج التصور البنائي للغة أنَّ أخر جت الظواهر المتعلقة بالقول والخطاب

من ميدان اللسانيات عبر المقابلة بين اللغة والكلام. ذلك أن المقابلة بين اللغة والكلام تقتضي من ناحية أن كليّ واقعة من وقائع القول أو مرتبطة بإلقائه لا تتعلق باللغة وإنما بالكلام بما أن المقابلة بين اللغة والكلام توافق المقابلة بين النظام والاستعمال. ومن جهة ثانية يفترض الخطاب باعتباره تحيناً لوحدات لغوية داخل عملية التواصل أن يأخذ الماء بعين الاعتبار برمترات أو مقاييس خارجة عن اللسان تتفاعل معها الوحدات اللغوية؛ إذ إن الخطاب يتضمن أن يقدم الجانب غير اللغوي (أو الخارجي) على الجانب اللغوي (أو الداخلي)" (ينظر القاموس الموسوعي للتداولية، ص ٨٦).

١١. ينظر القاموس الموسوعي للتداولية، ص ٨٤. وفي رفضها للمقابلة التقليدية بين المعنى المعجمي (الدلالي) والمعنى غير المعجمي (التداولي) تدعو نظرية

التداولية المدجدة، في دراسة المعنى، إلى تبني "التداولية الدلالية" التي تفسر، وفق الملفوظ ما تم إنجازه بالكلام، أي على النظرية أن تصف وصفاً نسقياً صور التلفظ المنقوله عبر الملفوظ (ديكرو، القول والمقول، ص ١٧٠-١٧١).

١٢. ينظر ديكرو، القول والمقول، ص ١٧٥-١٧٠.

١٣. ينظر المرجع السابق، ص ١٠٠، والقاموس الموسوعي للتداولية، ص ٣٥٠.

١٤. مفهوم التعليمات من مصطلحات ديكرو، وهو جانب تداولي من التأويل خصوص من المعلومات التداولية المشفرة لغويًا: وهي المعلومة الإجرائية. وللمعلومة الإجرائية خاصيتان: إنها غير صدقية (لا تؤثر في قيمة صدق الجملة) وتتعلق بالكيفية التي ينبغي أن تعالج بها المعلومة حتى تؤول (ينظر القاموس الموسوعي للتداولية، ص ٣٢).

١٥. ينظر ديكرو، القول والمقول، ص ١٧٤-١٧٥. وفي هذا الصدد، يوضح كوهي كيدا هذا التفريق بقوله: الجملة وحدة تركيبية مجردة، تشكل ملفوظاً بحدوثها المفرد في لحظة معينة ومكان معين. وعليه، تكون الدلالة *signification* هي القيمة الدلالية للجملة والمعنى *sense* للملفوظ (القول) (ينظر بحثه: تسجيل الحاجاج في اللغة: حالة نظرية الكتل الدلالية في الرابط المثبت في قائمة

المراجع العربية)).

١٦. ينظر ديكرو، القول والمقول، ص ٩٧.

١٧. ينظر هامش ١٤.

١٨. ينظر ديكرو، القول والمقول، ص ٨٥.

١٩. ينظر القاموس الموسوعي للتداوilyة، ص ٣٥.

٢٠. ينظر ديكرو، القول والمقول، ص ١٨٧، وينظر ديكرو، ١٩٧٢ في قائمة المراجع الأجنبية.

٢١. ينظر القاموس الموسوعي للتداوilyة، ص ٩٣ (بتصرف).

٢٢. لمناقشة مستفيضة عن قوانين الخطاب في التداوilyة المدجحة ينظر الفصل الذي ترجمه محمد الشيباني وسيف الدين دغفوس بعنوان "قوانين الخطاب" لديكرو. ونشر في كتاب إطلاعات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ص ص ٥٦١-٥٨٢.

٢٣. ينظر ديكرو، القول والمقول، ص ٦٧، ١٠٥، والقاموس الموسوعي للتداوilyة، ص ٢٣١.

٢٤. مصطلحا البنية العميقه والبنية السطحية من أهم مبادئ نظرية النحو التوليدى في بداياتها ويشكلان أهم أسس المكون النحوي الذي يتألف من المكون الأساسي والمكون التحويلي. ويحتوى الأول على مجموعة قواعد بناء أو قواعد تكوين، بها تتشكل البنى العميقه التي تدخل المكون الدلالي، وتتلقى التفسير الدلالي منه، ومن ثم تحول إلى بنية سطحية بواسطة المكون التحويلي عندما تلتقي والتفسير الفونولوجي بواسطة قواعد المكون الفونولوجي. وعلى هذا، نجد أن البنية العميقه هي المسؤولة عن التفسير الدلالي للجملة، بينما البنية السطحية هي المسؤولة عن التفسير الصوتي. وبذلك يكون للبنية العميقه ربط مزدوج؛ إذ هي مدخل لقواعد التحويل التي تنشئ البنية السطحية، ومدخل لقواعد الإسقاط التي يحصل المرء عند تطبيقها على التمثيل الدلالي (ينظر الحريص، ناصر، الخاصية النظامية للغة ودورها في فهم كيف يبدع العقل

- .٢٥. ينظر بوجادي، خليفة، اللسانيات التداولية، ص ١٢٩-٣٠.
- .٢٦. ينظر مقبول، إدريس، البعد التداولي عند سيبويه، ص ٢٥٠.
- .٢٧. الكتاب، بولاق ١/٢١٤.
- .٢٨. الكتاب، بولاق، ١/١٣٦.
- .٢٩. ينظر شرح السيرافي، ٥/٢٤.
- .٣٠. لمزيد من دراسة التراكيب الخاصة بدلالة الحال في كتاب سيبويه، ينظر العوادي، أسعد خلف، سياق الحال في كتاب سيبويه دراسة في النحو والدلالة.
- .٣١. ينظر كارتر ٢٠٠٢، ص ٧، و ٢٠٠٧، ص ٣٠ (ينظر قائمة المراجع الأجنبية).
- .٣٢. هذا المصطلح استعمله إدريس مقبول في بحثه البعد التداولي عند سيبويه. ص ٢٤٩.
- .٣٣. كارتر، ٢٠٠٧، ص ٣١، ٣٢. يقول سيبويه (بولاق. ١٩٦: ١): "ولا يجوز أن تقول: بعت داري ذراعاً، وأنت تريد بدرهم، فيرى المخاطب أن الدار كلها ذراع. ولا يجوز أن تقول: بعت شائي شاة شاة، وأنت تريد بدرهم، فيرى المخاطب أنك بعثتها الأول فالأخير على الولاء".
- .٣٤. كارتر، ٢٠٠٧، ص ٣٨.
- .٣٥. والاهتمام بالمقاصد يعني الاهتمام بالمتكلم؛ لأنَّه صاحب الدور الفاعل في تشكيل المعنى في الخطاب وفق الاستعمال اللساني التواصلي. وما يقصده المتكلِّم بقوله ما هو أمرٌ مقرُون بمقاصده. وفي الوقت نفسه، يفترض المتكلِّم مسبقاً (Presupposition) أنَّ المخاطب على وعي كافٍ بمقاصده؛ ليفهم القول إبان التلفظ به. ويقع كلُّ هذا في إطار خلفية مشتركة بينهما.
- .٣٦. قَسَمَ غرایس دلالة المعنى الضمني المفهوم من الخطاب قسمين (ينظر

حمادي، عبده سيد، الاقتضاء العرفي والتاختطي، ص ٥٩):

أ. تضمين عرفي *conventional implicature*، وهو ما يتضمنه الخطاب من معانٍ صرفية ونحوية ومعجمية متحصلة من تعاقل المفردات، ولا تندرج في النسبة الخارجية التي تشير إليها حتى تحسب من المقول لأن المعنى الذي يدركه المتكلم بـ(الكفاية اللغوية) دون أن يكون للعقل أو لـإعمال الفكر دور في ذلك، فهو الوقوف عند ظاهر النص في فهم دلالات مستخدمي اللغة والتي تكون مطابقةً لـاللفاظها أو متضمنةً فيها، ويتميز هذا النوع من المعنى بعدم انصياعه لشروط الصدق ولا يتمخض عن معطيات تداولية، بل إنه يعود إلى المفردات المعجمية للعرف.

ب. وتضمين تاختطي *conversational implicature*، وينقسم نوعين: (١) التضمين التاختطي المتعارف أو النموذجي وهو القصد/المعنى الضمني الذي يصدر نتيجة لالتزام المتكلم بقواعد التاختط، و (٢) التضمين التاختطي المجازي وهو المعنى الضمني الذي يحصل نتيجة خرم المتكلم لإحدى قواعد التاختط أو استغلالها.

. ٣٧. ينظر ريكاناتي، فرانسوا، المعنى الحرفي، ص ١٠٠.

المراجع العربية:

- أرمينكو، فرانسواز. (١٩٨٦). المقاربة التداولية. ترجمة: سعيد علوش، الرباط: مركز الإنماء القومي.
- أوستين، جون. (١٩٩١). نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجذب الأشياء بالكلام. ترجمة: عبد القادر قينيني، الدار البيضاء - المغرب: أفريقيا الشرق.
- بوجادي، خليفة. (٢٠٠٩). في اللسانيات التداولية. مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم. الجزائر: بيت الحكم.
- بو قرومة، حكيمة. (٢٠١٢). التداولية وعلاقتها بعلم الدلالة والسيميائية. مجلة الممارسات اللغوية، ع ١٠، ص ٥٩-٦٩.
- الحباشة، صابر. (٢٠١١). أسئلة الدلالة وتداوليات الخطاب، مقاربات عرفانية تداولية. عمان: دار زهران.
- الخريّص، ناصر. (٢٠١٤). الخاصية النظمية للغة ودورها في فهم كيف يبدع العقل اللغة. مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، ع ٣ مج ٧، ص ٨٨٣-٩٤٠.
- حمادي، عبد الله سيد. (١٩٩٧). الاقتضاء العربي والتخطابي: دراسة مقارنة بين جرایس وبين المدرسة الشافعية. رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة الكويت.
- الحموز، عبدالفتاح. (٢٠٠٩). القطع نحوياً ومعنى. عمان: دار عمار للنشر والتوزيع.
- خليل، خالد. (٢٠١٣). الدلاليات وتداوليات، علاقة وإشكاليات. (ضمن كتاب: التداولية في البحث اللغوي والنقد). لندن: مؤسسة السباب.
- ديكرود، أوزوالد-جان-شافار، ماري. (٢٠١٠). المعجم الموسوعي الجديد في علوم اللغة. ترجمة: عبد القادر المهيري - حمادي صمود. تونس:

- دار سيناترا - المركز الوطني للترجمة.
- ديكرو، أوزوالد. (٢٠١٢). قوانين الخطاب. ترجمة: الشيباني، محمد. دغفوس، سيف الدين. ص ٥٦١-٥٨٢. في: إطلاقات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين. تونس: المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون.
 - (٢٠١٩). القول والمقول. ترجمة: بسمة بلحاج الشكيلي. تونس: معهد تونس للترجمة / صفاقس: دار محمد علي للنشر.
 - روبيول، آن وموشلار، جاك. (٢٠١٠). القاموس الموسوعي للتداولية. ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجدوب. تونس: دار سيناترا - المركز الوطني للترجمة.
 - (٢٠٠٣). التداولية اليوم، علم جديد في التواصل. ترجمة: دغفوس، سيف الدين، ومحمد الشيباني، بيروت: دار الطليعة.
 - ريكاناتي، فرانسوا. (٢٠١٦). فلسفة اللغة والذهن. ترجمة: الحسين الزاوي، بيروت: دار الروايد الثقافية.
 - (٢٠١٨). المعنى الحرفي. ترجمة: أحمد كروم. بيروت: الكتاب الجديد المتحدة.
 - سورل، جون ر. (٢٠١٥). الأعمال اللغوية: بحث في فلسفة اللغة. ترجمة: أميرة غنيم، تونس: المركز الوطني للترجمة.
 - سبيربر، دان. ولسون، ديدري. (٢٠١٦). نظرية الصلة أو المناسبة في التواصل والإدراك. ترجمة: هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
 - السيرافي، أبو سعيد، الحسن بن عبد الله بن المرزيان. (ت. ٥٣٦٨، ط. ٢٠٠٨). شرح كتاب سيبويه. تحقيق: أحمد حسن مهدي، علي سيد علي، القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب.

- سيبويه، عثمان بن قنبر. (ت. ١٧٥، ط. ١٩٨٨). الكتاب، تحقيق: عبدالسلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي.
- الشيباني، محمد. (٢٠١٥). من قضايا تصنيف الأفعال اللغوية (مشروع قراءة). صفاقس: مكتبة دار علاء الدين.
- صحراوي، مسعود. (٢٠٠٥). التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللسانی العربي. بيروت: دار الطليعة.
- صحراوي، مسعود. (٢٠١٠). في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر. ضمن كتاب: التداوليات: علم استعمال اللغة، تقديم وتنسيق: حافظ إسماعيلي علوى، ص ص ٦٢-٢٥. إربد، الأردن: عالم الكتب الحديث.
- العوادي، أسعد خلف. (٢٠١١). سياق الحال في كتاب سيبويه دراسة في النحو والدلالة. عمان: دار الحامد للنشر والتوزيع.
- فان دايك، تيون. (٢٠١٣). النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتدابلي. ترجمة: صابر الحباشة، الدار البيضاء-المغرب: إفريقيا الشرق.
- كيدا، كوهي. (٢٠١٩). تسجيل الحجاج في اللغة: حالة نظرية الكتل الدلالية. ترجمة: إبراهيم أمغار. متاح على الرابط التالي: <https://afkaar.center/2019/11/03> بتاريخ ٢٤ مارس ٢٠١٩.
- ليتش، جيوفري. (٢٠١٣). مبادئ التداولية، ترجمة: عبد القادر قنيني، الدار البيضاء-المغرب: إفريقيا الشرق.
- المبخوت، شكري. (١٩٩٨). نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس: كلية الآداب، منوبة.

- (٢٠١٠). دائرة الأعمال اللغوية، مراجعات ومقترحات. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- مقبول، إدريس. (٢٠٠٤). البعد التداوily عند سيبويه. مجلة عالم الفكر، ع ١ مج ٣٣، يوليـوـ سبتمبر، ص ص ٢٤٥-٢٨٠.
- نحـلة، محمد أـحمد. (٢٠١٦). المـباحث التـداوـلـية. مجلـة دـيـالـى لـلـبحـوث الـانـسـانـيـة، ع ٧٠، ص ص ٢٨٩-٣٠٩.
- يولـ، جـورـجـ. (٢٠١٠). التـداوـلـية. تـرـجمـةـ: دـ. قـصـيـ العـتـابـيـ، بـيرـوتـ: الدـارـ العـرـبـيـةـ لـلـعـلـومـ نـاـشـرـونـ.

المراجع الأجنبية

- Anscombe, Jean-Claude & Oswald Ducrot. (1983). *L'argumentation dans la langue*, Mardaga, Liège (collection Philosophie et Langage).
- Carter, Michael G. (2002). “Patterns of reasoning: Sibawayhi’s analysis of the *ḥāl*”, Proceedings of the 20th Congress of the Union of European Arabists and Islamicists, Part One, Linguistics, Literature, History [= *The Arabist*, vol. 24–25]. K. Devenyi, ed. Budapest.3–15.
- Carter, M. G. (2007). ‘Pragmatics and Contractual Language in Early Arabic Grammar and Legal Theory’, in E. Ditters and H. Motzki (eds.). *Approaches to Arabic Linguistics. Presented to Kees Versteegh on The Occasion of His Sixtieth Birthday*, 25–44. Leiden and Boston: Brill.

ترجم هذا البحث ناصر الحريص في دراسته عن: «مايكيل كarter وجهوه في درس النظرية النحوية التراثية مع ترجمة بحثه: التداوـلـيةـ والـلـغـةـ التـعـاـقـدـيـةـ فيـ الـبـدـايـاتـ

الأولى للنحو العربي والنظرية الفقهية»، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وأدابها، ع ١٩، شعبان ١٤٣٨هـ - مايو ٢٠١٧م.

- Ducrot, Oswald. (1972). *Dire et ne pas dire* (Paris: Hermann) 2ème édition, corrigée et augmentée, 1979. 3ème édition, augmentée, 1991.
- Folli, Raffaella & Christiane Ulbrich. (2011). *Interfaces in linguistics: new research perspectives*. Oxford: Oxford University Press.
- Ducrot, Oswald. (1980). *Les Echelles argumentatives*, Paris: Éditions de Minuit.
- Ducrot, Oswald. (1982). «Note sur T argumentation», *Cahiers de linguistique française*, 4, p.143–153.
- Ramchand, Gillian and Charles Reiss The Oxford handbook of linguistic interfaces. edited by and. Oxford; New York: Oxford University Press, 2007.

حروف المعاني من منظار عرفاني: نظرية لانغاكر أنموذجا

د. إيمان الشرفي^١

الملخص

هذا البحث محاولة لاستئثار ما أَسَّسه رونالد لانغاكر في مقاربة كلّ من حروف التّعديّة وحروف العطف في كتابه: Cognitive grammar: a basic introduction . وقد تطلّب منّا ذلك إبراز المبادئ والأسس التي بني عليها لانغاكر مشروعه العرفاّي فجعلت من مقاربته حروف التّعديّة مختلفة عمّا سبقها من مقاربّات. وذكرنا كيف قوّض المقوله التقليدية لأقسام الكلم، وألغى الحدود الثابتة بين المقولات النّحوية الكونية. وبيننا تصنيفه المستند إلى مقاييس جديدة. وبيننا أيضاً كيف استطاع لانغاكر، استناداً إلى منهج النّحو العرفاّي وتوصيفاته المفهوميّة، أن يدرس ظاهرة العطف دراسة تتجاوز قصور النّحو التقليدي والنّظريات اللسانية غير العرفاّية عن تفسير وضعيات الربط بالحرف التي يُحرق إنجازها اللّغوي القواعد. فنطرّقنا إلى ثلاث من تلك الوضعيات المشكّلة وقدمنا مقترّح لانغاكر في معالجتها. وقد اتّضح لنا من كلّ ذلك أنّ الحرف، وإن بدا في ظاهره مجرّد أدّاة تركيبية، فإنه وحدة رمزية تختزل عمليّات ذهنية عرفاّية معقدّة تنشأ في ذهن المتكلّم ويؤوّلها المتقبّل.

الكلمات المفاتيح: حروف التّعديّة، حروف العطف، النّحو العرفاّي

¹- كلية الآداب والعلوم الإنسانية -جامعة صفاقس، تونس.

Abstract

In this paper, we aimed to examine Ronald W. Langacker's approach to prepositions and coordination conjunctions through his book "Cognitive grammar: a basic introduction". We highlighted the principles and fundamentals of Langacker's approach that make it different from the previous approaches. We mentioned how he demolished the traditional categorization of grammatical classes, and removed the fixed boundaries between the universal grammatical categories. We have also presented Langacker's classification based on new parameters as well as the solutions that he proposed for some problematic cases of coordination with conjunction. We concluded that conjunction, even if it looks as a synthetic tool, is a symbolic unit implying complex mental processes. This arises in the speaker's mind and is interpreted by the receiver.

Keywords : prepositions, coordination conjunctions, cognitive grammar

مقدمة

قد يبدو أنّ حروف المعاني العربية مكانة عالية في الدرس النحوّي القديم، إذ خصّص لها كثيرٌ من النّحاة القدماء أبواباً من كتبهم^١، وأفرَدَها غيرهم، وخاصة المتأخرون منهم، بكتاب كامل^٢. ولقد اختلفت التّوجّهات في ذلك نتيجة تنوّع المطلقات وزوايا النّظر، فمن النّحاة من ذَرَس الحرف إعرابياً، ومنهم من قاربه دلاليّاً، ومنهم من نظر في خصائصه التركيبية.

ولقد توصل بعضهم إلى آنّه يمكن تقسيم حروف المعاني في العربية بحسب مواضع ورودها في التّركيب النّحوّي، إلى ثلاثة أصناف^٣:

- صنف أول يرد في موضع الصّداراة فيتصرّد الاسم أو الفعل أو الجملة (أي الإسناد).

- وصنف ثان يقع في موضع التّعدية إذ يُعدّي الفعل الذي لا يتعدّى بنفسه إلى الاسم.

- وصنف ثالث، تمثّله حروف العطف، ويعتمد للربط بين المفردات أو ما يحّل محلّها أو بين الجمل المستغنية.

فأمّا الصّنف الأوّل، فهو مظهر تركيبيّ سطحيّ نجده في اللغة العربية ولا نجده في اللغة الإنجليزية، وتحقّق فيها دلالته ببني تركيبة أخرى مختلفة عن حرف الصّداراة العربيّ. وأمّا الصّنف الثاني، فهو شبيه بمجموعة من الأدوات النّحوّية تُعرف في اللغة الإنجليزية بـ«prepositions». وأمّا الصّنف الثالث، فهو قريب مما يُسمّيه الإنجليز «coordination conjunctions».

وعلى الرّغم من وجود ما يقابل حرف التّعدية وحرف العطف في اللغات الأجنبية، فإنّ سعي المحدثين من أهل النّحو العربيّ كان موجّهاً أساساً إلى تقصي دلالات حروف المعاني عبر وضع معاجم الحروف والأدوات النّحوّية. ولا حظنا، مقابل ذلك، تقصيرهم في استئثار الدراسات النّحوّية العرفاً نظرية في مقاربة هذا الصّنف من الكلم. والواقع أنّ إنجاز العرفاً نظرية في مبحث الحرف، سواء كان حرف تعددية أو حرف عطف، على قدرٍ عالٍ من الأهميّة، إذ تمكّنوا من تجاوز قصور النّحو التقليديّ

والنّظريّات اللّسانية السّابقة للعرفانيّة عن تفسير كثير من الظواهر المشكّلة التي يطرحها الإنجاز اللّغويّ، ويعود ذلك إلى ما يتّسم به النّحو العرفانيّ من شمول وما يقوم عليه من إمام بمختلف الجوانب المشكّلة للمعنى. ولعلّ ندرة تطبيق المنهج العرفانيّ في الدراسات المهمّة بظاهرتي التّعدية بالحرف والرّبط بالحرف في العربية^٦ راجعة إلى جدّة البحوث العرفانيّة وقلّة الدراسات العربيّة التي تُعرّف بها.

ومن هنا، رأينا أن نهتم بحروف التّعدية وحروف العطف في العربية انتلاقاً من زاوية نظر عرفانيّة تستند أساساً إلى ما بناه رونالد لانغاكر (Roland W. Langacker) في كتابه *Cognitive grammar : a basic introduction*^٧.

فما المنطلقات والمبادئ التي بني عليها لانغاcker مشروعه العرفاني؟ وبم تميّزت مقاربته حروف التّعدية عن النّظريّات اللّسانية التي سبقته؟ وما خصائص ظاهرة العطف وحروفها من منظاره؟ ثمّ كيف استطاع النّحو العرفاني تجاوز قصور النّحو التقليدي والنّظريّات اللّسانية غير العرفانيّة عن تفسير وضعيات الرّبط بالحرف التي يُخِرق إنجازها اللّغويّ القواعد؟ وإلى أيّ مدى يمكن استثمار الإضافة التي أتى بها لانغاcker في دراسة حرف التّعدية وحرف الرّبط العربيّين؟

وفي إطار محاولة الإجابة عن هذه الأسئلة، رأينا أن نقسّم هذا البحث إلى مرحلة أولى نهتمّ على امتدادها بخصائص التّعدية بالحرف من منظار النّحو العرفاني، ومرحلة ثانية نختصّ بها لتبين مقاربة لانغاcker لظاهرة الرّبط بالحرف.

١- التّعدية بالحرف

١- النّحو العرفاني والأقسام النّحوية

عُرف النّحو العرفانيّ بتمرّده على ما ساد قبله من نظريّات لغوية تُسند المنزلة الأولى إلى التركيب والحوانب الشّكليّة على حساب المعنى والدلالة. ولعلّ أهمّ تلك النّظريّات نظرية النّحو التّوليدي التّحويليّ، فعلى خلاف التّوليديين الذين فصلوا بين مستويات تشكّل المعنى وفصلوا أيضاً بين المعنى اللّغويّ (linguistic meaning) والمعنى غير اللّغويّ (extralinguistic meaning)^٨، اتّسم النّحو

العرفاني^٩ بكونه نظرية دلالية شاملة لمختلف المستويات التي تسهم في بناء المعنى^{١٠}.

ولقد دعا لانغacker، كغيره من العرفانيين، إلى أن تدرس المعاني اللغوية باعتبارها قائمة على مجموعة من العمليات الذهنية التصورية، لا باعتبارها موافقة أو مخالفة لحقيقة أو لمجموعة من الحقائق القائمة في العالم الخارجي كما ذهب إلى ذلك التداوليين. فالنحو العرفاني يهتم بالطريقة التي يلجأ إليها المتكلم لتشكيل المعنى والمخاطب لإعادة تشكيله، أي إن الأولوية مُسندة للعمليات الذهنية التي تنظم المعنى وتصوغه.

إن نحو رونالد لانغacker العرفاني، حسب ما أورد عبد الجبار بن غريبة في كتابه «مدخل إلى النحو العرفاني»، قد «عني أساساً بمعنى الأبنية اللغوية، التي تختلف عن المعاني المعجمية دون أن تكون منفصلة عنها. إنه يعني بالطبيعة الاصطلاحية لمجموعة المظاهر التي تشكل بنيتنا الذهنية، باعتبار أن البناء والتنظيم في اللغة ليسا إلا تطبيقاً لقدرات وعمليات ذهنية أعمّ يستعملها الإنسان في مختلف الأنشطة التي يقوم بها، وما اللغة إلا نشاط من تلك الأنشطة»^{١١}.

ونتيجة لهذه الخصائص التي ميّزت تيار النحو العرفاني، تشكّلت مقاربة للأقسام النحوية grammatical classes (أي ما يوافق تقريرياً أقسام الكلم عند العرب) مختلفة عما سبقها من مقاربات، إذ أسس العرفانيون تصنيفًا جديداً يستند إلى توصيفات ومقاييس مختلفة عما ترسّخ من تقسيم للكلم منذ النحو التقليديي وصولاً إلى النظريات اللسانية والدلالية الحديثة. وقد فندوا بذلك الفكرة القائلة إنّ الأقسام النحوية لا يمكن أن تُعرَف دلاليّاً، وسعوا إلى إثبات قابلية المقولات النحوية للتحديد على أساس المعنى.

لقد لاحظ لانغacker أن مدلولات (Predicate) العبارات منقسمة إلى نوعين: مدلولات اسمية تعبر عنها مقوله الاسم، ومدلولات علاقية تؤديها مقولات متعددة أهمّها مقوله الفعل. وأشار إلى أنّ الفارق بين هذين النوعين لا يمكن في المضمون كما قد يبدو في الظاهر، وإنّما هو كامن في طريقة التنظيم الذهني لذلك المضمون وتشكيله عرفانياً. من ذلك مثلاً أن الاختلاف بين الاسم «خروج» والفعل «خرج» ليس ناتجاً عن تباين في المضمون الدلالي إنّما هو ناتج عن ابناء

الأول على مدلول يُبرز شيئاً ما وابناء الثاني على مدلول يُبرز علاقه ما.

واستناداً إلى زوجين من المفاهيم بما مفهوماً: «الزّمان المتّصوّر» (Conceived time) و«زمان التّصوّر» (Conceptualization time)، ومفهوماً: «المسح الإجمالي» (Summary Scanning) و«المسح المتتابع» (Sequential Scanning)، ميّز العرفانيون بين صنفين من العلاقات. فقد ذكر لانغاكر أنّ من العلاقات ما يكون مقترناً بزمان، ويقصد هنا العلاقة العمليّة^{١١} التي يُعبر عنها بالفعل المصرّف، ومنها ما لا يكون مقترناً بزمان، ويقصد العلاقة اللاّعمليّات^{١٢} التي يُعبر عنها بالحرف أو الصّفة أو الظّرف أو الفعل غير المصرّف (infinitive) أو مصدر الفاعليّة (present participle) أو مصدر المفعوليّة (past participle).

ومن ثمّ، توصل لانغاكر إلى أنّ المقولتين النّحويتين الأساسيتين هما الاسم والفعل، فيّن تقابل خطاطتيّن^{١٣} تقابلًا تامًا نتيجة اختلاف القدرات العرفانية التي تتأسّس عليها كلّ منها (التّجميع والتّشبيه للاسم، وإدراك العلاقات وتتبعها للفعل). وأشار أيضًا إلى تباين هاتين المقولتين في طبيعة المعروض^{١٤} (يعرض الاسم شيئاً، ويعرض الفعل عمليّة^{١٥})، وفي درجة البلاوره فيها (تكون بسيطة مع الاسم، ومركبة مع الفعل)، وفي نمط المسح (مسح مجمل للاسم، ومسح تابعي للفعل). وبين هذين الطرفين المتناقضين، تدرج حالات وسطى تُطابق مقولاتٍ تقليديّة منها الحرف (وهو في العربيّة كما ذكرنا حرف التّعديّة فحسب إذ لا يشمل ذلك حرف الصّداره وحرف الّربط) والصّفة والظّرف والفعل غير المصرّف ومصدر الفاعليّة ومصدر المفعوليّة.

وبذا، كان تصنيف المقولات عند لانغاكر مستنداً إلى العمليّات الذهنيّة التّصوّريّة على خلاف ما كان شائعاً في عدّة تيارات لسانية سبقته أو عاصرته كانت تدرس معاني الوحدات اللّغويّة انطلاقاً من البنية التّركيبية (كالنّحو التّوليدي) أو عبر ربطها بالعالم الخارجي والنظر في مدى موافقتها له (كالتّداوليّة).

٤- خصائص حرف التّعديّة

إنّ الحرف (أي حرف التّعديّة) عند لانغاكر، كما تبيّن في المرحلة السابقة، في مرتبة

وسطي بين الاسم والفعل لأنّه يُعرض علاقة لا عمليةّية، أي إنّ معروضه مختلفٌ عن معروض الاسم، إذ يُعرض الاسم شيئاً ما، و مختلفٌ عن معروض الفعل، وذلك على الرّغم من أنّ الفعل أيضاً يعرض علاقة، غير أنها علاقة عملية. ويتجلى الفارق بين العلاقة التي يعرضها الفعل والعلاقة التي يعرضها الحرف في أمثلة من قبيل «يُشبه» وكاف الجر الدالة على التّشبّه. فلهذا الحرف وذلك الفعل المضمون نفسه، ولكن الاختلاف يكمن في نوع عملية المسح التي تفرضها بنية كلّ منها على المضمون المشترك. فأما العلاقة التي يعبر عنها الفعل «يُشبه» فيناسبها مسح متتابع في الزّمان المتصرّر، وأما حرف الجر فيشير إلى علاقة يقع تصوّرها دون أي اعتبار للزّمان.

ولمّا كان الحرف في النحو العرفاني مندرجًا في تلك المرتبة الوسطى بين الاسم والفعل مع مقولات تقليدية أخرى كالصفة والظرف والفعل غير المصرف ومصدر الفاعلية ومصدر المفعولية، ميّز لانغacker الحرف من بقية العبارات العلائقية. فكان من أهم المفاهيم المعتمدة لتوصيف تلك الأقسام وتصنيفها مفهوم «المشارك البؤري» الذي يكون «معلماً» (Landmark) أو «مُتّقدلاً» (Trajector).

لقد ذكر لانغacker أنه عندما تُعرض علاقة ما، يُمنح المشاركون فيها درجات متنوّعة من البروز. فأبرز المشاركون يُسمى «المتقلّ»، وهو الوحيدة التي تبني على أساس كونها متموّضة أو مقيمة أو موصوفة. ومن زاوية انطباعية، يمكن أن تُوصّف بكونها البؤرة (Focus) الرئيسيّة داخل حدود العلاقة المعروضة. وكثيراً ما يجعل مشارك آخر بارزاً على أساس كونه بؤرة ثانوية، ويُسمى هذا المشارك «معلماً».

فأمّا الصفات والظروف، فلها مشارك بؤري واحد، هو المتقلّ، وليس لها معلم مبأّر. وهي مختلفة في ما بينها في طبيعة المعلم في كلّ منها: هو في الصفات شيء، وهو في الظروف علاقة.

وأمّا الحرف، فله مشاركان بؤريان اثنان، ويكون معلمه شيئاً؛ بل إنّ الخصيصة المميّزة لقسم الحروف هي منح البروز البؤري لشيء ما. ويكون التّعبير عن هذا المعلم بمفعول الحرف مثل: (في الصّيف) و(على الشّاطئ) و(بالسيارة).

إذن، أجرى لانغacker تصنيفًا للمقولات النحوية استناداً إلى مقاييس جديدة

تمثلت في العمليات الذهنية العرفانية التي يعتمدتها المتكلّم لإنشاء خطاب والعمليات الذهنية التي يستند إليها المتقدّل لتأويل ذلك الخطاب، ولقد أدى ذلك إلى إلغاء الحدود الثابتة بين تلك المقولات فانتفت القطعية في ما بينها وتأكد الاسترسال.

ومن مظاهر ذلك الاسترسال أنّ الحرف نفسه يجري، بشكل طبيعي، في آن واحد، مجرى «الصّفة» حيث يكون متقلّه شيئاً من قبيل ما يحصل في: (نهاية الأسبوع الأخير من الصيف) و(الأطفال على الشاطئ) و(مسافر بسيارة)، ومجرى «الظرف» حيث يكون متقلّه علاقة كما في: (تزوجاً في الصيف) و(الرياح قوية على الشاطئ) و(سافر بالسيارة). ومن ثمة، اعتبر لأنّغافر هذا التراكب واحداً من الأسباب المقوّضة للمقولة التقليدية التي تجعل الصّفات والظّروف والحرافوف أقساماً متنافية، وشدد على لاّ وجود لأيّ مسرد نهائياً ثابت في المقولات التّحويّة الكونية. وكان ذلك من أهمّ نتائج هذه المقاربة العرفانية للمقولات التّحويّة عموماً ولحرف التعديّة بوجه خاصّ. فما خصائص مقاربته حرف الرّبّط؟

٢- الرابط بالحرف

١- العطف ظاهرةً عرفانيةً

العطف (Coordination) عند لأنّغافر مبحث فرعى لم يشغل إلاّ صفحات قليلة من كتابه، إذ امتدّ على سبع صفحات من مؤلفه في نسخته الإنجليزية (من الصفحة ٤٠٦ إلى الصفحة ٤١٢). وقد اهتمّ لأنّغافر به في إطار دراسته المرّكبات الجملية (المرّكب الجُملي Clause) المكوّنة. فهو عنده، كالتبّعية، أسلوب للتعليق يتحقّق عبره ترابط تلك المرّكبات، ولذلك، تطرق إليه في إطار دراسته الجمل المركبة.

و قبل إثارة ضروب الإشكال المتعلّقة بالعطف، قدّم لأنّغافر تفسيراً عرفانياً لهذه الظاهرة اللغوية ولما قامت عليه من قواعد تواتر ذكرها عند النّحاة. فقد عُرِف في النّحو التقليديّ أنّ المتعاطفات متساوية في المنزلة. لم يُنكر لأنّغافر هذه القاعدة، ولكنه فسرها تفسيراً مختلفاً عما شاع في التّيارات التّحويّة والدلاليّة التي سبقته، فقد استند في ذلك إلى التّوصيات المفهوميّة العرفانية.

إنّ تساوي المتعاطفين في المنزلة يعني، حسب ما أورد لأنّغافر:

- أن يشارك كل واحد منها مستقلاً عن الآخر وبنفس المدى في نفس المجموعة من العلاقات النحوية (كأن يحدد كل واحد منها معلم الفعل).
- توازيها دلاليًا وتشابهها تشابها تحريدياً في المضمنون (كأن يكون كل واحد منها إسمائياً^{١٦} (nominal) تماماً ويعرض عينة مذررة^{١٧} من شيء).
- تشابهها في البروز داخل المركب الجملي الذي يحتويها (كأن يكون لكل واحد من الشيءين اللذين يعرضانها منزلة المعلم المركبي الجملي).

ولإثبات نجاعة النحو العرفاني، لم يكتف لانغواكر بمجرد تفسير الظاهرة اللغوية، إنما قدّم حالات من العطف تبدو لدارسها مشكلة إن نظر إليها في ضوء النحو التقليدي، وسعى إلى إثبات أن الحل يكمن في الاستناد في مقاربتها إلى المبادئ والمفاهيم العرفانية.

٢- قضايا العطف

تتمثل أهمّ أوجه الإشكال التي ذكرها لانغواكر في:

- أوّلا: الإشكال الذي يشيره شرط التوازي

شاع في النحو التقليدي وفي النظريات اللسانية التي توّلي الجوانب الشكليّة التركيبية منزلة أولى أنّ الأبنية المتعاطفة يجب أن تكون، بالضرورة، متوازية نحوياً ودلاليًا، وأنّ توازي المتعاطفات نحوياً ينبغي على تماثل مقولاتها النحوية. وذلك ما لا يتحقق، حسب ما بين لانغواكر، في كثير من وضعيات الإنجاز اللغوي من قبيل:

١. كان [حزينا] و[شايرا بالأسف على نفسه].

٢. أمضت على الوثائق [غصبا] و[بكثير من التردد].

إن اختلاف المقوله النحوية بين المعطوف عليه والمعطوف في هاتين الجملتين يُخلل، في الظاهر، بشرط التوازي النحوي الذي شدّ النحو التقليدي على ضرورة قيام العطف عليه. ولئن عجز النحو التقليدي على تفسير هذا الاختلال، فإن النحو العرفاني كفيل بذلك. فحسب لانغواكر، تمثّل، في المثال (١)، عبارتا «حزين» و«شاير بالأسف على نفسه» من ناحية أن كلتيهما تعرض علاقة لاعميالية بشيء

يكون متنقلها. ثم إنّها متوازية لأنّ كلّيْها تُسند حالة ذهنية إلى متنقلها الذي يحدّد بكونه (هو) في مقام هذه العبارة. وتمثّل، في المثال (٢)، «غصباً» و«بكثير من التردد» من ناحية أنّ كلّيْها تعرض علاقة لاعملية إتّية يحدّد فيها المتنقل بعملية الإضباء على الوثائق. ثم إنّ كلّيْها تؤدي وظيفتها الظرفية بأن تخصّص موقف الفاعل في تأدّية ذلك العمل.

وبذا، خلص لأنّا نعاشر إلى أنّ التّماثل في هذه الوجهة من مستوى المضمون المفهوميّ أهمّ من الشّكل النّحوّي المخصوص. فاختلاف المقوله النّحوّية بين المتعاطفات، إن رافقه توازِ دلائِيّ مضمونيّ، لا يخلّ من استقامة تركيب العطف.

وفي مقابل ذلك، سعى لأنّنا نعاشر إلى إبراز أنّ العطف لا يستقيم كـلّما كانت المتعاطفات غير منسجمة دلائياً، حتّى إن كانت متوازية نحوياً. وقد أجري في سبيل ذلك مفاضلة بين ثلاّث وضعيات إنجازية:

٣. ؟ هي أمضت على الوثائق [غصباً] و[بقلم جافّ].

في جملة المثال (٣)، اختلف الشّكل النّحوّي بين المتعاطفين، وعلى الرّغم من ذلك، كان التركيب بالعطف فيها أفضل من جملة المثال (٤) التي ورد فيها كلّ من المعطوف عليه والمعطوف مركّباً حرفيّاً:

٤. ؟ هي أمضت على الوثائق [بالغضب] و[بقلم جافّ].

بل قد يتمثّل المتعاطفان من ناحية المقوله النّحوّية ولا يستقيم التركيب، من ذلك المثال التالي الذي ورد فيه كلّ من المعطوف عليه والمعطوف إسمائياً:

٥. *هي أمضت على الوثائق [بالغضب] و[بقلم جافّ].

- **ثانياً: الإشكال المتعلّق بمسألة انفصال المتعاطفات أو اجتماعها في التّصور**
لقد تسأّل لأنّا نعاشر: هل يُشارك الواحد من المتعاطفات في علاقاته بسائر العناصر بصفة مستقلّة أم لا؟ يتّضح الفارق بين الوضعيّتين، في هاتين الجملتين اللّتين يَبرُز اختلاف العطف بينهما من وجهة النّظر تلك:

٦. أحمد و خالد طويلان.

٧. أحمد و خالد متوافقان.

في (٦)، يبدو كُلّ من أحمد و خالد طويلاً وهو منفصل عن الآخر، ولكنّهما لا يكونان متوافقين، في (٧)، إلّا من حيث هما زوج من النّاس. ومن ثُمّ، بين لانغواكر أنَّ التأويل الجماعي يقتضي أن تبثق ابناقاً مفهومياً وحدةً من درجة أعلى تتضمّن العناصر التي تعرضها الوحدات المتعاطفة. وذكر أنَّ العطف، بحكم طبيعته، يساهِم بقدر كبير في هذه البلورة. فمجّرد ذكر العناصر المكوّنة ذكراً تابعياً، يجعلها متّجاورة تجّاورة ذهنياً، بوجه تكون فيه الوحدة المنبثقة في الدّرجة الأعلى موجودة ضمنياً على الأقلّ. وبهذه الطريقة، يُنشأ الإمكان لأنّنا جماعيٌّ يُنقل فيه المعروض إلى هذه الوحدة.

ولقد خلص لانغواكر إلى أنَّ اتصال المتعاطفات وانفصالها درجاتٌ يمكن إيجازها على النحو التالي:

- تكون الأسماء المتعاطفة أحياناً كلاًّ مركباً يُدرك بوضوح على أنه وحدة قائمة برأيها. مثل ذلك عبارات راسخة من قبيل «قرطاس و قلم» أو «فنجان و طبق».

- نجد حالة وسطى كما في المثال (١)، إذ تمثّل عبارتا «حزين» و «شاعر بالأسف على نفسه» حاليْن ذهنييْن متّايزتيْن أو متّواجديْن أو وجهيْن لهيأة خارجيّة دالّة على الانكسار.

- وفي وضعيات أخرى قد يبدو، في الظّاهر، أنَّ المركبات الجُملية المتعاطفة ذات حظّ كبير في الحفاظ على منزلتها من حيث هي تصوّرات متوازية ينفصل الواحد منها عن الآخر. مثل ذلك:

٨. [درستُ هذا اليوم ثلاثة أقسام] و [اجتماع الأساتذة كان صعباً].

ولكنَّ الأمر في الحقيقة على خلاف ذلك، فالعطف المركبِيِّ الجُمليِّ لا يكون موقّفاً إلّا عندما يكون للمركبات الجُملية وسائلٌ تربط الواحد منها بالآخر. فلا يمكن للعطف في (٨) أن يكون مقبولاً إلّا استناداً إلى تأويلٍ من قبيل اعتبار كُلّ واحد من

المرّكّبين الجُمْلَيْن سبباً جعل المتكلّم مرهقاً في المساء.

وفي المقابل، ساق لانغاكر مثلاً ليثبت عدم انسجام الجملة إذا كان المتعاطفان غير منسجمين تماماً:

. ٩. ؟؟ [القمر يدور حول الأرض] و [اجتماع الأساتذة كان صعباً].

- ثالثاً: الإشكال المتعلّق بكيفية ترابط المتعاطفات

درس لانغاكر ككيفية ترابط المتعاطفات من منطلق المقارنة بين ثلاثة روابط هي:

(and) (و) (or) (أو) (but) (بل) / (لكن).

فأمّا العطف بـ (and) (و)، فهو نوع بسيط أساسيٌ، إذ إنّ المضمنون الأساسيّ لهذا الرابط هو التّجاور الذهنيّ بين عناصر متساوية، أي إنّه حرف يجعل العناصر المتساوية متجاوّرة ذهنيّاً. والتّجاور، كما هو معلوم، علاقة تنازليّة. ومن خصائص العطف بالواؤ أن تتوالى المتعاطفات في مستوى مفرد من التّضييد.

ولعلّ أهمّ ما أضاف لانغاكر في شأن العطف بالواؤ كسره فكرةً مترسّخة تتمثل في قيام هذا الصّنف من العطف، بالضرورة، على التّنازليّ، إذ ذكر نماذج لا تنازليّ فيها بين المعطوف عليه والمعطوف. من ذلك، نزوع المتعاطفات، عندما تصف أحدها، إلى أن تؤوّل على أنها واقعة حسب التّرتيب الوارد في العبارة أو أنّ الحدث الأوّل سببُ للثاني كما في المثال (١٠)، أو أنّ منزلة الحدث الأوّل مختلفة عن منزلة الثاني فيكون أحدهما فرعياً أو تمهدياً ويكون الثاني رئيسياً كما في المثال (١١).

. ١٠. ختم دراسته الجامعية وحصل على وظيفة.

. ١١. اجلسْ واحدِكِ.

وأمّا العطف بـ (or) (أو) (but) (بل) / (لكن)، فهو يُحدث علاقات أكثر

تبثروا مفهومياً. فدائماً ما يُحمل مضمون هذين الّرابطين الإضافي بعض الخل في التّناظر بين العناصر المتجاوحة أو يؤثّر على دورها في المستويات العليا من التّضييد.

وللإبراز كيف يكون التّجاور الذهني، في حالة العطف بـ«أو»، مضموناً في تصوّر أشدّ تعقيداً، ساق لانغاكير مثال البيتزا مقارناً بين العطف بالواو والطف بـ«أو». فتصوّر «قطعة بيتزا بالنقانق والفلفل»، يقوم على حضور مكوّنات الحشو معاً في صورة واحدة، أي تخيل قطعٍ من النقانق متناشرة تحاط بها قطعٌ من الفلفل على سطح البيتزا. وليس الأمر كذلك عندما تحدث عن «بيتزا بالنقانق أو بيتزا بالفلفل»، إذ لا تنبثق هنا صورة واحدة منسجمة مطلقاً. والمستحضر، بدل ذلك، صورتان متناوبتان للبيتزا، يظهر في الواحدة منها حشوًّا واحدًّا يتفضّل له الآخر. وفي هذا التّنافي تناقض مع التّجاور الذهني الذي يُمثل أساس العطف.

وبناءً على هذا المثال، أقرَّ لانغاكير أنَّ العطف بـ«أو» هو عطف انفصالي لا اتصالٍ وسعى من ثم، إلى تفسير تأهيلِ هذا الصّنف من العطف لأنَّ يكون عطفاً، مستنداً في ذلك إلى التّصورات المفهومية التي يُتيحها النحو العرفاني. ففي المركب الجملّي «بيتزا بالنقانق أو بالفلفل»، يتساوى مرجع «النقانق» ومرجع «الفلفل» في البروز، ويشاركان في العلاقة التّحويّة نفسها مع كلمة «بيتزا». وبذا، كان من الممكن توصيف العطف باعتماد بنيتين متساويتين مترافقتين بمعروضين متواجهين.

إذن، على الرّغم من التّعقد الدّلالي في or («أو») (إإنَّ العطف بها يظلّ قائماً على التّناظر، على خلاف العطف بـbut) («بل» / «لكن») (إذ يُحمل مضمونها الإضافي وجهاً من وجوه عدم التّناظر. ذلك أنَّ هذا الرابط شبيه بالرابط and) («و») (من جهة انطباق المعطوف والمعطوف عليه على الوضعيّة الموصوفة، ولكنَّ but تتضمّن معنى إضافيًّا يتمثّل في خالفة المعطوف التّوقعات التي يولّدها المعطوف عليه).

خاتمة

إنّ مشروع لانغاكر في النّحو العرفانيِّ أهميّة بارزة تبيّنها انتلاقاً من مباحثين فرعين ومتخصصين عندهما مقوله الحرف وظاهرة الربط، وقد جمعنا بينهما في بحثنا هذا بناءً على اندراجهما ضمن مبحث واحد في اللّغة العربيّة هو حروف المعاني. إنّه مشروع بديل للنظريّات اللغويّة التي سادت قبل العرفانيّات، وهي نظريّات أسند بعضها المنزلة الأولى إلى التركيب والجوانب الشكليّة في اللّغة فأهملت في المقابل المعنى وأسند إليه منزلة ثانية (من أهمّ تلك النّظريّات التي شكّلت المقاربة العرفانيّة قطبيعة معها ذكرنا النّحو التّوليدّي)، واهتمّ بعضها الآخر بعلاقة اللغة بالعالم الخارجيّ ومدى مطابقتها للحقائق الموجودة فيه (ذكرنا من هذا القبيل النّظرية التّداوليّة أساساً).

ولقد تبيّنا في المرحلة الأولى من هذا البحث خصوصيّة مقاربة لانغاكر لحروف التّعديّة إذ تمكنَ، استناداً إلى منهجه العرفانيِّ والجهاز المفاهيميِّ الذي بناءً، من إنشاء تعريفٍ جديد لمقوله الحرف وتحديد منزلته بين أقسام الكلم، وذلك بعد إلغاء الحدود الثابتة بين المقولات النّحوية ونفي القطبيعة التّامة بينها كما كان شائعاً منذ النّحو التقليديِّ.

ورأينا في المرحلة الثانية من بحثنا كيف كانت التّوصيفات المفهوميّة العرفانيّة التي أنشأها لانغاكر كفيلة بإنشاء تصوّر جديد لظاهرة العطف يولي المعنى المكانة المركزية التي يرتضيها له النّحو العرفانيِّ. ومن ثمّ، حلّت إشكالاتٌ كثيرةً متعلّقة بظاهرة العطف وحروفه عَجَزَ النّحو التقليديِّ والتّيارات اللّسانية التي سبقت العرفانيّين عن حلّها. وذكرنا من تلك الإشكالات شرطَ التّوازي بين المتعاطفات، وتروّحها بين الانفصال والاجتماع في التّصوّر، وكيفيّة ترابطها.

والحاصل لدينا من كلّ ما أوردنا أنّ الحرف، سواءً كان حرف تعدية أو حرف ربط، وإنْ بدا في ظاهره أدلةً تركيبية لا يشوبها من المعنى إلاّ شيء قليل، فإنه في حقيقة الأمر غير ذلك. إنّه وحدة رمزية تختزل عمليات ذهنية عرفانية معقدة تنشأ في ذهن المنكّل و يؤوّلها المتقبّل.

ومن ثمّ، فإنّ نتائج هذا البحث تدعونا إلى تطبيق المنهج العرفاي على مختلف حروف التعدية وحروف الربط في العربية. بل إنه من الضروري في نظرنا محاولة تطبيق هذا المنهج على صنف من حروف المعاني العربية لا نجد له نظيرا في اللغة الفرنسية ولا الإنجليزية، هو حروف الصّداره. فمن شأن ذلك أن يتيح فهماً أعمق لنظام حروف المعاني العربية، وأن يخدمنا في اختبار صرامة نظرية النّحاة العرب القدامى في الحرف. وإن ذلك لمِن أهمّ ما نسعى إليه اليوم.

الهوماش

١. من ذلك مثلاً: شرح ابن يعيش على مفصل الزّمخشريّ، وشرح الرّضي الأستراباذيّ على كافية ابن الحاجب.
٢. من ذلك مثلاً: معاني الحروف للرماني، ووصف المباني في شرح حروف المعاني للهالمي، والجني الدّاني في حروف المعاني للمرادي.
٣. استندنا في هذا التّصنيف الّذى أجريناه إلى ما أنسسه عبد القاهر الجرجاني، مع شيء من التعديل. فقد تطرق إمام البلاغة، في إطار نظرته في النّظم، إلى أشكال تعلق حروف المعاني وضرور التّركيب الّتي تميّزها. فذكر أنّ تعلق الحرف بالاسم وبالفعل يكون على ثلاثة أضرب: أحدها أن يتواتط بين الفعل والاسم، وثانيها أن يدخل الثاني في عمل العامل الأول، وثالثها تعلق بمجموع الجملة. انظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٥٩ - ٦٠.
٤. من البحوث الغريبة الّتي استشرت نتائج النّحو العرفاي في دراسة حروف التعديـة الإنـجليـزـية نـذـكـر:

Lapaire (Jean-Rémi) : Grammaire cognitive des prépositions : épistémologie et applications, Corela, [En ligne], HS-22 | 2017, mis en ligne le 31 août 2017, consulté le 05 septembre 2017. URL : <http://corela.revues.org/5003>

٥. من مظاهر قصور النّحو التقليديّ العربيّ في مقاربة الظواهر المشكّلة نذكر مثلاً اختلاف النّحاة في تصنيف بعض الكلمات ضمن أقسام الكلم الّتي وضعوها، ومن ذلك أيضاً عجز النّحاة والبلاغيـن (عبد القاهر الجرجاني والسّكاكـيـ) عن وضع قواعد صارمة تميـز مواطنـ الفصلـ من الوصلـ تميـزاً قاطعاً.
٦. أهمّ ما وجدنا من دراسات عرفاـية لظاهرة العطفـ فيـ العـربـيـةـ القـسـمـ الـذـيـ خـتـمـ بهـ عبدـ الجـبارـ بنـ غـربـيـةـ كتابـهـ: «ـمـدـخـلـ إـلـىـ النـحـوـ العـرـفـانـيـ»ـ،ـ حيثـ قدـمـ مـقـرـحاـ تـطـيـقـيـاـ يـتـعـلـقـ بـحـرـفـ الـوـاـوـ»ـ وـنـظـرـ فيـ تـراـوـحـ بـيـنـ الـعـطـفـ وـالـتـعـلـيقــ.ـ انـظـرـ:ـ عبدـ الجـبارـ بنـ غـربـيـةـ،ـ مـدـخـلـ إـلـىـ النـحـوـ العـرـفـانـيـ،ـ صـ ١٢٧ـ -ـ ١٣٨ـ.

٧. استندنا إلى هذا الكتاب في نسخته باللغة الأصلية الإنجليزية ومتربما بالعربية
 (ترجمة الأزهر الزناد).

٨. شاع تصور قبل النحو العرفاني أن المستويات التي تسهم في بناء المعنى منفصلة. ففصلوا بنيّة الكلمة عن بنيّة الجملة وعن المعجم وعن الدلالة، بل إنّهم قد فصلوا أيضاً بين هذه المستويات وما للمتكلّم والمخاطب من رصيد ثقافي ومعرفي. ومن ثمّ اعتبروا المعنى اللغوي منفصلاً عن المعنى غير اللغوي.

٩. نشير في هذا السياق إلى أن لانغacker نفسه كان في بداية مسيرته العلمية توليدياً ثمّ انقلب على مبادئ النحو التوليدي. انظر:

Fortis Jean-Michel. De la grammaire générative à la Grammaire Cognitive : origines et formation de la théorie de Ronald Langacker. In: Histoire Épistémologie Langage, tome 32, fascicule 2, 2010. Sciences du langage et psychologie à la 149-charnière des 19e et 20e siècles. pp. 109

١٠. عبد الجبار بن غريبة، مدخل إلى النحو العرفاني، ص ٣٧.

١١. العلاقة العملية: هي علاقة تطور خلال الزمن، وهي مركبة، بمعنى أن تجلّيها في كلّ مقطع زمني هو في حد ذاته علاقة.

١٢. العلاقة اللاعملية: هي علاقة بسيطة إذ تكمن في تشکّل يتجلّى كلياً في لحظة مفردة. وحتى إن استمررت خلال الزمن، فإنّ تطورها الزمني لا يكون أساسياً في توصيفها أو في التعرّف عليها. إنّها علاقة لازمية، أي إنّ تطورها خلال الزمن ليس مرتكز تبيير.

١٣. استند لانغacker في تصنيف المقولات إلى مفهوم الصورة المجردة أو الخطاطة، والخطاطة عبارة عن مثال مجرّد أو متصوّر يشتمل على عدد محدود جداً من الخصائص والتفاصيل.

١٤. المعرض: معرض عبارة ما هو ما يبرُر من حيث كان بؤرة الانتباه المخصوصة ضمن حدود المدى المباشر. ويمكن توصيف المعرض كذلك بكونه ما تتّصوّر عبارة ما على أنها مشيرة إليه أو دالة عليه ضمن حدود أساسها (أي مرجعها المفهومي)

١٥. عملية: يُعتمد مصطلح عملية للعلاقة المركبة التي تتطور خلال الزّمن المتصوّر وتكون مساحة تابعياً على امتداد هذا المحور. ويمكن للمضمنون نفسه أن يبني إما على أنه عملية أو علاقة لا عملية، حسب طريقة الاهتماء إليه من مسح تابع أو مسح محمل.

١٦. الإسمائي: تُشبه الإسمائيات الأسماء في أنها كونية وأساسية من زاوية نحوية. فالإسمائي، كالاسم، يعرض شيئاً وتميّز الإسمائيات من الأسماء بخصائص دلالية أخرى تتعلق بوظيفتها الخطابية والعرفانية. فالوظيفة الرئيسية للعناصر المعجمية (المقصود هنا هو الأسماء) وظيفة تصنيفية: إنها توفر، باعتبارها عبارات ثابتة، مخططاً قائماً لفهم العالم في ضوء مقولات قد أجيّزت ثقافياً على أنها ذات فائدة ومناسبة بحسبين. وفي مقابل ذلك، تكون الوظيفة الرئيسية للإسمائي وظيفة إحالية، فهو يوجّه الانتباه إلى شيء مخصوص. (ترسم همزة لفظ «إسمائي» قطعية نسبة إلى عملية الإسماء nominalization)

١٧. العينة المجدّرة: هي عينة لغوية خضعت إلى التجذير (Grounding). والتجذير مصطلح يستعمل في النحو العرفاني للإشارة إلى حدث الكلام وإلى المشاركين فيه (أي المتكلّم والمتقبل) وإلى التّفاعل الحاصل بينهما، وإلى كل ملابسات الحديث المباشرة (خاصّة منها زمان الكلام ومكانه). وعبر التجذير، تتحدد منزلة الشيء الذي يعرضه إسمائي ما (في حالة التجذير الاسمي) أو منزلة العملية التي يعرضها مركب جملي متّه (في حالة التجذير الجملي). ففي الحالة الأولى، يوجّه المتكلّم انتباه السّامع إلى المرجع المقصود في الخطاب الذي قد يُطابق فرداً حقيقياً وقد لا يطابقه. وفي الحالة الثانية، يُوضع التجذير الجملي العلاقة المعروضة باعتبار التّصور الجاري عند المتكلّم للواقع. وهكذا، يُقيم التجذير رابطاً أساسياً بين المخاطرين والمضمون المستحضر بإسمائي ما أو بمركب جملي متّه. فإذا لم يُجدّر هذا المضمون، لم يكن له موضع قابل للتمييز في عالمها الذهني وإنعدم اتصاله بوضعياتهما.

إذن، فالتجذير من ميزات أبنية كالإسمائيات والمركبات الجمليّة المتّهية. أي إن الإسمائي يعرض أنموذجاً متّجذراً من نوع الأشياء ويعرض المركب الجملي المتّهي أنموذجاً متّجذراً من نوع العمليّات.

المصادر والمراجع العربية والأجنبية

- الأستراباديّ، رضي الدين، شرح الكافية، بنغازى، جامعة قاريونس، ١٩٩٦ ط. ٢.
- بن غربية، عبد الجبار، مدخل إلى النحو العرفاني، مسكيليانى للنشر وكلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، ٢٠١٠.
- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز في علم المعاني، بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠٠٧.
- الرماني، أبو الحسن، معاني الحروف، صيدا- بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠٠٥.
- لانقاكر، رونالد، مدخل في النحو العرفي، ترجمة الأزهر الزناد، دار سيناترا للنشر ومعهد تونس للترجمة.
- المالقيّ، أحمد بن عبد النور، رصف المباني في شرح حروف المعاني، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، د.ت.
- المراديّ، الحسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢.
- ابن يعيش، موقف الدين، شرح المفصل، القاهرة، إدارة الطباعة المئيرية، د.ت.
- Fortis, Jean-Michel : De la grammaire générative à la Grammaire Cognitive : origines et formation de la théorie de Ronald Langacker. In : Histoire Épistémologie Langage, tome 32, fascicule 2, 2010. Sciences du langage et psychologie à la charnière des 19e et 20e siècles. pp. 109-149.
- Langacker, Roland W: Cognitive grammar: a basic introduction, Oxford university press, 2008.

- Lapaire, Jean-Rémi : Grammaire cognitive des prépositions : épistémologie et applications, Corela [En ligne], HS-22 | 2017, mis en ligne le 31 août 2017, consulté le 05 septembre 2017. URL : <http://corela.revues.org/5003>.

فلسفة الذهن

من مقاربة أفلاطون إلى الثورة الإدراكية

أ.د. الخامس مفید^(١)

ملخص

نسعى من خلال هذا العمل إلى معالجة إشكال قديم / حديث، يرتبط بطبيعة وكيفية بناء المعرفة عموماً والمعرفة اللغوية خاصة، إذ نتطرق إلى التصور الأفلاطوني للمعرفة والقاضي أن الماهيات أفكار، ومن تم فإنه يفترض أن الفكر واحد واللغات متعددة، ونخرج على المقاربة الأرسطية القائلة إن الأفكار ماهيات. ونشير إلى أن الفكر اللغوي العربي القديم، انقسم إلى موقفين: موقف السيرافي المنكر لوحدة الفكر، فالتفكير بالنسبة له متعدد بتعدد اللغات، وموقف ابن متى الرامي إلى وحدة الفكر وتعدد اللغات. ونتنقل لمقاربة الموضوع من وجهة نظر العلوم الإدراكية التي أضحت معها بالإمكان اكتشاف ما كان يعد صندوقاً أسود حسب زعم السلوكيين. وفي هذا السياق، يعتبر تشومسكي Chomsky وفودور Fodor أن الذهن يتالف من مجموعة من القواليب المستقلة والمتخصصة والتفاعلية في إطار بنية عام، ويختلف جاكندوف Jackendoff عن رفيقيه، فيحسبه كل الأنساق قالبية. وقد أدى تداخل العلوم الإدراكية (اللسانيات والفلسفة والذكاء الاصطناعي والإنسنة والحواسوب وعلم النفس) إلى ميلاد ثورة إدراكية سعت عن طريق تحالفها إلى تفسير طبيعة المعرفة البشرية والعمليات الحاسوبية التي يقوم بها الذهن / الدماغ.

الكلمات المفتاحية: الفكر، الجسد، المعرفة، العلوم المعرفية، القالية، الدماغ، الذهن.

١- أستاذ اللسانيات، جامعة شعيب الدكالي، كلية الآداب، الجديدة، المغرب.

Abstract

The objective of this paper is to answer a current/old problem related to the nature of human knowledge. Firstly, Plato's vision of unity of thought and multilingualism will be discussed. Then, al-Sirafi's concept which denies unity of thought and calls for the multiplicity of thought in multilingualism will be discussed. Afterwards, the topic will be approached from the perspective of cognitive sciences that made it possible to discover what behaviorists consider to be a black box. In this context, Chomsky and Fodor argue that the mind consists of a set of independent, specialized and interacting modularity among them, under what Jackendoff calls the conceptual structure. It will be shown that the alliance between cognitive sciences (e.g. linguistics, philosophy, artificial intelligence, anthropology, and computer) has contributed to a knowledge revolution which aims at explaining how the human brain/mind works.

Keywords: Body, knowledge, Cognitive Sciences, Modularity, Mind.

تقديم

نُهَدِّفُ مِنْ خَلَالْ هَذَا الْعَمَلِ مِقَارَبَةً إِشْكَالِ مَعْرِفِي قَدِيمٍ طُرِحَ فِي سِيَاقِ الْفَلْسَفَةِ الْهَلْبِلِيَّةِ أَسَاسَهُ طَبِيعَةُ الْمَعْرِفَةِ الْبَشَرِيَّةِ، فَمِنْذَ أَفْلَاطُونَ بَدأَ التَّسَاؤلُ عَنِ الْكَيْفِيَّةِ الَّتِي يَتَمْ بِهَا بَنَاءُ الْمَعْرِفَةِ الْبَشَرِيَّةِ / الْلُّغُوِيَّةِ خَلَالَ تَجْرِيَةٍ قَصِيرَةٍ، وَأَكْمَلَ الْمَوْضُوعَ تَلْمِيذَهُ أَرْسَطُوا الَّذِي لَمْ يَخْتَلِفْ مَعْهُ سَوْيَ فِي بَعْضِ التَّصُورَاتِ مِنْ قَبْلِ أَنَّ الْأَفْكَارَ مَاهِيَّاتٍ وَأَنَّ الْعَالَمَ يَتَشَكَّلُ مِنَ الْأَفْكَارِ. وَنَتْيَاجَةً ذِيَّوْعَ الْمَنْطَقِ الْأَرْسَطِيِّ فِي جَمِيعِ الْأَقْطَارِ الْعَرَبِيَّةِ، تَولَّدَ جَدَلٌ فَكِيرِيٌّ حَوْلَ عَلَاقَةِ النَّحْوِ بِالْمَنْطَقِ، وَتَجَسَّدَتْ هَذِهِ الْعَلَاقَةُ مِنْ خَلَالِ الْمَنَاظِرَ الَّتِي جَرَتْ بَيْنَ السِّيرَافِيِّ وَابْنِ مَتَّى وَالْوَارِدَةِ فِي إِمْتَاعِ التَّوْحِيدِيِّ. وَخَلَالَ ذَلِكَ، نَلَاحَظُ أَنَّ الْفَلْسَفَةِ الْدِيْكَارِيَّةِ كَانَ لَهَا تَصُورٌ آخَرُ لِلإِنْسَانِ مِنْ خَلَالِ نَظَرِيَّةِ الْمِيكَانِيَّكَا الرَّامِيَّةِ إِلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ : عَقْلٌ / جَسْدٌ.

وَفِي سِيَاقِ الْثُّوَرَةِ الإِدْرَاكِيَّةِ، وَبِفَعْلِ التَّطَوُّرِ الَّذِي عَرَفَهُ عِلْمُ النَّفْسِ وَالْذَّكَاءِ الْاَصْطَنَاعِيِّ وَعِلْمُ الْأَعْصَابِ وَاللُّسَانِيَّاتِ وَالْإِنْسَانَةِ وَالْفَلْسَفَةِ، سَعَى تَشْوِمْسُكِيَّ مِنْ أَعْمَالِهِ الْأُولَى إِلَى إِعَادَةِ صِياغَةِ سُؤَالِ الْمَعْرِفَةِ الْأَفْلَاطُونِيِّ مَتَأثِّراً بِالْفَكَرِ الْدِيْكَارِيِّ فِي مَسَأَلَةِ الإِبْدَاعِيَّةِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَتَبَيَّنَ التَّقْسِيمُ الثَّانِيِّ، بَلْ دَافَعَ عَنِ النَّزَعَةِ الْأَحَادِيَّةِ مِنْ خَلَالِ تَفْكِيِّكِهِ لِمَقَارَبَةِ أَفْلَاطُونَ الإِدْرَاكِيَّةِ إِلَى مَقَارَبَةِ مَنْطَقِيَّةِ وَنَفْسِيَّةِ.

وَيَذَهَّبُ فُودُورُ (١٩٨٣) إِلَى أَنَّ الْذَّهَنَ / الدَّمَاغَ الْبَشَرِيِّ قَوَالِبَ مُسْتَقْلَةٍ وَمُتَفَاعِلَةٍ فِيهَا بَيْنَهَا، بِمَعْنَى أَنَّ كُلَّ قَالِبٍ مِنْ قَوَالِبِ الْذَّهَنِ مُخَصَّصٌ لِمَعَالِجَةِ مَعْلُومَاتٍ مُحَدَّدةٍ، وَيُرَى أَنَّ هُنَاكَ قَوَالِبَ دُخُلَ قَالِبِيَّةٍ وَآخَرِيَّةٍ مُرْكَبَةٍ غَيْرَ قَالِبِيَّةِ. أَمَّا جَاكِنْدُوفُ، فَيُعَتَّبُ أَنَّ كُلَّ الْأَنْسَاقِ الإِدْرَاكِيَّةِ قَالِبِيَّةٍ. وَنَتْيَاجَةً الْازْدَهَارِ الَّذِي شَهَدَهُ عِلْمُ النَّفْسِ وَعِلْمُ الْأَعْصَابِ وَاللُّسَانِيَّاتِ وَتَرَاجُعُ مَكَانَةِ الْذَّكَاءِ الْاَصْطَنَاعِيِّ لِصَالِحِ عِلْمِ الْأَعْصَابِ، بَرَزَ إِلَى الْوُجُودِ عِلْمٌ إِدْرَاكِيٌّ يَحْويُ جَلَّةً مِنَ الْعِلُومِ، تَسْعَى جَلَّهَا إِلَى الْبَحْثِ فِي السِّيرَورَاتِ الْمَعْرِفِيَّةِ لَاشتِغالِ الْذَّهَنِ / الدَّمَاغِ.

وَمَعَالِجَةُ هَذَا الْمَوْضُوعِ، نَنْطَلِقُ مِنِ الْأَسْئَلَةِ وَالْإِشْكَالَاتِ التَّالِيَّةِ:

- ما معنى المعرفة وطبيعتها وهندستها؟

- هل يمكن رد الأنشطة التي يقوم بها الذهن / الدماغ إلى الخصائص الفيزيائية للدماغ؟
- هل يمكن أن نسب إلى آلة تحكمها قوانين فيزيائية حالات ذهنية؟
- إلى أي حد أسممت وحدة العلوم الإدراكية في فهم طبيعة الذهن / الدماغ؟

١. التصور الأفلاطوني للمعرفة: الماهيات أفكار تُشكل العالم

لن ندخل في تفاصيل نظرية المعرفة عند أفلاطون، فالمقام لا يتسع لذلك. لهذا سنتوقف عند نقطة أساسية عرض لها أفلاطون في محاورة مينون لها علاقة بال موضوع قيد المعالجة. فأفلاطون يرى أن المعرفة عبارة عن مملكة من الملوك البشرية، يحدد موضوعها في الوجود، فالنسبة إليه هي القوى التي تتيح للفرد فعل ما يمكن فعله، وقد عَدَ البصر والسمع ملكتين^(١). ويربط سocrates في محاورة مينون المعرفة بالتذكر، وهذا ما جعله يتفضّل رافضاً هذا المذهب، معتبراً أن ربطها بالتذكر مجرد سفسطة كلامية.

ولكي يجسم أفلاطون الجدل الفلسفى المرتبط بطبيعة المعرفة، أقدم على تجربة بعدها إدراكي / نفسى، تتعلق بطرح أسئلة لها علاقة بالهندسة على العبد. فما حصل هو أن العبد أجاب عن جميع الأسئلة التي طرحت عليه علماً أنه لم يسبق له أن تلقى أي معرفة سابقة عن هذا العلم، فسocrates لم يكن يقدم معلومات إلى العبد، لكنه كان يثير ملكاته الذهنية الداخلية التي كانت تقود إلى تعرف المبرهنات الهندسية^(٢). ويمكن طرح جملة من الأسئلة والإشكالات المتصلة بمقاربة أفلاطون الإدراكية، نوردها على النحو التالي:

- لماذا يعرف الفرد هذا الكم الهائل من المعرفة رغم قصر تجربته؟
- كيف يستطيع الطفل أن يتبع عدداً لا متناهياً من الجمل لم يسبق له أن سمعها من قبل؟
- هل مصدر المعرفة / اللغوية الذهن أم العالم الخارجي؟

يُحِبْ تشومسكي عن مقاربة أفلاطون من خلال تقسيمها إلى مقاربتين: الأولى منطقية تهم اكتساب المعرفة، والثانية نفسية تختص اكتساب اللغة. وتبلورت المقاربة الأولى من خلال التساؤل عن الكيفية التي يكتسب بها الطفل هذا النظام المعقّد والغني في تجربة قصيرة، سُمِّيت في الأدبيات اللسانية الحديثة بـ«فقر المنبه»؛ أما المقاربة النفسية، فتبحث في المراحل الزمنية للاكتساب اللغوي عند الطفل، أي كيف يستطيع الطفل اكتساب لغته الأم؟

يبدو لنا من خلال مقاربة أفلاطون الإدراكية أنه ينظر إلى علاقة اللغة بالتفكير على أن الفكر واحد واللغات متعددة، وقد تبعه تلميذه أرسطو الذي ستطرق فيما يلي إلى تصوره الرامي إلى أن الأفكار ماهيات يتشكل منها العالم.

٢. التصور الأرسطي للمعرفة: الأفكار ماهيات لتشكيل العالم

أقام أرسطو المعرفة على الملاحظة وفهم علة وجود الأشياء كما توجد، وقد اهتم اهتماماً بالغاً بطبيعة الوجود وفق تصور نسقي لم يسبقها مثيل. ولتفسير وجوده، عمل على تبني النظريات العامية التي استخدمها أفلاطون وال فلاسفة قبل أرسطو، ونعني بها نظريات قابلية إدراك العالم ومعرفته. ويسلّم أرسطو بأن جميع الموجودات عبارة عن أمثلة لأنواع أعم من الأشياء، تقع في درجة مقوله الوجود الشاملة لكل شيء. وبهذا تكون نظرته إلى العالم كبنية مقولية تخضع لسلمية رأسها مقوله الوجود.

يذهب أرسطو مذهب أفلاطون إلى أن كل شيء له ماهية تجعل منه ذلك الشيء، وهذه علة سلوكه الطبيعي، ويفترض أن كل مقوله في سلمية الوجود لها ماهية، ويعتقد أن الماهيات أشياء خاصة في العالم تشكل مقوله الماهيات، وهذه الأخيرة لها مقوله ماهية - ماهية الماهية.

ويختلف أرسطو عن أستاذه في التصورات الفلسفية التالية:

- أرسطو: الأفكار ماهيات.
- أفلاطون: الماهيات أفكار.

وبهذا يكون المنظور الفلسفى لدى أرسطو وأفلاطون، هو:

- أرسطو: الأفكار ماهيات = منظور فلسفى مادى.

- أفلاطون: الماهيات أفكار = منظور فلسفى مثالى.

وبالنسبة إلى أفلاطون، تكمن الحقيقة في الأفكار التي تعد ماهيات للأشياء. أما أرسطو فيرى أن الماهيات توجد فقط في الأشياء التي تعدّ ماهيات لها. ويتفق مع أفلاطون في أنه لا يوجد أي فصل بين الذهن والعالم، لكنهما يختلفان في مسألة بناء العالم، ونصوغ هذا الاختلاف على النحو التالي:

- لدى أرسطو: العالم يتشكل من الأفكار.

- لدى أفلاطون: الأفكار تتشكل من العالم.

يرى أرسطو أن الأفكار ماهيات هي الوسيلة المثلث لتفسير قابلية إدراك العالم وتعريفه، وأن ما يوجد في الذهن يتوقف على ما يوجد في العالم. فالمنطق بحسبه هو منطق العالم، وفي نظره ليس قضية مجردة، بل جزءاً من العالم وشاهداً في الفضاء والزمن والأشياء. وبالتالي، هناك عقل للعالم، والماهيات حسب الفهم الأرسطي جزءٌ من العالم. وعليه، فإن الصور ينبغي أن تكون في العالم، أي أن الماهيات صور، وبعبارة أخرى فإن إدراك شيء ما هو استدماج صورته في ذهن الفرد لكي تتحقق هذه الصورة في الذهن^(٣).

وإذا كان أرسطو قد ربط الأفكار بالماهيات، وافتراض أن العالم يتشكل منها، وأن المنطق هو منطق العالم، فإلى أي حد استطاع منطقه أن ينفذ إلى الفكر العربي القديم؟ وفي هذا السياق، نتطرق إلى هذا التأثير من خلال المناقضة التي جمعت السيرافي بابن متّى. ويبدو لنا بحسب المناقضة أن الفكر اللغوي العربي القديم، انشطر إلى فريقين في سياق نقاشهم لعلاقة اللغة بالمنطق، أي علاقة الفكر باللغة. فهناك فريق من النحاة والمفكرين يقول بوحدة الفكر، أمثال الفارابي وابن خلدون وابن سينا وآخرين؛ وفريق آخر يدافع عن فكرة تعدد الفكر بتنوع اللغات، بمعنى أن الفكر اليوناني يوافق اللغة اليونانية والفكر العربي يوافق اللغة العربية، وهذا موقف النحوي والفقهي السيرافي.

٣. التأثير الأرسطي في الفكر اللغوي العربي القديم

١.٣. جدل اللغة والفكر من خلال مناظرة السيرافي وابن متّى

عرض بجدل النحو والمنطق، انطلاقاً من المنازرة التي دارت بين السيرافي وابن متّى في مجلس الوزير الفضل بن جعفر سنة (٣٢٦هـ)، وحضر هذه المنازرة جماعة من الأدباء والنقاد والشعراء وكبار القوم^(٤)، وأُجبر السيرافي من بين آخرين على مناظرة ابن متّى، فالاول فقيه ونحوي، والثاني عالم بالمنطق الأرسطي. وانصب الجدل حول علاقة النحو بالمنطق، بدليل أن المنطق يمثل الفكر. وفي هذا المقام، يقول ابن متّى معرفاً المنطق: «لا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل والصدق من الكذب والخير من الشر والحججة من الشبهة والشك من اليقين إلا بما حويته من المنطق»^(٥). يستفاد من كلامه هذا أن السبيل الوحيد إلى المعرفة هو المنطق، لكن هذا لا يروق السيرافي، ليرد قائلاً: «معرفة صحيح الكلام من سقيمه يُعرف بالنظم المألوف والإعراب المعروف»^(٦).

يرى السيرافي أن صحيح الكلام من فاسده يحدد النحو وليس المنطق كما يرى ابن متّى، فمما رأيته كانت منصبة على نقطة أساسية هي تأكيد المضمون المنطقي للنحو العربي، وبالتالي، إبطال ادعاء المناطقة بأن النحو شيء والمنطق شيء آخر. فالاول يبحث في اللفظ والثاني منشغل بالمعنى. ولتأكيد منطقية النحو العربي يقول السيرافي: «النحو منطق مسلوخ من العربية والمنطق نحو العربية»^(٧). ومعنى كلامه أن لكل لغة منطقها الخاص بها ولا يمكن إسقاط المنطق اليوناني على المنطق العربي. بصيغة أخرى، فهو يرى أن الفكر متعدد بتنوع اللغات، فالتفكير العربي تمثله اللغة العربية والتفكير اليوناني يصلح للغة اليونانية، وبهذا يكون السيرافي من المنكريين لوحدة الفكر وتعدد اللغات المتبناة في الفكر الهيليني من لدن أفلاطون وأرسطو. ويؤكد هذا الكلام ما ورد في المنازرة حيث يقول: «إذا كان المنطق وضعه رجل من اليونان على لغة أهلها واصطلاحهم عليها وما يتعارفونه من رسومها وصفاتها فمن أين يلزم الترك والهند والفرس والعرب أن ينظروا فيه ويتخذوه قاضياً وحكمها لهم وعليهم»، ويدقق موقفه قائلاً: «الناس عقوفهم مختلفة»^(٨).

ويواصل السيرافي هجومه على ابن متّى في معقله من خلال بعض الظواهر

النحوية التي يمكن أن ينظر إليها بمنظار المنطق كحرف «الواو» ومعانٍ نحوية والصيغ التي يجوز فيها استعمال «أفعَل» للتفضيل. لكن ابن متّى لا يرى أي فرق منطقي بين الجملتين التاليتين:

(١) أ. زيد أفضل إخوه

ب. زيد أفضل إخوته

عد ابن متّى الإضافة مقولة منطقية، أما السيرافي فميز بين القولين فالبنية (١، أ) بنية لاحنة، لأنّه يفهم الإضافة فهما آخر؛ فابن متّى يتصرّف المعنى المنطقي لمقوله الإضافة من خلال مفهوم الأخوة، أما السيرافي فيفهم منها معنى النسبة، أي نسبة زيد إلى إخوته وجعله واحداً منهم^(٩).

لقد تركت مناظرة السيرافي وابن متّى نتائج معرفية امتدت لفترة زمنية معينة، مفادها عدم إخضاع المنطق اليوناني للنحو العربي، فرغم أن نتيجة المناظرة انتهت لصالح السيرافي بدليل قوله: «لو نشرت أنا أيضاً عليك مسائل من المنطق لكان حالك كحال»^(١٠). يبدو لنا من خلال المناظرة أنّ الحوار كان عنيفاً ومخلاً بآداب الحوار ومدعوماً من الوزير الفضل بن جعفر، فهو الفضل الإيديولوجي يتماشى وهو السيرافي بخصوص رفض المنطق اليوناني، والدليل واضح من خلال إشارات التحرير والتبييض من مكانة المنطقي ابن متّى، كما في:

(٢) أ. وأنت تجهل حرفاً في العربية

ب. إنما بودكم أن تشغلوا جاهلاً

ج. خرافات وترهات

ودليل دعم وتحيز الفضل بن جعفر للسيرافي، واضح من خلال الأمثلة التالية:

(٣) أ. لقد جل علم النحو عندي

ب. سله يا أبا سعيد عن مسألة أخرى

ج. أيها الشيخ أجبه بالبيان

إن غايتنا ليس المناظرة في حد ذاتها، بل النتائج التي ترتب عليها، وأكثر ما يهمنا

من هذا هو معرفة الكيفية التي فهم بها النحاة وال فلاسفة والمفكرون العرب القدامى علاقه النحو بالمنطق، وقد تبين لنا أن السيرافي يتبنى فكرة تعدد المنطق بتنوع اللغات. وإذا كان هذا حال الماناظرة رغم غياب المواصفات العلمية فيها، فدافعاً سياسياً الغاية منه دحض المنطق اليوناني لأسباب قومية وإيديولوجية. فكيف فهم الجرجاني هذه العلاقة من خلال إعجازه؟

٢.٣. الجرجاني: الفكر تابع لمعانى النحو

يؤكد الجرجاني من خلال إعجازه أن الفكر لا يمكن بيانه إلا إذا تم ربطه بمعانى النحو، إذ لا يمكن أن نتصور بأي حال من الأحوال تعلق الفكر بمعنى الكلم بمعزل عن معانى النحو، إذ لا يعقل أن يتذكر مفكراً في « فعل » من غير ربطه بـ « اسم » والعكس صحيح. فالتفكير لا يرتبط بمعنى الكلم المفردة، لكن قد يتصل بها مجردة من المعانى النحوية، أي أن الفكر تابع لمعانى النحو ولا ينبغي له أن ينجز أى مهمة إلا ما ي مليئه عليه النحو. ودليله في ذلك أن الشاعر لما يريد أن ينظم في غرض من الأغراض، يكون فكّر في معانى أنفس الكلم، غير أن المعانى الكامنة في النفس لا تتحقق إلا إذا كانت الغاية منها إظهار معانى النحو، ويوضح الجرجاني تعلق الفكر بمعانى النحو من خلال بيت بشار التالي:

(٤) كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

يرى الجرجاني أن بشاراً لا يعقل أن يكون قد نظم معانى هذا البيت دون أن تخطر على باله معانى النحو، ففي نظره لا يمكن التفكير في « مُثار النقع » من غير أن يكون لبشار نية إضافة الأولى إلى الثانية ومن دون أن يكون قد فكر في « فوق رؤوسنا »، أي أن يضيف « فوق » إلى « رؤوسنا »، وهكذا يتصور الجرجاني نظم الكلام.

لا يتحقق معنى الكلمة حسب نظم الجرجاني إلا إذا تعلقت بمعنى كلمة أخرى، فالمقصود أن تعلم السامع شيئاً لا يعرفه، مثل:

(٥) دخل محمد

في نظره لا يمكن أن تخبر السامع بمعنى دخل بمعزل عن معنى محمد، بل لا بد من تعلقهما لتحقيق النظم النحوي^(١١).

نستنتج من خلال ما سبق أن الجرجاني يتصر من خلال نظمه للنحو على حساب المنطق، حيث يعُد الفكر تابعاً للنحو، ولا يمكن تصوّر معانٍ الكلم بمعزل عن معانٍ النحو، فالتفكير لا يظهر إلا من خلال معانٍ النحو وبهذا يكون قد نحا منحى السيرافي، فالتفكير عندهما متعدد بتنوع اللغات، فلكل لغة منطقها الخاص بها. وعمل الفارابي العارف بالمنطق والمرجع في عدد من اللغات على تفصيل هذه العلاقة من خلال «كتاب الحروف» الذي بين فيه أن موضع النحو مختلف عن المنطق، لكن هذا لا يعني وجود قطعية بين العلمين.

٣.٣. الفارابي يحدد موضع النحو والمنطق

عمل الفارابي من خلال حروفيه على الإجابة عن الأسئلة التي كان يطرحها السيرافي على ابن متّى في الماظنة، حيث دحض ما زعمه بأن المنطقين لا يصرّفون عن اهتمامهم إلى اللغة التي يتحاورون بها ويدرسون أصحابهم بمفهوم أهلها، فأجاب عن سؤال مركزي يهمّ صلة الشكل اللفظي بالمعنى العقلي^(١٢).

يعتبر الفارابي النحو خاصاً لكونه يرتبط باللغة واللغات متعددة. وبالتالي، فلكل لغة نحوها الخاص بها؛ أما المنطق فعام لأنّه يرتبط بالعقل والعقل واحد لدى جميع البشر. فعلم النحو له قوانين تخصّ الفاظ أمة معينة، أما المنطق فقوانينه مشتركة تعمّ أفالاظ الأمم كلها، بمبرر أنّ في كل لغة أحوالاً تقاسمها مع لغات الأمم الأخرى، مثل «الفعل، الاسم، الأداة»، وهناك أحوال تخصّ لساناً بعينه، كرفع الفاعل في اللسان العربي. وبهذا يكون مجال اهتمام النحو أحوال الفاظ لغة محددة كالعربية، أما المنطق فعام يهمّ الفاظ سائر اللغات، فالالفاظ بحسب الفارابي مجال اهتمام المنطق والنحو. وبالتالي، فهي عمل مشترك بين السيرافي وابن متّى.

يؤكد الفارابي أنّ اللغة المنطقية الخاصة بالأحوال العامة للأفالاظ لغة ما، لا يمكن أن تؤخذ من اللغة النحوية إذا كانت هذه اللغة قد نشأ المنطق فيها أول مرة، أما إذا كان المنطق سينتقل إليها من لغة أخرى فلا بد من التعبير عن تلك الأحوال العامة، أي المعانٍ المنطقية بما يناسبها من ألفاظ اللغة المنقول إليها. وبهذا يكون الفارابي قد وضع موضع النحو والمنطق، فهو يخالف السيرافي ويتفق ضمنياً مع وحدة الفكر الأفلاطونية^(١٣).

وفي السياق نفسه، يؤكد ابن سينا في النجاة على منفعة المنطق، قائلًا: «بأنه الصناعة التي نعرف بها الحد الصحيح والقياس الصحيح. وب بواسطته تعرف عن أي صورة ومادة يكون الحد الفاسد، وعن أي صورة ومادة يكون القياس الفاسد، فهذه قائدة المنطق». ويواصل كلامه قائلًا: «بأنه لا شيء من الفطرة الإنسانية بمستغنى في استعمال الروية عن التقدم بإعداد هذه الآلة»^(١٤).

يبدو أن معرفة الحقيقة والوصول إلى البرهان لا يتأتى في نظر ابن سينا إلا من خلال المنطق الذي نعرف به الصحيح من الفاسد، ويدركنا هذا الكلام بتعریف ابن متى للمنطق في أثناء المراقبة، فابن سينا يتصرل للمنطق شأنه شأن الفارابي. وإذا كان هذا تصور الفكر اللغوي العربي القديم الذي مثلنا له بمناظرة السيرافي والجرجاني والفارابي لعلاقة النحو بالمنطق، فإن فلسفة ديكارت، تنظر إلى الإنسان على أنه جسد وروح.

٤. التصور الديكارتي الثنائي للإنسان: العقل مقابل الجسد

يعد ديكارت من المفكرين الأوائل الذين لاحظوا تميز الكائن البشري بالإبداع اللغوي في استعماله العادي للغة، فاللغة من المنظور الديكارتي أداة للتعبير عن الفكر، وفي إطار جوابه عن مشكل الأذهان الأخرى، أي كيف نعرف أن أفراد الجنس البشري يملكون ذهناً ماثلاً للذى نملك؟ والجواب غير المباشر أنهم قادرون على تأويل وفهم ما نقول.

لقد واجه ديكارت حزمة من المشاكل الفلسفية، أبرزها مشكلة العقل والجسد^(١٥)، وتبعاً لميكانيكا الاتصال التي كانت بالنسبة إليه إطاراً نظرياً لتفسير كل الظواهر، أي أن القوة المحركة للأجسام تتوجه عن اتصال بعضها البعض. وفي سياق معرفة طبيعة العقل البشري، كان لزاماً عليه أن يفصل أنطولوجياً ومنهجياً دراسة العقل عن دراسة الجسد، إذ اعتبر الجسد مادة محضة في الفضاء، يمكن تطبيق ميكانيكا الاتصال عليها، في حين اعتبر العقل جوهراً مستقلاً مصدراً هبة إلهية. لذا، لا يمكن دراسته علمياً في إطار نظرية ميكانيكا الاتصال^(١٦).

يتصور ديكارت العقل والجسد ذاتين من نمطين مختلفين جوهرياً رغم تفاعಲهما، فخاصية العقل هي التفكير والوعي والانخراط في أنشطة علمية، أما الجسد فله خاصية أساس هي وجوده في المكان. وبحسبه فالإنسان كائن مركب من عقل وجسد وأن العقول مختلفة عن الأجسام، وتجدر الإشارة إلى أن الجسد والعقل بينهما تفاعل، بمعنى أن الجسد يؤثر في العقل والعكس صحيح^(١٧). فالشعور بالعطش مثلاً فعل غير ميكانيكي يتولد عنه فعل ميكانيكي هو مد اليد إلى كوب الماء^(١٨). وقد استمر المشكل الديكارتي لسنوات عديدة، لكن ميلاد علم الإدراك في سياق الثورة الإدراكية، منح قضية الجسد والعقل تصوراً آخر، تعرف عليه من خلال ثنائية الذهن/ الدماغ التي تعد الإشكال القاعدي للنزعة الإدراكية.

٥. ثنائية الذهن/ الدماغ من خلال النزعة الإدراكية

يذهب رواد التراث الكلاسيكي الوارد في فلسفة ديكارت إلى أن الإنسان عقل وجسد، فيؤكد أن الذهن والجسد يمثلان ذاتين من طبيعة مختلفة، فالذهن كيان غير فيزيائي والجسد كيان فيزيائي، غير أن المدافعين عن النزعة الإدراكية يرفضون هذا التقسيم ويخاصمونه. يجاجج تشوسمski تيار النزعة الثنائية قائلاً: «عندما أستعمل حدوداً بين «ذهن» و«تمثيل ذهني» و«حساب ذهني»، فإني أكون بقصد الحديث عن التخصيص المجرد لسمات بعض الإدارات الفيزيائية التي مازالت مجهلة كلياً تقريباً». ويؤكد في موضع آخر أنه يجب دراسة الملكات الذهنية في مستوى معين من التجريد، ويوافق استدلاله على أن مملكة اللغة إلى جانب باقي الملكات الإدراكية أعضاء ذهنية تنمو وتتطور شأنها شأن باقي الأعضاء كالقلب واليد، ويبدو من خلال كلام تشوسمski أنه لا يوجد أي خط فاصل بين الأعضاء الفيزيائية والملكات الإدراكية/ الذهنية.

عمل تشوسمski على إقامة تمييز بين بنيات الدماغ الفيزيائية وبنيات الذهن المجردة، إذ يرى أن معرفة اللغة/ النحو، يمكن أن تخصص في المستوى المجرد وفي المستوى الملموس، ويمكن للحالتين قبل اكتساب اللغة/ بعد اكتساب اللغة، أن تخصصاً على نحو غير مفهومي بواسطة علوم الدماغ في صيغة بنيات فيزيائية.

يتبين لنا أن النزعة الإدراكية التي قادها تشو مسكي أواخر خمسينيات القرن الماضي لا ت نحو منحى التراث الكلاسيكي الذي يفصل الذهن عن الجسد، بل ترى أنها شيء واحد. وبصيغة أخرى، فالعلاقة القائمة بين الذهن والدماغ هي نفسها العلاقة التي تربط الحاسوب من حيث إنه نسق لمعالجة المعلومات^(١٩). وعمل لايكوف Lakoff وجونسون Johnson في سياق تطور العلوم الإدراكية ومعها اللسانيات الإدراكية على إعادة إحياء الجسد وعدده فلسفة جديدة من خلال منحه دوراً رياضياً في بناء المعرفة، وفق تصوّر استعاري للغة، ويعرف هذا بالذهن المحسّد.

٤. في إحياء الجسد: نحو ذهن مُجسّد

يذهب التقليد الكلاسيكي الغربي إلى أن الذهن مستقل عن الإدراك والحركة الجسدية، إذ ينظر إلى القدرة النفسية على أنها مستقلة، وبهذا المعيار يمكن تمييز الإنسان عن الحيوان، ويرى الإدراكيون أن غياب استقلال الذهن عن الجسد من شأنه أن يؤدي إلى غياب التفرد الفلسفية بين البشر وباقى الكائنات لن يكون واضحاً. وقد تبلور هذا التصور قبل ظهور النظرية التطورية التي أكدت أن القدرات البشرية تنشأ من القدرات الحيوانية.

ومنذ متصف السبعينيات ونهايتها، بدأ يظهر بحث تجاري حول الجسد، دعا إلى التخلّي عن افتراضات التقليد الفلسفـي الغربي، وذلك عن طريق تبني نوعين من الحجـج والبراهـين، وهما:

- الارتباط القوي للتصورات والفكير والذهن بالجسم.
 - مركبة سيرورة التخييل، خاصة الاستعارة، التصوير، الكنایة، الفضاءات الذهنية.....الخ.

ومن النتائج التجريبية التي تم التوصل إليها من قبل الجيل الثاني من الإدراكيين، أن البنية التصورية تنشأ من خلال تجربتنا الحسية الحركية ومن البنيات العصبية التي تحدتها وأن البنيات الذهنية تبني داخلياً عن طريق ارتباطها بأجسادنا وتجربتنا المحسدة. بالإضافة إلى ذلك فأدمغتنا مبنية بطريقة تجعلها تسقط نهادج التشخيص من

المناطق الحسية الحركية على المناطق القشرية العليا، وأن الذهن / التفكير مُتجسد، أي أن أشكالنا الأساسية في الاستنتاج تبني من خلال الشكل الاستنتاجي الحسي / الحركي، وأن أشكال الاستنتاج الأخرى مؤسسة على الجسد. وارتباطاً بهذا، يبدو أن الذهن / التفكير التخييلي ييلور أشكاله الاستنتاجية بواسطة الجسد وبالاعتماد على صيغ مجردة للاستنتاج بواسطة الاستعارة.

تؤكد النتائج السابقة الدور المركزي لفهمنا للمجسد في كل مظاهر المعنى وفي بنية الفكر ومحتواه، فالمعنى يرتبط بطرق اشتغالنا بشكل دال في العالم، وهي الوسيلة التي ينشأ من خلالها عبر بيانات الجسدنة والتخييلية^(٢٠). وإذا كان هذا تصوّر لايكوف وجونسون لطبيعة المعرفة وبناء المعنى، فكيف تصوّر تشومسكي وفودور وجاكندوف والقائلين بالقدرة التواصلية.

٧. التصور القاليبي للذهن / الدماغ: من تشومسكي إلى جاكندوف

١.٧. التصور القاليبي عند تشومسكي

يُقصد بالقاليبية مجموعة القدرات الذهنية المستقلة والمترادفة، فلكل نسق من هذه الأنماط الفرعية بنيتها ومبادئها الخاصة، فهي فرضية تبحث في بنية الذهن / الدماغ بأكمله متتجاوزة اللغة. ويستمد التصور القاليبي قوته من البيولوجيا وعلم النفس الإدراكي وتطور الحاسوب، حيث لوحظ أنه يضم خوارزمات مستقلة ومترادفة داخل نظام المعالجة الحاسوبية. وقد أسقط تشومسكي النموذج القاليبي في بعده الشامل لبنيّة الذهن / الدماغ عن بنية النحو التي يعبرها بنية إدراكية، وبهذا التصور يصبح النحو مكوناً من قوالب جزئية مستقلة ومترادفة في الآن نفسه، ولكل نسق من هذه الأنماط النحوية بنياته ومبادئه التي تميزه، فهناك القالب الإعرابي والقالب المحوري والقالب العامل^(٢١).

ورغم الانتشار والقبول الذي عرفته القاليبية في حقول إدراكية متعددة ومتعددة، فإنها لم تسلم من انتقادات السلوكيين التجربيين الذين ربطوا المعرفة بتعزيز المنهج، فهي في نظرهم يتم اكتسابها بناء على منبهات خارجية. ويرد تشومسكي عن تعزيز

المبه بحججة فقر المنه، فعملية اكتساب المعرفة في نظره تتحقق من خلال الاستعدادات الفطرية الكلية التي تجد أساسها في بنية الذهن / الدماغ ودور التجربة في عملية الاكتساب منحصرًا في تحديد الشكل الذي تظهر به المبادئ الكلية، فتفاعل النحو الكلي مع تجربة معينة يحصل المتكلم على نحو خاص^(٢٢).

٢.٧. التصور القاليبي لدى فودور

يذهب جيري فودور Jerry Fodor (١٩٨٣) في أثناء حديثه عن قالية الذهنية من خلال كتابه الرائد في هذا المجال «قالية الذهن» إلى أن الطفل يملك لغة للفكر قبل أن يشرع في اكتساب اللغة الأم، ولكي يكتسب الطفل الكلمات اللغوية، عليه أن يكون مالكاً للغة الفكر التي تمكنه من تمثيل هذه الكلمات، ولللغة التمثيل الداخلي مبادئ تختلف عن مبادئ اللغة الطبيعية، ويؤكد فودور أن الفرد لا يمكنه أن يتعلم اللغة الأم إلا إذا كان مالكاً لغة الفكر، فهذه اللغة تُعرف ولا تُتعلم.

يرى فودور أن البنية الذهنية تتألف من أربعة حسابات ذهنية، منها ما يرتبط بالبنية الذهنية مقابل البنية الإدراكية، ثم الهندسة الوظيفية للبنية الذهنية وعلاقة هذه الهندسة بالملكات الذهنية، دون أن ننسى القدرة النفسية^(٢٣). وتستمد فرضية فودور قوتها من نتائج علم النفس الإدراكي القاضية استعارياً بأن الذهن حاسوب، فقد بينت عدة أبحاث أن للآلات الحاسبة لغة الدخول / الخروج، أي اللغة التي تتوافق بها مع الآلات ولغة آلية تستعملها الآلات لخوبية لغة الدخول^(٢٤).

اعتبر فودور أن الذهن قائم على نمطين مختلفين من الأسواق الإدراكية. فهناك أسواق الدخول، أي العمليات القالية التي تهم نسقيّ الإدراك البصري والإدراك اللغوي، اللذان يعرضان العالم على الفكر؛ ثم الأسواق المركزية الممثلة في العمليات غير القالية التي تقارن بين التمثيلات وتثبت المعتقدات العلمية. وتحتاج أسواق الدخول بمجموعة من الخصائص نورده بعض منها على النحو التالي:

أ- الإلزامية: تعني أن متكلم اللغة العربية ليس حرًا في أن يتمتنع عن معالجة المعلومات التي تصله.

ب- السرعة: تتصف عمليات الدخول بالسرعة في مردوديتها الحسابية مقارنة بالبطء النسبي للعمليات المركزية.

ج. خصوصية المجال: بمعنى معالجة مجال منبهي معين وعدم صلاحيتها لمعالجة آخر، مثل: قالب الإدراك اللغوي.

د. المنع من حيث المعلومة: فالأصوات العربية، مثلاً، لا يمكن أن تعالجها إلا الأنساق المتخصصة في تعرف الأصوات^(٢٥).

وبتبني فرضية أن الذهن حاسوب، يبدو أن الحل الذي يصدق على الحاسوب يصدق على الذهن/ الدماغ، فإذا كان للآلات لغة آلية فإن للإنسان لغة الفكر. وسنبحث في الفقرة الآتية مدى صلاحية هذا الافتراض لتفسير اكتساب التعلم عند الطفل.

١.٢.٧. القالية واكتساب التعلم

يتصور فودور أن التعلم لا يتم عن طريق الاتساب كما يفهمه بياجي^(٢٦)، ففي نظره لا يتعلم الطفل إلا ما يقبل الترجمة في لغة الفكر، ومعنى هذا أن الأشياء معطاة سلفاً. فتعلم الطفل لكلمة «مريض» لا يتحقق إلا إذا كان له تمثيل عن هذه الكلمة في لغة الفكر، كأن يكون مالكاً للتصورات التالية عن كلمة مريض: «كئيب، شاحب اللون، ضعيف الشهية،...الخ».

وينظر فودور إلى عملية التعلم على أنها استدلال غير برهاني يقوم على بلورة الافتراضات والتحقق منها، بمعنى أن الطفل يكون له تصور سابق عن مريض ثم يتحقق منه. فلا وجود لنظريات حول التعلم، بل يوجد ثبيت الاعتقاد بدل الحديث عن التعلم، فتعلم الطفل لكلمة مريض، لا يعني أنه تعلم شيء جديد، فمحتوى هذه الكلمة موجود مسبقاً بمقتضى معرفة الطفل بلغة الفكر، وهو يقوم فقط بثبيت ما يعرفه بمقتضى لغة الفكر ويقرنه بكلمة مريض^(٢٧). وإذا كان فودور يرى أن الملاكات الإدراكية تنقسم إلى أنساق دخل قالية وأنساق مرکزية غير قالية، فإن جاكندوف يؤكّد أن كل الأنساق مرکزية، إذ يعتبر أن هناك قوالب مرکزية وأخرى وجاهية، ونறّع على هذا النمط من القالية من خلال نظرية الدلالة التصورية.

٢.٧. قالبية جاكندوف: كل الأنساق قالبية

خلافاً لما ورد في قالبية فودور بأن الذهن يتتألف من أنساق دخل قالية وأنساق

مركزية غير قالبية، تفترض نظرية الدلالة التصورية أن هناك قوالب مركزية تملك قوتها التعبيرية الخاصة وقوالب وجاهية، نوردها على النحو التالي:

أ. قالب البنية التصورية: يعد قالباً مركزياً، ومحاله تمييز الأفراد والمقولات والتأليف بينها في وروقات وأنماط وحالات وأحداث، ويتم ذلك في المجالين المجرد والمحسوس. ويعود هذا المستوى أكثر ارتباطاً باللغة، فهو الذي ترمّز من خلاله الدلالة اللغوية والتركيبية والمعجمية.

ب. قالب المعرفة الفضائية: قالب مركزي، يعمل في تواافق مع البنية التصورية بهدف فهم العالم الفيزيائي، إذ يتم تحويل المعلومات من طابعها الفضائي إلى طابع آخر تصورى، وهذا ما يمنحك القدرة على التعبير عن نرى ونسمع.

ج. القوالب الوجاهية: تسهم هذه القوالب في التواصل بين مستويات الترميز عن طريق ترجمة جزئية من صورة في مستوى معين إلى صورة أخرى في مستوى آخر، من خلال إقامة تشاكل بين مستويين من المعلومات. وتتسم هذه القوالب بأنها لا تستعمل إلا جزءاً من المعلومات المتوفّرة في الدخول، فالقالب الوجاهي الذي يربط البنية التصورية بالنسق البصري لا يعرف خصائص البنية التصورية للقوة الإنجازية وقيم الصدق...الخ، ولا يعرف سوى خصائص الأشياء و مواقعها وحركتها وتفاعل قواها الفيزيائية^(٢٨).

يظهر أن الاختلاف الجوهرى بين القوالب التمثيلية لدى جاكندوف والقوالب عند فودور هو قيامها على أساس التمثيلات التي تحللها وليس بحسب وظيفتها بوصفها ملكات للدخل أو الخرج، فالتصور القالبى في نظرية الدلالة التصورية يصدق على الملكات المركزية كما يصدق على أنساق الدخل خلافاً للتصور القالبى عند فودور. وإذا كان هذا وضع قالبية تشو مسكي وفودور وجاكندوف باعتبارهم ممثلي التيار التوليدى الرئيس، فإن هناك تصوراً آخر منافساً للتوليدية، يتعلق بالنحو الوظيفي الوارد في عمل ديك Dick (١٩٧٨) والقاضي بأن القدرة التواصيلية تتآلف من مجموعة من الملكات.

٤.٤. التصور القالبي في النحو الوظيفي: القدرة التواصيلية ملكات

سعت نظرية النحو الوظيفي الواردة لدى ديك (١٩٧٨) إلى تحديد موضوع اللغة في القدرة التواصيلية، بوصفها الآلة التي تمكن مستعمل اللغة الطبيعية من التواصل فيما بينهم عن طريق اللغة. واعتبرت أن القدرة تشمل مجموعة من المifikات المتفاعلة فيما بينها في أثناء عملية إنتاج الخطاب وفهمه، مما يتيح التواصل بين مستعمل اللغة الطبيعية، وحسب ديك (١٩٨٩) فإن القدرة التواصيلية تتالف من خمس مifikات، نوضحها من خلال المثال التالي:

(٦) هل حصلت على كتاب غاليم الأخير؟

أ. الملكة اللغوية: تُمكّن مستعمل اللغة الطبيعية من إنتاج وتأويل عبارات لغوية معقدة ومتباينة، ويمد هذا القالب المؤول بالمعلومات الصرف تركيبية والمعلومات الدلالية والتداوليّة.

ب. الملكة المعرفية: تُتيح لمستعمل اللغة الطبيعية تكوين مخزون معرفي منظم والاحتفاظ به وتوظيفه عند الحاجة، وتتوفر للمؤول المعلومات التي توصله إلى التعرف على ما تخيل عليه عبارة (كتاب غاليم الأخير).

ج. الملكة المنطقية: تساعد مستعمل اللغة الطبيعية في بناء معارف إضافية عن طريق استعمال قواعد استدلالية يحكمها الاستنباط، وتسهم هذه الملكة في معرفة القوة الإنجازية المستلزمة مقامياً والتي تتجاوز السؤال إلى الالتماس.

د. الملكة الإدراكية: تُمكّن مستعمل اللغة الطبيعية من توظيف معارفه المستخلصة من محيطه لإنتاج وفهم العبارات اللغوية، وتساعد المخاطب في التعرف على الكتاب المفقود انطلاقاً من الصورة التي يملكونها عنه.

هـ. الملكة الاجتماعية: مجموع القواعد والمبادئ الاجتماعية التي تدفع مستعمل اللغة الطبيعية إلى اختيار العبارة اللغوية المناسبة بالنظر إلى وضع المخاطب، وتساعد المخاطب في الوصول إلى أن المراد من السؤال التماس، حيث هناك مبدأ اجتماعي يقضي بأن الطلب الصادر من شخص في وضع متساوٍ يكون التماسا لا أمراً أو دعاء^(٢٩).

تعمل مكونات هذا النموذج بشكل قاليبي، فلكل مكون مبادئه وإوالياته الخاصة وتفاعل هذه المكونات فيما بينها، إذ يمكن أن يكون «خرج» كل مكون «دخلًا» لغيره. ويضيف المتوكل (١٩٩٥) القالب الشعري محدداً وظيفته في رصد الملكة الشعرية لدى مستعمل اللغة الطبيعية التي تمكنه من إنتاج وفهم الخطاب الشعري. ونوضح تفاعل هذه القوالب من خلال الترسيمة التالية:



الشكل (١): تصور النحو الوظيفي للعلاقات الرابطة بين القوالب الذهنية

ونتيجة تطور علم النفس وظهور العلم الإدراكي في ظل الثورة الإدراكية التي جمعت ثلاثة من العلوم الإدراكية، بهدف تفسير كيفية اشتغال الذهن / الدماغ، بز إلى الوجود تصوراً جديداً للعقل يتجاوز الحتمية.

٨. نحو تصور جديد للعقل يتجاوز الحتمية

في ظل النقاش الدائر حول بناء تصور جديد للعقل، ظهر تصوران أحدهما عقلاني قاده ديكارت، والآخر تجربى تبناه بيكون. يرى الأول أن العقل هو القادر على تحصيل الحقائق صادقها وكاذبها. أما الثاني، فيتصر للحس والتجربة في تحصيل الحقائق. ويتفق التصوران على مسلمة مفادها أن المعرفة موضوعية وأن الكائن البشري قادر على ضبط العالم الخارجي بشكل دقيق. وقد تولد عن النزعة الموضوعية إخضاع الإنسان للنمذجة الصورية والتسليم بأن هناك مبادئ كثيرة موحدة، وأن الخروج عنها ابتعد عن العقل والتعقل. وتم التسليم كذلك بفكرة فحواها أن

الكائن البشري له القدرة على بناء حقائق حتمية لها ما يسوغها، فلا شيء في هذا الكون يسير بالصدفة، بل هناك علة لكل شيء.

ومع بداية القرن العشرين، روجعت هذه المثلثات، وبدأ العمل لإعادة النظر في طريقة تفكيرنا واستدلالنا، مما يعني الابتعاد عن فكرة الحتمية. فلا وجود إذن لحقائق ثابتة مطلقة عبر الزمان والمكان، فقد أعيد النظر في كثير من الحقائق التي كانت تعتبر مطلقة كدوران الشمس حول الأرض، وبعد هذا دليلاً قاطعاً على أن التفكير والاستدلال متعددان، وليس أحاديين كما كان يعتقد. وتحلّينا التعديدية الفكرية على ضرورة التخلّي عن النسق التقليدي القائم على ثنائية الصدق المطلق مقابل الكذب المطلق، فما هو صادق الآن قد يصبح كاذباً غداً، وما هو كاذب الآن قد يصبح صادقاً مستقبلاً. والحقائق ليست واحدة، بل متعددة بالنظر إلى عناصر ومتغيرات متعددة^(٣٠).

ومنذ خمسينيات القرن الماضي، بدأت تظهر عيوب ونواقص السلوكية في مسلتمتها القاضية باستحالة دراسة الصندوق الأسود، مما يستحق الدراسة بحسبهم هو السلوك البشري القابل للملاحظة والمرتبط بثنائية المثير والاستجابة، ورغم نجاح السلوكيين في تفسير العديد من مظاهر السلوك البشري، فإنهم لم يستطيعوا تفسير التفكير المجرد والإبداع.

ونتيجة تطور العلوم الإدراكية (العرفانية، العرفانية، المعرفية)، أصبح بالإمكان الوصول إلى صندوق السلوكيين الأسود دراسته وتفسير كيفية اشتغاله. حيث سينتقل البحث من المثير والاستجابة إلى تفسير طبيعة التفاعلات التي يقيمهها الفرد بين المثيرات الداخلية والأفعال الخارجية. فالعلوم الإدراكية تسعى إلى استبعاد كل التفسيرات السلوكية القائمة على أن لكل مثير استجابة، وحلت المعلومة محل المثير^(٣١).

وبحكم تقاسم العلوم الإدراكية موضوع الاشتغال المتعلق بدراسة العمليات الحاسوبية التي ينجزها الذهن / الدماغ، ولد ما سمي في الأدب الحديث بالثورة الإدراكية.

٩. الذهن/ الدماغ من خلال العلوم الإدراكية

١.٩. لمحـة موجـزة عن العـلوم الإـدراكـية

عرف علم النفس نهاية الخمسينيات من القرن العشرين تغيرات ثورية، إذ ظهر تصور جديد لصالح المعرفة، وكان ذلك تحديداً عام (١٩٥٦). ويعد هذا بمثابة ولادة للعلوم الإدراكية، ووافق ذلك تاريخ انعقاد الندوة الدولية التي نظمها معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، وجمع فيها لأول مرة نخبة من الإدراكيين في المعلومات واللسانيات وعلم النفس، بناء على قناعة بأن ما يجمع بين هؤلاء أمر واحد، هو دراسة الذهن/ الدماغ.

وبحلول سنة (١٩٦٠)، بادر عالماً النفس برونز وميلر إلى تأسيس مركز الدراسات الإدراكية بجامعة هارفرد الذي ذاع صيته على مدى عشر سنوات على الأقل. وفي السنة نفسها، صدر مؤلف مشترك ميلر وبريام وغلانتر بعنوان «الخطط وبنية الشعور»، أعيد فيه النظر في النزعة السلوكية الكلاسيكية التي قام عليها علم النفس، واقتربت المقاربة السبرنتيقية بديلًا عنها. وأصدر نيسر في سنة (١٩٦٧) كتاباً بعنوان «علم النفس الإدراكي»، دعا فيه إلى تبني مقاربة نفسية جديدة مختلفة عن المقاربة السبرنتيقية التي دافع عنها نيول وسيمون، اللذان اعتبرا أنه بإمكان الحاسوب أن يزودنا بنموذج اشتغال الذهن^(٣٢).

وتعد سبعينيات القرن الماضي سنوات ازدهار العلوم الإدراكية^(٣٣)، إذ أصبحت هذه العلوم حقولاً مهماً داخل المشهد الفكري، وتبليورت في هذه الفترة حقول معرفية طرحت مجموعة من الإشكالات منها ما كان موجوداً قبل ظهور الثورة الإدراكية^(٣٤)، وهي إشكالات تقنية وافتراضات نظرية. وتشترك هذه العلوم في تفسير طبيعة الذهن/ الدماغ، لذلك طرحت السؤال المعرفي، التالي: (ما الذي يوحد هذه العلوم)؟

تتجلى غاية العلوم الإدراكية في الانفتاح على تخصصات متعددة لتفسير طبيعة الذهن/ الدماغ، وبفعل هذا الانفتاح تم التوصل إلى نتائج ملموسة بخصوص الذهن لم تكن موجودة قبلي تحالف هذه العلوم. وتكمّن غاية العلوم الإدراكية في

تفسير العمليات الذهنية التي تتم في أثناء معالجة المعلومات، ومن هنا بات لزاماً عليها دراسة الكيفية التي يستغل بها الذهن / الدماغ، وعرفت هذه العلوم تطورات مهمة نتيجة تحالفها، أي تحالف: علم النفس المعرفي واللسانيات والذكاء الاصطناعي والفلسفة والإنسنة وعلم الأعصاب^(٣٥).

٢.٩. نحو نظرية موحدة لفهم الذهن / الدماغ

عرف البحث في بنية الذهن / الدماغ تحولاً عميقاً منذ منتصف القرن العشرين، حيث بدأت تتشكل ملامح ميلاد ثورة إدراكية نتيجة تحالف العلوم الإدراكية التي تتفق حول موضوع العمل، وفي هذا السياق ظهرت العلوم الإدراكية.

بدأ الاهتمام بكيفية اشتغال الذهن / الدماغ إدراكياً منذ التقرير المعروف بـ «بتقرير سلون» الذي أُنجز بناء على طلب من مؤسسة «ألفريد سلون» لدراسة الحقول الموحدة التي تضم الحقول الإدراكية المتأذرة لفهم طبيعة المعرفة وتاريخ الجنس البشري، وقد ضم هذا العلم علماء نفس ولسانيين وعلماء أعصاب وفلاسفة وأنتروبولوجيين وعلماء حاسوب، ومنذ صدور التقرير انطلقت الثورة الإدراكية بخطى هائلة للاشتغال على الذهن / الدماغ وتاريخ الفكر وتطور الإنسان. وبتراجع مكانة الذكاء الاصطناعي لصالح النتائج المبهرة التي حققها علم الأعصاب، كان لزاماً على الإدراكيين الاستفادة من نتائج هذا العلم ومعرفة موقع البنية الذهنية داخل علم الأعصاب الإدراكي^(٣٦).

٣.٩. موقع البنية الذهنية داخل علم الأعصاب الإدراكي

يذهب جاكندوف (٢٠٠٧) إلى أن للبنية التصورية دوراً مهماً في معرفة الطبيعة البشرية وعلاقتها بالتجربة والشعور البشريين، ومن هنا يمكن التساؤل عن وضع البنية الذهنية داخل العلوم العصبية؟

قاد سؤال مكانة المعرفة داخل العلوم العصبية إلى كشف سبل عمل الذهن / الدماغ، ونتحدث هنا عن طريقة تمثل الكائن البشري للعالم وقيامه بأعمال فيه. وهناك شق من العلوم العصبية يهتم بدراسة البنية الفيزيائية للدماغ وكيفية عمل الخلايا وانتظامها في مناطق، أي الدماغ. أما الشق الثاني، فإدراكي وظيفي حاسوبي

يهم النشاط الذهني، بمعنى الذهن. فالدماغ كيان مادي ملموس يمكن اعتماده موضوعاً للعلوم العصبية، أما الذهن فيرتبط بالوظيفة التي يعجزها الدماغ. وتبعاً لذلك، نعتمد ثنائية ذهن / دماغ^(٣٧).

يرى جاكندوف أن دراسة الذهن / الدماغ تستخدم عدة أبعاد، نوردها، كما يلي:

البعد الأول: علم الأعصاب (الدماغ) مقابل العلوم المعرفية (الذهن / الخصائص الوظيفية) مقابل الشعور والظاهرة.

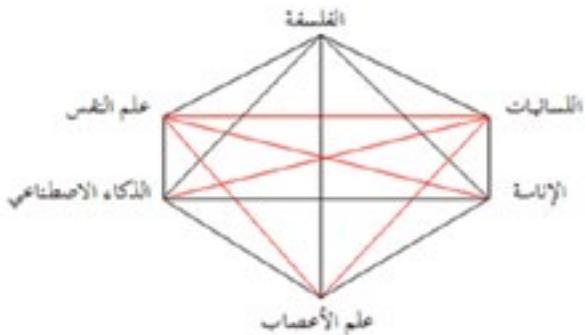
البعد الثاني: حالة قارّة مقابل نمو فردي مقابل نمو تطوري.

البعد الثالث: الإدراك مقابل اللغة مقابل التفكير التجريدي.

البعد الرابع: البنية الذهنية مقابل القدرة على المعالجة مقابل اشتغال الذاكرة مقابل الذاكرة البعيدة المدى مقابل القصد مقابل الاهتمام مقابل التعلم^(٣٨).

في وحدة العلوم الإدراكية^(٣٩)

أسهمت الفلسفة داخل وحدة العلوم الإدراكية في فهم طبيعة الذهن / الدماغ من خلال إعادة صياغة قضایا فلسفية جدلية طرحت منذ الفلسفة الديكارتية كمشكل الذهن / الجسد، ومشكل العقول الأخرى وقضایا الوعي والإرادة الحرة. وسعت اللسانيات إلى بناء نماذج صورية لتفسير البنية المجردة للقدرة اللغوية لدى المتكلمين. وحاول علماء النفس كشف الميكانيزمات التي تؤدي إلى إنتاج الجمل اللغوية وفهمها. وعمل علماء الحاسوب على إنتاج نماذج تحاكي في اشتغالها عمل الذهن / الدماغ. واهتم علماء الإنسانية بالأبعاد الاجتماعية للمعرفة البشرية. وترتبط بين هذه العلوم علاقات قوية وعلاقات ضعيفة، تمثل لها ببساطة المعرفة، كما جاء في تقرير سلون (١٩٧٨).



الشكل (٢) الحقول الإدراكيه التي يتتألف منها علم الإدراك

تشير الخطوط باللون الأحمر إلى العلاقات القوية بين العلوم المطروحة بالمخاطط، وتمثل الخطوط المرسومة باللون الأسود العلاقات الضعيفة بين الحقول الإدراكيه، فالأولى تهم علم النفس^(٤٠) وعلاقته باللسانيات وعلم الأعصاب والإنسنة، ثم علاقة اللسانيات بعلم النفس والذكاء الاصطناعي^(٤١) وعلم الأعصاب. أما الثانية، فتخص الفلسفة والإنسنة والذكاء الاصطناعي وعلم الأعصاب، ويتبين لنا من خلال سداسي المعرفة أن هناك مركزية لعلم الأعصاب واللسانيات وعلم النفس ضمن هذه الصلات بمختلف درجات ترابطها.

ويبين ميلر سيروره تشكل العلوم الإدراكيه وتدخلها العلمي من خلال قوله إن علوم السiberنيقة^(٤٢) كانت توظف التصورات التي طورتها المعلوميات لنمزجة وظائف الدماغ التي كشف عنها علم الأعصاب وبطريقة مماثلة كانت اللسانيات والمعلوميات مرتبطين من خلال اللسانيات الحاسوبية، واتصلت اللسانيات بعلم النفس عن طريق اللسانيات النفسيه وارتبط علم الإنسنة بعلم الأعصاب من خلال الدراسات المتعلقة بتطور الدماغ.

خلاصة

نستنتج مما سبق أن التوصل إلى إجابة شافية كافية عن طبيعة المعرفة البشرية مطمح لا يمكن تحقيقه، نظراً إلى تجدد الافتراضات والأبحاث والنتائج. فسؤال المعرفة سؤال أفلاطوني مفاده أن الفكر واحد واللغات متعددة، وقد تبعه في ذلك أرسطو ومن جاء بعده. لكن هذا لا ينطبق على ثلاثة من اللغويين العرب القدماء أمثال السيرافي الذي ناظر ابن متى حول علاقة النحو بالمنطق، إذ اعتبر أن الفكر متعدد بتعدد اللغات، والمنطق اليوناني في نظره لا يصلح إلا للغة اليونانية. وعمل الفارابي من خلال حروفه إلى حسم هذا الجدل من خلال تأكيده أن اللغة المنطقية الخاصة بالأحوال العامة للفاظ «لغة ما»، لا يمكن أن تؤخذ من اللغة النحوية إذا كانت هذه اللغة قد نشأ المنطق فيها أول الأمر. أما ديكارت فقد أجاب عن سؤال المعرفة من خلال نظريته الميكانيكية الramistic إلى أن الجسد والروح جوهران مستقلان. وتخالف النزعة الإدراكية طرح ديكارت الثنائي وتبني الأحادية، أي أن الذهن والجسد جوهر واحد. وبازدهار العلوم الإدراكية، أصبح بالإمكان اكتشاف ما كان يعتبر صندوقاً أسود حسب السلوكيين، ونتيجة تطور الذكاء الاصطناعي والخوب واللسانيات وعلم الأعصاب وعلم النفس المعرفي، أصبح من الممكن دراسة سيرورة اشتغال الذهن / الدماغ.

الهوامش:

١. أفلاطون، جمهورية أفلاطون، ترجمة: فؤاد، زكرياء، ص. ١٩٠-١٩١.
٢. الحداد، مصطفى (٢٠١٣)، ص. ٥٤.
٣. جورج لا يكوف ومارك جونسون (١٩٩٩)، ترجمة: جحفة، عبد المجيد، ص. ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩.
٤. حضر المجلس: قدامة بن جعفر، والزهري، وابن فراس، والمرباني، وابن كعب، والخالدتين، وابن الأحساد وآخرين.
٥. أبو حيان، التوحيد، الإمتاع والمؤانسة، ص. ٦٥.
٦. نفسه، ص. ٦٩.
٧. نفسه، ص. ٦٧.
٨. نفسه، ص. ٦٩.
٩. الجابري، محمد عابد، بنية العقل العربي، ص. ٥٢.
١٠. أبو حيان، التوحيد، الإمتاع والمؤانسة، ص. ٧٠.
١١. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص. ٢٨٠، ٢٨١.
١٢. أبو نصر، الفارابي، كتاب الحروف، ص. ٣٩.
١٣. الجابري، محمد عابد، بنية العقل العربي، ص. ٤٢٧، ٤٢٨.
١٤. ابن سينا، الحسين، النجاة في المنطق والإلهيات، ص. ١٠.
١٥. الجسد جسم الإنسان كله، أما البدن فهو ما علا من جسد الإنسان. (انظر: أبا هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص. ١١٧).
١٦. الرحالي، محمد (٢٠١٨)، ص. ١٢٩، ١٣٠.
١٧. تفترض نظرية الاستعارة التصورية حسب لا يكوف وجونسون، أن للجسد دوراً مهماً في بناء المعرفة، فأجسادنا في الفضاء تولد المعرفة. (انظر: لا يكوف وجونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة: عبد المجيد، ص. ١٠).

١٨. وحيدى، محمد (٢٠١٨)، ص. ١٧٤، ١٧٥.
١٩. الذهن جوهر موجود في الشخص، لكنه لا يحتل حيزاً ولا يمكن وزنه أو رؤيته أو لمسه، فهو كُنه مجرد ينشق من الدماغ، وهو المسؤول عن تمثيل العالم الخارجي. أما الدماغ فكيان مادي محسوس.
٢٠. الحداد، مصطفى (٢٠١٤)، ص. ٤٩، ٥٠.
٢١. جورج لا يكوف ومارك جونسون (١٩٩٩)، ص. ١٢٨، ١٢٩.
٢٢. الرحالي، محمد (١٩٩٢)، ص. ٢٣، ٢٤.
٢٣. جيري، فودور (١٩٨٣)، ص. ٣٠، ١٠، ١٤، ٢٤.
٢٤. الحداد، مصطفى (٢٠١٣)، ص. ٥٨، ٦٠.
٢٥. غاليم، محمد (٢٠٠٧)، ص. ٢١، ٢٢.
٢٦. يذهب بياجي في سياق رده على فودور إلى أن تطبيق نظريته على الرياضيات يوحى بأنها لم تشهد ابتكاراً طوال هذا التاريخ، إذا كان الكل محدداً سلفاً على نحو فطري. أما فودور فيرى أن الأصل هو ثبيت الاعتقاد لأن المفاهيم معطاة على نحو فطري. انظر حداد (٢٠١٣)، ص. ٦٤.
٢٧. الحداد (٢٠١٣)، ص. ٦١، ٦٣.
٢٨. غازيبوي، محمد (٢٠١٩)، ص. ٨٧، ٨٨.
٢٩. المتوكل، أحمد (٢٠٠١)، ص. ٣٦، ٣٧.
٣٠. الباھي، حسان (٢٠١٢)، ص. ٤٠، ٤١.
٣١. نفسه، ص. ٤٤.
٣٢. جورج فيتو، العلوم المعرفية: قضايا جديدة لرهانات عدة، ترجمة: الخطابي، عز الدين ص. ٤٥.
٣٣. تحيل المعرفة (cognition)، على سيرورة يقوم بها البشر، أو تمثيلات ذهنية تسطح في الوعي عندما ندرك أو نتعقل أو تكون صوراً ذهنية. فالجانب المعرفي عند الإنسان هو ذلك العنصر الذهني المشترك بين بني البشر. انظر لا يكوف

- وجونسون، ترجمة: جحفة (١٩٩٦)، وانظر وحيد (٢٠١٨).
٣٤. لمزيد من التفاصيل عن العلوم المعرفية، انظر بول تكارد (٢٠٠٥)، وجونسون ليرد (١٩٨٨).
٣٥. بيرميديز (٢٠١٤)، Bermudez، ص. ٥، ٦.
٣٦. طعمة (٢٠١٩)، ص. ١٩.
٣٧. راي، جاكندوف (٢٠٠٧)، ص. ٣.
٣٨. نفسه، ص. ٥.
٣٩. العلوم الإدراكية: جملة من العلوم تدرس اشتغال الذهن والذكاء دراسة تقوم على تداخل الاختصاصات تسهم فيها الفلسفة وعلم النفس والذكاء الاصطناعي وعلوم الدماغ واللسانيات والأنتروبولوجيا، وتدرس العلوم المعرفية الذكاء عامّة والذكاء البشري وأرضيته البيولوجية التي تبحث في تجلياته النفسيّة واللغويّة والأنتروبولوجية. (لمزيد من التفاصيل، انظر، الزناد، نظريات لسانية عَرْفَنية، ص. ١٥.).
٤٠. علم النفس: يعد قلب العلوم المعرفية، ويهتم بدراسة عمليات المعرفة وأبنيتها من قبيل: الإدراك والانتباه والذاكرة واللغة والقصد والنشاط الفكري واللغوي.
٤١. الذكاء الاصطناعي: العلم الذي يسعى إلى جعل الآلة تؤدي ما يؤدّيه البشر من الأفعال عن طريق تمكينها من مهارة ذهنية ذكية لها قدرات الذكاء التي للذهن البشري، ويقوم على ركيزتين هما البرمجيات الحوسبة والآلة، فالبرمجيات تمثل الذهن البشري، والآلة بأدواتها تمثل الجسم البشري بأعضاءه.
٤٢. السيبرنتيّقة: علم الترابط بين الإنسان والآلة، موضوع دراسة السيطرة والاتصال بين الإنسان والآلة، وقد وجهت السيبرنتيّقة العلم والعالم، وقضت على المنطق التحليلي.

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

- أفلاطون: جمهورية أفلاطون، ترجمة: فؤاد زكرياء، فضاء الفن والثقافة.
- الباهي، حسان (٢٠١٢): الذكاء الصناعي وتحديات مجتمع المعرفة: حنكمة الآلة أمام حكمة العقل، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب.
- بنسلامة، نادرة (٢٠١٣): «النبر بين الدماغ والذهن»، ضمن: كتاب أبحاث معرفية، مختبر العلوم المعرفية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس، المغرب.
- التوحيدى، أبو حيان: الإمتناع والمؤانسة، تصحيح وضبط أحمد، أمين وأحمد، الزين، القاهرة، مصر.
- الجابري، محمد عابد: بنية العقل العربي - دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٩، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩.
- الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، دار الغد الجديد، ط١، القاهرة، مصر، ٢٠١٧.
- الحباشة، صابر (٢٠٠٨): اللغة والمعرفة، دار رؤية جديدة، دمشق، سوريا.
- الحداد، مصطفى (٢٠١٤): اللغة والفكر وفلسفة الذهن، مؤسسة الرحاب الحديثة، ط١، بيروت، لبنان.
- الرحالي، محمد (١٩٩٢): «بعض الخصائص الصورية للنمذجة اللسانية»، ضمن: كتاب قضايا في اللسانيات العربية، إعداد: عبد اللطيف شوطا وعبد المجيد جحافة وعبد القادر كنكاي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ابن مسيك، الدار البيضاء، المغرب.
- الرحالي، محمد (٢٠١٨): «الأسس الداخلية للتأويل والتصورات»، ضمن كتاب: الدلالة بين النظامي والعرفاني، إشراف: عبد السلام عيساوي،

- الدار التونسية للكتاب، منوبة، تونس.
- الزناد، الأزهر (٢٠١٠): نظريات لسانية عَرْفِيَّة، الدار العربية للعلوم / منشورات الاختلاف، الجزائر.
- ابن سينا، الحسين: النجاة في المنطق والإلهيات، تحقيق: عميرة، عبد الرحمن، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٩٢.
- شومسكي، نعوم (٢٠١٣): اللغة ومشكلات المعرفة: محاضرات ماناجوا، ترجمة: حمزة بن قبلان المزياني، ط١، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب.
- طعمة، عبد الرحمن محمد (٢٠١٩): «البعد الذهني في اللسانيات العرفانية: مدخل مفاهيمي»، ضمن: كتاب دراسات في اللسانيات العرفانية، الذهن اللغة والواقع، تأليف: صابر الحباشة وأخرين، دار وجوه، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- العلوي كمال، رشيدة (٢٠١٢): «تطور نظرية الاكتساب في النحو التوليدية وعلاقتها باللسانيات النفسية والأحيائية»، أبحاث لسانية، العدد ٣٠، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعریب، الرباط، المغرب.
- العسكري، أبو هلال: الفروق اللغوية، تحقيق: إيهاب، محمد ابراهيم، مكتبة ابن سينا، ط١، القاهرة، مصر، ٢٠١٣.
- غازيوبي، محمد (٢٠١٩): السيرورات المعرفية الثلاثية الأبعاد في النظرية الدلالية المعاصرة - نموذج نظرية الدلالة التصورية، دار كنوز، عمان.
- غاليم، محمد (٢٠٠٧): النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة مبادئ وتحاليل جديدة، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب.
- الفارابي، أبو نصر: كتاب الحروف، تحقيق وتعليق: محسن، مهدي، دار المشرق، بيروت، لبنان، ١٩٨٦.
- فيتو، جورج (٢٠٠٩): العلوم المعرفية: قضايا جديدة لرهانات عدة،

- ترجمة: الخطابي، عز الدين، رؤى تربوية، العدد: ٢٩.
- لايكوف، جورج، ومارك جونسن (١٩٨٠): الاستعارات التي نحيا بها،
ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب.
- لايكوف، جورج، ومارك جونسن (١٩٩٩): الفلسفة في الجسد - الذهن
المتجسد وتحديه للفكر الغربي، ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار الكتاب
الجديد المتحدة، بيروت، لبنان.
- المتوكل، أحمد (٢٠٠١): قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية
الخطاب: من الجملة إلى النص، دار الأمان، الرباط، المغرب.
- الوحيدى، محمد (٢٠١٨): «اللسانيات وعلم المعرفة.... اللغة
وبنيّة المعرفة»، ضمن: عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون،
العدد: ١٧٥، الكويت.

المراجع الأجنبية:

- Bermudes, José Luis (2014), *Cognition Science : An Introduction to The Science of The Mind*, Cambridge, University Press.
- Fodor, J. (1983) *The Modularity of Mind*, MIT, Press.
- Jackendoff, Ray (2007) : *Language, Consciousness, Culture- Essays on Mental Structure*, MIT, Press.
- Johnson, Laird ((1988 *Mental Models in Cognitive Science*, University of Sussex.
- Thagard, Paul: *Mind Introduction to Cognitive Science*, Cambridge, MIT, Press.

مسرد ببعض المصطلحات

بالإنجليزية	بالعربية
Cognition	إدراك
Concept	تصور
Cognitive Revolution	الثورة المعرفية
Body	جسم
Computation	حوسبة
Output	خرج
Input	دخل
Conceptual Meaning	الدلالة التصورية
Brain	دماغ
Mind	ذهن
Behavior	سلوك
World	عالم
Thought	فكر
Interface Modules	القوالب الوجاهية
Representational Modularity	القالبية التمثيلية
Entity	كيان
Language of Theory	لغة الفكر
Faculty	ملكة
Computational System	النظام الحاسوبي
Existence	وجود

الفعل «وجب» تركيباً ودلالة في المدونات الحاسوبية العامة والمختصة

د. رضا الطيب الكشو'

ملخص البحث

نروم في هذا البحث أن نوظف المدونات الحاسوبية العامة والمختصة في دراسة اللغة العربية، وآخرنا النظر في أفعال الوجوب، وفي مقدمتها الفعل «وجب»، لسبعين: أوّلها أنّ هذه الأفعال لم تحظ نسبياً بالتحليل ، وثانيها السعي إلى استجلاء خصائصها التركيبية والدلالية، فهل تستعمل استعملاً توزيعياً أو جهياً (modal)؟ ولا يتسرّى لنا تبيّن هذه السمات إلا إذا تفحصنا كمّا هائلًا من استعمالات هذه الفئة من الأفعال في المدونات الحاسوبية. لهذا فإنّنا سنعتمد في بحثنا على مدوّنتين، اصطلاحنا على الأولى بـ«المختصة»، وقد أعددناها بأنفسنا، وذلك بالنظر في عينة من النصوص القانونية، وتضمّ أكثر من أربعين ألف كلمة؛ وعلى الثانية بالمدونة «العامة»، ونستند فيها إلى «المدونة اللغوية العربية» لمدينة الملك عبد العزيز، وإلى مدونة «اسكاتش أنجين» (Sketch Engine)، لكبر حجمهما. سنحدّد في قسم أول من هذا البحث التراكيب المتواترة للفعل «وجب/ يجب»، لنستقرئ منها في قسم ثان خصائصه التركيبية والدلالية.

الكلمات المفاتيح: أفعال جهة، تجبيه، مدونات لغوية حاسوبية، تراكيب متواترة، خصائص تركيبية ودلالية.

Abstract

The purpose of the present paper is to use general and specialized data bases in the study of Arabic. The use of the Arabic verb (wajaba, ie. must) is chosen as an example for this study to explore its syntactic and semantic features and see whether it is used in distributive or a modal way. This cannot be achieved without resorting to large linguistic data bases. For this end, two data bases have been selected: one described as “specialized”, prepared by the present author and including a set of Arabic legal texts containing more than 40 thousand words; and the second one described as “general” and including the Arabic Language Data Base of KACST, and the Sketch Engine Data base. The most recurring syntactic structures featuring the use of the verb (wajaba) will be explored in the first part of this paper, while part two will be dealing with its various syntactic and semantic features.

Key words: modal verbs, modalization, linguistic data bases, recurring structures, syntactic and semantic features.

١. المقدمة

ارتأينا أن نقدم لبحثنا بطرح إشكاليّته وضبط موضوعه وتحديد معطياته ومصادرها. ونحن إذ سنتصر فيما يتعلّق بالأفعال الجهيّة على أفعال الوجوب وعلى الفعل «وَجَبَ» على وجه الخصوص، فإنّ ذلك نابع من تبيّننا أنّ هذه الأفعال تطرّد في النصوص القانونيّة العالميّة والمحلّية، الموضوعة أساساً لإلزام المتلقّي التقيد بها. ومن الأسئلة المتعلّقة بهذا البحث: هل بوسعنا ادعاء الموضوعيّة في الوصف والتحليل إن اقتصرنا على دراسة أفعال الوجوب اعتماداً على عيّنات ممثّلة للنصوص القانونيّة فحسب؟ ولمّا الاعتماد على مدوّنة تعدّ ملايين الاستعمالات وتجمّع بين القديم والحديث من مثل المدوّنة العربيّة^(١) أو مدوّنة «سكاتش أنجيain» (Sketch Engine)^(٢)? ألا يتحتم الاقتصار على عيّنات محدّدة ومتخصّصة في مجالات استعمال قد يكون الباحث على دراية بها، أم إنّ الاستقراء اللسانيّ يحتم الشمول، ومن ثمّ الاستناد على مدوّنات عامّة تضمّ أصناف النصوص؟ وقد يُفضي الاعتماد على العيّنات فحسب إلى نتائج لا تنطبق على أوجه التعامل اللغويّ في مختلف الممارسات اللغويّة، فشحنة الوجوب قد تخفّت في نصوص السرد أو الإرشاد أو العرض^(٣)، لأنّها لا تصدر عن جهات رسمية مثلما هي حال النصوص القانونيّة. وإذا كان الوصف اللسانيّ ينبع إلى الشمول والاستقصاء وإدراك الخصوصيّات الكامنة في أشكال استعمال اللغة جميعها، فإنّ الاقتصار على النصوص القانونيّة في دراسة أفعال الوجوب يظلّ محدوداً. وليس لنا أن نحكم على أنّ هذه الأفعال تختلف في تراكيبيها ودلالاتها في النصوص القانونيّة عن بقية نصوص الأنماط الأخرى، لأنّ الجسم في هذا الإشكال يقتضي دراسة أفعال الوجوب في مرحلة أولى في مدوّنة متخصّصة وممثّلة تُنتَقى من النصوص القانونيّة، وفي مرحلة ثانية، تُستقى هذه الظاهرة من مدوّنة كبيرة الحجم تفتح على أنماط السرد والحجاج والعرض والإرشاد جميعها وتشمل عدداً كبيراً من النصوص المتنوعة من القديم وال الحديث.

ستنتهي هذا المنهج بأن ننظر في استعمالات الفعل «وجب / يجب» في مدوّنتين، متخصّصة وعامّة، نشعّرها بالنظر في معانٍ لهذا الفعل في المعاجم اللغويّة القديمة لنحدّد أشكال استعمالاته، لغاية استجلاء تطواره التركيبية والدلاليّة.

٢. مصطلحات البحث

ننظر في أفعال الوجوب، وأفعال توزيعية هي أم أفعال جهّيّة؟ ومن ثم يتحتم علينا تحديد مصطلح الجهة التي تدلّ في الأصل على الشكل وعلى «سمة خاصة» لمادة من المواد، مثل أن نعدّ الثلوج أو البخار من سمات الماء^(٤). وتطور هذا المدلول الحسّي في نهاية القرن التاسع عشر، فعنى الشكل الخاص بحدث وبفكرة وبكائن. وقد بدأ ذلك الظرف والحقيقة والخصوصية. ونستنتج من المعنى الأصلي للجهة أولى خصائصها وهي الوسم. ونعني به التمييز في ملفوظ ما بين المؤشرات الموسومة التي تستدعي تركيزاً والمؤشرات غير الموسومة. وتُعدّ خاصيّة الوسم أهمّ خاصيّة للجهة.

ويراوح تعريف الجهة بين التضيق والتوضيغ. فإنّما أن يحصر في فعلٍ «وجب» و«ينبغي» وبضعة أفعال أخرى، أو أن يُعدّ كلّ قول عمليّة تجبيه^(٥). ونطلق تسمية الأفعال الجهّيّة على أفعال تعبّر عن الأبعاد المنطقية وتحقق الوجوب أو الإمكانيّ أو الاحتمال أو المنع. ويسمّ الفاعل ما يعبر عنه من قضايا بهذه السمات. ويصوغها في شكل نتيجة منطقية أو نتيجة لقرار. فجملة «أعتقد أنّ الطقس جميل» تبني عند المنطقية^(٦) على فعل «أعتقد» المعبر عن الجهة، وعلى القضية المتمثلة في جمال الطقس. وتشترك جمل في قضيّة واحدة، في حين أنها تعبّر عن جهات مختلفة مثل ما هي الحال بين الجمل التالية: يأتي رامي بالسيارة

يَجِبُ أَنْ يَأْتِيَ رَامِيٌ بِالسَّيَّارَةِ

يَسْتَطِيغُ أَنْ يَأْتِيَ رَامِيٌ بِالسَّيَّارَةِ

يُحْتَمِلُ أَنْ يَأْتِيَ رَامِيٌ بِالسَّيَّارَةِ

أَخْشَى أَنْ يَأْتِيَ رَامِيٌ بِالسَّيَّارَةِ

أَعْتَقِدُ أَنَّ رَامِيٌ سَيَأْتِيٌ بِالسَّيَّارَةِ.

أفادت هذه الجمل قضيّة واحدة تكمن في مجيء رامي بالسيارة؛ في حين أنها حقيقّت جهات الوجوب والإمكان والاحتمال والخشية والاعتقاد. ولا تخلو دراسة الأفعال الجهّيّة من إشكال يتّأّتى من الإقرار بوجودها أو نفيها مثلما تساءل عن ذلك

«**H** هو» (Huot, ٢٠١٧). ويتأتى أيضاً من اختلاف اللسانين في تحديد قائمة الأفعال الجهوية^(٨). وليس من السهل أن نستنبط الأفعال التي تتدخل في إجراء التجاوبية^(٩)، حتى في معناه الموسّع، مما يجعل الجهة من أعرّ مسائل اللسانيات. ويقابل التوسيع في معنى الأفعال الجهوية تضييق بعض اللسانين، مثل ما يذهب إليه «بنفيست» في تحديد هذه الأفعال واشترط أن تتسم بخصائص معينة. فهو يحصرها في الفرنسية في فعل venir (وجب) وpouvoir (استطاع). وليس لنا أن نتفقّد في اللغة العربية بهذه الفعلين، لأنّ هذه اللغة خصوصياتها ولأنّ ما يقابل هذين الفعلين أكثر بكثير. ففعل devoir يقابل فعل (وجب) و(لزم) و(اقتضى) و(ينبغي)^(١٠) والمركب عليه أن...). ويقابل الفعل (pouvoir) الأفعال (قدر) و(استطاع) و(تمكن). كما يقابل الفعل (vouloir) الأفعال (أراد) و(شاء) و(ابتغى) و(رغب) و(ودّ) و(طلب) و(نوى) و(زعم). وينضمّ إلى هذه الأفعال استعمال المصادر وما قد تحقّقه من دلالات جهوية مثل الوجوب. وتدرج اللغة الفرنسيّة فئة الأفعال المساعدة (les verbes auxiliaires) في الأفعال الجهوية. وهي أفعال تختلف عن الأفعال التوزيعية في السلوك النحوّي ودلّالات الزمّن والمظاهر. وتشمل avoir (ملك) وêtre (كان) في بعض استعمالاتها، والأفعال المساعدة جزئياً مثل aller (ذهب) وêtre sur le point de (أوشك على، كان على وشك أن) وvenir de (للتّوّ). وتعبر هذه الأفعال عن الجهات المنطقية. وتقترن بفعل غير مصّرف. وتكون على النحو التالي:

يمكن أن تطرد غدا) il peut pleuvoir demain

La mine doit sauter (يجب أن ينفجر اللغم)

وإذا حصر «بنفيست» الأفعال الجهوية في فعلٍ وجب (devoir) واستطاع (pouvoir) فما تعليل مثل هذا التحديد؟ ذلك لأنّ سمة الجهة تقتضي تراكيب معينة قد تحتمّل مفاهيم الوجوب والإمكان والاحتمال، وقد تجمّد بمقتضها جزئياً أو كلياً. وفي هذه الحالة لا تعتبر أفعال تعبر بقوّة عن موقف المتكلّم من ملفوظه أفعالاً جهوية من ضرب ما شاع من أفعال تعبر عن مواقف الدول أو المؤسّسات العالمية مثل (ندّ) و(ندّ بقوّة) و(شجب) و(استنكر) و(استنكر بشدة)؟ هل تعتبرها من فئة الأفعال الجهوية إذا ثبت في المدونة الحاسوبية أنها لا تستعمل الأفعال

التوزيعية، وأنّها تختصّ بتركيب معينة قد تتجمّد فيها كلياً أو جزئياً؟

ويشير ضبط الأفعال الجهوية في لغة من اللغات استفهاماً عمّا تتبع من مناهج الضبط والتحديد. هل ننظر في الجهاز اللغوي ونستقرئ دراسات النحوة أم إنّنا نضبط مدونة ممثّلة لعيّنات من القديم والحديث والشفوي والمكتوب لنسنّب منها أفعالاً تستعمل استعمالاً جهياً؟

وتتوالد الإشكاليّات في دراسة الأفعال الجهوية من أنّ حقوقاً معرفية متعدّدة مثل العلوم الفلسفية واللغوية توظّفها وتكتسبها مسلكاً يلائم منظورها، فما بحث المنطق تعنى بتحليل القيمة الدلالية للفعل الجهيّ من ضرب (وجب) أو (استطاع) أو (أراد). والسؤال هل تفيد هذه الأفعال قيم دلالية ثابتة تتبع من البحث الفلسفي عن الحقيقة، أم إنّها تتّنّع حسب ما تندرج فيه من سياق و تكتسبه من مؤشرات الزمن و المظهر؟

يتجلّ إذن أنّ مبحث الأفعال الجهوية مجال معقد، تتدخل فيه القضايا الفلسفية والمعرفية، مما يتضمّن تحديد مفاهيم الإمكان والوجوب والاحتمال والمنع.

٣. الفعل «وجب» في معجمي الدوحة التاريخي ولسان العرب

تتبّعنا استعمالات الفعل «وجب / يجِب» زمانياً (diachronic) اعتماداً على معجمي الدوحة التاريخي ومعجم لسان العرب لابن منظور لمقارنتها باستعمالاته تراثياً (synchronic) في المدونات الحاسوبية المختصة والعامّة. وعشرين على استعمال الفعل «يجِب» في سنة ١٢٢ ق. هـ / ٥٠٣ م في معنى «لِزم» و«ثَبَت» على لسان هاشم بن عبد مناف القرشي في قوله: «ولِكُلٌّ في كُلِّ حَلْفٍ يَجِبُ عَلَيْهِ نُصْرَتُهُ، وَإِجَابَتْ دُعْوَتِهِ»^(١). يستوقفنا استعمال الفعل يجِب في هذا الشاهد، فقد جاء التركيب على نحو: يجِبُ عَلَيْهِ (يعود الضمير على كُلٍّ) نُصْرَتُهُ (يعود الضمير على حلف). وقد تقدّم في هذا التركيب مركّب الجرّ «عليه» على الفاعل «نُصْرَتُهُ»، وإن كان الضمير في مركّب الجرّ فاعلاً معنوياً، ويُعتبر الفاعل نصرته فاعلاً نحوياً، وجاء التركيب على نحو: يجِبُ نُصْرَةُ الْحَلْفِ. وكذلك: يجِبُ (على) كُلُّ نُصْرَةُ الْحَلْفِ. والسؤال هل نعلّل تقديم المركّب بالجرّ بالسعي إلى شحن الفاعل المعنوي «كُلُّ» أساساً، لا سيّاً

وأنّ فاعلية نصرة لا تتحقق لحالها، وإنّما تحدث بفاعلية كلّ؟ وتقضي الإجابة عن هذه الاستفهامات أن تتبع استعمالات الفعل «يجب» تزامناً في المدونات الحاسوبية لمعرفة اطراد تقدّم المركب بالجرّ على الفاعل النحوي؛ وللتأكّد من توادر مثل هذا التركيب.

ونعثر في معجم الدوحة التاريخيّ على استعمالات زمانية أربعة للفعل «وجب»، وهي على نحو:

وَجَبَ الْبَعِيرُ: بَرَكَ وَسَقَطَ.

وَجَبَ الشَّخْصُ: ماتَ.

وَجَبَ الْقَلْبُ: خَفَقَ وَاضْطَرَبَ مِنْ خَوْفٍ أَوْ غَيْرِهِ.

وَجَبَتْ الشَّمْسُ: غَابَتْ.

جاء الفعل «وجب» لازماً في الأمثلة الأربع طبق البنية «فعل + فاعل». وتنوعت طبيعة الفواعل، فهي تشمل الأشخاص والحيوان وعنصراً من الطبيعة. وجاء الفعل «وجب» تماماً/توزيعياً، بصيغة الماضي. تبدو هذه الملاحظة بدائية؛ إلاّ أنها مفيدة في استجلاء تطور هذا الفعل دلاليّاً؛ إذ قد يطرد استعماله في زمن المستقبل في المدونة الحاسوبية التزامنية. ويرد استعمال الفعل «وجب»، والمضارع منه «يجب» مصرفاً مع ضمير الغيبة المفرد لا غير. ولا تتمكن اعتماداً على هذه الشواهد الأربع من الجزم بإمكانية تصريف الفعل من عدمه، بما أنها نزلت في سياق معجمي ينزع إلى إيراد الفعل مصرفاً مع ضمير الغائب المفرد. ويتحتم علينا النظر تزامناً في بعض المدونات الحاسوبية للتأكد من تصريف هذا الفعل في مختلف الأزمنة ومع كلّ الضمائر، ولا سيما النظر في استمرار استعمال هذا الفعل فعلاً توزيعياً.

ولا تخرج معاني الفعل «وجب، يجب» في لسان العرب لـ«ابن منظور»^(١٢) عمّا وقفنا عليه في معجم الدوحة التاريخيّ. فهو يعني «لِزَمَ» و«لَبِتَ». وإذا كان متعلق فعل «وجب» اسمًا جامداً فإنه يستعمل في هذه الحالة استعمالاً توزيعياً وفي صيغة الماضي من مثل:

- ١- وَجَبَتِ الْإِبْلُ (بمعنى لم تكُن تقوم عن مباركتها).
- ٢- وَجَبَ الْحَائِطُ (بمعنى سقط أو وقع أو انهار).
- ٣- وَجَبَتِ الشَّمْسُ (بمعنى غربت).
- ٤- وَجَبَ الرُّعبُ (بمعنى حلّ).
- ٥- وَجَبَتِ الصَّلَوَاتُ (بمعنى حان وقتها).
- ٦- وَجَبَ الْقَلْبُ (بمعنى خفق).
- ٧- مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبِّاً وَبِالإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَّبِيًّاً وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ (بمعنى استحقَّ الجنة).

يقترن الفعل «وجب» في هذه الأمثلة بأسماء محسوسة من مثل الإبل أو الحائط أو الشمس أو القلب ومحرّدة من مثل الرعب. وجاء فعلاً لازماً في هذه الأمثلة جيئها باستثناء المثال السابع الذي اقتضى مفعولاً به غير مباشر مركّباً بالجرّ «له».

وإذا جاء استعمال الفعل «وجب» في الأمثلة السابقة (٧-١) استعملاً توزيعياً تماماً، فإنّ مفهوم الوجوب يكمن في معناه المعجميّ وفي علاقة الموضوع بالمحمول في ما يتّنزل فيه من تراكيب. فدلالة الموضوع تضمّن وجوباً كامناً يقوى بالمحمول مثلما نستنبطه في هذه الأمثلة. فالوجوب يستقي شحنته من الضرورة الدينية في قولنا «وجبت الصلوات». ويتحقق الوجوب مما يتضمّنه الفاعل من إمكانية سرعة الحدوث، وذلك في قولنا «وجب الرعب» و«وجب الحائط». ويتحقق الوجوب من حتميّة كونية وذلك في قولنا «وجبت الشمس». والسؤال هل اندثرت هذه المعانى الأصلية للفعل «وجب، يجب»؟ وهل سيختّص هذا الفعل بمعنى الإلزام ويتجمّد في تحقيقه بالخصوصيات التركيبية والتصريفية والدلالية؟

نتبيّن إذن من بعض استعمالات معجمي الدوحة التاريخيّ ولسان العرب لابن منظور اختلافاً في التركيب عند استعمال الفعل «يجب» في معنى الوجوب وعند استعماله في تحقيق دلالات السقوط والموت والغياب والخفقان. ولعلّ تحقيق سمة الوجوب تحول الفعل من فعل توزيعي إلى فعل جهيّ، وتجعله يتخيّر تركيباً مغايراً

لتركيب الفعل المستعمل استعمالاً توزيعياً؛ ونتحسّس هذه الظاهرة من الفرق بين البنيتين:

فعلن + فاعل	(وجب الشخص)
فعلن + مفعول (م بالجرّ) + فاعل	(يجب عليه نصرته)

ولا يكمن الفرق بين المثالين في طبيعة التركيب فحسب، وإنما في ما يضممه المركب الإضافي «نصرته»، فهو يُحفي استعمال أن المصدرية على نحو «أن يُنصره»، ومن ثم تنجُم الأسئلة التالية: هل يقتضي مفهوم الوجوب استعمال «أن» المصدرية مثلما قد يتجلّ في الاستعمالات الحديثة لهذا الفعل؟ ولما كان الوجوب يحدث في المستقبل، فإنّ فعل الوجوب «يجب» يقترن بـ«أن» لدلالتها على المستقبل، مثلما يذهب إلى ذلك ابن هشام في معنى الليب. ولا نجزم بهذا الحكم، إلا إذا نظرنا في كمّ هائل من الاستعمالات في المدونات الحاسوبية المختصة وال العامة.

٤. المدونة «المختصة»

يؤثّر المنهج والأهداف وطريقة التصنيف في طبيعة المدونة، وبذلك تختصّ مدونات بتحليل اللغة ووصفها، يصطلاح عليها بالعامّة، وتوظّف أخرى في أغراض خاصة ويصطلاح عليها بالمدونات المختصة التي تعنى ب المجال من مجالات اللغة المكتوبة أو المنطقية مثل، لغة الطفل أو رجال المال والأعمال أو المصارف أو الصحة أو متعلّمي اللغة^(١٣). وهي تسعى إلى تحقيق هدف معين، لذا لا يُشترط أن تتضمّن بضمخامة الحجم. وتهتمّ المدونة المختصة بهدف محدّد وواضح مما يجعلها سهلة الجمع والتصنّيف والتحليل. وأعدّنا لدراسة الفعل «وجب/ يجب» مدونة مختصة، ونعتنّا بها بهذه التسمية لأنّها تضمّ نصوصاً قانونية تطرّد فيها أفعال الوجوب. وحرصنا على تتبع مجالات صدرت عن السلطة التنفيذية، سواء كانت محلية أو عالمية. أمّا العالمية فقد نظرنا في «ميثاق الأمم المتحدة»^(١٤) و«النظام الأساسي لمحكمة العدل الدوليّة»^(١٥)، وأمّا المحليّة فقد وقفنا فيها على «دستور الجمهوريّة التونسيّة»^(١٦) وعلى «قانون تأسيسيّ يتعلّق بالتنظيم المؤقت للسلط العموميّة»^(١٧) وعلى «مشروع دستور دولة الخلافة»^(١٨). وتضمّ هذه المدونة المختصة ستّ مجالات قانونيّة متّنوّعة الاختصاصات وهي مجلّة

الأحوال الشخصية^(١٩) والمجلة الجنائية^(٢٠) ومجلة الإجراءات الجزائية^(٢١) ومجلة الشغل^(٢٢) والمجلة التجارية^(٢٣) ومجلة المرافعات المدنية والتجارية^(٢٤). وألحقنا بهذه المجالات مجموعة من النصوص المنظمة للعلاقات بين المسؤولين والمت索ّعين^(٢٥)، ومجموعة من النصوص المتعلقة بالرصيد العقاري للأجانب وعقارات الأجانب، وكذلك النصوص القانونية الصادرة بالرائد الرسمي للجمهورية التونسية^(٢٦). وأدرجنا في هذه المدونة المختصة أشكالاً من العقود، مثل «عقد البيع» و«عقد بيع عقار مسجّل» و«عقد تسویغ محل سكني» و«عقد تأمين»^(٢٧) و«عقد مقاولة» و«عقد إيجار على الصنع»؛ وأدرجنا أيضاً نماذج من القرارات، مثل «قرار الترخيص بالبناء» و«قرار هدم منزل» ونماذج من «محضر الإعلام والإذن بالدفع» و«التنبيه» و«العقل» و«الدعوى والتنفيذ» و«عرائض في الأمر بالدفع» و«الأحكام المدنية الصادرة عن المحاكم». ولما كانَتْ تتبع في هذه المدونة نشاطات الحياة اليومية، فقد أدرجنا الشروط العامة لفتح «حساب مصرفي» واستخراج «جواز سفر» وإتمام «عقد قران». وبذلك تضمّ هذه المدونة المختصة ثلاثة وثيقة، يبلغ مجموع عدد صفحاتها ١٦٠٥ صفحة، ويبلغ عدد كلماتها ٤٠١٢٥ كلمة. وستتبّع ما تتضمّنه من أفعال الوجوب. ويكشف النظر في المدونة المختصة عن اطّراد أفعال الوجوب مقارنة بأفعال الإمكاني والاحتمال والمنع بدليل ما يعرضه الجدول التالي من فروق التواتر بين أصناف هذه الأفعال.

تواتر أفعال المنع		تواتر أفعال الإمكاني		تواتر أفعال الوجوب	
التواتر	الفعل	التواتر	الفعل	التواتر	الفعل
١٦	يُمنع	٣	لا يُمنع	٤٢١	وجب / يجب
٢١	يُمْحَجَّر	٧٢ ١	يمكن أمّكن	٥٣	لا يمكن
		٦٣ ٨	يجوز جاز	٤٤	لا يجوز
		٢	يستطيع / تستطيع	١٨ ٧ ١	يلتزم لزم / يلزم استلزم

				١٧	ينبغي
				١٢	يتعيّن
				١٢	يتحتم
				٦	يقتضي
				٦	يشترط
				٦	يتعهد
				١	لا يحقّ
٣٧	مجمل التواتر	١٤٩	مجمل التواتر	٦٠٤	مجمل التواتر
٧٩٠				مجمل التواتر	

نلاحظ من الجدول السابق أنّ أفعال الوجوب تطرّد أكثر من أفعال الإمكان والمنع. فهي تمثّل نسبة ٤٥,٧٦٪ من مجمل تواتر أصناف هذه الأفعال في المدونة المختصة. ونخلل هذه الظاهرة بأنّ النصوص القانونية تلزم المتلقّي بتطبيق قانون ما أو إنجاز أمر ما، مما يجعل أفعال الاحتمال تختفي وأفعال المنع يقلّ استعمالها.

ويثبت تواتر أفعال الوجوب في مدونة نصوصها قانونية أنّ الفعل «يجب» يطرّد استعماله ٤٢١ مرة وذلك بنسبة ٦٩,٧٪ من إجمالي استعمال أفعال الوجوب. ومن ثم نتساءل عن دواعي اطّراد هذا الفعل في النصوص القانونية مقارنة ببقية أفعال الوجوب. ولعلّنا نستقي الإجابة من تتبع معاني هذا الفعل في قواميس اللغة وفي أشكال استعماله في المدونات اللسانية.

ونلاحظ أنّ فعل «لا يُمكِّن» و«لا يجوزُ» المنفيّين يليان الفعل «وَجَبَ، يَجِبُ» في نسبة التواتر. ويثيران التساؤل لأنّهما فعلاً إمكان لحقهما النفي. فهل تنزع النصوص القانونية إلى توظيفهما لتحقيق درجة مخففة من الإلزام مغايرة لدرجة الحسم التي يفيدها الفعل «يجب»؟ وهل يرجع ارتفاع تواتر الأفعال «وجب، يجب» و«لا يمكن» و«لا يجوز» إلى ما تفيده دلالاتها من معانٍ عدّة تجعلها تداول أكثر من أفعال الوجوب الأخرى؟ وتقضي الإجابة عن هذين الاستفهمامين تتبع أشكال استعمال هذه الأفعال، وهذا ما يدعونا إلى إحصاء بُنى التراكيب.

ولا يقتصر في تحليل مفهوم الوجوب على درجة توادر الفعل في المدونة الحاسوبية، وإنما ننظر إلى ما يعلق به فعل الوجوب من فواعل ومفاعيل. وفي هذه الحالة نظر إلى مدى انعكاس طبيعة الفواعل على نسب التواتر. ولا يقتصر عملنا على الإحصاء المعجمي لأشكال الوجوب في مدونة قانونية والكشف عن عناصرها فحسب، وإنما نسعى إلى تتبع تراكيبيها ومدى اقترانها بأن. ونروم من ذلك استخلاص السمات التركيبية والدلالية لأفعال الوجوب ومدى إسهام التراكيب في تحديد خصوصياتها ودرجات تحقيقها سمة الإنرام.

ونتيجن من الإحصاء اللغوي لاستعمالات الفعل «يجب» أن هذا الفعل يوظف في صيغة المضارع أساسا. وإن توادر عشر مرات في صيغة الماضي الدال على المستقبل فلا أنه تنزل في تركيب شرطي. ولا يُصرف الفعل «يجب» إذ يقتصر استعماله على ضمير الغائب المفرد سواء في صيغة المضارع أو الماضي. وتكشف لنا مدونة البحث عن تصريف الفعل «وجب» مع ضمير الغائب المفرد المؤنث طبق تركيبين هما:

فعل الشرط + جواب الشرط الذي يرد على نحو: وجبت + مركب بالجر + مركب بالإضافة.

ومثال ذلك «منْ تَكَفَّلَ بِلَقِيقَيْطِ وَاسْتَأْدَنَ مِنَ الْحَاكِمِ وَجَبَتْ عَلَيْهِ نَفَقَتُهُ إِلَى أَنْ يَصِيرَ قادِرًا عَلَى التَّكَسُّبِ مَا لَمْ يَكُنْ لِذَلِكَ الْلَّقِيقَيْطِ مَالٌ» (مجلة الأحوال الشخصية). ولا يخرج هذا التركيب عن تراكيب الفعل «يجب» إذ يتقدم المركب بالجر على الفاعل النحوي ينص على الفاعل الحقيقي.

ونخلص من جدول أفعال الوجوب إلى أن مفهوم الإمكان يتحقق أساسا باستعمال الفعل «يمكن». فقد يطرد في مدونة النصوص القانونية أربعاء وسبعين مرة. ويقترن الفاعل بأن في ٥٠ مرة من محمل ٧٤ مرة. وإذا عرفنا أن المركب بالإضافة صيغ من «أن» المصدرية المترنة بالفعل، عرفنا أن فاعل الفعل «يمكن» يقترن بأن في ٦١ حالة من توادر ٧٤ استعمال. ومثال ذلك: «لَيْسَ فِي هَذَا الْمِياثِقِ مَا يُمْنَعُ أَعْضَاءَ الْأَمَمِ الْمُتَّحِدَةِ مِنْ أَنْ يَعْهَدُوا بِحَلٍّ مَا يَنْشَأُ بِيَنْهُمْ مِنْ خَلَافٍ إِلَى مَحَاكِمٍ أُخْرَى بِمُقْتَضَى إِتْفَاقَاتٍ قَائِمَةٍ مِنْ قَبْلِ أَوْ يُمْكِنُ أَنْ تُعَدَّ بِيَنْهُمْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ».

ونتيجن من هذا المثال أن فعل الإمكان (يمكن) يقترن فاعله بـ«أن» على نحو «أن

تُعْقَد بِيْنَهُمْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ». ويحيىء الفاعل مركباً بالموصول الحرفي، وينحرج فاعل الفعل «يمكن» عن مركب الموصول الحرفي في ١١ حالة. وتنحو أفعال المنع المنحى ذاته ومثال ذلك: «يُمْنَعُ عَلَيْهِ لَأَيِّ سَبَبٍ كَانَ أَنْ يَسْوَغَ الْمَحْلَ لِلْغَيْرِ». وجاء فاعل الفعل «يُمْنَعُ» مركباً بالموصول الحرفي «أَنْ يَسْوَغَ الْمَحْلَ لِلْغَيْرِ». وقد فُصل في هذا المثال بين الفعل «يُمْنَعُ» والفاعل بمركب بالجر «عَلَيْهِ لَأَيِّ سَبَبٍ كَانَ». وتترنح بقية أفعال الوجوب التزعة ذاتها وأمثلة ذلك:

المثال الأول: «يَتَحَمَّلُ أَنْ تَكُونَ كُلُّ عَمَلَيَّةٍ ذَاتٍ مُبْلِغٌ أَدْنَاهُ خَسْمَةُ دَنَارٍ».

المثال الثاني: «يَجِبُ أَنْ تَضْمَنَ تَلْكَ الْلَائِحَةَ النَّصَّ عَلَى دَعْوَتِهِ لِلْاجْتِمَاعِ بِنَاءً عَلَى طَلَبٍ يُقَدَّمُ مِنْ أَعْلَمِيَّةِ أَعْسَائِهِ».

المثال الثالث: «يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ تَأْلِيفُ الْهَيَّةِ فِي جَمْلَتَهَا كَفِيلًا بِتَمْثِيلِ الْمَدَنِيَّاتِ الْكُبْرِيَّ»

المثال الرابع: «يُحَجِّرُ تَغْرِيبُ الْمَوَاطِنِ عَنْ تَرَابِ الْوَطَنِ».

وإذا كنّا قد سقنا أمثلة أربعة لأفعال المنع والإمكان والوجوب، فإنّنا لا نجزم باقتران فواعلها بأن ما لم ننظر في الاستعمالات اللغوية جميعها في المدونات الحاسوبية العامة. ويتولّد سؤال آخر هل يكون الفعل وجب فعلاً جهياً إذا لم يقترن فاعله بـ«أن»، وإن اقترن بأن فهل تعتبر «أن» مؤشراً على أنه فعل جهبي؟ ألا يقترن فاعل بعض الأفعال بـ«أن» دون أن يكون فعلاً جهياً؟

٥. تراكيب الفعل «يجب»

لما كنّا ننتهي في بحثنا منهجاً تركيبياً دلاليّاً، فقد أحصينا أشكال التراكيب للفعل «وَجَبَ، يَجِبُ»، وضبطناها مشفوعة بحسب التواتر وأنموذج من أوجه الاستعمال. وقد رتبناها حسب نسبة تواتر تراكيب هذين الفعلين. ونقف في المدونة المختصة على تسعه تراكيب يتصدر فيها الفعل «يَجِبُ» الجملة وسبعين تراكيب يُسبق فيها بمركب للجر مع تنوع في تراكيب فاعل هذا الفعل. ويرد الفعل «وَجَبَ، يَجِبُ» صلة للموصول وخبراً للمبتدأ أو الناسخ وجواباً للشرط.

٥.١. استعمال فاعل الفعل «يُجِبُ» مركباً بالموصول الحرفىٰ

يتواتر الفعل «يُجِبُ» ١٥٧ مرّة طبق التركيب «يُجِبُ + مركب بالموصول الحرفىٰ». ويطرد في النص القانوني ١٥٧ مرّة من مجموع ٣١٤ توافراً للأشكال التركيبية التي يتصدر فيها هذا الفعل الجملة وذلك بنسبة ٥٠٪. ونعمل اطّراد هذا التركيب بأمررين: أولاًً أنّ الفعل «يُجِبُ» يقترن بفاعله مباشرةً إذ يحصل بينهما تضامن، وثانياً أنّ الفعل «يُجِبُ» يتزع إلى شحن المركب الإسنادي بأكمله. ولما كان الإلزام يدعو إلى إنجاز ما يصدر عن المتكلّم من قول، فإنّ المركب الإسنادي الفعلي يقترن بأنّ المعبرة عن المستقبل. ونخلص إلى أنّ اللغة العربية تتزع إلى توظيف هذا الشكل التركيبى بدليل أنه جاء أكثر توافراً من بقية التركيب.

٥.٢. أوجه استعمال الفعل «يُجِبُ» وقد فصلَ بينه وبين فاعله المركب بالموصول الحرفىٰ بمركب بالجر

نتبيّن أنّ المركب بالجر يفصل بين الفعل «يُجِبُ» وبين فاعله المركب بالموصول الحرفى بمعدل ٩٣ مرّة. وجاءت نسبة اطّراد هذا التركيب في المرتبة الثانية من توافر تراكيب فعل «يُجِبُ» في هذه المدونة المختصة. ويمكن أن نختزل المركب بالجر ونورده فاعلاً لفعل المركب بالموصول الحرفى. فيكون على نحو: يُجِبُ على كتاب المحاكم أنْ يرْسُموا بِدَفْتِرٍ خاصًّا أسماء جميع الأشخاص المحكوم عليهم في الجنائيات أو الجنح^(٢٨).

وتكون هذه الجملة في حال اختزال المركب بالجر على نحو:

يُجِبُ أنْ يرْسُموا (على كتاب المحاكم) بِدَفْتِرٍ خاصًّا أسماء جميع الأشخاص المحكوم عليهم في الجنائيات أو الجنح.

وتحول هذه الجملة على نحو:

يُجِبُ + أنْ يرْسُمَ كتاب المحاكم بِدَفْتِرٍ خاصًّا أسماء جميع الأشخاص المحكوم عليهم في الجنائيات أو الجنح.

ويتقديم المركب بالجر (على كتاب المحاكم) على المركب بالموصول الحرفى ليُشحن

بالوجوب ولأنّ المركب بالوصول الحرفيّ (أنْ يرسّموا بِدَفْتَرٍ خاصٌّ أسماءً جميع الأشخاص المحكوم عليهم في الجنائيات والجنح) يتبع عمل كتاب المحاكم. فإذا شحنا المركب بالجرّ على «كتاب المحاكم» فإنّا نكون قد شحنا بصورة مضمورة المركب بالوصول الحرفيّ. وجاء شحن المركب بالوصول الحرفيّ باسم الوجوب لأنّه يمثل الفاعل النحوّي. فكتاب المحاكم فواعل وما الرسم بالدفاتر إلا ناتج عن عملهم.

ويتكون المركب بالجرّ (على كتاب المحاكم) من حرف الجرّ (على) ومن مركب بالإضافة مكوّن من مضاف (كتاب) ومضاف إليه (المحاكم). ولما جاء المركب بالجرّ قصيراً ومكوّناً من ثلاث كلمات فإنّ شحنة الوجوب لفعل «يجب» تؤثّر أيضاً في المركب بالوصول الحرفيّ. لذا فهي تسمّي الفاعل الحقيقيّ بدرجة أولى لتنعدّى بعده إلى ما يحدث عنه.

والحاصل أن المركب بالوصول الحرفيّ جاء فاعلاً للفعل «يجب». فقد اقتنى مباشرةً بهذا الفعل في ١٥٧ مرّةً في تركيب «يجب + مركب بالوصول الحرفيّ». وانفصل الفعل «يجب» عن فاعله المركب بالوصول الحرفيّ بمركب للجرّ في ٩٣ مرّةً. ونتيّن بذلك أنّ نسبة تواتر الشكليين التركيبيين الأول والثاني تبلغ ٥٣٨٪ من مجموع أشكال الاستعمال. وستكون الهوة كبيرة في نسب التواتر بين هذين التركيبين وما يلحق بهما من تراكيب. فالشكل التركيبيّ الثالث يطرد ستّاً وثلاثين مرّة، ثم تراوح أشكال التراكيب الأخرى بين ١٤ و٣٠ مرّات.

٣.٥ استعمال الفعل «يجب» فاعله مركب بالإضافة

لا يخرج الشكل التركيبيّ الثالث «يجب + مركب بالإضافة» عن التركيبين الأول والثاني:

يجب + مركب بالوصول الحرفيّ.

يجب + مركب بالجرّ + مركب بالوصول الحرفيّ.

لأنّ (أن) في التركيبين الأول والثاني مصدرية بمعنى أنها تتحول و فعلها إلى مصدر، بدليل أنّ جملة «يجب تبسيط الإجراء للتخفيف من أعباء التطبيق» (يجب + مركب إضافي) تصاغ أيضاً على نحو «يجب أن يُسَطِّ الإجراء للتخفيف من أعباء التطبيق».

وضعُف توادر فاعل «يجب» في صيغة مركب بالإضافة (٣٦ مرّة) مقارنة بالمركب بالموصول الحرفي (١٥٨ مرّة) لأنّ اللغة العربية تنزع إلى استعمال التركيبين الأول والثاني، ونعمل ذلك بأنّ المركب بالإضافة يسم الفعل بسمة الإطلاق، ولعله يخفف من شحن المتكلّم الفاعل بالوجوب الذي يتصرّف إنجازه في وقت قريب نسبياً. وفرق بين «يجب تشغيل العاطلين عن العمل» وبين «يجب أن تشغّل العاطلين عن العمل»، لأنّ الفاعلية المضمرة في فعل «تشغل» مع إصدار القول إلى ضمير معين سواء المخاطب أو الغائب يحدث دافعية لإنجاز الفعل في مستقبل قريب. وإذا نزلنا الشكل التركيبي «يجب + مركب بالإضافة» في سياقات استعماله فإنّا نتبين أنه يندرج في صوغ الشروط العامة، سواء ما جاء في الرائد الرسمي أو عقد التسویغ أو مجلة الشغل. فالاستعمال الوارد مثلاً في مجلة الشغل ورد تحت الشروط العامة لتشغيل العمالة الفلاحين. وما يضممه المركب بالإضافة من سمة الإطلاق يلائم توظيف الفعل «يجب» مثلما يدلّ عليه المثال التالي:

يجب إعلام كلّ عامل بمجرد انتدابه بأنه سيَقُعُ استِخدامه بصفة قارَّة أو موسمية أو طارئَة.

ولما كان إلزام الفلاحين مستمراً لفترة ما فإنّ المركب بالإضافة العائد بالفعل «يجب» يحقق غرض المتكلّم. وكذا الأمر في الأمثلة الواردة في ملحقات الدستور والرائد الرسمي للجمهورية التونسية وعقد التسویغ من مثل استعمال «يجب» على نحو «يجب على المتَسْوِغِ إصلاح الأضرار على نفقةِ الخاصة». وينطبق إصلاح الأضرار على كلّ المتَسْوِغِين وفي زمن مستمر. لذا فإنّ المركب بالإضافة يضفي سمة الإطلاق.

٤،٥ الفصل بالمركب بالجزء بين الفعل «يجب» وفاعله الذي جاء مركباً بالإضافة

يفصل المركب بالجزء بين الفعل «يجب» وفاعله المركب بالإضافة في أربعة عشر استعمال لغويّ. وجاء المركب بالجزء فاعلاً معنوياً للفعل «يجب» بدليل أنه ينص في أكثر الاستعمالات على الشخص الفاعل من مثل «على المالك» و«على المتَسْوِغِ» و«على التعاونية» و«مستغل الطائرة». ويكون المركب بالجزء الفاعل الحقيقي في جملة

«يُجِبُ عَلَى الْمَتَسْوَغِ إِصْلَاحُ الْأَضْرَارِ عَلَى نَفْقَتِهِ الْخَاصَّةِ»؛ ويصبح بذلك فعل الفاعل (المركب بالإضافة) مفعولاً به. ويكون أصل الجملة على هذا النحو: المتَسْوَغُ يُصْلِحُ الْأَضْرَارَ عَلَى نَفْقَتِهِ الْخَاصَّةِ. وتشحن الجملة بالفعل «يجب» لتصبح على نحو «يُجِبُ عَلَى الْمَتَسْوَغِ إِصْلَاحُ الْأَضْرَارِ عَلَى نَفْقَتِهِ الْخَاصَّةِ»؛ ثم إنّ توظيف المركب بالإضافة فاعلاً يسمّي الجملة بسمة الإطلاق والعمومية، وهو ما يناسب المحتوى القضويّ لهذه الجملة، إذ الوجوب يلزم كلّ متَسْوَغٍ ولا يخصّ أحداً بذاته.

٥.٥ استعمال فاعل الفعل «يجب» مركباً شبيه إسناديّ

يستعمل فاعل الفعل «يجب» مركباً شبيه إسناديّ من مثل «يُجِبُ تَوْجِيهُ هَذَا الإِعْلَامِ خَلَالَ ٤٨ سَاعَةً مِنْ تَارِيخِ إِجْرَاءِ الْعُقْلَةِ التَّحْفُظِيَّةِ عَلَى الصُّنْدُوقِ الْحَدِيدِيِّ». ويرد فاعل الفعل «يجب» مركباً شبيه إسناديّ في ثمان حالات. جاء رأس المركب مصدراً من مثل «البقاء» و«الترفيع» و«القيام» و«التوقيع» و«التوجيه». وتتسّم هذه المصادر بسمة الإطلاق الذي يناسب استمرارية المحتوى القضويّ لهذه التراكيب. فجملة «يُجِبُ تَوْجِيهُ هَذَا الإِعْلَامِ خَلَالَ أَجْلِ ٤٨ سَاعَةً مِنْ تَارِيخِ إِجْرَاءِ الْعُقْلَةِ التَّحْفُظِيَّةِ عَلَى الصُّنْدُوقِ الْحَدِيدِيِّ» تجعل عملية توجيه الإعلام مستمرةً ومتكررةً. لذا لا يشترط فاعل الفعل «يجب» تقيداً زمنياً مما يجعل المصدر في المركب شبيه إسناديًّا مناسباً لتحقيق المحتوى القضويّ. ويمثل «المركب شبيه الإسناديّ» المركب بالإضافة» الوارد فاعلاً في سمة الإطلاق. وبذلك يبلغ تواتر هذين التركيبين ٤٣ تركيباً، إضافة إلى تركيب «يجب + مركب بالجرّ + مركب بالإضافة». وبذلك يصبح جمل المركبات ٥٣ تركيباً.

٦.٥ الفصل بمركب بالجرّ بين الفعل «يجب» وفاعله المركب شبيه إسناديّ

يفصل المركب بالجرّ بين الفعل «يجب» وفاعله المركب شبيه إسناديًّا على نحو «يجب + مركب بالجرّ + مركب شبيه إسناديّ». ومثال ذلك: «يُجِبُ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ التَّنْبِيَّهُ عَلَى الْمَكْتُرِي بِمَكْتُوبٍ مُضْمُونٍ مَعَ الإِعْلَامِ بِالْوُصُولِ شَهْرِيْنَ قَبْلِ الإِبْتَانِ عَلَى الْأَقْلَى». .

وفصل بين الفعل «يجب» وفاعله المركب شبه الإسنادي بمركب الجر في ثلاث حالات. وجاء المركب بالجر الفاعل الحقيقي. ففي المثال «يجب عليهم (الأبناء المدرجين بهذا الجواز) حينئذ الحصول على جوازات سفر شخصية». يكون ضمير الغائب الجمع «هم» الفاعل الحقيقي بدل المركب شبه الإسنادي «الحصول على جوازات سفر شخصية». وهذا المركب فاعل نحوبي ومفعول به معنويًا. وبذلك يبلغ عدد التراكيب المعبرة عن سمة الإطلاق ٥٦ تركيباً.

٧.٥ استعمال الفعل «تجب»

يستعمل الفعل «تجب» وقد فصل المركب بالجر بين الفعل وفاعله المركب بالإضافة من مثل «تحب عليه حماية المتدرّب من سوء معاملة رملائه أو غيرهم من الأشخاص». ونلاحظ أنّ ضمير الغائب المفرد في مركب «عليه» هو الفاعل الحقيقي، أمّا المركب بالإضافة فهو فاعل نحوبي لا غير. وسقنا هذا المثال لأنّ الفعل صرف مع ضمير المؤتّث الغائب. ووقع تقديم المركب بالجر «عليه» لشحنه باسم الوجوب لا سيما وأنّ مدلول المركب بالإضافة الواقع فاعلاً يتّسم بالإطلاق. وقد انطبق الأمر على استعمال الفعل «يجب» الذي فصل فاعله المركب بالإضافة بمركب بالجر.

ونقف في مجموع المدونة القانونية على استعمال الفعل «تجب» في هذه الحالة وكذلك في حالة ثانية يكون فيها الفاعل لفظاً مفرداً من مثل «تحب عليه المصاريف والأجور المسّعرة». وفي حالة ثالثة يرد الفعل «تجب» في فعل شرط وفاعل فعل الوجوب مركب بالإضافة من مثل «تبقي البنت مستحقة للنفقة إذا لم يتوفر لها الكسب أو لم تحب نفقتها على زوجها».

ونتيجاً، مما استعرضنا من تراكيب سابقة، أنّ أشكال التراكيب التي يتتصدّر فيها الفعل «يجب» الجملة تبلغ ٣١٤ استعمال لغوبيّ من مجموع ٤٢١ استعمال لفعل «يجب» وذلك بنسبة ٥٨,٧٤٪ من مجمل استعمالات هذا الفعل. ويلخص الجدول التالي أشكال التراكيب التي يتتصدّر فيها الفعل «يجب» الجملة.

التواتر	التركيب	الرتبة
١٥٧ مرة	يجب + مركب بالوصول الحرفيّ	١
٩٣ مرة	يجب + مركب بالجرّ + مركب بالوصول الحرفيّ	٢
٣٦ مرة	يجب + مركب بالإضافة	٣
١٤ مرات	يجب + مركب بالجرّ + مركب بالإضافة	٤
٨ مرات	يجب + مركب شبه إسناديّ	٥
٣ مرات	يجب + مركب بالجرّ + مركب شبه إسناديّ	٦
مرة	يجب + مركب بالجرّ + مركب بالجرّ + مركب بالإضافة	٧
مرة	تحب + مركب بالجرّ + مركب بالإضافة	٨ تحب
مرة	تحب + مركب بالجرّ + لفظ مفرد	٩
٣١٤		مجموع التواتر

نلاحظ من تواتر تراكيب هذا الجدول أنّ الفعل «يجب» يعلق بفاعله مباشرة في تراكيب ثلاثة فحسب وهي:

يجب + مركب بالوصول الحرفيّ ١٥٧ مرة.

يجب + مركب بالإضافة ٣٦ مرة.

يجب + مركب شبه إسناديّ ٨ مرات.

وتواتر هذه التراكيب الثلاثة في ٢٠١ حالة، في حين أنّ الفصل بمركب بالجرّ بين الفعل «يجب» والفاعل مركباً بالوصول الحرفيّ أو مركتاً بالإضافة أو مركتاً شبه إسناديّ يتحقق في ١١٣ حالة وفي ستة أشكال تركيبية هي:

يجب + مرّكب بالجرّ + مرّكب بالوصول الحرفيّ ٩٣ مرّة.

يجب + مرّكب بالجرّ + مرّكب بالإضافة ١٤ مرّة.

يجب + مرّكب بالجرّ + مرّكب شبه إسناديّ ٣ مرّات.

يجب + مرّكب بالجرّ + مرّكب بالجرّ + مرّكب بالإضافة مرّة.

تحبّ + مرّكب بالجرّ + مرّكب بالإضافة مرّة.

تحبّ + مرّكب بالجرّ + لفظ مفرد مرّة.

ولعلّ نزعة النصّ القانوني إلى الحسم جعلت الفعل «يجب» يتقدّر أشكال تراكيب الجدول السابق. ثم إنّ سعي المتكلّم إلى شحن القانون بأكمله حمله على بدء الجملة بالفعل «يجب». ونلاحظ من توادر نسب أشكال التراكيب للفعل «يجب» أنّ التركيب الأساسي جاء على نحو:

يجب + أن + مرّكب بالوصول الحرفيّ.

وقد توادر هذا التركيب ١٥٧ مرّة. ولما كانت أشكال الاستعمال الأخرى مرّكات بالإضافة المضاف فيها مصدر ومرّكات شبه إسناديّة المشتقّ فيها مصدر فإنّها تتفرّع عن التركيب الأساسي، وليس إلاّ تنويعات للتعبير عن سمة الإطلاق الذي يتحققه المصدر.

ونخلص من الجدول السابق إلى اطّراد فعل «يجب» في مدونة النصوص القانونية بنسبة ٧٤,٨٪ من إجمالي استعمال توادر أفعال الوجوب وبمعدل ٣١٤ استعمال لغويّ. لكن، إذا أمعنا النظر في طبيعة استعمال هذا الفعل، فإنّنا نتبين غيابه في معظم العقود. ونخلص من الاستعلامات السابقة إلى أنّ فاعل الفعل «يجب» يطرد مرّكاً بالإضافة مقارنة بوروده مرّكاً شبه إسناديّ. فالمركب بالإضافة يبلغ توادره ستّاً وثلاثين تركيبة على نحو: يجب + مرّكب بالإضافة. وفي المقابل يبلغ توادر الفاعل مرّكاً شبه إسناديّ سبع عشرة مرّة. ونخلل هذا التفاوت بأنّ المركب بالإضافة يتّسّم حدّه بالإطلاق، بينما تظلّ فاعليّة نسبية في المركب شبه الإسناديّ.

٨,٥ استعمال الفعل «يجب» في وسط الجملة

يرد فعل «يجب» في وسط الجملة في ٩٩ استعمالاً لغوياً من مجموع ٤٢١ استعمالاً لفعل «وجب، يجب» وذلك بنسبة ٢٣,٥١ %. ونعمل هذه الظاهرة بأن المتكلّم يشحن جزءاً من الجملة بالوجوب بدليل أنّ استعمال الفعل «يجب» جاء «صلة الموصول» أو «جواب شرط» أو «خبر المبتدأ أو ناسخ». ثم إنّ فعل الشرط أو المبتدأ في مثل هذه الجمل يمثل افتراضاً عاماً وبذلك لا يحتاج إلى التزام. وهو يسبب نتيجة يعمد المتكلّم إلى شحنها بالوجوب.

إنّ صلة الموصول تمثّل جزءاً متّماً يلحق بالجملة الأساسية، لذا يعمد المتكلّم في هذه الحالة إلى شحن صلة الموصول لا غير. وبذلك يُستعمل فعل «يجب» في وسط الجملة. وإذا تصدر فعل «يجب» الجملة في مثل هذا النوع من الجمل فإنّ الوجوب قد يخفّت بالنسبة إلى صلة الموصول. والشحن المتولّد عن أفعال الوجوب أساسياً لخبر المبتدأ القابل للشكّ من المقابل، أمّا المبتدأ فيرد معرفة وهو معلوم ويقينيّ مبدئياً من المتكلّم في حين أنّ ما يُخبر عنه يكون محلّ تساؤل من المتلقّي مما يحتمّ إلزامه إذا قصد المتكلّم ذلك.

٩,٥ استعمال الفعل «يجب» مسبوقاً بمركب بالجرّ ومتبعاً بمركب

بالجرّ

تضمن المدونة المختصة ثانية استعمالات للفعل يجب وسط الجملة على نحو:

«مركب بالجرّ+يجب+مركب بالجرّ+مركب بالموصول الحرفيّ».

يُخبر المركب بالجرّ المتصدر الجملة عن حالة يولد حدوثها الأمر بالإلزام. وهذا ما يعلّل تصدر المركب بالجرّ الجملة وسبقه في الرتبة الفعل «يجب»، مثلما هو الحال في جملة «في حالة ضياع هذا الجواز أو تلفه يجب على صاحبه أن يعلم بذلك فوراً السلطة الإدارية أو أقرب عة ديلوماسية تونسية»^(٢٩).

يتّأّتى الإلزام عند ضياع جواز السفر وهو ما يفسّر تصدر المركب بالجرّ الجملة. ثم إنّ مضمون المركب بالجرّ لا يستلزم الإلزام. فكيف نوجّب ضياع جواز السفر؟ أمّا ما يتّرتب عن هذا الضياع فيقتضي أن يُشحن بالإلزام.

٥.١٠. استعمال الفعل «يجب» مسبوقاً بمركب بالجر ومتبعاً بمركب بالموصول الحرف

يستعمل الفعل «يجب» مسبوقاً بمركب بالجر ومتبعاً بمركب بالموصول الحرفي من مثل «بالنسبة للطُرُود التي تُحْوي موادًّا مُشَعَّةً يُجِبُ أنْ تُوظَبَ بحيث تَسْتَجِيبُ لِمُقْتضَياتِ الفصلِ بين البَصَائِع الْوَارِدَةِ بالفَصْلِ ٤٧ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ».

ونعثر في هذه المدونة المختصة على خمسة استعمالات للفعل «يجب» مسبوقاً بمركب بالجر ومتبعاً بمركب بالموصول الحرفي. ونتبيّن أنَّ هذه المركبات بالجر تضمر معنى شرطياً. فهي تماثيل وظيفة فعل الشرط. وقد جاءت في معظمها على صيغتي «في هذه الحالة» و «في صورة...». ونستقرّي مفهوم الشرط من هذه الاستعمالات على نحو: في صورة المحاكمة يُجِبُ أنْ يكونَ العِقَابُ المُحْكُومُ بِهِ من مُحْكَمَةِ الدُولَةِ الطَالِبَةِ عِقَابًا سالِبًا لِلْحُرْيَةِ مُسَاوِيًّا أو يُزِيدُ عَلَى شَهَرَيْنِ.

وأصل الجملة: إنْ حُوكِمَ (بدل عبارة: في صورة المحاكمة) يُجِبُ أنْ يكونَ العِقَابُ.....

وكذا الأمر جملة: «في صورة وفاة يُجِبُ أنْ يُعلَمَ الورِيثُ التَّعاوِنِيَّةُ في أقربِ الأَجَالِ باسْمِهِ».

فهي جملة شرطية على نحو: إنْ تُؤْفَى يُجِبُ أنْ يُعلَمَ الورِيثُ التَّعاوِنِيَّةُ في أقربِ الأَجَالِ باسْمِهِ.

ويُتَضَّحُ من هذين المثالين أنَّ مضمون المركب بالجر يفيد الشرط وهو بذلك يتحقق افتراضاً، إنْ حدث، تستلزم نتيجة حدوثه الإلزام بفعل أمر ما. وهذا ما يفسّر تصدر المركب بالجر الأمثلة الواردة في المدونة المختصة، ويعلّل أيضاً رتبة الفعل «يجب» في وسط الجملة. فالشحن بالوجوب يقتضيه القسم الثاني من الجملة في حين أنَّ الافتراض العَبَر عنده بالمركب بالجر لا يستلزم الشحن بالوجوب. ونتبيّن أنَّ مثل هذا التركيب عدّل مدلول الفعل «يجب»، فالمركب بالجر أكسب الفعل مفهوم الشرط. وبذلك أفاد الفعل «يجب» معنى الفعل «يُشَرِّط» بدل تحقيق الوجوب القاطع. فجملة: «في صورة المحاكمة يُجِبُ أنْ يكونَ العِقَابُ المُحْكُومُ بِهِ من مُحْكَمَةِ الدُولَةِ

الطالبة عقاباً سالباً للحرية مساوياً أو يزيد على شهرين» تستبدل على نحو: إن حوكم فيشتَرط أن يكون العقاب المحكوم به من محكمة الدولة الطالبة عقاباً سالباً للحرية مساوياً أو يزيد على شهرين. وكذا الحال في المثال الثاني ففعله «يجب» يفيد الشرط، والمثال: في صورة وفاة ، يجب أن يعلم الوريث التعاونية في أقرب الآجال باسمه. ويحول هذا المثال على نحو: إن توفي فإنه يشتَرط أن يعلم الوريث التعاونية في أقرب الآجال باسمه.

١١.٥ استعمال الفعل «يجب» مسبوقاً بمركب بالجر ومتبعاً بمركب بالجر ومركب بالإضافة.

يُستعمل الفعل «يجب» مسبوقاً بمركب بالجر ومتبعاً بمركيبي بالجر والإضافة من مثل «في صورة حدوث طارئ أثناء الطيران يجب على الطيار قائد الطائرة، حالما تسمح الوضعية بذلك إعلام مصالح خدمات الحركة الجوية بوجود بضائع خطيرة على متن الطائرة».

يعرض هذا المثال استعمال الفعل «يجب» بين مركيبي جر، وقد يفصل المركب بالجر الثاني بين الفعل وفاعله المركب بالإضافة. ويضم المركب بالجر المتصدر الجملة مفهوم الشرط المبني على الافتراض. ويعني المركب بالجر الثاني بتحديد الطرف المعنى. وبعد ذلك يجيء الفاعل مركباً بالإضافة وفي مرتبة ثالثة ليخبر بأمر ما. وبالنظر معنويًا إلى الجملة يتضح أن المركب بالجر الثاني هو الفاعل الحقيقي وما المركب بالإضافة إلا فاعلاً نحوياً. ونستدل على هذا التأويل بتحليل المثال السابق الذكر، إذ جاء المركب بالجر في المثال السابق على نحو: في صورة حدوث طارئ أثناء الطيران.

ويتمكن أن نستبدل به فعل شرط يسوق افتراضاً ما وذلك بقولنا: إن حدث طارئ أثناء الطيران.

أما المركب بالجر الثاني فيشير إلى شخص ما، وهو الطيار قائد الطائرة. وهو الفاعل الفعلي الذي يأمر بوجوب إعلام مصالح خدمات الحركة الجوية بوجود بضائع خطيرة على متن الطائرة. فالفعل النحوية «إعلام مصالح خدمات الحركة الجوية» قاصر عن إنجاز ما يسعى فعل الوجوب إلى تحقيقه.

١٢٥. استعمال الفعل «يجب» مسبوقاً بمركب بالجر ومتبعاً بمركب بالإضافة

يرد الفعل «يجب» مسبوقاً بمركب بالجر ومتبعاً بمركب بالإضافة من مثل «في صورة عدم توفر أيٍ من شروط الكفاءة المهنية لدى الممثل القانوني، يجب تشغيل شخصٍ توكلاً له مسؤولية التسيير».

وتسوق المدونة أربعة استعمالات لهذا التركيب: مركب بالجر + يجب + مركب بالإضافة.

وتصوغ المركبات بالجر شرطاً إذا ما تحققت استوجبـت إلزاماً بتحقيقـ أمرـ ماـ. وتدلـ المحتويـات القـضـوـيـةـ هـذـهـ المـركـبـاتـ عـلـىـ ذـلـكـ. فقد صـيـغـ المـركـبـ بالـجـرـ عـلـىـ نحوـ:

في صورة عدم توفر أيٍ من شروط الكفاءة المهنية لدى الممثل القانونيـ. ويمكن أن نستبدل بهـ: «إن لم يتوفـرـ أيـ شـرـطـ منـ شـرـوطـ الكـفاءـةـ الـمهـنيـةـ لـدىـ المـمـثـلـ القـانـونـيـ....ـ

وكذا الأمرـ لـ: عندـ اكتـشـافـ آثارـ لـضرـرـ أوـ ضـيـاعـ؛ـ أوـ لـتقـديرـ المـنـحةـ.

ويـسـتـبـدـلـ بـهـماـ:ـ إنـ اـكـتـشـفـتـ آـثـارـاـ لـضرـرـ أوـ ضـيـاعـ.

ـإنـ قـدـرـتـ المـنـحةـ.....ـ

ـوـإـذـ تـحـقـقـتـ هـذـهـ الشـرـوـطـ أـصـبـحـ ماـ اـقـرـنـ بـهـ الفـعـلـ «ـيـجـبـ»ـ مـلـزـماـ.ـ وـيـوحـيـ مـدـلـولـ هـذـهـ الجـملـ بـأـئـمـاـ شـرـطـيـةـ.ـ وـهـيـ عـلـىـ نـسـقـ:ـ إـنـ اـكـتـشـفـتـ آـثـارـاـ لـضرـرـ أوـ ضـيـاعـ،ـ يـجـبـ تـفـقـدـ مـكـانـ الطـائـرـةـ.

فعل الشرط جواب الشرط

ـوـعـلـىـ نـسـقـ:ـ إـنـ لـمـ يـتـوفـرـ أيـ شـرـوـطـ الكـفاءـةـ الـمهـنيـةـ لـدىـ المـمـثـلـ القـانـونـيـ،ـ (ـفـعـلـ شـرـطـ)ـ؛ـ يـجـبـ تـشـغـيلـ سـخـصـيـ تـوكـلاـ لـهـ مـسـؤـولـيـةـ التـسيـيرـ (ـجـوابـ شـرـطـ).ـ وـجـاءـ الفـاعـلـ مـرـكـباـ بـالـإـضـافـةـ الـتـيـ تـسـمـ المـصـافـ وـالمـضـافـ إـلـيـهـ بـسـمـيـ الإـطـلاقـ

والشخص. وينعكس معنى هاتين السمتين على الفعل «يجب» فيحولان معناه من الإلزام إلى الاشتراط والشخص. وتبين بذلك أن سمات التركيب تسهم في استحداث الدلالة وتحقيقها، وتلائم سمة الاشتراط المحققة في المركب بالجرّ سمة الإطلاق المضمنة في معنى الإضافة. وتعاضد السمتان لتولداً معنى الاستمرارية والعمومية المناسبتين لضمون الأمثلة السابقة. فتقدير المنحة واعتبار الامتيازات التكميلية والعطايا العينية يطلان مستمرة. واكتشاف آثار لضرر أو لضياع يقتضي دوماً تفقد مكان الطائرة التي لم تحدد لما توحى به من عمومية.

١٣,٥ استعمال «يجب» مسبوقاً بمركب بالجرّ ومتبوعاً بمركب بالجرّ

ومركب شبه إسنادي

يرد الفعل «يجب» مسبوقاً بمركب بالجرّ ومتبوعاً بمركب بالجرّ وبمركب شبه إسناديّ من مثل:

«وفي صورة امتناع المكترين من مبارحة محلّ يجب على المالك القيام عليهم بقضايا في الخروج أثناء الشهر المولى لانقضاء أجل الأشهر الستة».

يتوسط الفعل «يجب» في المثال مركبي الجرّ ويكون الفاعل مركباً شبه إسناديّ، ويفيد «المركب بالجرّ» الوارد في المرتبة الأولى في الجملة معنى الشرط وصيغته دالة عليه بدليل أنّ المركب بالجرّ : «في صورة امتناع المكترين من مبارحة محلّ» يمكن أن يُستبدل على نحو: إنْ امتنع المكترون عن مبارحة محلّ.

وأمّا المركب بالجرّ الثاني فينصّ على الفاعل الحقيقي بدليل ذكر اسم الشخص وهو المالك الذي قدّم على المركب شبه الإسنادي ليُشحن بمفهوم الوجوب، وأمّا الفاعل المركب شبه الإسنادي «القيام عليهم بقضايا في الخروج أثناء الشهر المولى» فليس إلاّ فاعلاً نحوياً، وقد جاء مركباً شبه إسناديًّا لتحقيق إنجاز عمل ما مثل القيام عليهم بقضايا.

١٤,٥ استعمال الفعل «يجب» مسبوقاً بمركب بالجرّ ومتبوعاً بمركب

شبه إسناديّ

يُستعمل الفعل «يجب» مسبوقاً بمركب بالجر ومتبعاً بمركب شبه إسناديّ من مثل:

«الرسيمٍ محضِ الإنذارِ يجِب التنصيصُ به على مرجعٍ إيداعٍ ترسيمٍ حقوقِ المعمولِ عليه». ^{عليه}

ويُمثل تركيب هذا المثال تركيب المثال السابق باستثناء غياب المركب بالجر الثاني. وبُدئ التركيب بمركب بالجر لعرض افتراض مشروط إذا ما تحقق استلزم الوجوب بإنجاز أمر ما. وبغياب المركب بالجر الثاني فإنَّ التنصيص على الفاعل الحقيقي لم يحدث.

١٥.٥ استعمال الفعل «يجب» مسبوقاً بمركب بالإضافة ومتبعاً بمركب بالجر و بمركب بالموصول الحرفِي.

يُستعمل الفعل «يجب» مسبوقاً بمركب بالإضافة ومتبعاً بمركب بالجر وبمركب بالموصول الحرفِي من قبيل «خلال العقدِ يجِب على المؤمن أنْ يُصرَح للتعاونية برسالة مضمونة الوصول في الآجال المخصوص عليها بالفصل ٧ من مجلة التأمينات بتغييرات العناصر الآتية».

ورد في المدونة المختصة ثلاثة استعماالت «يجب» طبق التركيب:

مركب بالإضافة + يجب + مركب بالجر + مركب بالموصول الحرفِي.

ويفيد المركب بالإضافة إمكان حدوث أمر ما، وأمّا المركب بالجر فينّص على الفاعل الحقيقي في حين لا يمثل المركب بالموصول الحرفِي إلّا الفاعل النحوّي.

١٦.٥ استعمال الفعل «يجب» مسبوقاً بمركب بالإضافة ومتبعاً بمركب بالموصول الحرفِي

يُستعمل الفعل «يجب» مسبوقاً بمركب بالإضافة ومتبعاً بمركب بالموصول الحرفِي من مثل «كُلُّ تَرْشِحٍ لِوِسَامِ الشُّغْلِ يجِبُ أَنْ يَقُومَ بِهِ الْمُؤْجَرُ». ونلاحظ أنَّ هذا المثال يبدأ بمركب بالإضافة لإفادته معنى الإطلاق وهو ما يلائم مضمون المركب

بالإضافة المعبر عن كل ترشح لوسام الشغل. فالترشح متجدد ومستمر. وجاء الفاعل مركباً بالوصول الحرفي لأنّه يقتضي فاعليّة نسبية.

١٧,٥ استعمال الفعل «يجب» خبرا للناسخ أو لمبتدأ

يستعمل الفعل «يجب» خبرا للناسخ أو لمبتدأ طبق التراكيب التالية وقد رتبناها حسب تواترها.

أ. المبتدأ + الخبر: يجب + مركب بالوصول الحرفي.

ب. الناسخ + اسم الناسخ + خبر الناسخ: يجب + مركب بالوصول الحرفي.
وتواتر هذان التركيبان ١٩ مرّة.

ت. المبتدأ + الخبر: يجب + مركب بالإضافة.

ث. الناسخ + اسم الناسخ + الخبر: يجب + مركب بالإضافة.
تواتر هذا التركيب: ١٠ مرّات.

ج- المبتدأ + الخبر: يجب + مركب بالجر + مركب بالوصول الحرفي.

الناسخ + اسم الناسخ + الخبر: يجب + مركب بالجر + مركب بالوصول الحرفي.
الناسخ + اسم الناسخ + خبر الناسخ: يجب + مركب شبه إسنادي.
وقد تواترت هذه التراكيب ٣ مرّات.

يرد الفعل «يجب» في التراكيب السابقة خبراً للمبتدأ أو الناسخ. ونتبيّن من الوقوف على جمل هذه التراكيب أن إشكال المحتوى القضوي يكمن في الخبر الذي يتحقق الإعلام بشكل من الأشكال. ومن ثم يستلزم الوجوب أو الاحتمال أو المنع أو الإمكان. فالمبتدأ في جملة «الرُّدُّ يجب أن يكونَ بعدَ وفاةِ الموصي في أجلِ أقصاه شهرانِ من تاريخِ إعلامِ الموصى له بالوصية» لا يضم إشكالاً. فمفهوم الرد يتحقق مفهوماً ما يحدّد بما يخبر به عنه. وإذا جاء الخبر مشحوناً بالإلزام فلأنّ المتكلّم يقصد الخبر فحسب (أن يكون بعد وفاة الموصى في أجل أقصاه شهران من تاريخ إعلام الموصى له بالوصية).

وجاء الفعل «يجب» خبرا للناسخ أو المبتدأ في عشرة استعمالات لغوية. ودلّ

المبتدأ أو اسم الناسخ على افتراض وقوع حدث على نحو ما تقتضي معالجته بطريقة معينة. لذلك لزم وسمها بالوجوب. فالمثال التالي يستبدل المبتدأ بفعل شرط والخبر بجواب شرط على نحو «توقيف العمل المنصوص عليه بهذا الفصل لا يكون سبباً في فسخ عقد الشغل من طرف المؤجر وإنما يُحِبْ غُرم الضرر لفائدة العامل».

ويصبح التركيب تركيباً شرطياً على نحو: إنْ تَوَقَّفَ الْعَمَلُ الْمَنْصُوصُ عَلَيْهِ بِهَذَا الْفَصْلِ (فعل شرط).

فإنَّهُ لا يكون سبباً في فسخ عقد الشغل من طرف المؤجر (جواب الشرط).

ويكون فعل الشرط وجوابه فعل شرط لجواب الشرط الثاني: «فإنَّهُ يُحِبْ غُرم الضرر لفائدة العامل».

ويستعمل الفعل «يُحِبْ» خبراً للناسخ أو المبتدأ على نحو: في صورة غلق المحل أو غلقِ قسم منهٍ لدَّةٍ تفوق مدة الرخصة السنوية الشرعية فإنَّهُ يُحِبْ على المؤجر أنْ يدفع لعميلتهِ عن كُلِّ يومٍ من أيام العمل التي أغلق فيها محلهُ زيادةً على مدة الرخصة المذكورة أجرًا.

ويعرض هذا المثال استعمال الفعل «يُحِبْ» خبر الناسخ أو المبتدأ. وجاء الفاعل مرکّباً بالوصول الحرفي؛ وقد فصل مرکب بالحرر بين الفعل والفاعل قصد التنصيص على الفاعل الحقيقي. فالمركب بالحرر الأول «على المؤجر» يتضمن إشارة إلى الفاعل الحقيقي، وجاء مجموع التواتر ضعيفاً إلا أنه يمثال استعمالات الفعل «يُحِبْ» عند تصدره الجملة.

١٨,٥. الفعل «يُحِبْ» جواب شرط

يتنزل الفعل «يُحِبْ» في تراكيب شرطية، وبالتدقيق أجوية للشرط. ولما كانت أجوية الشرط تتحقق ما يتولّد عن أفعال الشرط من نتائج فإنَّ مثل هذه الخاصية تؤثّر على دلالة الفعل «يُحِبْ» وتعديل مفهوم الإلزام به لتجعله يفيد معنى الاشتراط ويتحقق النتيجة المشترطة في فعل الشرط ومثال ذلك:

«إذا كانَ الموجَهُ إِلَيْهِ الإِعْلَامُ شَخْصًا مَعْنُوِيًّا يُحِبُّ أَنْ يَشْتَمِلَ الْمَحْضُورُ عَلَى اسْمِهِ وَمَقْرَرِهِ الاجتِماعِيِّ».

فالاشتراط يكون الإعلام موجهاً لشخص إعلامي جعل جواب الشرط المقترب بالفعل «يجب» يتحقق اشتراطاً يقتضي أن يشتمل المحضر اسم الشخص المعنوي ومقره الاجتماعي، ويمكن بذلك استبدال الفعل «يجب» بالفعل «يشترط» في الجملة السابقة وتصبح على نحو:

«إذا كانَ الموجَّهُ عَلَيْهِ الإِعْلَامُ شَخْصًا مَعْنُوِيًّا، يُشْتَرِطُ (بَدْلٌ يَجِبُّ) أَنْ يَشْتَمِلَ الْمَحْسُرُ عَلَى اسْمِهِ وَمَقْرِئِهِ الاجتِماعِيِّ».

وليس الفعل «يشترط» خلوا من معنى الإلزام إلا أنه إلزام لا يتحقق إلا بتحقق فعل الشرط مما يحدّ في درجة إلزامه. وفرق بين إلزام ينبع عن شحن الفعل «يجب» الفاعل مباشرة وبين إلزام يرتبط بتحقق شرط آخر. فإذاً إلزام الفعل فاعله مباشرة بأمر ما أشدّ من إلزام يتحقق جواب الشرط.

والمستفاد أنه لما جاء الفعل «يجب» جواباً للشرط فإنه يكتسب ما يتولد عن فعل الشرط من معنى الاشتراط بما أنّ وجوب الشرط تحقق التبيّنة.

ويستعمل الفعل «يجب» جواباً للشرط متبعاً بمركب بالجرّ ومركب بالوصول الحرفيّ من مثل: إذا كلفَ المدعى عليه محاميًّا يجِبُ على هذا الأخير أنْ يُعلمَ بذلك محامي المدعى بواسطة عدٍلٍ منفذٍ.

يرد الفعل «يجب» جواباً للشرط وقد فصل المركب بالجرّ بينه وبين فاعله المركب بالإضافة، ومثال ذلك «إذا ما اعتمدَ مستغل الطائرة أحکاماً أشدّ من الأحكام المحددة بالتعليمات الفنية يجِبُ عليه إعلامُ المصالح المختصة بالوزارة المكلفة بالطيران المدنيِّ بذلك». ويرد الفعل «يجب» جواب شرط فاعله مركب شبه إسناديّ ومثال ذلك «يجبُ القيام بكل تصريح قبل التغيير إذا كان هذا التغيير ناتجاً عن فعل المؤمن له».

ويتواءر استعمال الفعل «يجب» جواباً للشرط سبع مرات في المدونة المختصة المعدّة لهذا البحث، وقد فصل المركب بالجرّ بين الفعل وفاعله المركب بالوصول الحرفيّ. ونفسُ تقدّم المركب بالجرّ على الفاعل بأنه ينصّ على الفاعل الحقيقيّ بدليل أنّ هذا المركب يشير إلى من يُأمر بإنجاز فعل ما من مثل «يجب على الوصيّ». أو من مثل

«يجب على هذا الأخير» أو ضمير الغائب المفرد مثل ما هو في «يجب عليه».

ويقترن فعل الشرط في أغلب الأمثلة بإذن المعبرة عن ظرف موسوم بالشرط، وقد يحدث في المستقبل، ويستعمل اسم الشرط الظري ل للتعبير عن كون الظرف الزمانى شرط بدونه لا يقع الحدث الرئيسي في الجملة^(٣٠).

١٩.٥ الفعل «يجب» في جملة موصولة

يقترن الفعل «يجب» باسم موصول ويكون جملة موصولة. ويرد الفعل «يجب» في جملة موصولة طبق أربعة تراكيب هي:

أ- جملة موصولة: اسم موصول + يجب + مركب بالموصول الحرفي، وتواتر هذا التركيب ٣ مرات. ومثال ذلك: عندما تكون دولة من غير أعضاء الأمم المتحدة طرفاً في دعوى تحدد المحكمة مقدار ما يجب أن تتحمّلها هذه الدولة من نفقات المحكمة.

ب- الجملة الموصولة : اسم الموصول + يجب + مركب بالإضافة، وتواتر هذا التركيب مرة، ومثال ذلك: إنَّ الأجر الذي يجب اعتباره لتقدير منحة الرخصة هو الأجر المقدر طبقاً للقواعد المعينة.

ج- جملة موصولة : اسم موصول+ يجب + مركب بالجر + مركب بالإضافة، وتواتر هذا التركيب مرتين ومثال ذلك: وإذا لم يطلب الدائن الإذن بالبيع تقرر المحكمة تعين الأجل الذي يجب فيه إجراء البيع المطلوب من المدين على حسب الأوضاع المقررة بالفصل ٢٤٤.

د- جملة موصولة : اسم موصول+ يجب + مركب بالجر + اسم مفرد، وتواتر هذا التركيب واحدة ومثال ذلك: بيانُ حضورِ أو غيابِ الشخصِ الذي يجب عليه الدفع.

ولا تخرج هذه التراكيب عن استعمالات الفعل يجب وهو يتصدر الجملة. وتبين من المحتوى القضوي لهذه الاستعمالات أنَّ صلة الموصول تقتضي سمة الوجوب، لذا لم يشحّن الفعل «يجب» الجملة بأكملها.

٢٠.٥ استعمال الفعل «وجب» جواب شرط متبعاً بمركب بالجر وبمركب بالموصول الحرفي

يستعمل الفعل «وجب» جواب شرط متبعاً بمركب بالموصول الحرفيّ. ويرد الفعل «وجب» جواب شرط وبذلك يدلّ على المستقبل وإن ورد في صيغة الماضي. وقد توادر استعماله عشر مرات، وهي نسبة ضعيفة مقارنة بما وقفتنا عليه في الاستعمالات السابقة من استعمال الفعل «يجب» في صيغة المضارع. ويستعمل الفعل «وجب» طبق التراكيب التالية:

١. فعل شرط + جواب شرط : وجّب + مرّكب بالموصول الحرفيّ . وقد توادر ٥ مرات. ومثال ذلك: فإذا لم يجد العدل المنفّذ المطلوب إعلامه في مقرّره وجّب عليه أن يسلّم نظير محضِّ الإعلام إلى وكيله.

٢. فعل شرط + جواب شرط : وجّب + مرّكب بالموصول الحرفيّ . وقد توادر ٤ مرات. ومثال ذلك: إذا لم يُعَدْ هذا المؤخرُ قبل دور الانعقاد السنويّ العاشر للجمعية العامة، بعد العمل بهذا الميثاق، وجّب أن يُدرج بجدولِ أعمالِ ذلك الدور العاشر اقتراح بالدعوة إلى عقده.

٣. فعل شرط + جواب شرط : وجّب + مرّكب شبه إسناديّ. وقد توادر مرتين واحدة. ومثال ذلك: إذا لم يقدّم المعقول تحت يده تصريحه على الوجه وفي المواعيد المقرّرة بالقانون أو قدّم تصريحاً كاذباً أو أخفى الأوراق الواجب عليه تقديمها لتأكيد تصريحه وجّب اعتباره مدينًا لا أكثر ولا أقلً للدائنين العاقلين أو المعتبرين.

ولم تخرج هذه التراكيب عن تراكيب استعمالات الفعل «يجب» سواء في ترتيب عناصرها أو سلسلة ترتيب توادرها.

والحاصل أنّنا نخلص من الاستعمالات السابقة إلى أنّ الفعل «يجب» ينزع نزعتين في الاستعمال. تسعى الأولى إلى تحقيق الفاعلية بفعل مقترب بأن الدالة على المستقبل والمقيدة لزمن الحدث. وجاءت تراكيب هذه النزعة المحققة الوجوب على نحو:

١. يجب + مرّكب بالموصول الحرفيّ : ١٥٧ مرتاً.

٢. يجب + مرّكب بالحرّ + مرّكب بالموصول الحرفيّ: ٩٣ مرتاً.

ويكون إجماليّ هذه التراكيب ٢٥٠ استعمالاً لغوياً من مجموع ٤٢١ استعمالاً لغوياً وذلك بنسبة ٣٨٪، أمّا النزعة الثانية، فتأتي الفاعلية فيها في شكل مركب

بالإضافة يكون فيها المركب مصدراً مشتقاً، أو في شكل المركب شبه الإسنادي الذي يحيىء المشتق فيه مصدراً. ويدلّ المصدر في كلا التركيبين على سمة الإطلاق. ويبلغ مجمل تراكيب هذا النحو ٥٣ تركيباً وذلك بنسبة ٤٤٪ من مجمل تراكيب هذين التوجّهين.

ويرد الفعل «يجب» وسط الجملة في أشكال التراكيب التالية:

١. مركب بالجر + يجب + مركب بالجر (على) + مركب بالموصول الحرفـي، وقد تواتر ٨ مرات.
٢. مركب بالجر + يجب + مركب بالموصول الحرفـي. وتواتر هذا التركيب ٧ مرات.
٣. مركب بالجر + يجب + مركب بالجر (على) + مركب بالإضافة ، وقد تواتر هذا التركيب ٤ مرات.
٤. مركب بالجر + يجب + مركب بالجر+ مركب بالإضافة. وتواتر هذا التركيب أربع مرات.
٥. مركب بالجر + يجب + مركب بالجر (على) + مركب شبه إسناديّ. وقد تواتر هذا التركيب ثلث مرات.
٦. مركب بالإضافة + يجب + مركب بالجر+ مركب بالموصول الحرفـي. وتواتر هذا التركيب ثلث مرات.
٧. مركب بالإضافة + يجب+ مركب بالموصول الحرفـي. وتواتر هذا التركيب مرة واحدة.
٨. مركب بالجر + يجب + مركب شبه إسناديّ. وتواتر هذا التركيب مرة واحدة.

وورد الفعل «يجب» جملة موصلة في أربعة تراكيب هي:

١. اسم موصول + يجب + مركب بالموصول الحرفـي ، وتواتر هذا التركيب ست تراكيب.
٢. اسم موصول + يجب + مركب بالجر + مركب بالإضافة ، وتواتر هذا التركيب مرتين .

٣. اسم موصول + يجب + مرّكب بالإضافة ، وتواتر هذا التركيب مرّة واحدة.
٤. اسم موصول + يجب + مرّكب بالجرّ + اسم مفرد، وتواتر هذا التركيب مرّة واحدة.

وورد الفعل «يجب» خبر الناسخ أو المبتدأ طبق أربعة تراكيب هي :

١. يجب + مرّكب بالوصول الحرفيّ، وتواتر هذا التركيب ١٩ مرّة .
٢. يجب + مرّكب بالإضافة، وتواتر هذا التركيب خمس مرّات.
٣. يجب + مرّكب بالجرّ + مرّكب بالوصول الحرفيّ. وتواتر هذا التركيب مرتين.
٤. يجب + مرّكب شبه إسناديّ، وتواتر هذا التركيب مرّة واحدة.

وجاء مجموع أشكال تراكيب الفعل «يجب» ٣١ مرّة و ١٠ مرّات و ٢٧ مرّة وسط الجملة وذلك بتواتر جلّي بلغ ٦٨ مرّة.

ونلاحظ أنَّ التراكيب السابقة تبدأ أساساً بمرّكب بالجرّ في في ٢٧ استعمالاً لغويَا وتبدأ بمرّكب بالإضافة في أربع استعمالات. وإن اختفت هذه التراكيب شكلاً فإنَّها اشتهرت في توظيف كلِّ من المركب بالجرّ وبالإضافة في الإعلام بالحالة التي تدفق المنكلّ إلى استعمال الإلزام.

ونتبين تعدد تراكيب الفعل «وجب / يجب» رغم نسبية تواترها. فهي تراوح بين ثماني مرّات ومرّة واحدة. وهي لا تختلف نسبياً عن عدد تراكيب «يجب» في صدارة الجملة غير أنَّ التواتر لتصدر الفعل «يجب» الجملة يفوق ورود «يجب» وسط الجملة سواء في التواتر الجملي أو من تركيب إلى تركيب. فتصدر «يجب» الجملة يتحقق في ٢٤ تركيب. ويقتربن بفاعله مباشرة في ٢٠ تركيب، ويفصل عن فاعله بمرّكب للجرّ في ١١٣ تركيب.

ونخلص من المقارنة بين تصدر الفعل «يجب» الجملة ووروده في وسطها أنَّ اللغة العربية تنزع إلى شحن الفاعل مباشرة بالإلزام وإلى اقتران الفعل «يجب» بالفاعل لتشديد الشحن بسمة الوجوب. وورد الفعل «يجب» وسط الجملة يتبع عِما يفيده المركب بالجرّ من حدوث إشكال تستلزم نتائجه توظيف الإلزام.

٦. المدونات العامة

أصبحت دراسة الظواهر اللغوية، من منظور دلالي، تقتضي بناء مدونة كبيرة الحجم سعياً إلى استخلاص نتائج دقيقة وممثلة ل الواقع اللغوي ومستوفية لأشكال استعمالاته، ثم إنّ الموضوعية تقتضي أن تضمّ مدونة أفعال الوجوب مختلف أنماط النصوص في مستوى الكتابي والشفاهي وفي مستوى المحلي والعالمي، ونعتذر عليها نسبياً في «المدونة العربية العالمية» لمدينة الملك عبد العزيز وفي مدونة «سكاتش آنجاين». ونقتصر في بحثنا على الفعل «وجب/ يجب» لاطراد استعماله سواء في المدونة المختصة أو المدونات العامة، ونعرض في جدول تواتر هذا الفعل ومشتقاته في بعض المدونات العامة. ولم يرتفع تواتر الفعل «يجب» فحسب بل وكذلك مشتقاته التي تشحن نسبياً النصوص القانونية بنوع من الوجوب. وترتدى هذه المشتقّات طبق ما يعرضه الجدول التالي:

جدول في تواتر الفعل «وجب، يجب» ومشتقاته في المدونات المختصة وال العامة.

المدونة المكتبة الإسكندرية	اسكاتش أنجين	المدونة العربية	الإصدارات الرسمية للمدونة العربية	المدونة المختصة	الفعل/ المشتقة
١٧٤٣٥	٣٨٢٤٢٩١	٣٩٢٢٢٦/٢٠٤ /٢٢٥٠ ويجب ٥٢٠١٣٣	٦٤٤٢٢/١٧٤ /٥٦١ ٢٢٧٩٨٢	٤٢١	يجب
٥٢٥	١٢٧٠٠٧	٢٥٨٩٤٣/٤٦٩٤	x	٢	تجب
١٠٨٥	٣٢	٣٧٦٤٦٢/٣١٨٤	١٢٥٨٩٤	١٠	وجب
x	٥٧٩٢	x	x	x	وحيث
x	١١٣٩٠ ((هي جب))	x	x	x	جب
١٠٣	٤١	x	x	x	وجباً

٦١	٣١٣٨٢	x	x	يتواتر	وجوباً
٢	١٥	x	x	x	وجيباً
٢	x	x	x	x	وجباناً
١٥٢٧	٤٢٥٦٦٨	٣٩٨٨٦٧/٣٠١٠	x	يتواتر	واجب
١	٨٦	x	x	x	موجب

نتيّن اطّراد مشتقات فعل الوجوب «يجب». وهي عديدة ومتواترة نسبياً. وتحتاج إلى دراسة معمقة إلا أننا نقتصر في هذا البحث على الفعل «يجب» لا غير. وهو يتواتر في مدوّنة «سكاتش أنجايin» بنسبة ٣٨٢٤٢٩١ مرة، ويرد في مدوّنة الملك عبد العزيز في المرتبة ٢٠٤ وبتواتر ٣٩٢٢٢٦ مرة. وإذا توافر الفعل يجب ٣٨٢٤٢٩١ مرة في مدوّنة «اسكاتش أنجايin»، فإنه يعسر علينا أن ننظر في استعمالات الفعل «يجب» جميعها؛ لذا سنقتصر على ١٨٤٧ استعمالاً. ولما كان الاستعمال الواحد يرد في كل ٤٥٩ كلمة فإن ١٨٤٦ استعمالاً ترد في نصوص تتكون من مجموع أربعة ملايين كلمة. ولعل هذا الكم من الاستعمال يحول استجلاء الخصائص التركيبية والدلالية للفعل «يجب».

ولما تدبرنا عينه بحثنا تبيّنا أن هذا الفعل يقترن بـ«أن» في ١٠٢٠ حالة من مجموع ١٨٤٧ حالة استعمال، وهو ما يمثل نسبة ٥٥,٢٢٪ من إجمالي عينة تضمّ أربعة ملايين كلمة. وبذلك نلاحظ توافقاً في اطّراد التركيب «يجب» + «أن» (مركب بالوصول الحرفي) في المدوّنة المختصة ومدوّنة «سكاتش أنجايin» العامة. وقد تبيّنا أنّ نسبة اقتران الفعل «يجب» بـ«أن» في المدوّنة المختصة تساوي ٥٠٪ وهي لا تبعد كثيراً عن نسبة ٥٥,٢٢٪ في مدوّنة «سكاتش أنجايin» العامة. ولما كان الوجوب يتحقق في المستقبل فإنّ الفعل «وجب / يجب» يقترن بأن المعبرة عن المستقبل حسب ابن هشام في معنى الليب الذي أشرنا إليه في الفقرات السابقة. ويطرد تصدر الفعل «يجب» الجملة في المدوّنتين المختصة وال العامة ليحصل تضامّ بين الفعل «يجب» وفاعله

وليُسْخَن الفعل «يُجِب» المركب الإسنادي بأكمله.

ويفصل المركب بالجر بين الفعل «يُجِب» وفاعله في ١١٩ حالة في عيّتنا المستقة من المدوّنة الحاسوبية العامة» سكاتش أنجايin ». وترتفع بذلك نسبة اقتران الفعل «يُجِب» بالأداة «أن» لـ١٣٩ مره، وهو ما يمثل نسبة ٦٧,٦١٪ من مجموع استعمالات هذا الفعل.

وإذا كانت تراكيب الفعل «يُجِب» قد تنوّعت فإنّها تضمّن استعمال الموصول الحرفي المقتن بـأَن. ونتيّن ذلك من مركب شبه الإسنادي والإضافي. فالمركب شبه الإسنادي يطرد ٣٠٦ مره وفي شكل تركيبيين. جاء الأول على نحو:

يُجِب + مركب شبه إسنادي ومثال ذلك: يُجِب الْكَفُ عن الْبَحْثِ

ويضمّن المركب شبه الإسنادي «الْكَفُ عن الْبَحْثِ» استعمال المركب بالموصول الحرفي المقتن بـأَن ويتحقق ذلك بتحويل المركب شبه الإسنادي في الجملة على نحو: «يُجِب أَن يَكُفَّ عن الْبَحْثِ».

وجاء التركيب الثاني لفاعل الفعل «يُجِب» على نحو: يُجِب + مركب بالجر + مركب شبه إسنادي. وتواءر هذا التركيب ١٤٤ مره، ومثال ذلك: يُجِب على وزارات العمل الاهتمام بالتوطين. ويُضمّن هذا المثال استعمال المركب بالموصول الحرفي بتحويل الجملة على نحو «يُجِب على وزارات العمل أن تهتم بالتوطين».

ويضمّن التركيبان: «يُجِب + مركب إضافي» و«يُجِب + مركب بالجر + مركب إضافي» اقتران الفعل «يُجِب» بـأَن بصورة غير مباشرة في ٢٥٨ مره. فجملة «يُجِب إِدْرَاج الأُرْشِيفِ» (يُجِب + مركب بالإضافة) يُحوّل فيها المشتق الوارد مضافا إلى مركب بالموصول الحرفي على نحو: «يُجِب أَن يُدْرَج الأُرْشِيفُ». وكذا الأمر للمركب الإضافي الذي فُصل عن الفعل «يُجِب» بـمركب الجر. ويرد على نحو: «يُجِب عليك مُسَايِرَةً الْأَمْرِ»

يُجِب + مركب بالجر + مركب بالإضافة.

ويُحوّل هذا التركيب على نحو: يُجِب عليك أن تُسَايِرَ الْأَمْرَ.

وتنضمّ استعمالات التراكيب:

يجب + مركب شبه إسنادي (تواتر ٣٠٦ مرتّة)

يجب + مركب بالجرّ + مركب شبه إسنادي (تواتر ٤٤١ مرتّة)

يجب + مركب إضافي

يجب + مركب بالجرّ + مركب إضافي (٢٥٨ مرتّة)

إلى استعمال:

يجب + مركب بالوصول الحرفي (١٠٢٠ مرتّة)

يجب + مركب بالجرّ + مركب بالوصول الحرفي (١١٩ مرتّة)

ويصبح مجموع الاقتران المباشر للفعل يجب بـ «أن» ١٠٢٠ مرتّة، وبشكل غير مباشر ١١٩ مرتّة، وبشكل مضمر بتحويل مشتق المركب شبه الاسنادي المتواتر ٤٥٠ مرتّة والمركب الإضافي المتواتر ٢٥٨ مرتّة. ونتيّن من هذه الإحصائيّات جميعها، وباللغة توادرها ١٨٤٧ مرتّة، أنّ الفعل «يجب» يختصّ بالاقتران بـ «أن» مقارنة بالأفعال التوزيعيّة. ولا يختصّ الفعل «يجب» بهذه السمة فحسب وإنّما نلاحظها بأشكال أخرى في اللغتين الفرنسيّة والإنجليزيّة. وسنفصل فيها القول في تحليلنا خصائص أفعال الوجوب.

ونتيّن من هذه التراكيب جميعها خصوصيّات ثلاثةً لاستعمالات الفعل «يجب» في مدوّنة «اسكاتش أنجايin» العامة؛ تكمّن الخصوصيّة الأولى في اقتران الفعل «يجب» بـ «أن» في جميع الاستعمالات، مما يجعلنا نعتبر هذه الظاهرة سمة فعل الوجوب «يجب» في اللغة العربيّة مقارنة بسمات أخرى في اللغتين الفرنسيّة والإنجليزيّة. وتمثلّ الخصوصيّة الثانية في أنّ الفعل «يجب» يقترن مباشرة بـ «أن» وبفاعله المركب بالوصول الحرفي لشحّن الجملة بأكملها باسمة الوجوب وهو ما يتّناغم مع اطّراد ورود الفعل «يجب» في صداررة الجملة مقارنة بنسبة وروده وسط الجملة. وتكمّن الخصوصيّة الثالثة في أنّ هذا الفعل لم يعد يستعمل استعمالاً توزيعياً مثلما وقفتنا على استعمالاته زمانياً في معجمي الدوحة التاريخيّ ولسان العرب لابن منظور. وقد

اندثرت استعمالات هذين المعجمين سواء في المدونة المختصة أو المدونات العامة. وكنا قد بينا تراكيب الفعل «يجب» وقد استقررناها من المدونتين المختصة وال通用ة. وهي تختلف نسبياً عن الاستعمالات الزمانية التي استقيناها من المعاجم اللغوية. ونقصد بـ«نسبياً» اشتراك التراكيب التزامنية مع التراكيب الزمانية في التركيب المعبر عن الوجوب الذي وقفتنا عليه في معجم الدوحة التاريخي. وجاء على نحو: «ولكل في كلٍ حلفٍ يجب عليه نصرته»؛ ولاحظنا أنَّ التعبير عن الوجوب يقتضي تركيباً مغایراً لاستعمالات الفعل بشكل توزيعي. وفرق بين الاستعمال التوزيعي «فعل + فاعل» من مثل «وجَبَ الشَّخْصُ» أو «وجَبَتِ الشَّمْسُ» أو «وجَبَ البعِيرُ» وبين التعبير عن الوجوب بتركيب «ال فعل + مرَكَب بالجرّ + لفظ مفرد معرف قابل للحويل إلى مرَكَب موصولي بـ«أن» المصدرية

يجب عليه (نصرته + أن ينصره)

وباستقراء استعمالات المدونتين المختصة وال通用ة خلصنا إلى اقتران الفعل «يجب» بأنَّ مباشرة أو بصورة غير مباشرة أو بشكل مضمر، كما خلصنا إلى توافر المركب الإضافي فاعلاً للفعل «يجب». وقد اطُرد مثل هذا التركيب في مدونة «اسكتاش أنجايين» ٢٠٥ مرة بشكل مباشر و٥٣ مرة بالفصل بمركب بالجرّ بين الفعل «يجب» والفاعل في شكل مركب بالإضافة. ونخلص إلى أنَّ التركيب الوارد في معجم الدوحة التاريخي على لسان هاشم بن عبد مناف القرشي في سنة ١٢٢ هـ قد اطُرد استعماله في المدونتين المختصة وال通用ة وقد تقدّم المركب بالجرّ على فاعل الفعل «يجب» ٣١٦ مرة من إجمالي ١٨٤٧ تركيب وبنسبة ١٧٪. وجاء فاعل «يجب» مركباً شبه إسنادي أو مركباً بالموصول الحرفي أو مركباً بالإضافة.

وإذا كانت استعمالات الفعل «يجب» قد جاءت محدودة في معاجم اللغة، فإنَّ المدونات الحاسوبية المختصة وال通用ة تمكّن من الوقوف بصورة قاطعة على أنَّ الفعل «يجب» تحمّد استعماله في التعبير عن الوجوب فحسب؛ وقد اندثرت استعمالات الفعل «وجب» الواردة في معجمي الدوحة التاريخي ولسان العرب لابن منظور، ولم نعد نشر على استعمالات «وجب البعير» في معنى سقط وبرك، و«وجب الشخص» في معنى مات، و«وجب القلب في معنى خفق واضطراب من خوف أو غيره، و«وجبت

الشمس» في معنى غابت». وينجر عن تحضير الفعل «يجب» للوجوب تطور في ما يتحققه من دلالة؛ فلم يعد يعبر عن الوجوب القطعي فحسب، وإنما استعمل في معنى الشرط لا سيما إن جاء جواب شرط.

ونلاحظ فرقاً بين تواتر تراكيب الفعل «يجب» في المدونتين المختصة والعامّة. فاطراد التراكيب في مدونة «اسكاتش أنجايin» العامّة جاء طبق هذا الترتيب:

المرتبة الأولى: يجب + مرکب بالوصول الحرفي (تواتر ١٠٢٠ مرّة).

المرتبة الثانية: يجب + مرکب شبه إسنادي (تواتر ٣٠٦ مرّة).

المرتبة الثالثة: يجب + مرکب إضافي (تواتر ٢٠٥ مرّة).

المرتبة الرابعة: يجب + مرکب بالجر + مرکب شبه إسنادي (تواتر ١٤٤ مرّة).

المرتبة الخامسة: يجب + مرکب بالجر + مرکب بالوصول الحرفي (تواتر ١١٩ مرّة).

المرتبة السادسة: يجب + مرکب بالجر + مرکب إضافي (تواتر ٥٣ مرّة)

وجاء ترتيب التراكيب للفعل «يجب» في المدونة المختصة مغايراً للتركيب السابق وهو على النحو التالي:

١٥٧ مرّة	يجب + مرکب بالوصول الحرفي	١
٩٣ مرّة	يجب + مرکب بالجر + مرکب بالوصول الحرفي	٢
٣٦ مرّة	يجب + مرکب بالإضافة	٣
١٤ مرّة	يجب + مرکب بالجر + مرکب بالإضافة	٤
٨ مرّات	يجب + مرکب شبه إسنادي	٥
٣ مرّات	يجب + مرکب بالجر + مرکب شبه إسنادي	٦

يكمن الفرق بين الترتيبين في ورود التركيب «يجب + مرکب شبه إسنادي» في المرتبة الخامسة في المدونة المختصة، بينما يحتل المرتبة الثانية في المدونة الحاسوبية العامّة. وجاء المرکب شبه الإسنادي فاعل الفعل «يجب» في المرتبة الثانية في مدونة اسكاتش أنجايin بينما ورد في المرتبة الخامسة في المدونة المختصة. وحافظ التركيب

«يجب + مرّكب إضافي» على المرتبة الثالثة في المدونتين المختصة وال العامة. ونعمل ذلك بنزعة النصوص القانونية إلى الإطلاق والعميم؛ وهو ما يبرر تقديم المركب الإضافي الفاعل على المركب شبه الإسنادي الفاعل.

٧. الخصائص التركيبية والدلالية لأفعال الوجوب

نستقرئ الخصائص التركيبية والدلالية للفعل «وجب / يجب» من التراكيب التي وقفت عليها في المدونة المختصة وفي مدونتي مدينة الملك عبد العزيز ومدونة «اسكاتش أنجايين»؛ وهي تمثل في حالة الاقتران بـ«أن» وفي سمات الإبهام والتصريف والإسناد وشكل الفاعل.

١.٧. اقتران يجب بـ«أن»

نلاحظ من أشكال الاستعمال اللغوي في المدونات الحاسوبية أنّ فعل «وجب، يجب» يقترن بـ«أن» مشفوعة بجملة فعلية فعلها في صيغة المضارع. ويكون فاعل فعل «وجب، يجب» مرّكباً بالوصول الحرفيّ فعله في صيغة المضارع. ويقترن فاعل العديد من الأفعال في اللسان العربي بـ«أن» من مثل «يمكن» و« يستطيع» و«يريد» و«يتعين» و«يجوز» و...، ويجيئ مرّكباً بالوصول الحرفيّ.

٢.٧. حذف «أن»

نستقرئ من المدونات اللسانية أنّ فعل «وجب، يجب» يعلق بـ«أن» في جمل استعمالاته؛ فجملة «يجب أن تنجح» لاستقيم إذا جرّدناها من «أن»، قوله: *يجب تنجح ». ولا نحذف «أن» لأنّها تفيد الاستقبال. ويقول «ابن هشام» في «معجم الليب» أنّ «أن» الداخلة على المضارع تخلص فعلها للاستقبال^(٣١). وتحذف «أن» إذا حولنا المضارع إلى مصدر على نحو «يجب أن تنجح» تصبح «يجب النجاح». ومكنتنا المدونات اللسانية من التعرّف على مدى اقتران الفعل «يجب» بـ«أن» وعلى اقترانه بمصدر يضمّن استعمال «أن».

٣.٧. سمة الإبهام

لا يعلق فعل «يجب» بفاعل في شكل اسم جامد فلا نقول: *يجب الرجل أن

ينصرف. وتنجم لانحويّة هذه الجملة من أنّ لفظ «الرجل» فاعل لل فعل «يجب» بدل أن يكون فاعلاً لل فعل «ينصرف»، وبذلك يكون المركب بالوصول الحرفي «أن ينصرف» فاعلاً لل فعل «يجب»، وتكون الجملة على نحو:

*يجب الرجل (فاعل لل فعل يجب) أن ينصرف الرجل (فاعل لل فعل يجب). وتصبح الجملة لا نحوية لإسناد فاعلين لل فعل «يجب». ولما لم يكن لفعل «يجب» فاعلاً مخصوصاً، فإنه يُعدّ فعلاً مبهماً ويُستعمل استعمالاً جهياً. ويكون متعلق الفعل الجهيّ في شكل «أن + مركب إسنادي فعليّ فعله في صيغة المضارع». ويكون للأفعال «غير المبهمة» فاعل مخصوص ومعلوم من مثل «أراد» و«ظنّ» و«علم».

٤.٧ هل تتصرف أفعال الوجوب؟

تدلّ أشكال الاستعمال اللغويّ لفعل «وجب، يجب» على أنّه لا يتصرف، في حين أنّ الأفعال غير المبهمة تتصرف مع جميع الضمائر. فلا نقول: *وجبتْ *ووجبتْ *ووجبتَ. ولا نقول أيضاً: *أنا أجبْ *أنتَ تجب. ونقول هو يجب. وفي المقابل تتصرف الأفعال غير المبهمة مع الضمائر جميعها من مثل «أنا فهمتْ، أنتَ فهمتَ، أنتِ فهمتِ». ونقول: أنا أفهم، أنتَ تفهم، أنتَ تفهمين.

والحاصل أنّ الفعل «وجب، يجب» يرد في صيغة واحدة في صيغتي الماضي والمضارع ومع ضمير الغائب لا غير. وما يدلّ على أنّه يستعمل استعمالاً مبهماً كونه يظلّ على صيغة واحدة.

٥.٧ هل تستعمل أفعال الوجوب في صيغة الأمر؟

لانثر على فعل «وجب، يجب» في صيغة الأمر في كلّ ما وقفتنا عليه من استعمالات المدونات الحاسوبية المختصة والعامّة. ونخلص إلى أنّ الأفعال المبهمة لا تصرف في الأمر بدليل أنّنا لا نقول: *جب، جبى، جبا، جبوا، جبن. ولا نقف على استعمال الأمر من فعل وجب في مدوّنتي العربية اللغوية و«سكاتش أنجايون»، وإن جاء شكل «جب» فإنه يقصد به «جُبّ»، وقد حصل اللبس لأنّ الكلمات الواردة في المدونات اللسانية لا تشفع بالتضييف وبالحركات. ولا تنفرد اللغة العربية بهذه الخاصيّة إذ ت نحو اللغة الفرنسية هذا المنحى، فلا تستعمل في صيغة الأمر الفعلين (وجب) و *pouvoir* (استطاع).

٦.٧. المبني لغير الفاعل للفعل «يجب»

نتيّن من أشكال الاستعمال اللغوّي في المدوّنات الحاسوبيّة أنّ فعل «يجب» لا يُبني لغير الفاعل. فجملة «يجب أن أُعدَ التقرير» لا تبني لغير الفاعل: *يوجبُ أنْ يُعدَ التقرير.

والحاصل أنّ الفعل المبهم «يجب» لا يقبل البناء لغير الفاعل. وتقبل أفعال من مثل «يريد» و«يرجو» و« يستطيع» البناء لغير الفاعل إذ استبدل المتعلق بمصدر لأنّها غير مبهمة مثل فعل «يجب» و«ينبغي». فجملة «أستطيع أن أساعدك» تكشف عن أنّ الضمير «أنا» فاعل الفعل «أستطيع» وكذلك الفعل «أساعدك»، لذلك لا تصاغ جملة «أستطيع أن أساعدك» إلى المبني لغير الفاعل بقولنا: *يُستطيع أن يُساعدك، في مقابل جواز «يُستطيع / تُستطيع مساعدتك». وكذلك الحال مع جملة «يستطيع أن يفوز في المسابقة». فلا تبني لغير الفاعل بقولنا: *يُستطيع أن يفوز في المسابقة.

وإذا ورد فاعل الفعل «يستطيع» مصدراً فإنّ البناء لغير الفعل يتحقق على نحو: يستطيع الفوز في المسابقة. وتصبح: يُستطيع الفوز في المسابقة.

والحاصل أنّ البناء لغير الفاعل لا يتحقق في حالتين:

أولاً: لا يُبني فعل «يجب» إلى غير الفاعل.

ثانياً: لا يتحقق البناء لغير الفاعل لأفعال من مثل «يريد» و«يرجو» و«يستطيع» إلا إن استبدل متعلق الفعل «أن + مركب إسنادي فعاله في المضارع» بمصدر لأنّ فاعل الفعل يكون المصدر فحسب ولأنّ فاعل المصدر لا يظهر.

٧.٧. تغيير فاعل المتعلق

نتيّن من الاستعمال اللغوّي في المدوّنات الحاسوبيّة أنّ فعل «يجب» مبهم ولا يقتضي فاعلاً في شكل ضمير للمتكلّم (أنا) مثلما هو الحال في اللسان الفرنسي في قولنا:

Je dois travailler

*أجب أنا

ونلاحظ ظاهرتين في استعمال اللغة الفرنسية لفعل «يجب». أمّا الأولى فيرد فيها الضمير «أنا» فاعلاً للفعل الجهيّ وكذلك لما يقترن به من فعل غير مصّرف . وتفصيل ذلك:

الضمير «أنا» فاعل للفعل الجهيّ الفرنسي *je dois*

الضمير «أنا» فاعل للفعل غير المصّرف *travailler*

وتكون الجملة على نحو: *أنا أجب

أنا أعمل

فالضمير «أنا» فاعل للفعلين *أجب وأعمل.

ويعتبر فعل «يجب» فعلاً جهياً لأنّ الجملة تصبح غير نحوية عند تغيير فاعل المتعلق. ومثال ذلك:

* Je dois que tu travailles

تعمل أنت أن *أجب أنا

وكذلك الحال بالنسبة إلى الفعل الفرنسي *pouvoir* ومثال ذلك:

Je peux travailler

أنا أستطيع

(الفعل غير مصّرف إلاّ أنّ فاعله المعنويّ هو الضمير «أنا» ولذلك أوردناه
مصرّفاً)

* Je peux que tu travailles

تعمل أنت أن أستطيع أنا

ولا تنطبق هذه الخاصيّة على اللسان العربيّ إذ يقال: يجب أنْ أَعْمَل - يجب أنْ تَعْمَل - يجب أنْ تَعْمَلِي . ونُعَلِّم الاختلاف بين اللسانين العربيّ والفرنسيّ بكون فاعل الفعل المبهم «يجب» هو كُلّ المركّب بالوصول الحرفيّ «أنْ أَعْمَل» أو «أنْ تَعْمَل» أو «أنْ تَعْمَلِي» أو «أنْ يَعْمَلُوا» . وليس للفعل العربيّ فاعل في شكل

ضمير متكلّم مفرد «أنا» على غرار الفعل الفرنسي *«je dois*» (*أنا أجب). فلا نقول في اللسان العربي : *أجب أن أعمل. والسبب في ذلك أنّ الفعل العربيّ (يجب) لا يصرّف في اللسان العربيّ مع بقية الضمائر مثلما هي حال الفعل الفرنسي *devoir* (*Je dois*), *أجب أنا - *tu dois* *تُجب أنت....)

ولا يقتصر الاختلاف على الفعل «يجب» فحسب وإنّما ينطبق الحال على الفعلين «ينبغي» و«يمكن»، ولا يظهر الفعل «أنا» في اللسان العربي إلّا في متعلق الفعل *«يجب»*.

ونلاحظ أنّ الفعل *vouloir* (أراد/ يريد) مختلف عن الفعل (وجب/ يجب) في اللغة الفرنسية، فقد يكون ضمير المتّكل «أنا» فاعلاً للفعلين (أريد) و(أعمل). وبمجرّد أن يتغيّر فاعل الفعل غير المصرف حتّى تتغيّر بنية الجملة وذلك في قولنا:

<i>Je</i>	<i>veux</i>	<i>travailler</i>
أنا (=أريد أن أعمل)	أريد	أعمل
<i>Je</i>	<i>veux</i>	<i>que tu travailles</i>
أنا (=أريد أن ت العمل)	أريد	أنت أن
عمل أنت أن		

وقد أصبحت الجملة مركبة بعد أن كانت بسيطة، فهي تترّكّب من الجملة الأساسية طبق تسمية النحو الفرنسي (أريد *je veux* أنا) ومن الجملة الفعلية *Que tu travailles*

<i>Je</i>	<i>veux</i>	<i>travailler</i>
أنا (=أريد أن أعمل)	أريد	أعمل
<i>Je</i>	<i>veux</i>	<i>que tu travailles</i>
أنا (=أريد أن ت العمل)	أريد	أنت أن
عمل أنت أن		

Je (= أريد أن ي عمل) veux qu' il travaille

أنا أريد ي عمل هو أن

والمستفاد أنّ فعل «يجب» مبهم ولا يقتضي فاعلاً في شكل ضمير للمتكلّم (أنا)،
مثلما هو الحال في استعمالات اللغة الفرنسية.

٨,٧. اطّراد صيغة المضارع للفعل «وجب»

تطرّد صيغة المضارع للفعل «وجب / يجب»، لأنّ معنى الوجوب يقتضي سميي الاستقبال والاستمرار اللتين يتحققهما الفعل المضارع، ولذلك يرد الفعل «وجب» في تركيب شرطيّ ليفيد الاستقبال مثلما يدلّ عليه المثال التالي:
إنَّ الإنسان إذا أكِرم وجبَ عليه الشُّكرُ (ابن المقفع).

ويُكسب أسلوب الشرط الفعل «وجب» معنى الاستقبال في هذا المثال.
ونلاحظ أنَّ الفعل «وجب» يرد في جمل شرطية في النصوص القانونية الحديثة، وقد وقنا على حالتين في وثيقة «ميثاق الأمم المتّحدة»، وحالة واحدة في دستور الجمهورية التونسية، وحالة واحدة في مجلة الإجراءات الجزائية وسبع حالات في مجلة المرافعات المدنية والتجارية، وحالة واحدة في وثيقة «بيع ملك». نخلص مما وقنا عليه في هذه الوثائق القانونية إلى ثلاثة سمات هي:

١. ورود الفعل «وجب» في جمل شرطية لتحقيق معنى الاستقبال.
٢. نسبة تواتر الفعل «وجب» في صيغة الماضي أقلّ بكثير من اطّراده في صيغة المضارع.
٣. تمحّض الفعل «وجب» لمعنى الوجوب وبذلك تبيّن اندثار استعمالاته الدلالية التي أوردتها المعاجم القديمة.

٩,٧. فواعل أفعال الوجوب

يعلق الفعل «وجب، يجب» بفواعل مجرّدة ومحسوسة.

١٠. سمة الالزام

يرد الفعل «وجب، يجب» فعلاً لازماً. ولعل تمكّنه بالوجوب جعله يستغني عن الفضيلة.

١١. معنى الوجوب

يُسّمُ المتكلّم ملفوظه بسمات جهّيّة تكمن في تحقيق الوجوب أو الإمكانيّة أو الاحتمال أو الاستحالة. واخترنا ، في هذا البحث، النظر في الفعل «يجب» لاستجلاء خصائصه التركيبية والدلاليّة، وقد خلصنا إلى أمرين، أولهما أنّ الأفعال الجهّيّة تنفرد بسمات مغايرة لخصائص الأفعال التوزيعيّة. وهي ظاهرة تميّز بها جلّ اللغات الطبيعية اللاتينيّة والجرمانية. ويكمّن الأمر الثاني في أنّ تراكيب الفعل «وجب / يجب» تشيء دلالته وتتوّلي تعديلها، لا سيّما إن جاء الفعل جواباً شرطاً، وبذلك يتحول مدلول الفعل من معنى الوجوب إلى تحقيق معنى الشرط. ويشير معنى الوجوب استفهامات عدّة تتعلّق بمصدر حدوثه. هل ينجم عن المتكلّم أساساً أم يتوجّع من إلزام خارجيّ يتبنّاه المتكلّم ضرورة، ثمّ لا يفتّ أن يُفصّح عنه؟ ولعل بعض الظروف الخارجيّة تُتّجح للترازيم بأمر ما من مثل وجوب تدرّيس كلّ الأطفال بداية من بلوغ السنة السادسة. وفي هذه الحالة قد لا يصدر الوجوب عن قناعة المتكلّم. وتطرح جمل من قبيل «يجب أنْ أكُملَ هذا العملَ قبلَ الغَدِ» بعض التساؤلات؛ هل ينجم الوجوب عن قناعة شخص ما أم أنّ سلطة عليا تفرض إكمال العمل قبل الغد؟ وتنير هذه الإشكالية لأنّ تعريف الفعل الجهيّ يُضمّن وسّم المتكلّم ملفوظه بدلالات إضافيّة مقصودة؛ ومن ثمّ فهو يكشف عن نوايا المتكلّم ومدى الترازمه بأعراف المجتمع ولا سيّما درجة الصدق الذي يُسّمُ به ملفوظه. والسؤال، كيف يُكسب المتكلّم الحديث سمعي القدرة أو الإلزام؟ فهل يكشف الفعل الجهيّ عن صدق توظيفه الملحوظ بالإلزام مثلما يذهب إليه الفلاسفة، أم أنه قد يوهم بالتعبير عن موقف لا غير؟ وكذا الأمر بالنسبة إلى مفهوم الإمكانيّة. فجملة «يستطيع على أن ينجح» تحتمل تأويلاً عدّة؛ فهي تعني إمكانية النجاح، وتدلّ أيضاً على القدرة على النجاح؛ وتتأتّى الجهة المعرفية من كيّونة الحديث، بمعنى أنّ نجاح على قد يكون حقيقيّاً. وقد يتّأتّي الإمكان في هذه الجملة من عملية الفعل، ونعني به أنّ النجاح

قابل للتحقّق. ونحتمم في تأويل ملفوظ ما إلى سياقات التلفظ. ونهدف من هذا إلى أنّ معنى الوجوب لا يتزلّ في البعد الفلسفـي فحسب وفي البحث عن الصدق أساساً، وإنما يتحقق أيضاً من ظروف القول، وممـا يضمـره المتكلـم من نوايا، وممـا يتبنـاه أو يوهم به من أعراف اجتماعية.

والحاصل إنـنا استقرـناا الخصائص التركـيـة والدلـالـيـة للفـعل «وجب/ يجب»، وأثبتـنا أنـ هذا الفـعل لم يـعد تـزامـنـا يستـعمل استـعمـالـا توـزـيعـاً سـوـاء في المـدوـنـات المـختـصـة أو العـامـة مثلـاً تـبـيـنـاه زـمانـيـاً في معـجمـي «الـدوـحةـ التـارـيـخـيـ» و«الـلـسانـ الـعـربـ» لـابـنـ منـظـورـ. وـنـكـادـ نـجـزـمـ بـدقـقـةـ هـذـهـ الخـصـائـصـ لأنـناـ استـنبـطـنـاـهاـ منـ كـمـ هـائـلـ منـ النـصـوصـ،ـ يـضـمـ أـكـثـرـ منـ سـبـعـةـ مـلـيـارـاتـ كـلـمةـ.

ولا تـنـفـرـدـ اللـغـةـ الـعـربـيـةـ بـهـذـهـ الخـصـائـصـ،ـ وإنـماـ تـشـرـكـ معـ بـقـيـةـ اللـغـاتـ الطـبـيـعـيـةـ فيـ وـسـمـ الفـعلـ «يـجبـ» بـسـمـاتـ الـوـجـوبـ.ـ ويـكـمـنـ الاـشـتـراكـ فيـ أنـ الأـفـعـالـ الجـهـيـةـ المـحـقـقـةـ سـمـةـ الـوـجـوبـ لـاـ تـصـرـفـ فيـ صـيـغـةـ الـأـمـرـ وـلـاـ تـبـنـىـ لـغـيرـ الـفـاعـلـ.ـ وـبـيـنـاـ كـيـفـ أـنـ الـفـعـلـيـنـ «وجـبـ» (devoir) وـ«استـطـاعـ» (pouvoir) لـاـ يـصـرـفـانـ فيـ الـأـمـرـ مـثـلـاـ هـوـ الـحـالـ فيـ الـلـغـةـ الـعـربـيـةـ.ـ وـتـشـرـكـ اللـغـةـ الـعـربـيـةـ معـ الـلـغـاتـ الـفـرـنـسـيـةـ وـالـإـنـجـليـزـيـةـ وـالـأـلـمـانـيـةـ فيـ وـسـمـ أـفـعـالـ الـوـجـوبـ بـسـمـاتـ جـهـيـةـ،ـ غيرـ أـنـهـاـ تـخـتـلـفـ عـنـ هـذـهـ اللـغـاتـ أـشـكـالـ تـحـقـيقـهاـ.

وتـمـثـلـ الخـصـائـصـ الـعـامـةـ لـأـفـعـالـ الـوـجـوبـ لـلـغـاتـ الطـبـيـعـيـةـ فيـ السـهـاتـ التـالـيـةـ:

- لا تـصـرـفـ فيـ الـأـمـرـ.
- لا تـبـنـىـ لـغـيرـ الـفـاعـلـ.
- وـتـكـمـنـ الخـاصـيـةـ الـأـسـاسـيـةـ فيـ أـنـ بـعـضـ أـفـعـالـ الـوـجـوبـ تـعـلـقـ بـأـيـ فـعـلـ سـوـاءـ جاءـ مجرـداـ أوـ مـحـسـوسـاـ،ـ وـبـذـلـكـ تـحرـرـتـ هـذـهـ الـأـفـعـالـ مـنـ قـيـودـ الـانتـقـاءـ وـهـوـ مـاـ يـصـطـلـحـ عـلـيـهـ فـيـ الـلـسـانـيـاتـ بـالـتـجـرـدـ مـنـ التـعـلـقـ (dépourvu de valence).

ولا تـنـفـرـدـ اللـغـةـ الـعـربـيـةـ باـسـعـيـالـ الفـعلـ «يـجبـ»،ـ فـهـوـ مـسـتـعـمـلـ فـيـ اللـغـاتـ الـرـوـمـانـيـةـ وـالـجـرـمـانـيـةـ.ـ وـتـسـتـعـمـلـ اللـغـةـ الـلـاتـيـنـيـةـ فـعـلـ debere وـdébéo وـتوـلـدـ عـنـهـ فـعـلـ dever.ـ وـdovereـ فـيـ الـلـغـةـ الـإـيـطـالـيـةـ وـdeber,debe,deberـ فـيـ الـلـغـةـ الـإـسـبـانـيـةـ وـ

deve في اللغة البرتغالية. وتستخدم اللغات الجermanية مجموعة من الأفعال الجهوية. وهي تختص بخصائص صرفية ونحوية مثل ما نلاحظه في اللغة الإنجليزية مع الأفعال can و may و shall و must. وهي تختلف عن الأفعال التوزيعية في طريقة تصريفها، وتركيبياً في عدم استعمال الفعل المساعد «do» وتغييبه عند تحويل فعل ما. وتتميز الأفعال الجهوية المساعدة عن الأفعال التوزيعية في طريقة التصريف مع ضميري المتكلّم المفرد والغائب المفرد، وهو حال اللغة الألمانية، وكذلك اللغة النيرلاندية والإسلامانية^(٢٢).

ويتمثل الاختلاف أيضاً في غياب علامة «5» في الزمن الحاضر في اللغة الإنجليزية؛ وعلامة «2» مع كل الضمائر في اللغات скандинافية.

وإذا وسم الفعل «يجب» فعلا آخر، فإنه يعلق به مباشرة دون استخدام «to» خلافاً لما يحدث بين الأفعال الأخرى. I want to play I must play

خاتمة البحث

رمنا في هذا البحث الاستفادة من المدونات الحاسوبية العامة في استنباط خصوصيات أفعال الوجوب، لا سيما أن هذه الأفعال لم تدرس، وأن المدونات الحاسوبية لا تزال مادّة خاماً ولم تُوظّف في وصف أنظمة اللغة إلاّ نسبياً. وجعلنا في هذا البحث بين المدونات الحاسوبية العامة والمختصة لتبسيّع استعمالات الفعل «يجب» في أشكال التبادل اللغويّ جميعها؛ فالوجوب يخفّت في النصوص السردية والعرضية؛ ويقوى في النصوص القانونية والحجاجية. وتمكننا بذلك من تحديد دلالات الفعل «يجب» ودرجات تحقق سمات الوجوب.

وانتهجنا في هذا البحث منهجاً زمانياً بنيناه على ما وقفنا عليه من استعمالات معجمي الدوحة التاريخي ومعجم لسان العرب لابن منظور. وأشفعنا المنهج الزمانى

بمنهج تزامني ببنائه على مدونة مختصة أعددناها بأنفسنا لأغراض هذا البحث وعلى مدونتي «سكاتش أنجايin» والمدونة اللغوية العربية لمدينة الملك عبد العزيز.

وقد خلصنا من الوقوف على الاستعمالات الزمانية للفعل «وجب/يجب» إلى أمرين، أولهما استعمال هذا الفعل استعمالاً توزيعياً، في تركيب مكون من فعل وفاعل؛ وأمّا الأمر الثاني، فيكمن في أنّ التعرّف على خصوصيات أفعال الوجوب لا تتحقق من الاقتصار على بعض الشواهد، وإنما تتطلّب تدبر كم هائل من النصوص ومعالجتها حاسوبياً. وتبيننا أنّ الفعل «يجب» يتمحّض للوجوب، حتّى وإن تنزل في موضوعات اجتماعية. وممّا وقفنا عليه من استعمالات المدونات الحاسوبية أنّ فاعل الفعل «يجب» يرد في الغالب مركّباً بالوصول الحرفيّ مكوناً من فعل في صيغة المضارع المقترب بـ«أنّ»، مما يمحّض الحدث لزمن الاستقبال. وجاءت التراكيب المحقّقة للفاعليّة في المدونة المختصة على نحو:

١. يجب + مركّب بالوصول الحرفيّ: ١٥٧ مرة.

٢. يجب + مركّب بالجرّ + مركّب بالوصول الحرفيّ: ٩٣ مرة.

ويكون مجموع هذه التراكيب ٢٥٠ استعمالاً لغوياً من مجموع ٤٢١ استعمالاً.

ويرد فاعل الفعل «يجب» مركّباً بالإضافة أو مركّباً شبه إسناديّ، ويأتي رأس المركّبين مصدراً، فيضفي سمة الإطلاق. ويبلغ مجمل هذا الصنف من التراكيب ٥٣ تركيباً، وذلك بنسبة ٤٤٪ من مجمل التراكيب.

ويرد الفعل «يجب» وسط الجملة في أشكال تراكيب عديدة، جاء مجموعها ٦٨ شكلاً تركيبياً. ويفوق تصدر الفعل «يجب» الجملة ورود «يجب» وسط الجملة سواء في التواتر الجمليّ أو من تركيب إلى تركيب. ويرد الفعل «يجب» وسط الجملة لأنّ

هذا الفعل يُسبق بمركب للجر يستلزم معناه توظيف الإلزام. فتصدر «يجب» الجملة يتحقق في ٢١٤ تركيباً. ويقترن بفاعله مباشرة في ٢٠١ تركيب، ويفصل عن فاعله بمركب للجر في ١١٣ تركيباً. ونخلص من المقارنة بين تصدر الفعل «يجب» الجملة ووروده في وسطها إلى أنّ اللغة العربية تنزع إلى شحن الفاعل مباشرة بالإلزام. ويتجلى أنّ هذه اللغة تنزع أساساً إلى شحن الوجوب في الجملة بأكملها. وهذا ما وقنا عليه للفعل «يجب». فقد اقترن هذا الفعل بفاعله المركب بالموصول الحرفي في ١٥٧ استعمال لغويّ وفي خمس عشرة وثيقة في المدونة المختصة.

وتبيّنا في هذا البحث أنّ الفعل «يجب» تغيرت تراكيبه وتنوعت عمّا كان مستعملاً زمانياً، كا انحصر مدلوله في تحقيق درجات الإلزام؛ وأصبح تركيب الفعل «يجب» يتدخل في إفادة المعنى. فإذا جاء الفعل «وجب» جواب شرط فإنّ مدلوله يتحول من إفادة الإلزام إلى التعبير عن معنى الشرط.

وتبيّنا من تراكيب الفعل «وجب / يجب» في المدونات الحاسوبية انفراد هذا الفعل بخصائص تميّزه عن استعمالات الأفعال التوزيعية؛ فالفعل «يجب» تمحّض تزامنياً في الدلالة على الوجوب؛ وتجمّد في صيغتي الماضي والمضارع مع ضمير الغائب المذكور ونادرًا مع ضمير الغائب المؤنث. فالفعل «وجب / يجب» لا يتصرّف في الأمر ولا يتصرّف مع مختلف الضمائر. ولا يُبني لغير الفاعل، ولا يعلق تزامنياً بفاعل يكون اسمًا جامداً، ويقترن بـأأن في أغلب استعمالاته. ويفضي هذا إلى أنّ تحقيق الوجوب في اللغة العربية يقتضي خصائص تركيبية دلالية؛ ولا تنفرد اللغة العربية بمثل هذه الخصائص وإنما تختص بها أفعال الوجوب في اللغات الطبيعية؛ فالفعل يجب لا يصرّف في الأمر ولا يُبني لغير الفاعل في اللغة الفرنسية؛ وحتى إن صرّف في اللغات

الفرنسية والإنجليزية والألمانية فإن علامات تصريفه معايرة لتصريف الأفعال التوزيعية.

ولئن اقتصرنا في هذه الدراسة على الفعل «يجب»، فإن آفاق البحث تفتح على النظر في مشتقات هذا الفعل التي تحقق بدورها معنى الوجوب؛ ويُستكمل هذا النظر بدراسة بقية أفعال الوجوب من مثل «ينبغي» و«يتحتم» و«يتعين» و«يقتضي» و«يلزم» و«يُحَجِّر». وقد أوردنا في بداية هذا البحث جدواً في اطراد أفعال الوجوب والإمكان. وتحتاج هذه الأفعال إلى دراسات معمقة تستجلِّي استعمالاتها التوزيعية والجهة. ولا يتأتى ذلك إلا بالاعتماد على المدونات الحاسوبية؛ ولا نتبين التطور الدلالي الترکيبي للأفعال العربية إلا بالاعتماد على المدونات الحاسوبية؛ ونستدلّ على ذلك باستعمال الفعل «قام» على سبيل المثال؛ فهذا الفعل يدلّ على معنى «نهض» في معاجم اللغة؛ ويطرد استعمال هذا الفعل في مدونة «اسكتاش أنجايin»، فقد توافر بنسبة ١٧٣٦٤٠١ ١٧٣٦٤٠١ مرة، ويقوم بنسبة ١٥٨٧٥٣٧ ١٥٨٧٥٣٧ مرة، وتقوم بنسبة ١٤٩٩٧٧٦ ١٤٩٩٧٧٦ مرة، وقامت بنسبة ١٠٥٨٩٩٤ ١٠٥٨٩٩٤ مرة؛ وبالنظر في هذا الكلّ الهائل من الاستعمالات والبالغ ٥٨٨٢٧٠٨ ٥٨٨٢٧٠٨ مرة، نلحظ تحول هذا الفعل من فعل توزيعي إلى فعل عماد. ولا نتبين هذه الظاهرة إلا من استعمالات المدونة الحاسوبية، وليس من أمثلة معاجم اللغة المحدودة. وهذا ما انتهجهنا في تحليل الفعل «يجب» في هذه الدراسة.

وليست الأفعال الجهة إلا نمطاً من أنماط تحقيق سمة الجهة، بدليل أن اللغتين العربية والفرنسية توظفان الظروف والأفعال المعجمية والعبارات الفعلية للتعبير عن الجهة، من مثل «ربما» و«من الممكن» و«لا شك» و«فيرأي» و«حسب ظني». وهي تحتاج إلى دراسة وإلى استجلاء ما تتحققه من درجات السمات الجهة، وما تعلق به من أقسام الكلم.

الهوامش

١. المدونة اللغوية العربية لمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية؛ وهي تحوي ١١٨٢٥١٥٦٣٣ كلمة ابتداءً من العصر الجاهليٰ وحتى العصر الحديث ومن مختلف المناطق والبلدان. وتشمل أوعية النشر فيها المخطوطات والصحف والكتب والمجلات والدوريات العلمية.
٢. مدونة سكاثش أنجابين: تخرّن هذه المدونة مدونات لغات عدّة بما في ذلك المدونة الوطنية البريطانية وكذلك مدونات للغات الصينية والإنجليزية والفرنسية واليابانية والإيطالية والألمانية والروسية والإسبانية والعربية التي تضم ٧٤٧٥٦٢٤٧٧٩ كلمة، ويعود تجميعها إلى ٢٠١٢.
٣. العرض ترجمة لمصطلح (*exposition*)، ويعني النمط العرضي بتحليل مفهوم ما، ويفسّره دون التركيز على المتنقى مثلما هو الحال في نصوص الموسوعات التي تنظر لمفهوم من المفاهيم وترسم أبعاده. ويتختلف النص العرضي عن الحاججي وإن اشتراكاً في توضيح رأي من الآراء. إذ يكتفي النص العرضي بتحليل مفهوم دون الدفاع عنه أو الإقناع به أو افتراض رفض محتمل من المتنقى. وهذا ما يجعل النص العرضي لا يوظّف نسبياً أساليب الإقناع، ولا يتّخذ من إحكام بناء النص خطّة إقناعية، كما لا يلجأ إلى ضروب التوكيد والتأثير، وتحتفى ذات المتكلّم قصد إبراز المعلومات بشكل موضوعي ومحايده نسبياً. ويُتّسم الأسلوب عندئذ بالشفافية. ونستطرد من تحليل النمط العرضي معايير قياسه، وتكون في مؤشرات الحياد ووضوح الحالات وتتبع غياب ضمير المتكلّم واطراد ضمائر الغيبة والابتعاد عن ضروب التوكيد وأساليب البديع والبيان. ويتحقق القياس إما باستقراء هذه المؤشرات من مجموعة من نصوص العرض أو بتکليف الدارسين بتوظيفها في أشكال الكتابات.

Robert, (Paul), Le grand Robert de la langue Française . Tome VI, p°501

٥. تخيّبه ترجمة للمصطلح modalisation

- .Dubois, Jean (1973), *Dictionnaire de linguistique*, Paris .٦
- Bannour, Abderrazak (1986), *Recherches sur les structures modales dans le système verbal (Linguistique et logique)*, Tunis, Publications de l'université de Tunis. p10 .٧
- . المرجع السابق .٨
- . توافق مصطلح *modalisation* .٩
- . يقابل هذا الفعل في الفرنسية فعل *(falloir)* .١٠
- . انظر معجم الدوحة التارخي في الإنترت .١١
- . ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، م ١٥-١٦ ص ص ١٥٥، ١٥٤ .١٢
- . مدونة عبد الله فيفي عن متعلمي اللغة العربية .١٣
- . الأمم المتحدة، (١٩٩٤)، ميثاق الأمم المتحدة ، نيويورك، ٤٧ ص .١٤
- . الأمم المتحدة، (١٩٩٤)، النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية، نيويورك، ٤٧ ص .١٥
- . الشريف، (محمد الحبيب)، دستور الجمهورية التونسية، تونس، دار الميزان للنشر، ٨٢ ص .١٦
- . قانون أساسي يتعلّق بالتنظيم المؤقت للسلط العمومية، الرائد الرسمي عدد ٦ لسنة ٢٠١١ المؤرّخ في ١٦ ديسمبر ٢٠١١ ، ٦ صفحات .١٧
- . مشروع دستور دولة الخلافة،(د.ت) ، طبعة معتمدة، ٦٣ ص .١٨
- . الجمهورية التونسية، (٢٠٠٦)، مجلة الأحوال الشخصية، تونس، منشورات المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ١٤٣ ص .١٩
- . لمجلة الجنائية .٢٠
- . الجمهورية التونسية، (١٩٩٤)، مجلة الإجراءات الجزائية ، تونس، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ١٠٢ ص بالعربية، ٩٦ ص بالفرنسية .٢١
- . الجمهورية التونسية، (١٩٩١)، مجلة الشغل، تونس، مطبعة الجمهورية .٢٢

- التونسية، ١٨١ ص ١٦٨+.
٢٣. الجمهورية التونسية، (١٩٩٤)، المجلة التجارية، تونس، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ١٤٥ ص.
٢٤. الجمهورية التونسية، (٢٠٠٦)، مجلة المرافعات المدنية والتجارية، تونس، منشورات المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ١٥١ ص.
٢٥. الجمهورية التونسية، (٢٠٠٢)، مجموعة النصوص المنظمة للعلاقات بين المسؤولين والمت索ّجين، ملحق بها: النصوص المتعلقة بالرصيد العقاري للأجانب وعقارات الأجانب، تونس، منشورات المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ٣٥ ص.
٢٦. الجمهورية التونسية ، (ديسمبر ٢٠١١)، الرائد الرسمي للجمهورية التونسية، الثلاثاء ٢٥ و الجمعة ٢٨ محرّم ١٤٣٣ ، ٢٠ و ٢٣ ديسمبر ٢٠١١ السنة ١٥٤ عدد ٩٧ ، ٣٦ ص.
٢٧. الرائد الرسمي للجمهورية التونسية، ٥ صفر ١٤٣٣ ، ٣٠ ديسمبر ٢٠١١ السنة ١٥٤ عدد ٩٩ ، ١٦ ص.
٢٨. تعاونية التأمين للتعليم، (١٩٩٣)، عقد تأمين عربة بريّة ذات محرك، تونس، ١١ ص بالعربية + ١١ ص بالفرنسية.
٢٩. جواز سفر للجمهورية التونسية. - صداق (عقد قرلن). - عقد بيع. - عقد توسيع. - عقد تأمين. - عقد مقاولة. - قرار ترخيص بالبناء. - قرار هدم. - إجراءات التبليغ. - محضر إنذار بالدفع. - محضر إعلام بحكم. - عريضة في الأمر بالدفع. - حكم مدني. - عقد إيجار - الشروط العامة للتأمين.
٣٠. ابن هشام الأننصاري، مغني الليبب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ج ١ ص ٩٢ و ٩٣).
٣١. المراجع السابق.

Bannour Abderrazak, (1986), Recherches sur les structures modales dans le système verbal (Linguistique et logique), Tunis, Publications de l'université de Tunis .٣٢

المراجع

أ. العربية

- صالح، محمود إسماعيل (٢٠١٢) : الحاسوب والبحث اللغوي (المدونات اللغوية نموذجا)، الرياض، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن.
- الكشو، رضا (٢٠١٥) : توظيف اللسانیات في تعليم اللغات، مکة المكرّمة، نشر مجتمع اللغة العربية على الشابكة العالمية، ٤٠٨ ص. خصّصنا الفصل الخامس لتحليل لسانیات المدونات وأشارنا إلى ترجمات هذا المفهوم.
- الكشو، رضا (٢٠١٩) : «توظيف لسانیات المدونات في تأليف المواد التعليمية»، مجلة الألكسو.
- الكشو، رضا (٢٠١٦) : «تطبيق لسانیات المدونات على اللغة العربية»، المجلة العربية للثقافة ، العدد الثاني والستون، ص ص ٢٥٧ - ٣٠٨.
- ورقة مشروع «الذاكرة اللغوية»، مجلة اللسان العربي العدد ٤٨.

ب. الأجنبية

- Condamines, Anne (2005) : Linguistique de corpus et Terminologie, in Langages, 39e année, no. 157, pp. 36-47 (CNRS. Equipe de Recherche en Syntaxe et Sémantique, Toulouse).
- Condamines, Anne, et Dehaut, Nathalie : Mise en œuvre des méthodes de la linguistique de Corpus pour étudier les termes en situation d'innovation disciplinaire : le cas de l'exobiologie.
- Rastier, François, (2002) : Enjeux Epistémologiques de la Linguistique de Corpus, Lorient, Septembre 2002, il sera recueilli dans les Actes à paraître sous la direction de Geoffrey Williams aux Presses Universitaires de Rennes.
- Sinclair, J. (1991) : Corpus, Concordance, Collocation. Oxford : Oxford University Press.

- Vankova, Sarka (2008) : Linguistique de corpus, Focalisation sur les outils électroniques, Université de Romanie, 60pages.
- Vaguer, Céline : Corpus, Vous avez dit Corpus ? De la notion de Corpus a la Création d'un Corpus informatisé, Université Paris X-Nanterre.

المعالجة الآلية للتطور الدلالي وفق لغويات المدونة المحosome دراسة دلالية حاسوبية

د. بدرية بنت براء العنزي^١

ملخص

تهتم هذه الدراسة بمعالجة التطور الدلالي وفق منهجية بحثية جديدة في الدرس اللساني التطبيقي الحديث، بتوظيف لسانيات المدونات المحosome corpus-based linguistics وما تتيحه من أدوات برمجية وأساليب إحصائية، لمعرفة مدى إمكانية قياس التطور الدلالي للتلازم اللغظي، ومعرفة المقاييس الإحصائي المناسب لقياس التلازم، وتتبع الدلالات الجديدة وما حدث لها من تطور بمختلف مظاهره عبر العصور، وأثر السياق في ذلك. واعتمدت الدراسة منهج التحليل المدوناتي الذي يدرس اللغة في استعمالاتها الفعلية في الحياة الواقعية، انتلافاً من مدونات لغوية حاسوبية تمثل اللغة، وبناء على أساليب تحليلية وأدوات معالجة برمجية معتمدة في دراسة اللغات الطبيعية. وخلصت الدراسة إلى عدد من النتائج أبرزها: أن التطور الدلالي يشكل الركيزة الأساسية في حياة الألفاظ اللغوية، وأهمية البرامج المحosome في تفسير النظريات اللغوية الحاسوبية، وأن التلازم اللغظي مدخل لفهم معنى المفردات عبر الألفاظ التي توارد معها وترتبط بها. وختمت الدراسة بعدد من التوصيات لعل من أهمها إثراء مجال معالجة اللغة العربية حاسوبياً عبر دراسات وأبحاث متخصصة تشمل مستويات اللغة الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، وستستفيد قدر الإمكان من لغويات المدونات المحosome.

١- جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن. الرياض.

الكلمات المفتاحية: التطور الدلالي، المدونات المحسوبة، التلازم اللغطي، منهج التحليل المدوناتي، المعاني السياقية، المقاييس الإحصائي.

Abstract

Using software tools and statistical methodology of corpus linguistics, the present study addresses semantic development in Arabic. It aims at assessing the possibility of measuring the semantic development of collocations, and explore the adequate statistical tools needed to examine the development process of collocations. It also seeks to understand, on the basis of corpus linguistics, the contextual implications of collocations and explore aspects of semantic development. On the basis of corpora representing language in real life usage, it applies analytical methods of natural language processing to reach a number of conclusions, namely that semantic development represents the main pillar of a language life cycle: change, develop or become archaic. It also shows the importance of software in the framing and interpretation of computer-based linguistic theories, and that the study of collocations is an adequate way to understand the meaning of words. Among the main recommendations advanced at the end of this study the need to make the best use of corpus linguistics in studying Arabic on various phonetic, morphological, syntactic and semantic levels.

Keywords: semantic development, electronic corpora, collocations, corpus linguistics approach, contextual meanings, statistical factor.

مقدمة

اللغة كائن حي بحاجة للنمو والتطور؛ فهي تستمد حياتها من المجتمع، تتقدم بتقدمه وتنهزم بانهزامه، فهي عرضة للتغيير والتطور في ألفاظها ووحداتها. والتطور الدلالي ليس حكراً على لغة دون أخرى بل يدركه كل متبع لراحل نمو اللغة عبر الأزمنة المتعاقبة. وبنظرة سريعة في التراث العربي، سنلاحظ التطور الدلالي بالتمدد الأفقي والرأسي للمفردات اللغوية اكتساباً وتنمية وما يصاحب هذا التمدد من اتساع واحتزال للذاكرة اللغوية. وهو ما يذهب إليه العالم اللغوي (Nida) الذي يرى «أن معاني الكلمات لا يمكن أن تظل ثابتة بل إنها على الدوام تتنقل في هذا الاتجاه أو ذاك تحت ضغط عامل لغوي وثقافي آخر»^(١).

وتعنى دراسة التطور الدلالي برصد الألفاظ والمصطلحات والوحدات المعجمية في حياتها التاريخية، ومن هذه الوحدات المتلازمات اللفظية؛ فهي ليست بمعزل عن ألفاظ اللغة ومصطلحاتها ووحداتها؛ بل تمثل رصيداً لغوياً يميز كل جماعة لغوية عن الأخرى، وتتطور وتتغير دلالاتها على مر الزمن.

ومع الطفرة التكنولوجية الحديثة، ظهرت لسانيات المدونات، وهي منهجة جديدة في الدرس اللساني الحديث ذات آليات برمجية وتقنية في معالجة البيانات؛ إذ ترتكز على جانبين، الأول: الجانب النظري الذي يبحث في الفرضيات أو المشكلات اللغوية، والآخر تطبيقي، ويعنى بالنمذجة الحاسوبية للظواهر اللغوية. وتهيأ الحاسوب للقاء مع اللغة بالسرعة الفائقة وضخامة الذاكرة وضالة الحجم، وأساليب الذكاء الاصطناعي، ولغات البرمجة الراقية؛ إذ تكمن المعالجة الآلية للغة في التحليل الرياضي والمنطقى والإحصائي.

ومن يمعن النظر في الواقع اللغوي يلحظ التطور المتسارع لألفاظ اللغة ووحداتها المعجمية، كما يلحظ مدى إمكانية دراسة هذا التطور والتدايق المعرفي للعربية حاسوبياً بكافة مستوياتها اللغوية؛ إذ إنها ليست بمنأى عن الحاسوب وبرامجه المتطورة وكيفية الاستفادة منه وتطويقه لخدمة اللغة بشكل عام والعربية بوجه خاص. ويعد المستوى الدلالي من أصعب الأنظمة اللغوية على الآلة، ويعود ذلك إلى طبيعة الدلالة ومستوياتها اللغوية والثقافية واحتلافاتها تبعاً لذلك، وإشكالية السياق في تحديد

المعانى الدلائلية للمفردات والألفاظ.

والتحليل الدلالي للعربية ذو أهمية كبيرة؛ إذ يتطلب تحديد معاني المفردات ومعرفة سياقاتها وتتبع معانيها المتعاقبة عبر الأزمنة المتواالية. ولا تزال المعالجة الدلالية الحاسوبية للعربية في مراحلها الأولى وتحتاج إلى المزيد من الدراسات والأبحاث حتى تصل إلى مرحلة التطبيق والبرمجة. وتأتي هذه الدراسة انطلاقاً من العلاقة التكاملية بين اللغة والحواسيب ومحاولة الإفادة من منهجية لسانيات المدونات وتطوريها لمعالجة ظاهرة التطور الدلالي للألفاظ من خلال التلازم اللغظي باستخدام الآليات التي تتيحها المدونة العربية - عينة الدراسة - لمعرفة الألفاظ الجديدة من خلال التلازم، ومعرفة معانيها المستحدثة عبر الأزمنة المتواالية. وترتکز هذه الدراسة على المحاور التالية:

- مدی إمكانیة قیاس التطور الدلایلی للتلازم اللفظی من خلال استخدام منهج لغويات المدونة الحاسوبية.
 - تتبع المتلازمات المستحدثة باستخدام منهج لغويات المدونة الحاسوبية، والفترات التي ظهرت فيها معًا متواالية عبر الزمن.
 - معرفة المعانی الدلالیة المستحدثة للمتلازمات اللفظیة من خلال استخدام منهج لغويات المدونة الحاسوبية.
 - معرفة بعض مظاهر التطور الدلایلی التي حدثت للمتلازمات اللفظیة بتوظیف منهج لغويات المدونة الحاسوبية.

وقد اشتملت الدراسة على مبحثين:

المبحث الأول: الإطار النظري، وسيتم التطرق فيه إلى التطور الدلالي وعوامله ومظاهره، ولغويات المدونة الحاسوبية، وكيفية تحليل التابع اللفظي في لغويات المدونات الحاسوبية.

البحث الثاني: الجانب التطبيقي، وسيتم الحديث فيه عن آليات التحليل بحسب مفاهيم لسانيات المدونة الحاسوبية، والمعالجة اللغوية والحواسيبية.

أهمية الدراسة

تتجلى أهمية هذه الدراسة في إعادة النظر في قضية التطور الدلالي للألفاظ بطريقة فريدة وجديدة تكمن أساساً في إعمال المدونة الحاسوبية العربية في دراسة التطور الدلالي للمعاني والألفاظ، وهي طريقة منهجية بحثية جديدة في الدرس اللساني التطبيقي الحديث، *Corpus-based Linguistics*. وتقوم هذه الدراسة على مدونة حاسوبية ذات بيانات ضخمة وبمساعدة أدوات برمجية وأساليب قياس إحصائية، تقيس التردد والتكرار للمفردات المتلازمة، ثم تتبع تطورها الدلالي عبر الزمن، سواء كان هذا التطور (تممياً للدلالة أو تخصيصاً لها أو انتقالاً لها أو رقياً)؛ إضافة إلى أن هذه البيانات الضخمة التي يتعدى التعامل معها بالإحساس اليدوي، تتيح لنا الابتعاد عن الحدس والتخمين، وتعطينا نتائج أقرب تمثيلاً لطبيعة اللغة وواقعها الاستعمالي. وما يعزّز من أهمية هذه الدراسة أنها ستتناول ظاهرة التطور الدلالي للألفاظ بأساليب تحليلية أكثر دقة من الطرق المعهودة في الدراسات اللسانية التقليدية، مازجة بين منهجي التحليل الكمي (الإحصائي) والتحليل الكيفي (النوعي) خصوصاً أن الإحساس يمهد السبيل للبحث العلمي الدقيق، فـ»بعد أن دانت اللغة للصياغة الإحصائية والرياضية جزئياً للتحليل المنطقي، أصبح الطريق ممهداً لدخولها مرحلة المعالجة الآلية، تأكيداً لوصولها لمرحلة متقدمة من النصح العلمي»^(٢). ومن المؤمل أن تفتح هذه الدراسة المجال لدراسات دلالية مستقبلية على نطاق أوسع وأشمل.

منهجية الدراسة: تقتضي طبيعة الدراسة اتباع منهج التحليل المدوناتي الذي يدرس اللغة في استعمالاتها الفعلية في الحياة الواقعية، باعتماد مدونات لغوية حاسوبية تمثل لغة معينة واستناداً إلى أساليب تحليلية، وأدوات معالجة برمجية في دراسة اللغات الطبيعية.

ويعتمد المنهج المدوناتي على: **التحليل الكمي** الذي يقوم على منهج الإحصاء والقياس، ويتمثل في إحصاء تكرار الظواهر اللغوية المعنية بالدراسة، ووصولاً بالنتائج إلى قياسات إحصائية قائمة على أسس حسابية دقيقة تتسم بالدقة والموضوعية والموثوقية في تعميم نتائج الدراسة. **والتحليل النوعي:** الذي يتبع الظاهرة ويفصّلها كما هي دون تدخل من الباحث بإبداء رأيه أو اعتقاده على حدسه اللغوي. ولا يمكن

الاكتفاء بالتحليل الكمي دون النوعي؛ لأن الكمي مجرد أرقام حسابية دخلت الدرس اللغوي لتكسب التحليلات النوعية تصوراً أدق لمدى شيوخ تلك الظواهر أو ندرتها، ثم يأتي المنهج النوعي ليحلل ويفسر الأسباب، ويثيري الدرس اللغوي بنتائج دقيقة بناء على ما أظهرته النتائج^(٣)، مما يساعد الباحث في تحليله للنصوص كمّا ونوعاً. ويفقى على الباحث بعد ذلك جودة المعالجة لهذه النتائج، ومحاولته تفسيرها.

المبحث الأول: الإطار النظري

أولاًً التطور الدلالي

لعلماء العربية جهود جليلة في الدرس الدلالي الذي يبحث في العلاقة بين اللفظ والمدلول وفي تطور معانيهما تاريخياً وفي معنى الكلمة والسياق، ولا يمكن دراسته بعيداً عن دراسة مدلولاتهما وما تدل عليه من معانٍ تُجلِّي هدف المتكلم من كلامه. ويعُرف التطور الدلالي بأنه: «غير معنى الكلمة على مر الزمن بفعل إعلاء، أو انحطاط، أو توسيع، أو انحسار، أو مجاز، أو نحو ذلك»^(٤).

ويجدر بنا هنا أن نفرق بين مصطلحِي التطور اللغوي والتطور الدلالي، فال الأول عام يتناول اللغة بكل جوانبها الصرفية والصوتية والنحوية والدلالية^(٥)، أما مصطلح التطور الدلالي فهو خاص بوسائل اللغة التي تعتمد لها لتوليد ألفاظها وتحسينها أو تحويلها وتحويرها بما يتوافق وحاجات أهلها.^(٦) فهو خاص بالتغيير الذي نشأ في المفردات أو التراكيب «ومتابعة هذا التغيير الذي يؤدي إلى حدوث دلالات جديدة، وخلع القديمة والبحث في أسباب ذلك التغيير ونتائجها ومظاهره»^(٧)، أو هو التغيير في دلالات الكلمات وسبل تطورها ما أمكن ذلك. وتنقسم المعاني الدلالية إلى قسمين، هما:

- الدلالة المركزية: ويقصد بها المعنى المركزي أو الأساس وعرفه (Nida) بأنه المعنى المتصل بالوحدة المعجمية حينما ترد في أقل سياق، أي حينما ترد منفردة^(٨) وهي المعنى الذي يقدمه مؤلفو المعاجم.
- دلالة السياق: وهي ظلال المعاني التي تتغير بتغير الثقافة أو الزمن وتختلف باختلاف الأشخاص وتجاربهم وخبراتهم؛ فالعلاقة بينهما علاقة الجزء بالكل.

مظاهر التطور الدلالي: للتطور الدلالي مظاهر عدّة، وهي على النحو التالي:

١- تعميم الدلالة: ويعرف بأنه «توسيع معنى اللفظ ومفهومه ونقله من المعنى الخاص الدال عليه إلى معنى أتم وأوسع»^(٩)، ويعني أن دلالة اللفظ تتسع لتشمل معانٌ أكثر مما كان عليه في دلالته الأصل. ويحدث التعميم الدلالي نتيجةً إسقاط بعض الملامح التمييزية للفظ؛ فالطفل الذي يطلق كلمة (عم) على كل رجل فقد أُسقط من الملامح التمييزية (القرابة) واكتفى بملمحي (الذكورة والبلوغ)^(١٠).

٢- تخصيص الدلالة: ويقصد به تحويل دلالة الكلمة من المعنى العام إلى المعنى الخاص، ويعني ذلك إضافة ملامح دلالية خاصة باللغة وتخصيصها بها دون غيرها، وقد يأتي التخصيص باندثار المعنى السابق للفظ أو أن يبقى هذا المعنى مصاحبًا للمعنى الجديد. وذكر بعض اللغويين أن ظاهرة التخصيص الدلالي أكثر شيوعًا من التعميم الدلالي^(١١)

٣- رقي الدلالة: ويسميه إبراهيم أنيس بـ(التغير المتسامي)؛ لأن الدلالة فيه تسمو وترتقي بعد أن كانت تدل على معنى ليس فيه دلالة على الرفعة أو الشرف^(١٢) ورقي الدلالة وانحطاطها مرتبط بالقيم الاجتماعية، فالمجتمع هو المستعمل للغة، وقد تغير بعض مفاهيمه وعاداته، أو يختلف من مجتمع إلى آخر، وبالتالي يختلف الحكم على دلالة الألفاظ رقيًا وانحطاطًا. ويرى بعض اللغويين أن رقي الدلالة يحدث أكثر من انحطاطها^(١٣)، ومن ذلك دلالة الكلمة المجد التي ارتفت من امتلاء بطん الدابة إلى معنى العزة^(١٤).

٤- انحطاط الدلالة: ويحصل الانحطاط الدلالي عندما تنحط الدلالة من مجال يُجله المجتمع إلى مجال آخر يبتذله، وهو تغير معاكس لرقي الدلالة؛ فبعض الألفاظ تبدأ حياتها بأن تعبّر عن أمر شريف ثم بتعاقب الزمن يقل الاهتمام بها، فتستعمل في مجالات أضعف من مجالها الأول، فينزل قدرها بين الناس حتى تصبح مرذولة، مثل: الكلمة (الحاجب) التي كانت تعني رئيس الوزراء في الدولة الأندلسية، أما اليوم فتعني الحارس أمام باب الإداره^(١٥) ولعل أكثر الكلمات ذات الدلالة المعرضة للانحطاط هي ما يتعلّق بالجنس من ألفاظ ودلّالات، كما أن تحاشي ذكر بعض الألفاظ صراحة يمْجِّها الذوق العام والبحث عن طرق أخرى للتعبير عنها

بـ (التلطف وحسن التعبير).

٥- انتقال الدلالة: ويعني الانتقال الدلالي أن تخرج الكلمة من معناها القديم إلى معنى آخر له علاقة به، ويكون هذا الانتقال إما لعلاقة المشابهة بين المدلولين، أي (استعارة) أو لعلاقة غير المشابهة بين المدلولين، أي (المجاز المرسل)، ويتمثل هذا الانتقال من المجال المحسوس إلى المجال المجرد أو العكس، ومن المجال الحقيقي إلى المجال المجازي لعلاقة المشابهة أو لغيرها. وهناك أسباب عدة للتطور الدلالي غير ما ذكر كالأسباب النحوية والسياقية والاشتقاقية وغيرها مما لا يتسع المجال لذكره في هذه الدراسة.

ثانياً: لغويات المدونة الحاسوبية

يشهد العالم اليوم ثورة حقيقة في مجال البحث اللساني أدت إلى ظهور العديد من الدراسات اللغوية والمناهج الحديثة التي فتحت آفاقاً جديدة لدراسة اللغة بصورة أعمق وأشمل. وازداد الاهتمام بالمدونات المحسوبة في العقود الأخيرة؛ وبرز في هذا الجانب العديد من العلماء، أمثال سنكلير (Sinclair) وهو (M. Hoy) وستابز (Stubbs) وغيرهم، الذين يرون إمكانية دراسة الألفاظ اللغوية باستخدام منهج المدونات الحاسوبية من خلال تحديد تكراراتها في النص، وتكراراتها مع غيرها من الكلمات^(١٦)، ومعرفة سياقاتها التي ترد فيها، ومعرفة التصاحبات اللفظية التي تظهر معها، باستخدام أدوات برمجية حاسوبية. وقد تعددت وجهات نظر العلماء والباحثين في هذا العلم؛ فمنهم من يرى أنه علم قائم بذاته، ومنهم من يرى أنه منهج بحثي مقتنن له أدواته وطريقته التي تميزه عن غيره من طرق البحث في اللسانيات التطبيقية. وترى الباحثة أن لغويات المدونة الحاسوبية ما هي إلا منهج وآلية تدرس بها الظواهر اللغوية، ويعتمد عليها في الإجابات عن التساؤلات البحثية والفرضيات المسوغة مسبقاً. ومن خلاله يمكننا دراسة أغلب فروع اللسانيات النظرية والتطبيقية. وهذا ما ذهب إليه مكاري وآخرون^(١٧).

وتععدد الترجمات العربية لمصطلح المتلازمات اللفظية، كالتضام^(١٨) والتصاحب والرصف^(١٩)، ويفاصلها مصطلح Collocation في اللغة الإنجليزية، والتلازم وما

دار في فلكه يدل على مجموعة الكلمات التي تتواتر معًا. وتحدد الكلمات المصاحبة معًا من خلال سياقات معينة ذات نطاق محدد بعدها؛ بامتداد من $+1$ إلى $+4$ ^(٢٠). ويعتمد تحليل التتابع اللغطي في لغويات المدونات الحاسوبية على عدة مفاهيم هامة، وهي:

- التكرار (Frequency): إن حساب التكرارات للكلمات يعطي دليلاً كمياً عن مدى شيوع استخدامها وتدوتها أو ندرتها. وبالنسبة لحساب التكرار في التصاحب اللغطي فهو يعني تكرار الكلمة المركزية في النص مع تكرار الكلمة الملازمة لها.
- الكلمة المركزية (Nodal item): وتعني الكلمة المراد البحث عنها، والانطلاق بالبحث الآلي منها.
- الكشاف السياقي (Concordance): ويهدف إلى الكشف عن السياقات التي ترد فيها الكلمة المركزية، وينصب على استخراج سياقات الكلمة آلياً في سلسلة من الكلمات المتابعة قبل الكلمة المركزية وبعدها.
- التصاحب اللغطي (Collocation): ويقيس درجة مدى الارتباط بين الكلمة والأخرى التي تظهر معها في السياق من خلال عدة مقاييس إحصائية؛ لقياس قوة الترابط فيما بينها. ومن هذه المقاييس مربع كاي (Chi-Square) ومعامل الغرابة (CHI Squared) والمعلومات المتبادلة (Mutual information) و(Z. Score) و(Dice Log) ومعامل التشابه اللوغاريتمي (Loglikelihood).
- المدى (Span): ويقصد به الكلمات المصاحبة للكلمة المركزية، وحدّد بخمس كلمات ترد قبل الكلمة المركزية وبعدها^(٢١).

فالتابع اللغطي من وجهة نظر حاسوبية بمثابة حجر الزاوية لدراسة معاني الألفاظ ودلائلها، والبيانات الإحصائية (الكمية) تعد منهجاً رئيساً لدراسة التلازم والتتابع بالإضافة إلى المنهج النوعي.

المبحث الثاني: الجانب التطبيقي، المعالجة اللغوية والحوسبة

أولاً: منهجية التحليل وأدواته:

لابد لأي باحث أن يحدد فرضيته اللغوية التي بدورها تحدد نوع المدونة اللغوية ونوع النصوص وعدها وما توفره من أدوات برمجية ملائمة. ومن الممكن أن ينشئ الباحث مدونته الخاصة التي تفي بأغراضه البحثية في حال عدم إيفاء المدونات اللغوية الشبكية بذلك. وفيما يتعلق بمدونة هذه الدراسة التي تناسب اختبار أسئلتها البحثية، وفرضيتها اللغوية؛ فقد اعتمدت الباحثة المدونة العربية التابعة لمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتكنولوجيا، التي تعد أحد المشاريع الاستراتيجية لمبادرة الملك عبد الله بن عبد العزيز للمحتوى العربي. وذلك لتميزها بالتوافر والممثل، ووضوح معايير تصميمها، وكونها مدعومة بأدوات للبحث، والتحليل اللغوي والإحصائي؛ مما يمكّن من الاستفادة من موادها، ووضوح تصنيف النصوص (كل نص يصنف من حيث الفترة الزمنية والمنطقة والمجال والموضوع)، بالإضافة إلى حجمها الكبير، مما يمكن من الوثيق بنتائجها والاعتماد عليها، وإتاحتها للاستخدام المجاني على الموقع الإلكتروني التالي: (<http://www.kacstac.org.sa>)^(٢٢). وقد قامت الدراسة على عدد من الخطوات الإجرائية التي أخذت وقتاً وجهداً ليسا بيسيرين، وأهم هذه الخطوات ما يلي:

الخطوة الأولى: تمتل في استعراض الدراسات والأبحاث ورسائل الماجستير والدكتوراه التي تناولت التطور الدلالي والدلالات المستحدثة في العصر الحديث، ووضع قائمة أولية لهذه الدلالات الجديدة.

الخطوة الثانية: البحث في بعض المعاجم العربية كمعجم الغني الزاهر والمعجم الوسيط والمعجم الكبير؛ للتأكد من حداثة هذه الدلالات وجديتها في العصر الحديث. ونظرًا لكثره الدلالات المستجدة؛ ولأنه ليس من هدف الدراسة الجمع والاستقصاء. فقد تم الاستقراء على دلالة جديدة واحدة لكل حرف من الحروف المعجمية، تم اختيارها لكونها الأكثر تغيرًا بين بقية الدلالات إضافة إلى حداثتها، وسيتم دراستها دراسة حاسوبية دلالية.

الخطوة الثالثة: المعالجة الحاسوبية، وهي عبارة عن إجراءات عديدة يجمعها ارتباطها بالمدونة العربية والحاسوب، وتم فيها الآتي:

- الدخول إلى موقع المدونة العربية على الشبكة العنكبوتية واختيار (محرك البحث) من القائمة، وإدخال الكلمة المراد البحث عنها، لمعرفة ورودها في المدونة من عدمه، ومعرفة عدد مرات تكرارها وشيوخها. وسياقاتها، والأذن ب(٥٠٠) سياق أوليّ، وحفظ هذه البيانات في مستندات خاصة.
- ثم إدخال الكلمة مفردةً في محرك (تكرار الكلمة) وتحديد نطاق البحث في الكلمة من خلال اختيار (توزيع الأزمنة) لمعرفة توزيع الكلمة على الفترات الزمنية، ومعرفة بداية ظهورها زمنياً، ومن ثم حفظها في مستندات خاصة.
- ثم إدخال الكلمة بمقاييس التصاحب اللغطي لمعرفة الكلمات التي تصاحب معًا، وهناك عدة مقاييس إحصائية لقياس قوة الترابط بين الكلمات، ورأى الباحث أن أكثر هذه المقاييس مناسبة لهدف البحث هو المقياس الإحصائي (معامل التشابه اللوغاريتمي Log Likelihood) للميزات التالية:

١- أن مقياس Log Likelihood لا يفترض أي توزيع إحصائي للبيانات، ولا يعتمد على حجم المدونة.

٢- أن معامل التشابه اللوغاريتمي يركز على الكلمات المعجمية ذات المحتوى، ولا يولي الكلمات النادرة الورود اهتماماً.

٣- أن قيمة التشابه اللوغاريتمي أكبر من ٢٤ ، مما يعطي نسبة ثقة عالية جداً.
وسيتم ترتيب المتلازمات وفق المقياس الإحصائي وبناء على الأعلى تكراراً، وبالتالي الأكثر استعمالاً. ويطلب اختبار ما إذا كانت كلمتان متلازمتين الآتي:

١- أن يكون تكرار المتلازمة في المدونة أكبر من أو يساوي ١٠ .

٢- أن يكون تكرار المتلازمة في السياق أكبر من أو يساوي ٥ .

٣- الأخذ بالترتيب العشرين الأولى فقط، نظراً لكثرتها.

٤- يكون مدى السياق للكلمات السابقة للكلمة المركزية (صفر) وللكلمات

اللاحقة (١) .

٥- ثم تُرتب نتائج قوة التلازم تصاعدياً، ثم تنسخ وتحفظ في ملفات إكسل حتى يسهل التعامل معها، ثم تُفرز، ويقتصر على (٢٠) متلازمة الأولى والأكثر تلازمًا مع الكلمة المركزية أو الأساس.

- ثم يأتي دور المعالجة الآلية للوحدة المعجمية (المتلازمتان معًا) بأن تُدخلان معًا في محرك (توزيع التكرار) واختيار (توزيع الأزمنة) لمعرفة توزيع الكلمتين معًا على الفترات الزمنية، ومعرفة بداية ظهورهما معًا زمنيًّا، ومن ثم حفظها في ملفات إكسل حتى يسهل التعامل معها بيانياً.

- ثم تعالج الوحدة المعجمية (المتلازمتان معًا)؛ بأن تُدخل الكشاف السياقي معًا بامتداد (٥-٥) سابقًا ولاحقًا لهما؛ إذ يفي هذا الامتداد بإيضاح سياق المتلازمتين ودلاليتها معًا، وبـ (٢٠٠) سياق أوليٌّ، ثم يتم حفظ هذه الكشافات السياقية في ملفات إكسل؛ تمهيدًا لدراستها دراسة دلالية بصورة دقيقة.

الخطوة الرابعة: في هذه الخطوة، ينتقل البحث إلى الجهد البشري الخالص المتمثل في المعالجة والتحليل والتفسير لهذه النتائج والكشافات السياقية. وأبرز ما قامت به الباحثة في هذه الخطوة ما يلي:

- تتبع الكشافات السياقية للوحدات المتلازمة ومرادفاتها.
- الدراسة الدلالية للمتلازمات الجديدة، وملاحظة ما حصل لها من تعميم أو تحصيص أو رقي أو انحطاط أو انتقال دلالي بكافة علاقاته الدلالية.

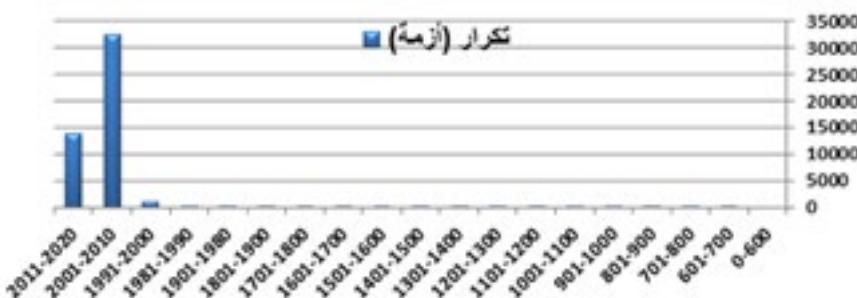
ثانيًا: محددات المعالجة الحاسوبية

عند غياب تشكيل الكلمة المركزية، كما في الصيغ: (طُرق، طَرْق، طُرُق)، الذي بدوره يؤدي إلى الاختلاف في المعنى؛ فإنه تم الأخذ بكل المفردات العشرين الأولى التي تلزمت مع (طرق)، وقد يُعزى هذا الاختلاف إلى غياب التوسيم النحوي في المدونة.

- أما علامات الترقيم والأرقام التي تظهر كمتلازمة مع الكلمة الأساس وفق المقاييس الإحصائي؛ فإنه تم استبعادها، لعدم أهميتها في المعنى.
 - وفي حال ورود أسماء الأعلام العربية كانت أم أجنبية؛ فإنها تحذف؛ لأنها ليست من التلازم في شيء.
 - الكلمات الوظيفية تحذف؛ لأنها لا تخدم الدراسة الحالية.
 - القيم الإحصائية السالبة؛ تحذف؛ ولا يتم الالتفات إليها؛ لأنها دالة على التناقض بين المفردات لا التلازم.
 - قد ترد بعض المفردات التي تتلازم مع الكلمة المركزية مرة بأجل التعريف وأخرى بدونها، وقد تم حذفها في إحدى الكلمتين؛ لإفادتها كل منها المعنى ذاته.
- ولا يخفى على مجريب ما في هذه الخطوات من صعوبة، سواء حفظ الكلمات محل الدراسة والبحث من المدونة، ونسخها في مستندات لتكون جاهزة للمعالجة، وكذلك قراءات هذه الكشافات السياقية دلائلاً، وتحديد مظاهرها الدلالية وما حدث لها من تطور دلالي.

ثالثاً: التحليل ونتائج الدراسة

١- الكلمة المركزية (أزمة):



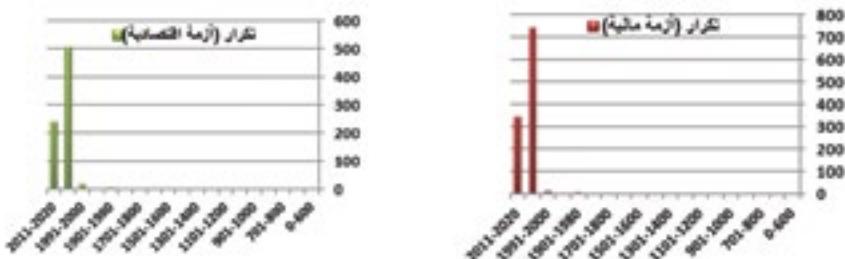
شكل رقم (١) يوضح ورود كلمة أزمة عبر الزمن

المفردات الملزمة لها استخدام المقياس الإحصائي هود	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	تكرارها في المدونة
مالية، اقتصادية، سياسية، النسوية، الراهنة، الحكومية، الحالية، الكونية، حقيقة، قلبية، البنية، الرياضية، العقارية، المرورية، المياه، الانتهائية، الإسكان، جديدة، الرهن، البطالة.	منذ عام ٢٠٠١ م - ٢٠٢٠ م	٤٧,٨٥٠

جدول رقم (١) يوضح متلازمات كلمة أزمة

تعني الأزمة في المعنى الأصل الشدة والقطح^(٢٣)، وقد ظهرت في الاستعمال اللغوي منذ عام ٢٠٠١ م، واستمر تواترها بتكرار عال حتى العصر الحديث، وتلازم معها العديد من المفردات على مر العصور، كـ (مالية، اقتصادية، سياسية، ...) وغيرها، الذي بدوره أدى إلى تطور وتغير في معانيها الدلالية والسياقية.

الكلمات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية:



شكل رقم (٢) يوضح الفترات الزمنية التي تلزamt فيها المفردتين معًا

المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق	الفترة الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية
اضطراب فجائي يطأ على التوازن الاقتصادي في دولة ما.	منذ عام ٢٠٠١ م	أزمة مالية
اضطراب طاري على التوازن الاقتصادي، وينشأ عن خلل التوازن بين الإنتاج والاستهلاك	منذ عام ٢٠٠١ م	أزمة اقتصادية

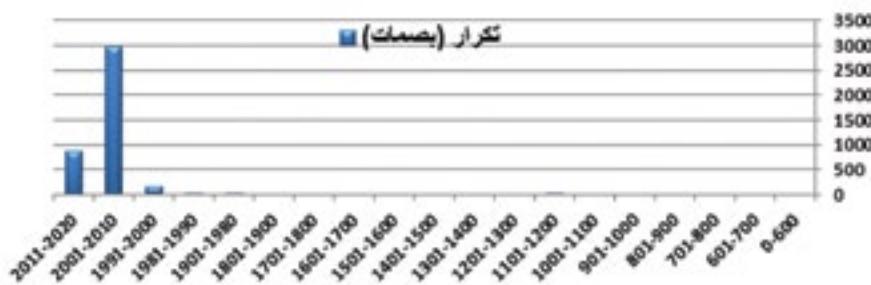
جدول رقم (٢) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للمتلازمات المذكورة في الجدول أعلاه فقد حدث لها تطور دلالي يتمثل في:

- تخصيص دلالي، فقد أضيفت لها ملامح دلالية خاصة بواسطة التلازم اللغظي وهو الملمح الاقتصادي؛ فأصبحت كلتاهم تدلان على اضطراب مفاجئ يضرب اقتصاد الدولة. واحتذت الدلالة منحنى سلبي؛ فعندما يسمع الشخص كلمة أزمة؛ فإنه يستدعي الأمر السيء (أزمة قلبية، أزمة سياسية،...).

- انتقال دلالي بواسطة التلازم اللغظي عن طريق المجاز الاستعاري لعلاقة المشابهة بجامع الشدة والضيق في كلٍ.

٢- الكلمة المركزية (بصمات):



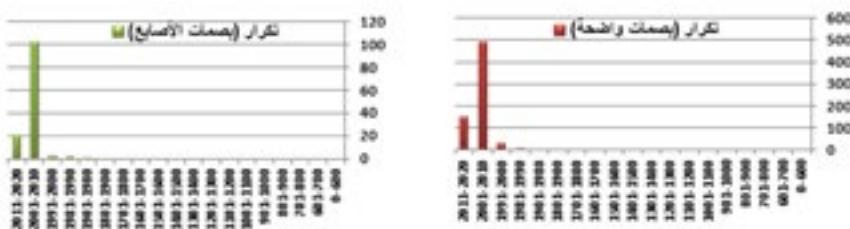
شكل رقم (٣) يوضح ورود كلمة بصمات عبر الزمن

المفردات الملازمة لها باستخدام المقاييس الاحصائي هو	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	تكرارها في المدونة
واضحة، الأصليع، خالدة، الأجداد، سلبية، فنية، الجهات، الزمن، مؤثرة، عديدة، فنية، الرئيس، اليد، فكرية، عظيمة، المتهم، قوية، القاعدة، العواطف، المجرمين.	منذ عام ١١٠١ م	٤٠١٠

جدول رقم (٣) يوضح متلازمات الكلمة بصمات

تعني (البصمة) في السابق بمعنى الطبع^(٢٤)، وظهرت في الاستعمال والاستخدام منذ عام ١٩٠١م، واستمرت في التداول والشيوخ حتى الوقت الحالي، وقد تلزّم معها عدد من المفردات الملازمة لها، كـ (واضحة، الأصابع، خالدة،....).

الكلمات الأكثر تلزّماً مع الكلمة المركزية:



شكل رقم (٤) يوضح الفترات الزمنية التي تلزّمت فيها المفردتين معًا

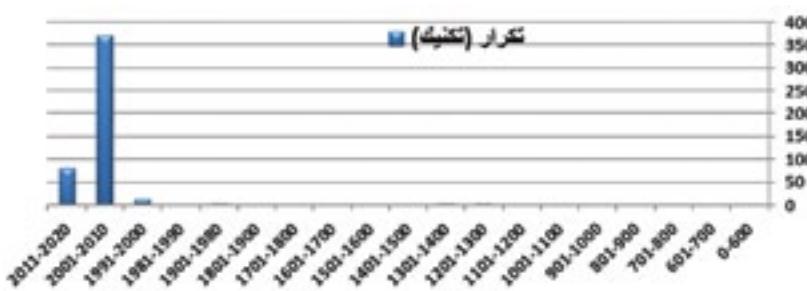
المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الأكثر تلزّماً مع الكلمة المركزية
تطلق لمن يترك أثر حسن	منذ عام ١٩٨١م	بصمات واضحة
انطباعات أطراف الأصابع وتجري لتحقيق الشخصية	منذ عام ١٩٠١م	بصمات الأصابع

جدول رقم (٤) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للمتلازمات المذكورة في الجدول أعلاه اتضح أنه حدث لها تطور دلالي، فالمتازمة (بصمات واضحة) ظهرت منذ عام ١٩٨١م، واتجهت دلالتها السياقية نحو الرقي الدلالي، فبعد أن كانت تدل في الأصل على معنى الطبع أو الختم بالإصبع؛ لتتصبح بعد تلزّمتها مع كلمة (واضحة) دالة على معنى أكثر رقياً من ذي قبل، ويتضامنها معًا أصبحت دلالة المتازمة تطلق على صاحب العطاء المتميز الذي يترك أثراً حسناً في عمله أو على الآخرين. أما المتازمة (بصمات الأصابع) بدأ ظهورها من حيث متى في عام ١٩٠١م، واتخذت منحني دلائياً سياقياً مختصاً، فعندما يسمع بالظهور منذ عام ١٩٠١م، واتخذت منحني دلائياً سياقياً مختصاً، فعندما يسمع

أحدنا المتلازمة (بصمات الأصابع) مباشرة يتوجه الاستدعاء للمعنى الدلالي المختص بالتحقيق الجنائي، فهنا حصل للمتلازمة تخصيص دلالي؛ إذ أضيف إليها ملمح دلالي وهو ما تركه الأصابع من أثر للدلالة على الشخص المطلوب بعينه وتحديد هويته؛ بحيث لا يمكن وجود بصمتين متماثلتين لشخصين، وتعد من أهم أدوات التحقيق الجنائي. أيضاً من وجوه التطور الدلالي لـ(بصمات الأصابع) الانتقال الدلالي عن طريق المجاز الاستعاري لعلاقة المشابهة بجامع ترك الأثر في كلٍ.

٣- الكلمة المركزية (تكنيك):



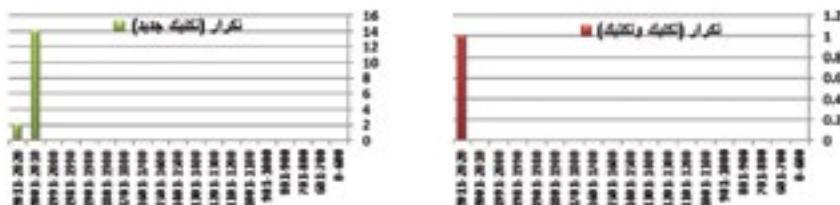
شكل رقم (٥) يوضح ورود كلمة تكنيك عبر الزمن

المفردات المتلازمة لها باستخدام المقياس الاحصائي هود	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	تكرارها في المدونة
وتكنيك، جديد، سياسي، انتخابي، دفاعي، فني، مرحلٍ، حكومي، عسكري، هجومي، فاشل، عال، واضح، الفريق، تفاوضي، مخادع، خاص، ناجح، واستراتيجية، بارع.	منذ ١٩٩١ م	٤٦٣

جدول رقم (٥) يوضح متلازمات كلمة تكنيك

التكنيك في الأصل يعني الأسلوب أو الطريقة الفنية لإنجاز عمل ما. وقد ظهرت في العصر الحديث، وتلازم معها العديد من المفردات على مر العصور، كـ(وتكنيك، جديد،...) وغيرها، الذي بدوره أدى إلى تطور وتغير في معانيها الدلالية والسياقية.

الكلمات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية:



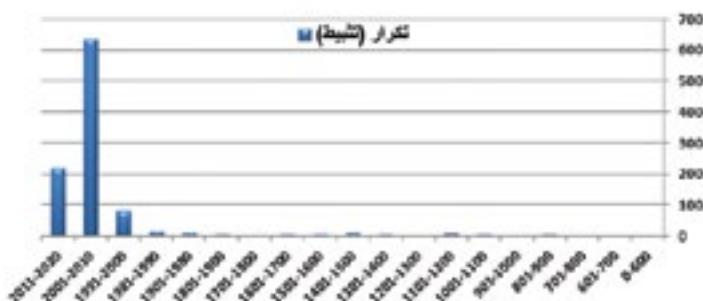
شكل رقم (٦) يوضح الفترات الزمنية التي تلزمت فيها المفردتين معاً

المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية
طريقة احترافية للإنجاز	منذ عام ٢٠١١م	تكنولوجي و تكتيك
	منذ عام ٢٠٠١م	تكنولوجي جديد

جدول رقم (٦) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للجدول أعلاه نلحظ أن المتلازمات (تكنولوجي و تكتيك، تكنولوجيا جديدة) ظهرت في العصر الحديث، ولم يحدث لها أي تطور دلالي؛ وقد يعود ذلك لأنها مستحدثتان في العهد القريب الحديث، ومن خلال الكشافات السياقية تبين أنها متداولةتان في المجال الرياضي بكثرة، ويعنيان أسلوباً فنياً مستحدثاً أو طريقة احترافية في إنجاز عمل ما.

٤- الكلمة المركزية (تشبيط):



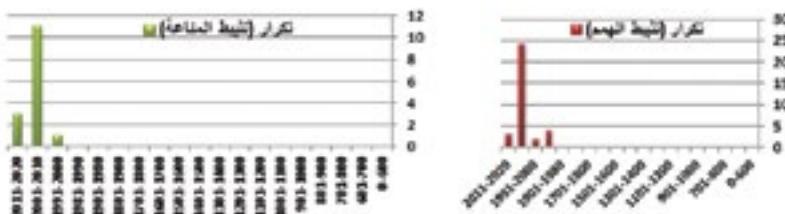
شكل رقم (٧) يوضح ورود كلمة تشبيط عبر الزمن

المفردات الملزمة لها باستخدام المقاييس الاحصائي هود	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	تكرارها في المدونة
الهم، المناعة، نشاط، العزائم، همة، الشهية، فعالية، إنزيم، الخلايا، الجهاز، العزيمة، جينات، حركة، الالتهابات، تقاصات، مورثات، للهم، إفراز، الشيطان، المكورات.	منذ عام ٨٠١ م	٢٩٧٧

جدول رقم (٧) يوضح متلازمات كلمة تشبيط

ورد اللفظ (تشبيط) منذ عام ٨٠١ م، وبتوتر عال في العصر الحديث، ويدل في معناه الأصل على (ثبط: ثبّطه عن الشيء تشبيطاً إذا أشغله عنه)^(٢٥)، وقد تلازم معها العديد من المتلازمات التي تعطي معاني دلالية سياقية، كـ (الهم، المناعة، ...) وغيرها.

الكلمات الأكثر تلازمًا مع الكلمة المركزية:



شكل رقم (٨) يوضح الفترات الزمنية التي تلازمت فيها المفردتين معًا

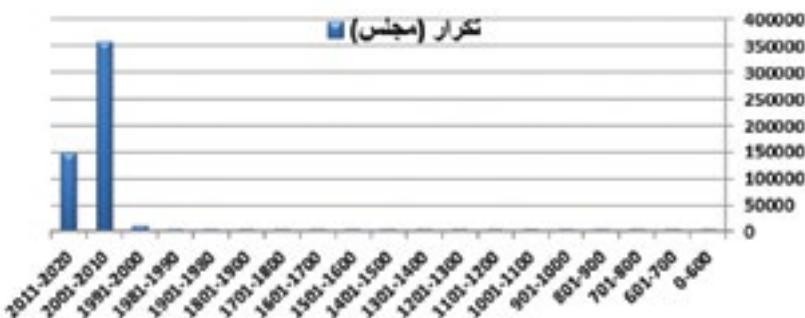
المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الأكثر تلازمًا مع الكلمة المركزية
إعاقة الشخص عن عمل ما، وإضعافه وجعله حائرًا	منذ عام ١٩٨١ م	تشبيط الهم
عدم قدرة الجهاز المناعي على حماية الجسم	منذ عام ١٩٩١ م	تشبيط المناعة

جدول رقم (٨) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للمتلازمات المذكورة في الجدول أعلاه فقد حدث لها تطور دلالي تمثل في:

- اتجاه الدلالة السياقية لـ (تشييط الهمم) بعد التلازم اللغظي إلى الانتقال الدلالي من مجال حسي إلى مجال معنوي نفسي الذي يعني طريقة من طرق توجيه الميل النفسي بطريقة مستهجنة عن طريق المجاز الاستعاري بجامع الإحباط في كلٍ.
- أفاد التلازم في (تشييط المناعة) التخصيص الدلالي، فقد أضيف ملمح خاص بال المجال الطبي، ويعني المناعة التي تقوم بتشييط الجهاز المناعي وتخميده، وعدم قدرته على حماية الجسم مما يؤدي إلى حدوث أو انتشار العدو في الجسم.

٥- الكلمة المركزية (مجلس):



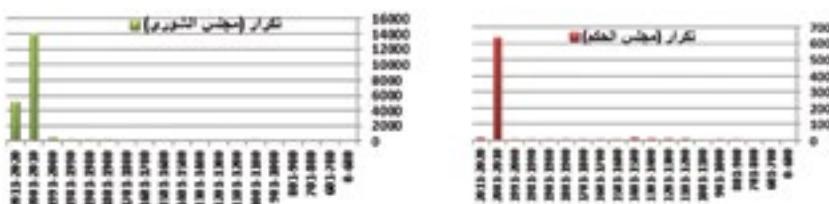
شكل رقم (٩) يوضح ورود كلمة مجلس عبر الزمن

المفردات الملازمة لها باستخدام المقياس الاحصائي هو	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	تكرارها في المدونة
الحكم، الشورى، الأمانة، القضاء، العداء، وزراء، الجامعة، الرئيسة، الخدمة، العموم، الاحتياطي، التعليم، الدولة، النقابة، الكلية، المفوضين، القسم، المستشارين، العلاقات، المنظمة.	بين ٦٠٠٠ - ٦٣٣٧٧	

جدول رقم (٩) يوضح متلازمات كلمة مجلس

تعني الكلمة (المجلس) في الأصل موضع الجلوس، وقد كان بداية ظهورها في الاستعمال اللغوي تتراوح بين (٦٠٠-٠)، واستمر تواترها بشكل عال، وبمعانٍ دلالية حسب سياقاتها المتعددة، وتلازم معها العديد من المفردات على مر العصور، كـ (الحكم، الشورى،...) وغيرها.

الكلمات الأكثر تلازمًا مع الكلمة المركزية:



شكل رقم (١٠) يوضح الفترات الزمنية التي تلازمت فيها المفردتين معًا

المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الأكثر تلازمًا مع الكلمة المركزية
سلطات عليا في الدولة، وكل منها مسؤوليات	منذ عام ٨٠١ م	مجلس الحكم
	عام ١٠٠٠ م	مجلس الشورى

جدول رقم (١٠) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

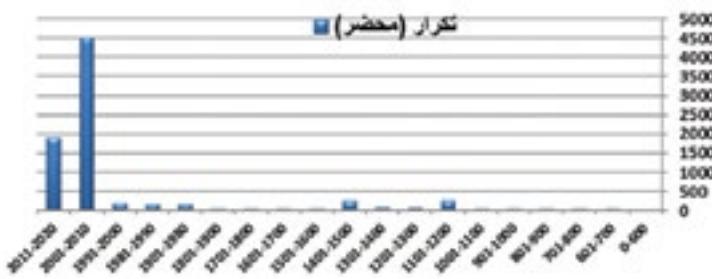
من القراءة الدلالية للمتلازمات المذكورة في الجدول أعلاه، يلحظ أنه حدث لها تطور دلالي، تمثل في:

تفصيص دلالي؛ إذ اتجهت دلالة المتلازمتين نحو التخصيص، وذلك بإضافة عدد من الملامح التمييزية التي تختص بها دون غيرها كملمح النظام الإداري، والنظام السياسي الداخلي.

رقى دلالي، اتجهت الدلالة إلى معنى دلاليًّا أكثر رقيًّا من ذي قبل، والمتمثل في هيئة عليا في الدولة لإدارة شؤونها.

انتقال دلالي عن طريق المجاز المرسل علاقته المحلية، إذ انتقلت الدلالة من الإشارة إلى موضع الجلوس إلى الإشارة إلى هيئة سياسية مجتمعة؛ وبهذا عبر بلفظ المحل وأريد الأفراد العاملون فيه.

٦- الكلمة المركزية (محضر):



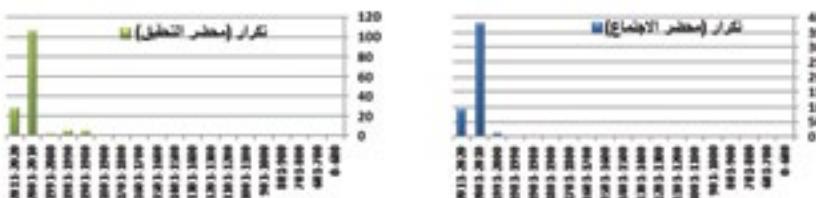
شكل رقم (١١) يوضح ورود كلمة محضر عبر الزمن

المفردات الملازمة لها باستخدام المقياس الاحصائي هو	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	تكرارها في المدونة
الاجتماع، التحقيق، الجلسة، اللجنة، مخالفة، الضبط، رسمي، الحجز، التحريرات، الشرطة، الإسلام، الاتهام، تحقيق، إثبات، مشترك، تسليم، التحري، الدعوى، اتفاق، الترقيات.	منذ عام ١٩٠١ م	٦٦٢

جدول رقم (١١) يوضح متلازمات كلمة الزمن

تعني كلمة (المحضر) في الأصل على السجل^(٢٦)، وبدأت بالظهور منذ عام ١٩٠١م، هنا حدث للمعنيين القديم والحديث اشتراك في الدلالة على التسجيل والتدوين في سجل خاص، وتلازم معها عدد من المتلازمات، كـ (الاجتماع، التحقيق،...) وغيرها.

الكلمات الأكثر تلازمًا مع الكلمة المركزية:



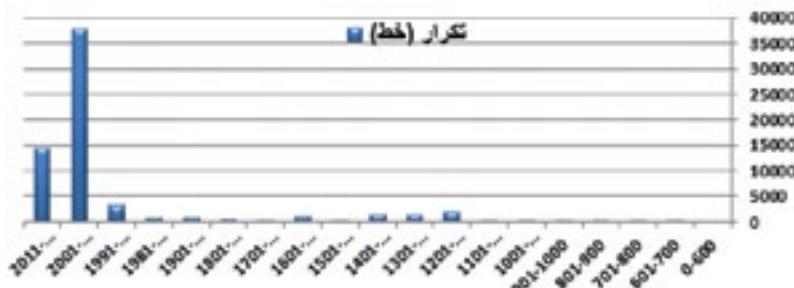
شكل رقم (١٢) يوضح الفترات الزمنية التي تلزمت فيها المفردتين معًا

المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الأكثر تلزماً مع الكلمة المركزية
صحيفة لتدوين بيانات الاجتماع	منذ عام ١٩٩١ م	محضر الاجتماع
أصبحت مختصة بورقة رسمية يحررها موظف مختص وفق شروط يحددها القانون لإثبات إجراءات معينة	منذ عام ١٩٠١	محضر التحقيق

جدول رقم (١٢) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للجدول أعلاه نلحظ أنه حدث تخصيص دلالي للمتلازمتين بواسطة التلازم اللغطي، وذلك بإضافة ملامح دلالية خاصة لكل منها، فالمتازمة (محضر الاجتماع) أضيف لها ملمح الاجتماع ومتطلباته (مكان الاجتماع وزمانه وأسماء الحاضرين ومحاور الاجتماع والقضايا التي اجتمعوا من أجلها والقرارات والتوصيات التي خرجت من رحم هذا الاجتماع)، وكتابة محضر الاجتماع الذي يحتاج إلى تدريب ومران. فالمتازمة مختصة بالجوانب الإدارية. أما المتازمة (محضر التحقيق)، فقد أضاف لها التلازم اللغطي ملمح الرسمية في الجوانب الإدارية إضافة إلى ملمح التحرير والاستجواب، وبذلك يكون حصل لها تخصيص دلالي مختص في مجال الأمن العام.

٧- الكلمة المركزية (خط):



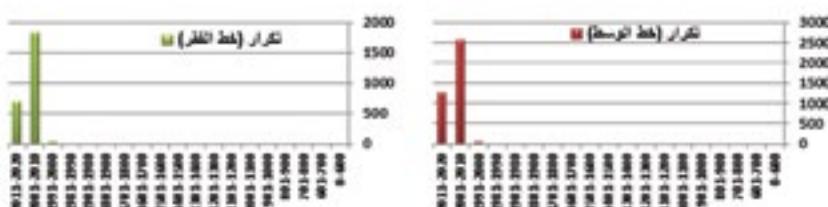
شكل رقم (١٣) يوضح ورود كلمة خط عبر الزمن

المفردات الملازمة لها باستخدام المقياس الاحصائي هو د	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	تكرارها في المدونة
الوسط، الفقر، الدفاع، الهموم، أنابيب، أحمر، المرمي، مستقيم، سير، هاتفي، سكة، ساخن، هجوم، المواجهة، الغاز، النهاية، المقدمة، الحدود، التماس، هاتف.	منذ عام ٦٠١ م	٦٤٠٥٨

جدول رقم (١٣) يوضح متلازمات كلمة خط

الخط في معناه الأصل الطريقة المستقيمة في الشيء^(٢٧)، والخط: الطريق، وهو معنى عام يدل على كل طريق؛ وقد كان ظهور اللفظ منذ عام ٦٠١ م، واستمر في التداول والشائع وتلازم معها مفردات متعددة بمعانٍ دلالية سياسية مختصة في العصر الحديث.

الكلمات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية:



شكل رقم (١٤) يوضح الفترات الزمنية التي تلزمت فيها المفردتين معًا

المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الأكثر تلازمًا مع الكلمة المركزية
لاعب وسط الميدان	منذ عام ١٩٩١ م	خط الوسط
أقصى درجات الحاجة والعزوز		خط الفقر

جدول رقم (١٤) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للجدول أعلاه نلحظ أنه حدث تحصيص دلالي للمتلازمتين، وذلك بإضافة ملامح دلالية خاصة لكل منها، فالمتازمة (خط الوسط) أضيف لها ملمح خاص بكرة القدم وهو لاعب يتواجد في وسط الميدان، ويصنع بعض الفرص لفريقه. أما المتازمة (خط الفقر)، فقد أضاف لها التلازم اللغظي ملمح العزوز وال الحاجة.

٨- الكلمة المركزية (دغدغة):



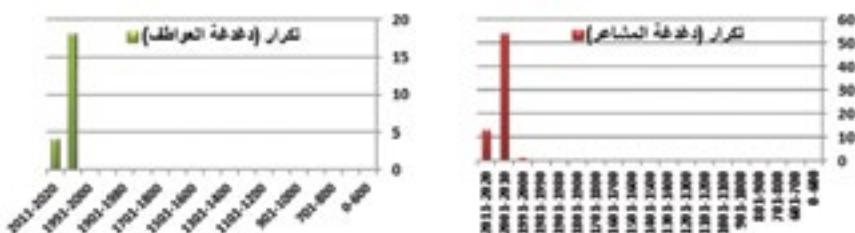
شكل رقم (١٥) يوضح ورود كلمة دغدغة عبر الزمن

المفردات المتازمة لها باستخدام المقاييس الاحصائي هود	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	تكرارها في المدونة
المشاعر، العواطف، مشاعر، عواطف، مشاعره	منذ عام ٩٠١ م	٤٨٦

جدول رقم (١٥) يوضح متلازمات كلمة دغدغة

تعني الدغدغة في المعنى الأصل التحريري^(٢٨)، وقد ظهرت في الاستعمال اللغوي منذ عام ٩٠١ م، واستمر تواترها بتكرار عال حتى العصر الحديث، وتلازم معها العديد من المفردات على مر العصور، ك(المشاعر، العواطف، ...) وغيرها، الذي بدوره أدى إلى تطور وتغير في معانيها الدلالية والسياقية.

الكلمات الأكثر تلازمًا مع الكلمة المركبة:



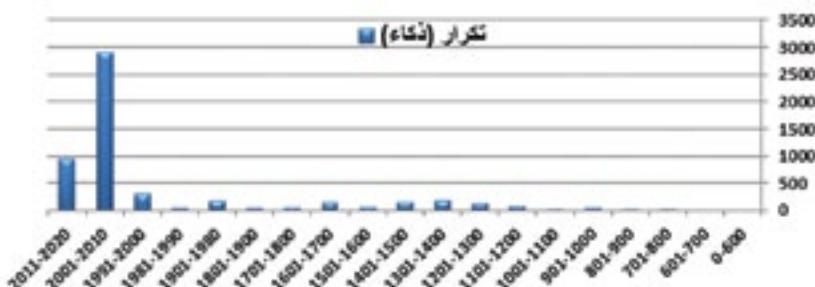
شكل رقم (٦) يوضح الفترات الزمنية التي تلزمه فيها المفردين معًا

المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية
إثارتها	منذ عام ٢٠٠١ م	دغدغة العواطف دغدغة المشاعر

جدول رقم (١٦) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للجدول أعلاه نلحظ أنه بواسطة التلازم اللغطي حدث انتقال دلالي من المجال الحسي إلى المجال المعنوي عن طريق المجاز الاستعاري لعلاقة المشابهة بجامع التحرير والإثارة لكل منها.

٩- الكلمة المركزية (ذكاء):



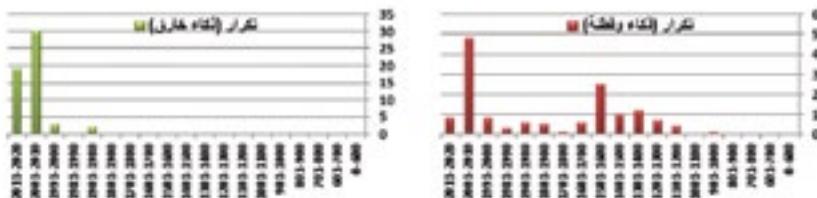
شكل رقم (١٧) يوضح ورود كلمة ذكاء عبر الزمن

المفردات الملزمة لها باستخدام المقياس الاحصائي هود	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	تكرارها في المدونة
وفطنة، خارق، الطفل، مفرط، ودهاء، وقدرة، حاد، اصطناعي، وموهبة، وحنكة، كبير، ونباهته، الفارئ، وحرص، وخبرة، وفهم، القلب، وحدق، متوفّق، ومهارة.	ظهرت منذ عام ١٩٠١م	٥٢١٧

جدول رقم (١٧) يوضح متلازمات كلمة ذكاء

كلمة ذكاء تعني في الأصل سرعة الفطنة وحدة الفؤاد^(٢٩)، وقد ظهرت في الاستعمال اللغوي منذ عام ١٩٠١م، واستمر تواترها بتكرار عال حتى العصر الحديث، وتلازم معها العديد من المفردات على مر العصور، كـ (وفطنة، خارق، ...) وغيرها، الذي بدوره أدى إلى تطور وتغير في معانيها الدلالية والسياقية.

الكلمات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية:



شكل رقم (١٨) يوضح الفترات الزمنية التي تلازمت فيها المفردتين معًا

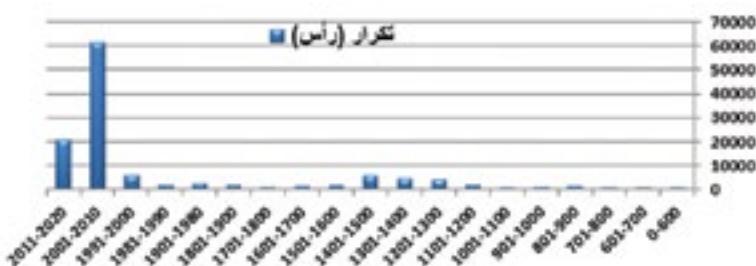
المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية
العمليات العقلية المتقدمة ومهارات التفكير العليا.	منذ عام ١٩٠١م	ذكاء وفطنة
		ذكاء خارق

جدول رقم (١٨) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للجدول أعلاه نلحظ أن المتلازمتين بدأت بالظهور منذ عام ١٩٠١م، ولم يحدث لهما أي تطور دلالي عبر تعاقب الأزمنة، وكلتاهم من مصطلحات علم النفس، ولكن كل متلازمة تلازمت معها لها ملمح خاص بها، فالفطنة تعني

سرعة الإدراك، والفطنة مرادف للذكاء وهذا ما أورده لسان العرب، والذكاء والفطنة تعني الماهر الحاذق، الذي أدرك المعنى والمقصد وتبّه إليه وفهمه، أما الذكاء الخارق فتعني ما خالف العادة أو الطبيعة؛ فيقال فلان يتمتع بذكاء خارق. وكلما تعنيان القدرة على التحليل والتركيب والتمييز والتكييف مع المواقف المختلفة.

١٠ - الكلمة المركزية (رأس):



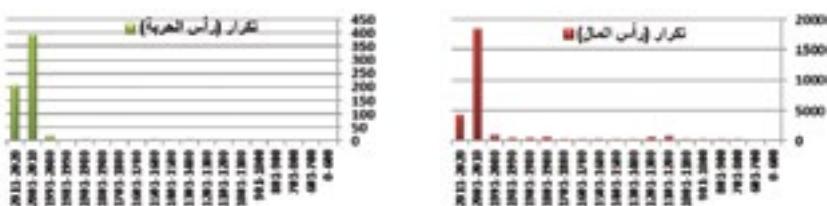
شكل رقم (١٩) يوضح ورود كلمة رأس عبر الزمن

المفردات الملزمة لها باستخدام المقياس الاحصائي هود	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	تكرارها في المدونة
المال، الحرية، مال، وفد، الهرم، قائمة، الزور، القائمة، النظام، جبل، السلطة، غنم، العين، الدولة، المنافقين، الشهر، الرجاء، الجهاز، الأفعى، مالي	منذ ٦٠٠٠ م	١١٦٤٧١

جدول رقم (١٩) يوضح متلازمات كلمة رأس

تعني الكلمة (رأس) في الأصل أعلى كل شيء^(٣٠)، ويتراوح ظهورها بين ٦٠٠٠ م، واستمر تواترها على مر العصور إلى العصر الحديث، وتلازم معها عدد من المتلازمات، كـ (المال، الحرية،...) وغيرها.

الكلمات الأكثر تلازمًا مع الكلمة المركزية:



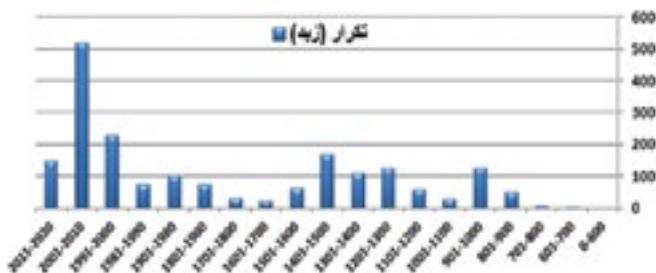
شكل رقم (٢٠) يوضح الفترات الزمنية التي تلازمت فيها المفردتين معًا

المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الأكثر تلازمًا مع الكلمة المركزية
مجموع الأموال المستثمرة	منذ عام ٧٠١	رأس المال
آلية حربية + كرة القدم	ظهرت عام ١٣٠١	رأس الحربة

جدول رقم (٢٠) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للجدول أعلاه نلحظ أن المتلازمة (رأس المال) بدأت بالظهور منذ عام ٧٠١م، وقد حصل لها انتقال دلالي من المجال الحسي إلى المجال المعنوي (اقتصادي أو تجاري) عن طريق المجاز الاستعاري لعلاقة المشابهة بجامع الأهمية لكل منها، ومعناه الدلالي السياقي مجموع المال المستثمر؛ لإنشاء مشروع اقتصادي أو تجاري. أما المتلازمة (رأس الحربة) التي ظهرت منذ عام ١٣٠١م؛ قد حدث لها انتقال دلالي من مجال محسوس إلى مجال آخر محسوس لعلاقة المشابهة؛ فرأس الشيء وذروته وأعلاه، وبإضافة التلازم اللغطي تغير سياقها الدلالي وأصبحت تدل على آلية حربية مصنوعة من حديد محددة الرأس، وتستعمل في الحروب. أيضاً حصل للمتلازمة تحصيص دلالي بواسطة التلازم اللغطي، وذلك بإضافة ملمح عسكري (كتيبة عسكرية تعمل مباشرة ضد العدو) + ملمح رياضي (وهو لاعب مهاجم في كرة القدم من مهامه إحراز الأهداف والماوغة بين اللاعبين).

١١ - الكلمة المركزية (زيد):



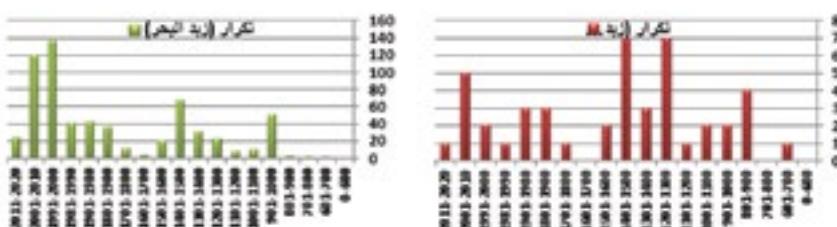
شكل رقم (٢١) يوضح ورود كلمة زبد عبر الزمن

المفردات الملازمة لها استخدام المقياس الإحصائي هو	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	تكرارها في المدونة
البحر، الماء، الموج، السبيل، أبيض، رقيق، ودخان، العلوم، الوعود	منذ عام ٦٠١ م	١٩١٩

جدول رقم (٢١) يوضح متلازمات الكلمة زبد

الزبد في معناه الأصل ما يعلو الماء وغيره من الرغوة عند غليانه أو سرعة حركته، وظهرت منذ عام ٢٠١٤م، وتلازم معها عدد من المفردات الملازمة، كـ (البحر، الوج،...) وغيرها.

الكلمات الأكثر تلازمًا مع الكلمة المركزية:



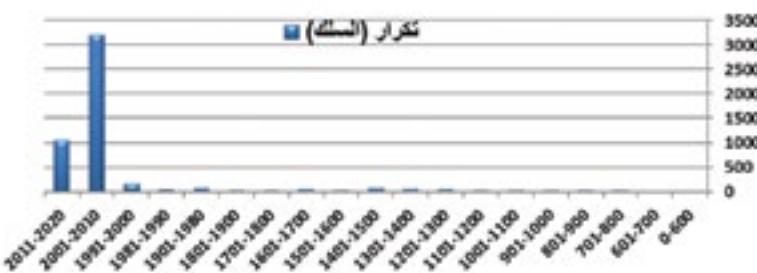
شكل رقم (٢٢) يوضح الفترات الزمنية التي تلزمه فيها المفردين معًا

المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الأكثر تلازمًا مع الكلمة المركزية
موجه ورغوته	منذ عام ٢٠١٦	زيد الماء
		زيد البحر

جدول رقم (٢٢) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للمتلازمتين المذكورة في الجدول أعلاه اتضح أنه لم يحدث لها أي تطور دلالي؛ فالمتلازمتين (زيد البحر، زيد الماء) ظهرتا منذ عام ٢٠١٦م، وزيد البحر يعني موجة ورغوته، وهي ظاهرة كونية تحدث نتيجة امتصاص ما تحمله مياه البحر من أسماك ميتة، ومتعدنة، وشوائب، وأملاح مشكلة بذلك رغوة حقيقية.

١٢ - الكلمة المركزية (السلك):



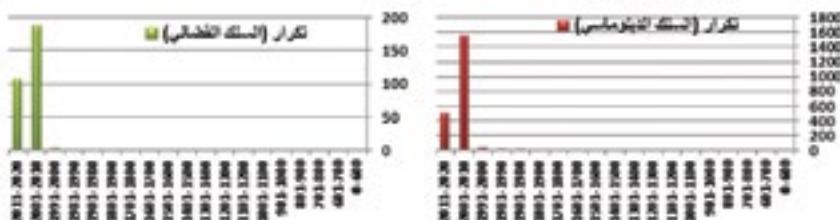
شكل رقم (٢٣) يوضح ورود الكلمة السلك عبر الزمن

المفردات الملزمة لها باستخدام المقياس الاحصائي هو د	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	تكرارها في المدونة
الدبلوماسي، القضائي، العسكري، التعليمي، الفنلندي، الوظيفي، السياسي، المعدني، الكهربائي، الجامعي، النحاسي، التربوي، الخارجي، الأكاديمي، الحكومي، الأول، الشرطي، الثانوي، الديني.	منذ عام ٢٠١٦	٤٩٢٠

جدول رقم (٢٣) يوضح متلازمات الكلمة السلك

السلك في الأصل يعني الخط الذي ينحاط به^(٣١)، وقد ظهرت في الاستعمال اللغوي منذ عام ١٧٠١م، واستمر تواترها بتكرار عال حتى العصر الحديث، وتلازم معها العديد من المفردات على مر العصور، كـ(الدبلوماسي، القضائي،...) وغيرها، الذي بدوره أدى إلى تطور وتغير في معانيها الدلالية والسياقية.

الكلمات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية:



شكل رقم (٢٤) يوضح الفترات الزمنية التي تلزمت فيها المفردتين معًا

المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية
المفهوض من وزارة الخارجية لشغل وظائف دبلوماسية خارج الدولة	منذ عام ١٩٩١ م	السلك الدبلوماسي
من يعمل بالقضاء	منذ عام ١٩٩١ م	السلك القضائي

جدول رقم (٢٤) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

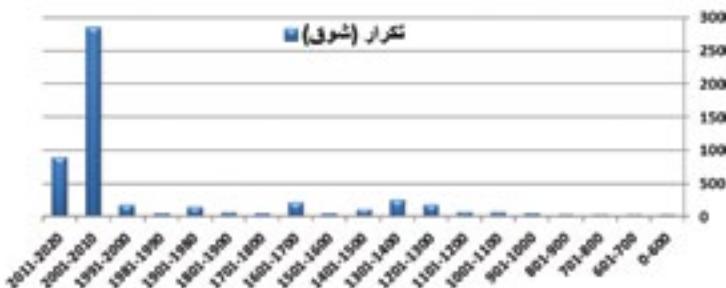
من القراءة الدلالية للمتلازمات المذكورة في الجدول أعلاه؛ فقد حدث لها تطور دلالي، وبدأ ظهورها منذ عام ١٩٩١م، وطأها هذا التطور من عدة وجوه، وهي كالتالي:

- اتجهت دلالتها السياقية نحو التخصيص الدلالي، فقد كانت تعني قبل التلازم على الخط، لتصبح بعد تلازمها مع كلمة (الدبلوماسي) مختصة بمعنى خاص؛

وذلك بإضافة ملمح دلالي مختص بمن يعمل ممثلا سياسيا لدى إحدى الدول. أما المتلازمة (السلك القضائي) أيضاً اتخذت منحنى دلائيا سيائياً مختصاً، فعندما يسمع أحدنا المتلازمة (السلك القضائي) مباشرة يتوجه الاستدعاء للمعنى الدلالي المختص بالقضاء، فهنا حصل للمتلازمة تحصيص دلالي؛ إذ أضيف إليها ملمح دلالي وهو من ي العمل بالقضاء.

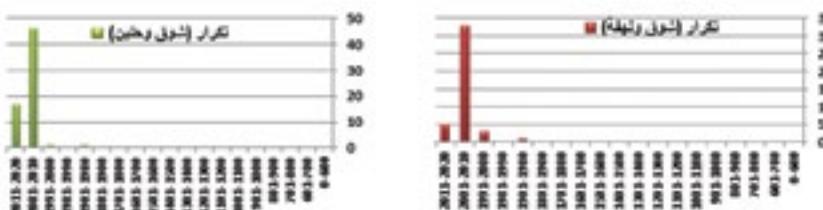
- أيضاً بفضل التلازم اللغطي اتجهت السياقات الدلالية للمتلازمات أعلاه نحو الرقي الدلالي؛ وبعد أن كانت قبل التلازم تدل على الخطيب البسيط؛ أصبحت بعده تدل على من ي العمل في هذه الجهات التي لها من الأهمية بمكان، ويقتد مناصبها. وقد يُعزى حدوث هذا الرقي وهذا الانتقال نتيجة للتطورات والمستجدات الحديثة التي أوجبت الاحتياج اللغوي لمثل هذه المتلازمات.

١٣- الكلمة المركزية (سوق):



الشوق في معناه الأصل يعني نزاع النفس إلى الشيء، وقد يتراوح أول ظهور لها في الاستعمال اللغوي بين الأعوام (٦٠١-٠)، واستمر تواترها بتكرار عال حتى العصر الحديث، وتلازم معها العديد من المفردات على مر العصور، كـ (ولهفة، وحنين، ...) وغيرها، الذي بدوره أدى إلى تطور وتغير في معانيها الدلالية والسياقية.

الكلمات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية



شكل رقم (٢٦) يوضح الفترات الزمنية التي تلزمه فيها المفردين معًا

المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الأكثر تلازمًا مع الكلمة المركزية
كلها درجات للسوق بحسب سياقاتها	منذ عام ١٩٠١ م	سوق ولهمة سوق وحنين

جدول رقم (٢٦) يوضح المعانى المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للمتلازمات المذكورة في الجدول أعلاه اتضح أنه لم يكن هناك أي تطور دلالي للمتلازمتين، فقد بدأتا بالظهور منذ عام ١٩٠١م، واستمرت حتى وقتنا الحالي بنفس المعاني؛ فالشوق يكون لشيء حاضر، واللهفة الرغبة الجاحمة، والحنين لا يكون إلا لشيء ماضٍ. وكلاهما درجة من درجات الشوق؛ فالترادف بين هذه المفردات المتلازمة صور المعاني بحسب سياقها.

٤- الكلمة المركزية (صفقة):



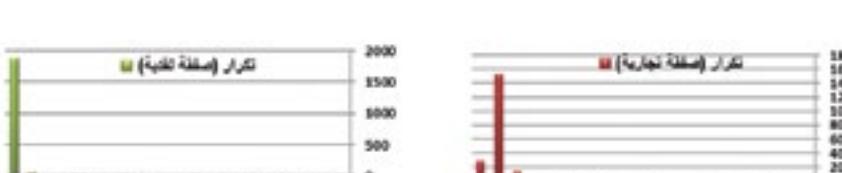
شكل رقم (٢٧) يوضح ورود الكلمة المركزية صفة عبر الزمن

تكرارها في المدونة	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الملزمة لها باستخدام المقياس الاحصائي هد
٢٥٠٧٧	أول ظهور الكلمة كان بين عام (٦٠٠٠)	تجارية، نقدية، بيع، تبادل، شراء، واحدة، عقارية، رابحة، استحوذ، بقيمة، تبادلية، طائرات، خاسرة، الأسلحة، سياسية، التعاقد، ناجحة، لشراء، اندماج، الغاز، سريعة، ضم، منفذة، تصدير، قياسية

جدول رقم (٢٧) يوضح متلازمات الكلمة صفة

معنى الأصل للصفق: الضرب الذي يسمع له صوت، والصفقة للبائع والمشتري، وقيل للبيعة صفة؛ لأنهم كانوا إذا تباعوا تصافقوا بالأيدي؛ إعلاناً بالموافقة على البيع^(٣٢)، وقد ظهرت في الاستعمال اللغوي قبل عام ٦٠١، واستمر تواترها بتكرار عال حتى العصر الحديث، وتلازمه معها العديد من المفردات على مر العصور، كـ(تجارية، نقدية، ...) وغيرها، الذي بدوره أدى إلى تطور وتغير في معانيها الدلالية والسياسية.

الكلمات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية:

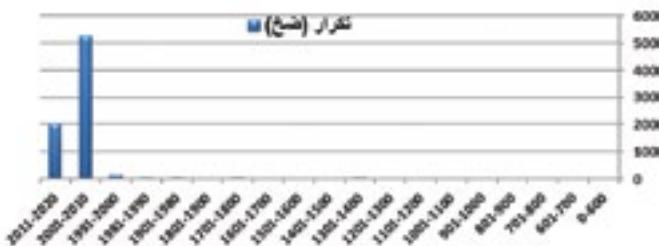


المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الأكثر تلازمًا مع الكلمة المركزية
بيع وربح أسهم، أموال...	منذ عام ١٩٠١ م	صفقة تجارية
		صفقة نقدية

جدول رقم (٢٨) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للمتلازمات المذكورة في الجدول أعلاه، اتضح أنها ظهرت معاً منذ عام ١٩٠١ م، وبتضامنها وتلازمهما معاً، اتجهت دلالتها السياقية نحو التخصيص الدلالي؛ لتصبحا بعد التضام أكثر تخصيصاً بالصفقات والأرباح التجارية والنقدية، كما حدث لها انتقال الدلالي من المجال الحسي إلى المجال المعنوي (التجاري) بواسطة المجاز الاستعاري لعلاقة المشابهة بجامع الفرح والسرور في كلٍ.

١٥- الكلمة المركزية (ضخ):



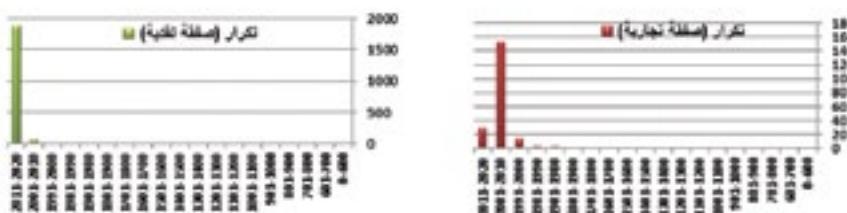
شكل رقم (٢٩) يوضح ورود الكلمة ضخ عبر الزمن

المفردات الملزمة لها باستخدام المقياس الاحصائي هو د	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	تكرارها في المدونة
استثمارات، المياه، النفط، دماء، الغاز، الدم، سائلة، كميات، أموال، البترول، الماء، مبالغ، الوقود، مليارات، رأسمال، الهواء، البخار، البنزين، الملايين، المال.	منذ عام ١٣٠١ م	٧٤٢٢

جدول رقم (٢٩) يوضح متلازمات الكلمة ضخ

الضخ في معناه الأصل هو الصب والسكب المستمر^(٣٣)، وقد ظهرت في الاستعمال اللغوي منذ عام ١٣٠١م، واستمر تواترها بتكرار عال حتى العصر الحديث، وتلازم معها العديد من المفردات على مر العصور، كـ(استثمارات، المياه،...) وغيرها، الذي بدوره أدى إلى تطور وتغير في معانيها الدلالية والسياقية.

الكلمات الأكثر تلازمًا مع الكلمة المركزية:



شكل رقم (٣٠) يوضح الفترات الزمنية التي تلازمت فيها المفردتين معًا

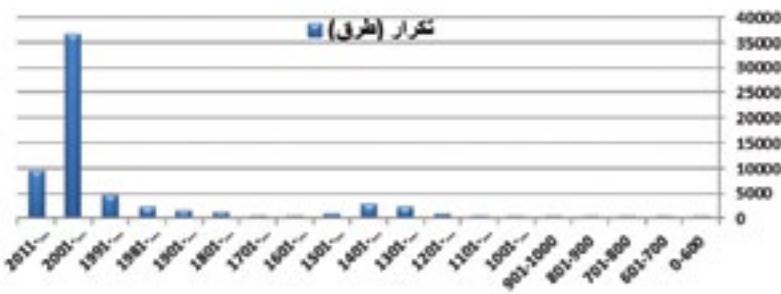
المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الأكثر تلازمًا مع الكلمة المركزية
إدخال الأموال الاستثمارية إلى السوق	منذ عام ٢٠٠١م	ضخ استثمارات
ضخ المياه سكبها	منذ عام ١٩٩١م	ضخ المياه

جدول رقم (٣٠) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للمتلازمات المذكورة في الجدول أعلاه فقد حدث لها تطور دلالي، فالمتازمة (ضخ استثمارات) ظهرت منذ عام ٢٠٠١م، واتجهت دلالتها السياقية نحو التخصيص الدلالي، فقد كانت تدل قبل التلازم على الصب بقوة؛ لتصبح بعد تلازمها مع كلمة (استثمارات) مختصة بال المجال الاقتصادي؛ وذلك بإضافة ملمح دلالي مختص بالأسوق المالية أو المجال الاقتصادي. أما المتازمة (ضخ المياه) فلم يحدث لها أي تطور دلالي؛ حيث أن السكب والصب أساساً مختص بالسوائل.

أيضاً بفضل التلازم اللفظي اتجهت السياقات الدلالية للمتلازمة (ضخ استثمارات) أعلاه نحو الانتقال الدلالي من المجال الحسي (الصَّب) إلى المعنوي التجريدي وهو إدخال الأموال الاستثمارية إلى السوق. وهذا الانتقال نتيجة للتطور والتقدم في شتى المجالات ومنها المجال الاقتصادي.

١٦ - الكلمة المركزية (طرق):



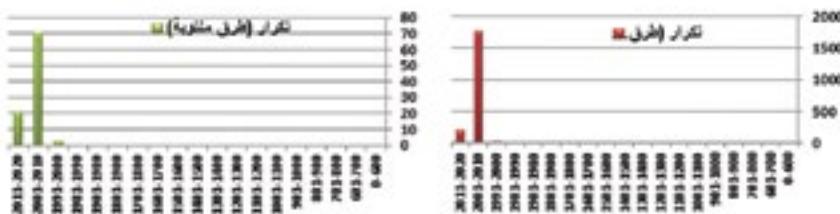
شكل رقم (٣١) يوضح ورود كلمة طرق عبر الزمن

المفردات الملازمة لها باستخدام المقياس الاحصائي هو	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	تكرارها في المدونة
تدريس، ملتوية، وأساليب، جديدة، الوقائية، كثيرة، متعددة، ووسائل، مختلفة، رئيسية، عديدة، البحث، المواصلات، علاج، وجسور، سريعة، الري، الطعن، الباب، وشوارع، القوافل.	منذ عام ٣٠٠	٦٤٦٤٥

جدول رقم (٣١) يوضح متلازمات كلمة طرق

الطُّرُق (بفتح الطاء) في معناه الأصل الضرب، وطرق الباب، وطرق العملة، والطُّرُق (بضم الطاء) يعني الطُّرُق: جمع طريقة^(٣٤)، وقد ظهرت في الاستعمال اللغوي منذ عام ٣٠٠م، واستمر تواترها بتكرار عال حتى العصر الحديث، وتلازم معها العديد من المفردات على مر العصور، كـ(تدريس، ملتوية،...) وغيرها، الذي بدوره أدى إلى تطور وتغير في معانيها الدلالية والسياقية.

الكلمات الأكثر تلازمًا مع الكلمة المركزية:



شكل رقم (٣٢) يوضح الفترات الزمنية التي تلازمت فيها المفردتين معًا

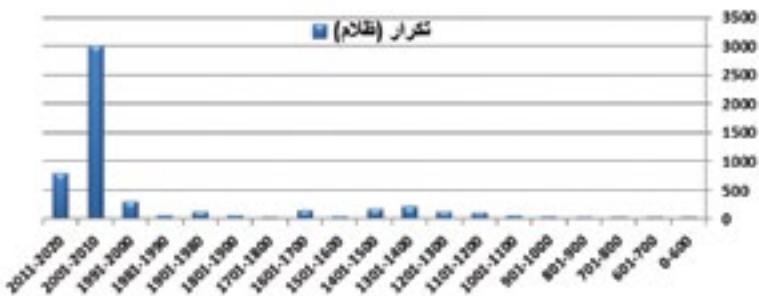
المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الأكثر تلازمًا مع الكلمة المركزية
أساليب واستراتيجيات للتدريس	منذ عام ١٩٠١ م	طرق تدريس
الاختلاط وعدم الشفافية		طرق ملتوية

جدول رقم (٣٢) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للمتلازمات المذكورة في الجدول أعلاه فقد حدث لها تطور دلالي، فالمتازمة (طرق تدريس) ظهرت منذ عام ١٩٠١ م، واتجهت دلالتها السياقية نحو التخصيص الدلالي، إذ بعد التلازم أضيفت لها عدة ملامح خاصة بالتعليم، فأصبحت تعني مجموعة من الأساليب والاستراتيجيات التي تستخدم في التعليم والتدريس بكفاءة.

أما المتازمة (طرق ملتوية)، فقد اتخذت منحني دلاليًا سياقياً مختصاً، فالالتواء يعني الالتفاف والانثناء، فعندما يسمع أحدهنا المتازمة (طرق ملتوية)، مباشرة يتوجه الاستدعاء للمعنى الدلالي اختلاط الأمور وعدم اتباع الطرق السوية الواضحة. وهي من الدلالات الاجتماعية التي تستعمل على نطاق واسع.

١٧- الكلمة المركزية (ظلم):



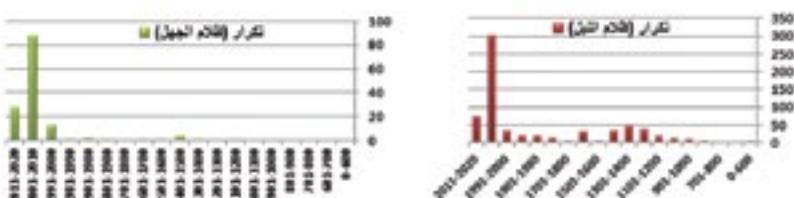
شكل رقم (٣٣) يوضح ورود كلمة ظلام عبر الزمن

المفردات الملازمة لها استخدام المقياس الإحصائي هود	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	تكرارها في المدونة
الليل، الجهل، دامس، حالك، السجن، العصور، الظلم، الكفر، الشك، القرون، القمر، الجاهلية، السجون، الكون، العالم، الدجى، الليالي، الصال، الفبر، النفس.	منذ عام ٦٠٠ م	٧٦٦

جدول رقم (٣٣) يوضح متلازمات كلمة ظلام

الظلم أول الليل، وقد ظهرت في الاستعمال اللغوي منذ عام ٦٠٠م، واستمر تواترها بتكرار عال حتى العصر الحديث، وتلازم معها العديد من المفردات على مر العصور، ك (الليل، الجهل، ...) وغيرها، الذي بدوره أدى إلى تطور وتغير في معانها الدلالية واليساقية.

الكلمات الأكثـر تلـازما



شكل رقم (٣٤) يوضح الفترات الزمنية التي تلزمه فيها المفردين معًا

المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الأكثر تلازمًا مع الكلمة المركزية
أول الليل	منذ عام ٢٠٠٦	ظلم الليل
التخبط في الفكر والعشوانية والرجعيّة	منذ عام ٢٠١١	ظلم الجهل

جدول رقم (٣٤) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للمتلازمات المذكورة في الجدول أعلاه فقد حدث لها تطور دلالي، فالمتلازمة (ظلم الجهل) ظهرت منذ عام ٢٠١١، واتجهت دلالتها السياقية نحو الانتقال الدلالي بواسطة المجاز الاستعاري لعلاقة المشابهة بجامع التخبط والعشوائية في كلٍّ. أما المتلازمة (ظلم الليل) فلم يحدث لها أي تطور دلالي؛ إذ أن الظلم سمة من سمات الليل.

١٨- الكلمة المركزية (عبوة):



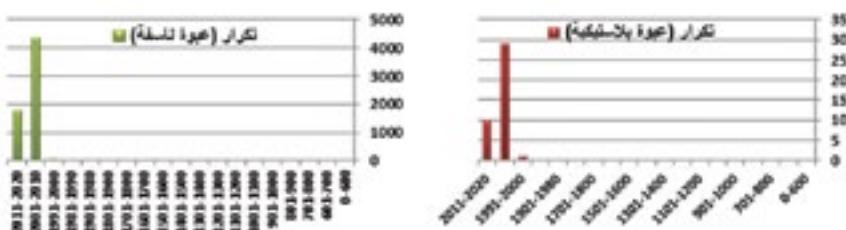
شكل رقم (٣٥) يوضح ورود كلمة عبوة عبر الزمن

المفردات الملزمة لها باستخدام المقاييس الاحصائي هو د	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	تكرارها في المدونة
بلاستيكية، ناسفة، لاصقة، متفجرة، يدوية، المستحضر، زيت، مزروعة، مياه، زجاجية، مفخخة، سعة، كرتونية، واحدة، غذائية، فارغة، حارقة، ماء، حارقة، ماء.	منذ عام ٢٠١١	٣٠٩٥

جدول رقم (٣٥) يوضح متلازمات كلمة عبوة

تعني العبارة في المعنى الأصل مقدار ما يملا، وقد ظهرت في الاستعمال اللغوي منذ عام ١٢٠١م، واستمر تواترها بتكرار عال حتى العصر الحديث، وتلازم معها العديد من المفردات على مر العصور، كـ(بلاستيكية، ناسفة ...) وغيرها، الذي بدوره أدى إلى تطور وتغير في معانيها الدلالية والسياقية.

الكلمات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية:



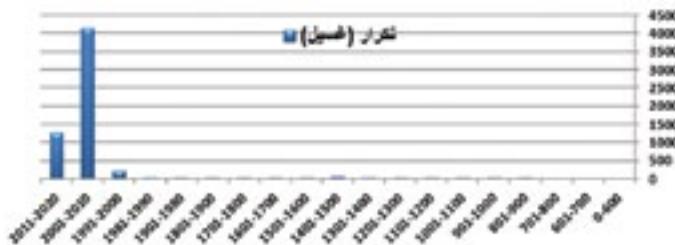
شكل رقم (٣٦) يوضح الفترات الزمنية التي تلزamt فيها المفردتين معًا

المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية
مقدار ما يملا	منذ عام ١٩٩١م	عبوة بلاستيكية
شحنة من المتغيرات		عبوة ناسفة

جدول رقم (٣٦) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للمتلازمات المذكورة في الجدول أعلاه فقد حدث لها تطور دلالي، فقد ظهرت منذ عام ١٩٩١م، وكلاهما اتجهت دلالتها السياقية نحو التخصيص الدلالي، وذلك بإضافة ملمح دلالي خاص وهو المتفجرات، ولعل هذه المتلازمة من الوحدات المستجدة تبعاً للأحداث السياسية في العصر الحديث. وكذلك المتلازمة (عبوة بلاستيكية) حدث لها تخصيص دلالي بإضافة الوصف (بلاستيكية) لتخفيص المادة المصنوعة منها وهي البلاستيك.

١٩- الكلمة المركزية (غسيل):



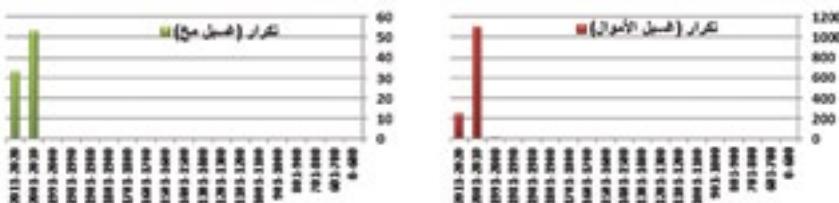
شكل رقم (٣٧) يوضح ورود الكلمة غسيل عبر الزمن

المفردات الملازمة لها باستخدام المقياس الاحصائي هود	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	تكرارها في المدونة
الأموال، مخ، السيارات، الكلى، الملابس، المخ، دماغ، الأدمغة، الشعر، اليدين، معدة، القلوب، الأيدي، الأطباق، الصحون، كلوي، للمعدة، معوي، العملة، الكعبية.	منذ عام ٢٠١٨	٥٨٥٥

جدول رقم (٣٧) يوضح متلازمات الكلمة غسيل

الغسيل يعني التنظيف، وقد ظهرت في الاستعمال اللغوي منذ عام ٨٠١، واستمر تواترها بتكرار عال حتى العصر الحديث، وتلازم معها العديد من المفردات على مر العصور، كـ(الأموال، السيارات، مخ، ...) وغيرها، الذي بدوره أدى إلى تطور وتغير في معاناتها الدلالية والسيقانية.

الكلمات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية:



شكل رقم (٣٨) يوضح الفترات الزمنية التي تلزمه فيها المفردين معًا

المفهودات الأكثر تلزماً مع الكلمة المركزية	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق
غسيل الأموال	منذ عام ١٩٩١ م	تحويل أموال غير مشروعية إلى مشروعية بطرق معينة
غسيل مخ	منذ ٢٠٠١ م	محاولة لتغيير مبادئ الإنسان وأفكاره

جدول رقم (٣٨) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للمتلازمات المذكورة في الجدول أعلاه فقد حدث لها تطور دلالي، فالمتلازمة (غسيل الأموال) ظهرت منذ عام ١٩٩١ م، واتجهت دلالتها السياقية نحو الانتقال الدلالي من المجال الحسي إلى المجال المعنوي بواسطة المجاز الاستعاري بجامع الوضوح والنقاء في كلٍ. وبتضامنها معًا أصبحت دالة المتلازمة تدل على الأموال غير المشروعية بتحويلها لأموال مشروعة لاستشارتها في أعمال اقتصادية مسموح بها. أيضًا اخذت الدالة للمتلازمة منحني دلاليًا سياقياً مختصاً (تحصيص دلالي)؛ بالإضافة ملحم اقتصادي وهو إضفاء شرعيّة الأموال المحرمة.

أما المتلازمة (غسيل مخ) بدأت بالظهور منذ عام ٢٠٠١ م، واتجهت دلالتها السياقية نحو الانتقال الدلالي من المجال الحسي إلى المجال التجريدي بواسطة المجاز الاستعاري بجامع التغيير في كلٍ. أيضًا اخذت دلالتها منحني دلاليًا سياقياً مختصاً (تحصيص دلالي)، بالإضافة ملحم نفسي ويقصد به تغيير وتحويل الفرد عن اتجاهاته وآراءه وقناعاته.

٢٠ - الكلمة المركزية (فقر)



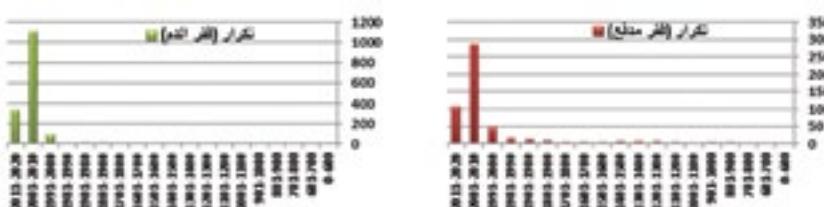
شكل رقم (٣٩) يوضح ورود كلمة فقر عبر الزمن

المفردات الملزمة لها استخدام المقياس الاحصائي هو	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	تكرارها في المدونة
مدفع، الدم، شديد، وبطالة، وجهل ، وجوع، وبؤس، ومرض، وحرمان، النفس، الرجل، القلب، وتخلف، الطاقة، وغنى، الامكانيات، وذلة، مادي، الزهاد، المشاعر.	منذ عام ٦٠٠ م	٧٦٤٦

جدول رقم (٣٩) يوضح متلازمات كلمة فقر

الفقر ضد الغنى، وقد ظهرت في الاستعمال اللغوي منذ عام ٦٠٠ م، واستمر تواترها بتكرار عال حتى العصر الحديث، وتلازم معها العديد من المفردات على مر العصور، كـ(مدفع، الدم، ...) وغيرها، الذي بدوره أدى إلى تطور وتغيير في معانيها الدلالية والسياسية.

الكلمات الأكثر تلازمًا مع الكلمة المركزية:



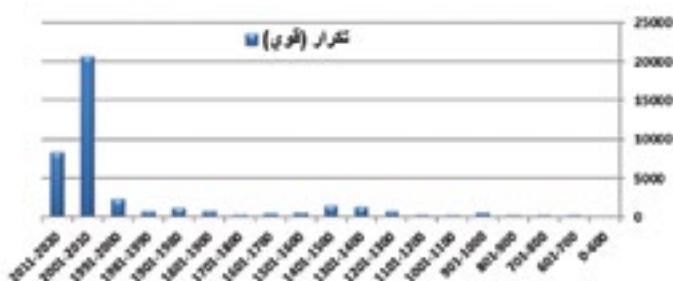
شكل رقم (٤٠) يوضح الفترات الزمنية التي تلازمت فيها المفردتين معًا

المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الأكثر تلازمًا مع الكلمة المركزية
من يفتقر إلى أبسط الاحتياجات الإنسانية	منذ عام ٨٠١ م	فقر مدفع
نقص الهيموجlobin في الدم	منذ عام ١٨٠١ م	فقر الدم

جدول رقم (٤٠) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

لها تطور دلالي، فالمتلازمة (فقر مدقع) ظهرت منذ عام ١٨٠١م، واتخذت دلالتها السياقية منحني دلائياً سياقياً مختلفاً (شخص دلالي)؛ بإضافة ملمح اجتماعي يمثل أشد درجات الحرمان والعزوز، فالفقير فقرًا مدقعاً يفتقر إلى أبسط الاحتياجات الإنسانية كالمطعم والمشرب والمأوى. أما المتلازمات (فقر الدم) فبدأت بالظهور منذ عام ١٨٠٤م، واتخذت دلالتها منحني دلائياً سياقياً مختلفاً (شخص دلالي)، بإضافة ملمح طبي يدل على نقص في الهيموجلوبين أو خلایا الدم الحمراء في الجسم

٢١ - الكلمة المكررة (قوى):



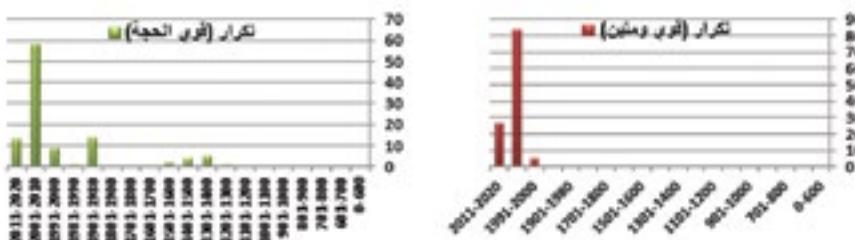
شكل رقم (٤) يوضح ورود كلمة قوي عبر الزمن

المفردات الملزمة لها باستخدام المقياس الاحصائي هود	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	تكرارها في المدونة
ومتين، الحجة، سياسة، وفعال، البنية، النفس، الشكيمة، المعارضة، ومتماستك، ومؤثر، وفاعل، وقدر، عزيز، الشخصية، للغاية، ومبادر، ومثير، العزيمة، الإيمان، الإرادة	منذ عام ٦٠١	٣٨٦٣٤

جدول رقم (٤١) يوضح متلازمات كلمة قوي

القوي ضد الضعيف، وقد ظهرت في الاستعمال اللغوي منذ عام ٦٠١ م، واستمر تواترها بتكرار عال حتى العصر الحديث، وتلازم معها العديد من المفردات على مر العصور، ك(ومتين، الحجة، ...) وغيرها، الذي بدوره أدى إلى تطور وتحريف معانها الدلالية والساقة.

الكلمات الأكثر تلازمًا مع الكلمة المركزية:



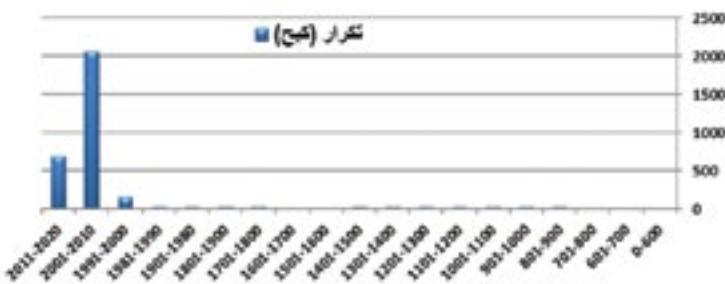
شكل رقم (٤٢) يوضح الفترات الزمنية التي تلزمه فيها المفردين معًا

المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الأكثر تلزماً مع الكلمة المركزية
قوي الرأي	منذ عام ١٩٩١ م	قوى ومتدين
قوى الدليل والبرهان	منذ عام ٢٠٠١ م	قوى الحجة

جدول رقم (٤٢) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للمتلازمات المذكورة في الجدول أعلاه فقد حدث لها تطور دلالي، فالمتازمة (قوي ومتين) ظهرت منذ عام ١٩٩١م، وبالتضام والتلازم حدث زيادة تأكيد لمعنى القوة. واتجهت دلالتها السياقية نحو الانتقال الدلالي من المجال الحسي إلى المجال التجريدي عن طريق المجاز الاستعاري بجامع القوة (الجسدية والمعنوية) في كل. أما المتازمة (قوي الحجة) فقد بدأت بالظهور منذ عام ١٢٠١م، واتخذت منحني دلائياً سياقياً مختصاً (تحصيص دلالي) وذلك بإضافة ملمح قوة العقل ومهاراته العليا.

٢٢ - الكلمة المركزية (كبح):



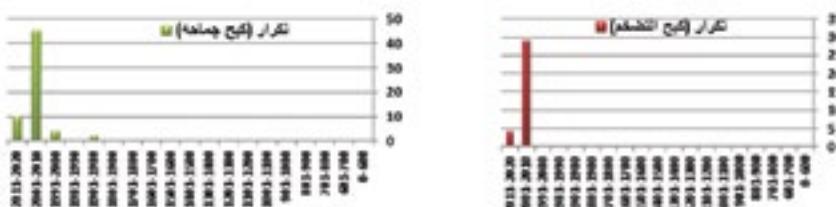
شكل رقم (٤٣) يوضح ورود كلمة كبح عبر الزمن

المفردات الملازمة لها استخدام المقياس الإحصائي هو	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	تكرارها في المدونة
التضخم، جماحه، الطموحات، السيارة، الرغبة، العنف، الإنفاق، الاستهلاك، موجة، التوسيع، الطوارئ، الرغبات، انفاقه، الفرامل، سطوة، شهواته، المحرك، الغرائز، معدلات، الحرية.	منذ عام ٢٠١٨م	٢٩١٤

جدول رقم (٤٣) يوضح متلازمات كلمة كبح

الكبح في معناه الأصل يعني: كبح الدابة باللجام، أي منع الدابة من سرعة السير بكبح لجامها وجذبها^(٣٥). وقد ظهرت في الاستعمال اللغوي منذ عام ١٨٠٤م، واستمر تواترها بتكرار عال حتى العصر الحديث، وتلازم معها العديد من المفردات على مر العصور، ك (التضخم، جاحمه، ...) وغيرها، الذي بدوره أدى إلى تطور وتغيير في معانيها الدلالية والسياسية.

الكلمات الأكثر تلازمًا مع الكلمة المركزية:



شكل رقم (٤٤) يوضح الفترات الزمنية التي تلزمه فيها المفردين معًا

المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الأكثر تلازمًا مع الكلمة المركزية
منع تدفق الأموال	منذ عام ٢٠٠١ م	كبح التضخم
تحكم في نفسه	منذ عام ١٩٠١ م	كبح جمامه

جدول رقم (٤٤) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للمتلازمات المذكورة في الجدول أعلاه فقد حدث لها تطور دلالي، فالمتازمة (كبح التضخم) ظهرت منذ عام ٢٠٠١م، واتجهت دلالتها السياقية نحو الانتقال الدلالي من المجال الحسي إلى المجال المعنوي بواسطة المجاز الاستعاري بجامع المنع في كل. وبتضامها معًا أصبحت المتازمة تدل على منع تدفق الأموال الاستثمارية في الأسواق التجارية. أيضًا اخذت الدلالة السياقية للمتازمة منحني دلاليًا سياقياً مختصاً (تحصيص دلالي)؛ بإضافة ملمح اقتصادي وهو منع تضخم الأموال في السوق. أما المتازمة (كبح جماحه) فقد بدأت بالظهور منذ عام ١٩٠١م، واتجهت دلالتها السياقية نحو الانتقال الدلالي من المجال الحسي إلى المجال مجرد (نفسي) بواسطة المجاز الاستعاري بجامع المنع بقوة في كل. أيضًا اخذت دلالتها منحني دلاليًا سياقياً مختصاً (تحصيص دلالي)، بإضافة ملمح نفسي وهو التحكم في النفس والسيطرة عليها.

٢٣- الكلمة المركزية (اللحظة):



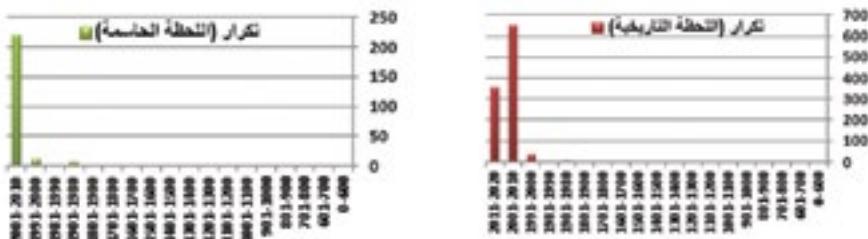
شكل رقم (٤٥) يوضح ورود كلمة اللحظة عبر الزمن

المفردات الملازمة لها باستخدام المقياس الاحصائي هو	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	تكرارها في المدونة
التاريخية، الحاسمة، الراهنة، الأخيرة، الأولى، المناسبة، الحرج، الآنية، الفاصلة، الفارقة، التالية، الحالية، العلبة، المهارية، العصبية، المواتية، الحضارية، الدرامية، الخاطفة، الإبداعية	منذ عام ٨٠٠م	٣٦١٩٥

جدول رقم (٤٥) يوضح متلازمات كلمة اللحظة

تعني اللحظة، النظرة من جانب الأذن^(٣٦)، وقد ظهرت في الاستعمال اللغوي منذ عام ٨٠٠م، واستمر تواترها بتكرار عال حتى العصر الحديث، وتلازم معها العديد من المفردات على مر العصور، كـ(التاريخية، الحاسمة، ...) وغيرها، الذي بدوره أدى إلى تطور وتغير في معاناتها الدلالية والسياقية.

الكلمات الأكثر تلازمًا مع الكلمة المركزية:



شكل رقم (٤٦) يوضح الفترات الزمنية التي تلازمت فيها المفردتين معًا

المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الأكثر تلازمًا مع الكلمة المركزية
الفترة التي تسبق حدثاً هاماً	منذ عام ١٩٠١ م	اللحظة التاريخية
		اللحظة الحاسمة

جدول رقم (٤٦) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للمتلازمات المذكورة في الجدول أعلاه فقد حدث لها تطور دلالي، فالمتلازمتين ظهرت منذ عام ١٩٠١ م، واتجهت دلالتهما السياقية نحو التخصيص الدلالي، فبعد أن كانت تدل الكلمة في معناها الأصل على معنى اللمححة؛ أصبحتا دالتين على الفترة التي تسبق حدثاً هاماً أو لحظة متوقعة، لأنها في مضمونها تعني مرحلة انتقالية من شيء لشيء ومرحلة توقف ما قبلها مختلف عنها بعدها

٢٤ - الكلمة المركزية (منحة):



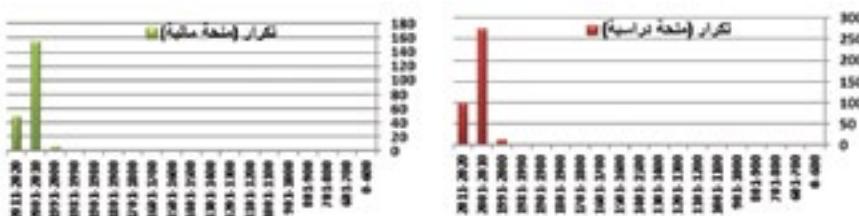
شكل رقم (٤٧) يوضح ورود كلمة منحة عبر الزمن

المفردات المتلازمة لها باستخدام المقياس الاحصائي هوذ	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	تكرارها في المدونة المدونة
دراسية، مالية، مجانية، زواج، بقيمة، إلهية، سكنية، تعليمية، ربانية، الزواج، شورية، سنوية، الخالق، أرض، حكومية، تربوية، سامية، تفرغ، التطوير، للعاملين، بحثية.	منذ عام ٨٠٠ م	٧٥٦٣

جدول رقم (٤٧) يوضح متلازمات كلمة منحة

المنح في الأصل العطاء، وقد ظهرت في الاستعمال اللغوي منذ عام ١٩٠٠م، واستمر تواترها بتكرار عال حتى العصر الحديث، وتلازم معها العديد من المفردات على مر العصور، كـ (دراسية، مالية، ...) وغيرها، الذي بدوره أدى إلى تطور وتغير في معانيها الدلالية والسياقية.

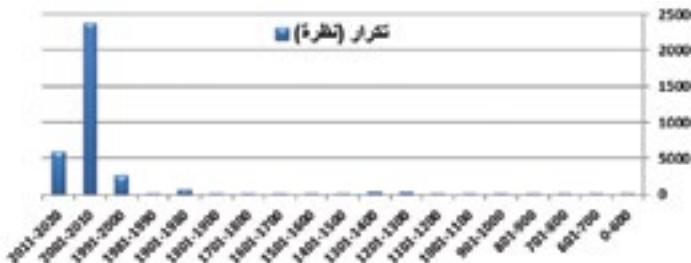
الكلمات الأكثر تلازمًا مع الكلمة المركزية:



شكل رقم (٤٨) يوضح الفترات الزمنية المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للمتلازمات المذكورة في الجدول أعلاه فقد حدث لها تطور دلالي، فقد ظهرت منذ عام ٢٠٠٠م، واتجهت دلالتها السياقية نحو التخصيص الدلالي؛ إذ أضيف إليها ملمح دلالي مخصوص لكل منها، وهو الدعم المادي الذي يُعطى للطالب لاستكمال دراسته بناء على معايير محددة. والمرود المالي يُعطى للتحفيز والتحسين.

٢٥ - الكلمة المركزية (نظرة):



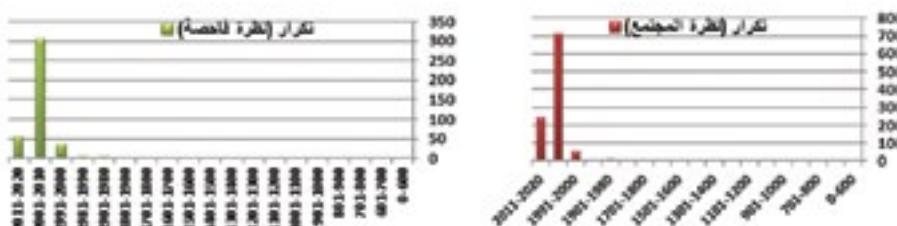
شكل رقم (٤٩) يوضح ورود كلمة نظرة عبر الزمن

المفردات الملازمة لها باستخدام المقاييس الاحصائي هو	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	تكرارها في المدونة
المجتمع، فاحصة، سريعة، عامة، مستقبلية، شاملة، واحدة، جديدة، ثاقبة، خاصة، دونية، شمولية، الناس، الإسلام، سلبية، إجمالية، مختلفة، خاطفة، تاريخية، قاصرة.	منذ عام ٦٠٠ م	٣٤٦٠٦

جدول رقم (٤٩) يوضح متلازمات الكلمة نظرة

النظرة تعني في المعنى الأصل اللهم بالعجلة^(٣٧)، وقد ظهرت في الاستعمال اللغوي منذ عام ٦٠٠ م، واستمر تواترها بتكرار عال حتى العصر الحديث، وتلازم معها العديد من المفردات على مر العصور، كـ(المجتمع، فاحصة، ...) وغيرها، الذي بدوره أدى إلى تطور وتغير في معانيها الدلالية والسياقية.

الكلمات الأكثر تلازمًا مع الكلمة المركزية:



شكل رقم (٥٠) يوضح الفترات الزمنية التي تلازمت فيها المفردتين معًا

المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الأكثر تلازمًا مع الكلمة المركزية
آراء المجتمع ووجهة نظره	منذ عام ١٩٠١ م	نظرة المجتمع
نظرة دقيقة شاملة		نظرة فاحصة

جدول رقم (٥٠) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للمتلازمات المذكورة في الجدول أعلاه فقد حدث لها تطور دلالي، فالمتازمة (نظرة المجتمع) ظهرت منذ عام ١٩٠١ م، واتجهت دلالتها السياقية نحو الانتقال الدلالي من المجال الحسي إلى التجريدي، فبعد أن كانت تدل في الأصل على اللمحات السريعة؛ أصبحت بعد تلازمها مع الكلمة (المجتمع) دالة على معنى مجرد يمثل وجهة نظر المجتمع وآرائه حول الكثير من القضايا. أما المتازمة (نظرة فاحصة) فقد اتخذت منحني دلاليًا سياقياً مختصاً، فهنا حصل للمتازمة تحصيص دلالي؛ إذ أضيف إليها ملمح الدقة الشاملة

٢٦- الكلمة المركزية (هزة):



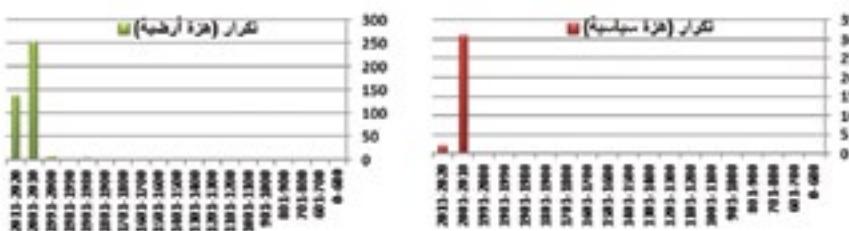
شكل رقم (٥١) يوضح ورود الكلمة هزة عبر الزمن

المفردات الملازمة لها باستخدام المقياس الاحصائي هو	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	تكرارها في المدونة
سياسية، أرضية، عنيفة، ارتادية، قوية، كبيرة، اقتصادية، نفسية، زلالية، خفيفة، محسوسة، أخرى، عميقه، كبرى، مالية، وجاذبية، فكرية، الجماع، بسيطة، جديدة.	منذ عام ٦٠١ م	٢٥١٨

جدول رقم (٥١) يوضح متلازمات كلمة هزة

تعني الهزة في المعنى الأصل التحريري^(٣٨)، وقد ظهرت في الاستعمال اللغوي منذ عام ٦٠١ م، واستمر تواترها بتكرار عال حتى العصر الحديث، وتلازم معها العديد من المفردات على مر العصور، كـ(سياسية، أرضية، ...) وغيرها، الذي بدوره أدى إلى تطور وتغير في معانيها الدلالية والسياسية.

الكلمات الأكثر تلازمًا مع الكلمة المركزية:



شكل رقم (٥٢) يوضح الفترات الزمنية التي تلازمت فيها المفردتين معًا

المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الأكثر تلازمًا مع الكلمة المركزية
اضطراب سياسي	منذ عام ٢٠٠١ م	هزة سياسية
حركة مفاجئة للفترة الأرضية	منذ عام ١٩٠١ م	هزة أرضية

جدول رقم (٥٢) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للمتلازمات المذكورة في الجدول أعلاه فقد ظهرت في العصر الحديث، وحدث لها تطور دلالي، فاتجهت دلالتها السياقية نحو التخصيص الدلالي، فبعد أن كانت تدل في الأصل على الهز والتحريك؛ أصبحت بعد تلازمها مع كلمة (سياسية) دالة على الاضطراب السياسي البسيط، وبتلازمها مع (أرضية) أصبحت مختصة بالحركة المفاجئة للقشرة الأرضية.

٢٧- الكلمة المركزية (مواكبة):



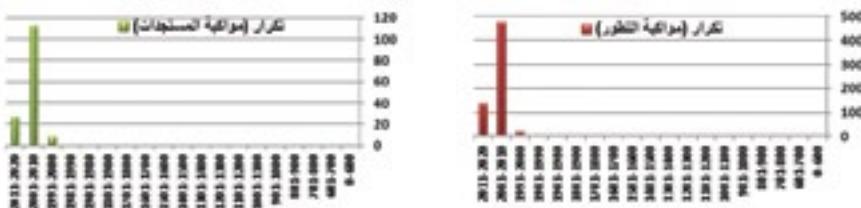
شكل رقم (٥٣) يوضح ورود كلمة مواكبة عبر الزمن

المفردات الملزمة لها باستخدام المقياس الاحصائي هو	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	تكرارها في المدونة
التغير، المستجدات، العصر، التغيرات، التقدم، الأحداث، متطلبات، التحولات، للعصر، الطلب، الحدث، النمو، تعطيات، النهضة، الموضة، التقنيات، التطوير، الركب، التكنولوجيا، الزيادة.	منذ عام ٩٠١ م	٨٣١٦

جدول رقم (٥٣) يوضح متلازمات كلمة مواكبة

مواكبة تعني في المعنى الأصل مسيرة الركب، وقد ظهرت في الاستعمال اللغوي منذ عام ٩٠١ م، واستمر تواترها بتكرار عال حتى العصر الحديث، وتلازم معها العديد من المفردات على مر العصور، كـ(التطور، المستجدات، ...) وغيرها، الذي بدوره أدى إلى تطور وتغير في معانيها الدلالية والسياقية.

الكلمات الأكثر تلازمًا مع الكلمة المركزية:



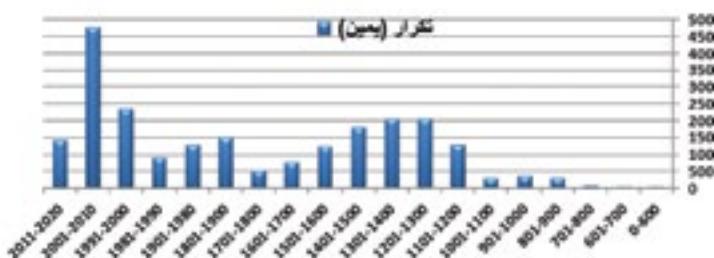
شكل رقم (٥٤) يوضح الفترات الزمنية التي تلزمت فيها المفردتين معًا

المعاني الدلالية المستحدثة من خلال السياق	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	المفردات الأكثر تلزماً مع الكلمة المركزية
مسايرة التطورات المستجدة الحديثة	منذ في عام ١٩٩١ م	مواكبة التطور مواكبة المستجدات

جدول رقم (٥٤) يوضح المعاني المستحدثة للمتلازمتين

من القراءة الدلالية للمتلازمات المذكورة في الجدول أعلاه فقد حدث لها تطور دلالي، فقد ظهرت منذ عام ١٩٩١ م، اخذت دلالتها منحني دلاليًا سياقياً ختّصاً (تخصيص دلالي)؛ إذ أضيف إليها ملمح دلالي وهو مسيرة التطورات الجديدة في العصر الحديث ومتابعتها.

٢٨ - الكلمة المركزية (يمين):



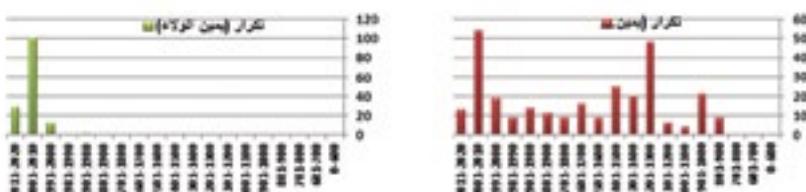
شكل رقم (٥٥) يوضح ورود كلمة يمين عبر الزمن

المفردات الملزمة لها باستخدام المقياس الاحصائي هود	الفترات الزمنية التي ظهرت فيها	تكرارها في المدونة
وشمال، الولاء، الوسط، ويسار، الدولة، العرش، الطريق، المدعى، الطلاق، الاستظهار، كاذبة، الداخل، واحدة، مكفرة، الله، الرحمن، منعقدة، متطرف، اللغو، المرمى.	بين (٦٠٠٠-٦٠١)	٢٢٧٧٩

جدول رقم (٥٥) يوضح متلازمات كلمة يمين

اليمين نقيض اليسار، وقد تراوح بداية ظهورها في الاستعمال اللغوي بين الأعوام (٦٠١-٠٦٠)، واستمر توادرها بتكرار عال حتى العصر الحديث، وتلازم معها العديد من المفردات على مر العصور، ك(وشمال، الولاء،...) وغيرها، الذي بدوره أدى إلى تطور وتغير في معانيها الدلالية والسياسية.

الكلمات الأكثر تلازماً مع الكلمة المركزية:



الحديثة، واتجهت دلالتها السياقية نحو التخصيص الدلالي، إذ أضيف إليها ملمح دلالي، وأصبحت تدل على آداء اليمين وإثباته في المحبة والولاء والطاعة. أما المتلازمة (يمين وشمال) فقد بدأت بالظهور منذ عام ٢٠١٨م، ولم يحدث لها أي تطور دلالي؛ فهي محفوظة بدلالتها ولم تتغير.

خاتمة الدراسة

- وظفت هذه الدراسة آليات المدونات المحوسبة وما تتيحه من أدوات برمجية وأساليب إحصائية لمعالجة التطور الدلالي وقياسه، وتتبع الدلالات الجديدة إحصائياً عبر العصور وعمرفة دلالاتها السياقية، وما حدث لها من مظاهر التطور الدلالي، وقد أسفرت عن عدد من النتائج، لعل من أهمها، ما يلي:
- أهمية البرامج الحاسوبية ومنهج المدونات في تأطير وتفسير النظريات اللغوية.
- أهمية لسانيات المدونات في الكشف عن التطور الدلالي للتلازم اللغطي، ولا يُغفل دور السياق وأهميته في تحليل الظواهر اللغوية للمتابعتات اللغظية.
- أن وجود المدونات والبرامج الحاسوبية والمقاييس الإحصائية تساعد المحلل في التنبؤ على قوة التلازم، وأن المقياس الإحصائي Loglikelihood يُعد المقياس الأنسب لقياس شدة الترابط بين الكلمات - حسب رأي الباحثة -.
- طبيعة المستجدات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في العالم، والتي أسهمت في بروز بعض المتلازمات، كـ (غسيل الأموال، مجلس الشورى، عبة ناسفة).
- كثرة التداخل بين أمثلة التخصيص والانتقال الدلالي عن طريق الاستعارة، ولعل ذلك يرجع إلى أن المجاز الاستعاري سبب من أسباب اتساع الدلالات؛ كما في (مجلس الدولة)؛ حيث يشتراك في أكثر من مظهر دلالي كمظهر التخصيص الدلالي ومظهر الرقي الدلالي، ومظهر الانتقال الدلالي.
- خلو ألفاظ مواد الدراسة المتغيرة من مظهر الانحطاط الدلالي، وارتفاع الدلالة

وانحطاطها يخضع لمعايير تقديرية خاصة بنظرية الجماعة اللغوية.

- أن الدلالة الحسية الجديدة قد تستخدم مجاورة للدلالة المعنية؛ مثل: (مجلس / مجلس الشورى)؛ فما زال استخدام المجلس بمعنى موضع الجلوس، وبمعنى الهيئة المكونة من عدد من الأفراد للبث في عدد من الأمور والقضايا.
- أثبتت الدراسة أن التخصيص الدلالي هو أكثر المظاهر وروداً، فقد جاء بنسبة ٦٢,٥٪، يليه الانتقال الدلالي بنسبة ٣٦,٣٠٪، ثم الرقي الدلالي بنسبة ١٤,٧٪، وأن أبرز أنماط نقل الدلالة ظهوراً، النقل من المجال الحقيقى إلى المجال المجازى لعلاقة المشابهة. وأن النقل التجريدي دليل على ارتقاء العقل الإنساني وتطوره.
- ورود كثير من الدلالات الجديدة التي اتجهت نحو التخصيص، وهذا دليل واضح على رحابة هذا المجال واتساعه. إلا أنه يأتي بدرجات مختلفة ضيقاً واتساعاً، فهناك الخاص، والأخص.
- أن دراسة التطور الدلالي من خلال منهجية لغويات المدونات الحاسوبية لا يزال مجالاً بكرأ، ويحتاج إلى الكثير من الدراسات اللغوية الدلالية التي تثري الجانب اللغوي الحاسوبي.

توصيات

- إجراء دراسات دلالية حاسوبية قائمة على النظريات الدلالية الحديثة، كنظرية الحقول الدلالية والتحليل التكويني.
- جبذا لو وجدت قاعدة بيانات مخصصة للدراسات اللسانية الحاسوبية للغة العربية استرشاداً للباحثين وتقنياً لمزيد من الدراسات اللغوية الحاسوبية.
- ضرورة الإفادة من المدونات اللغوية في الدراسات اللغوية بكلفة مستوياتها النحوية والصرفية والأدبية؛ لتتوفر أدوات حاسوبية وأساليب احصائية كمية تضفي الدقة والموضوعية.
- الاستفادة قدر الإمكان من المدونة العربية، فهي مدونة ضخمة ومدعومة

- بأساليب برمجية تساعد في اجراء العديد من الدراسات اللغوية الحاسوبية.
- أهمية دعم معاجم المتلازمات اللغوية بتواريخ تقريرية لبداية ظهور المتلازمة.
 - حبذا عند بناء المعاجم الحديثة إضافة حقل لتوضيح التطور الدلالي للمفردة بعد ظهورها مع متلازمتها.

الهوامش

- (١) (ماريوباي، أسس علم اللغة، ترجمة: أحمد ختار، ص ١٥٦).
- (٢) (علي، نبيل، العربية والحاسوب، ص ٣٤).
- (٣) (McEnery, Wilson, Corpus Linguistics)
- (٤) (الخولي، محمد، معجم علم اللغة النظري، ص ٢٥٠).
- (٥) (العبود، جاسم، مصطلحات الدلالة العربية، ص ١١٥)
- (٦) (نهر، هادي، علم الدلالة التطبيقي، ص ٤٨٥)
- (٧) (أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، ص ٢٣)
- (٨) (أولمان، ستيفن، دور الكلمة في اللغة، ص ٥٥)
- (٩) (أولمان، ستيفن، دور الكلمة في اللغة، ص ١٩٠)
- (١٠) (عمر، أحمد، علم الدلالة، ص ٢٤٥)
- (١١) (أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، ص ١٥٤)
- (١٢) (المرجع السابق، ص ١٥٨)
- (١٣) (المرجع السابق)
- (١٤) (عبدالحق، فاضل، مغامرات لغوية، ص ٦٥)

- (١٥) (حيدر، فريد، علم الدلالة نظرياً وتطبيقياً، ص ٨٦)
- (Oakey, Fixed Collocational Patterns...) (١٦)
- (McEnery, T& all, Corpus-based Language..., P.7) (١٧)
- (حسان، ثام، اللغة العربية مبنها و معناها، ص ٢١٧) (١٨)
- (عمر، أحمد، علم الدلالة، ص ٧٣) (١٩)
- Sinclair, Jones, Daley, English Collocation Studies; The) (٢٠)
- (OSTI Report, p.20
- (٢١) (مكاني، توني وهاردي، أندرو، ترجمة: الم gio، سلطان، لغويات المدونة الحاسوبية المنهج والنظرية والتطبيق، ص ٩٥ -)
- p:26 A700M+ Arabic Corpus: KACST Arabic Corpus) (٢٢)
- (Design and Construction, Al-Thubaity, A
- (ابن منظور، لسان العرب، أ ز م، ١٢ / ١٦) (٢٣)
- (الجواليقي، أبو منصور، الم ureb من الكلام الأعجمي، ص ١٢٥) (٢٤)
- (ابن منظور، لسان العرب، ث ب ط، ٧ / ٢٦٧) (٢٥)
- (ابن منظور، لسان العرب، ح ض ر، ٤ / ١٩٤) (٢٦)
- (ابن منظور، لسان العرب، خ ط، ٥ / ١٠١) (٢٧)
- (ابن منظور، لسان العرب، دغ دغ، ٧ / ٣٧١) (٢٨)
- (ابن منظور، لسان العرب، ذ ك أ، ١٤ / ٢٨٧) (٢٩)

- (٣٠) (ابن منظور، لسان العرب، رأس، ٦/٩١)
- (٣١) (ابن منظور، لسان العرب، س ل ك، ١٠/٤٤٣)
- (٣٢) (ابن منظور، لسان العرب، ص ف ق، ١٠/٢٠١)
- (٣٣) (ابن منظور، لسان العرب، ض خ خ، ٣/٣٥)
- (٣٤) (ابن منظور، لسان العرب، ط ر ق، ١٠/٢٢١)
- (٣٥) (ابن منظور، لسان العرب، ك ب ح، ٢/٥١٨)
- (٣٦) (ابن منظور، لسان العرب، ل ح ظ، ٧/٤٥٨)
- (٣٧) (ابن منظور، لسان العرب، ن ظ ر، ٥/٢١٧)
- (٣٨) (ابن منظور، لسان العرب، ه ز ز، ٥/٤٢٣)

المراجع العربية

- أنيس، إبراهيم: دلالة الألفاظ، القاهرة: مكتبة الأنجلو، ٢٠٠٤ م.
- أولمان، ستيفن: دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر، ط٢، القاهرة: دار غريب للنشر، ١٩٩٧ م.
- الجواليني، أبو منصور: المغرب من الكلام الأعجمي، تحقيق: ف. عبد الرحيم. ط١. دمشق: دار القلم، ١٩٩٠ م.
- حبس، نزار: مقدمة في المعاجلة الطبيعية للغة العربية، ترجمة: هند الخليفة، الرياض: دار جامعة الملك سعود للنشر، ٢٠١٤ م.
- حسان، تمام: اللغة العربية معناها ومبناها، ط٢، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩ م.
- حيدر، فريد: علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، ط١ ، القاهرة: مكتبة الآداب، ١٤٢٦ هـ.
- الخولي، محمد: معجم علم اللغة النظري، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٢ م.
- رشوان، محسن والمعتز بالله، والسعيد: المعاجلة الآلية للنصوص العربية، الرياض: مركز الملك عبدالله الدولي، ٢٠١٩ م.
- رشوان، محسن والمعتز بالله، والسعيد: الموارد اللغوية الحاسوبية، الرياض: مركز الملك عبدالله الدولي، ٢٠١٩ م.
- الطراونة، سليمان: اللغة العربية في القرن العشرين، الموسم الثقافي الثالث والعشرون، الأردن: جمع اللغة العربية، ٢٠٠٥ م.
- عبد الحق، فاضل: مغامرات لغوية، ط١، بيروت: دار العلم للملائين، ١٩٧٥ م.
- العبود، جاسم: مصطلحات الدلالة العربية، دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧ م.
- علي، نبيل: اللغة العربية والحاسوب، مج١٨، ع٣، القاهرة: عالم الفكر، ١٩٧٨ م.

- عمر، أحمد مختار: علم الدلالة، ط٦، (القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٦م).
- المجيول، سلطان: البحث اللغوي في المدونات العربية الحاسوبية بين الممكن والمحتمل والمأمول، ضمن كتاب المدونات اللغوية العربية، بناؤها وطرائق الإفادة منها، تحرير: صالح العصيمي، ط١، الرياض: مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية، ١٤٣٦هـ.
- مكانري، توني وهاردي، أندرو: لغويات المدونة الحاسوبية المنهج والنظرية والتطبيق، ترجمة: سلطان المجيول، (الرياض: دار جامعة الملك سعود للنشر، ٢٠١٦م).
- نهر، هادي: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ط١، الأردن: عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٨م.

المراجع الأجنبية

- Al-Thubaity, A (2014): A700M+ Arabic Corpus: KACST Arabic Corpus Design and Construction. Language Resources and Evaluation,
- Andrew & McEnery (2009): Corpus Linguistics and the Description of English, Hans Lindquist, Edinburgh University.
- Bennett, Gena (2010): An Introduction to Corpus Linguistics, Michigan.
- Glynn, D. (2014): Techniques and Tools: Corpus methods and statistics for Semantics. University of Paris
- Hoey, M. (2005): Lexical priming: A new theory of words and language. London: Routledge.
- McEnery, T & Hardie (2012): Corpus Linguistics, Cambridge Uni-

versity Press.

- McEnery, T, Xiao, R. & Tono, Y. (2006): Corpus-based Language Studies: an advanced resource book, London: Routledge.
- Oakey, D. (2009): “Fixed Collocational Patterns Insolexical and Isotextual Versions of a Corpus”, in: Baker, P. ed., Contemporary Corpus Linguistics, London: Continuum, 2009, pp. 140-158.
- Rychly, P. (2008) Lexicographer-Friendly Association Score, in RASLAN. Masaryk University, Brno.
- Sinclair, Jones, Daley (2004): English Collocation Studies; The OSTI Report, edited by Ramesh, Krishnamurthy, University of Birmingham.
- Stubbs, M. (1995): Collocations and semantic profiles: on the cause of the trouble with quantitative methods. Functions of language; synopsis of linguistic theory, 1930-55, in: F. R. Palmer (ed.), Selected papers of J.R. Firth 1952-1959.

في المناويل المعجمية

أ.د. عبدالعزيز المسعودي^(١)

الملخص:

تقديم الورقة مفاهيم المنوال والمنولة والمعجم الذهني وأهم الفرضيات والنظريات المتعلقة بالبنية الذهنية للمعجم مثل نظرية الكويرات الذرية ومنوال بيوت العنكبوت، ثم تعرّض عينات من المناويل المعجمية مع تحديد خلفياتها النظرية والأصناف التي تتسمى إليها حسب المسارات الذهنية المباشرة أو غير المباشرة، وحسب المهام والوظائف النفسية-لغوية التي تضطلع بها في حالتي الأداء الإنتاجي مثل مناويل الاستدعاء والانتقاء، أو الأداء الاستقبالي مثل مناويل التعرّف. وقد حاولنا في كل ذلك بيان خصوصية كلّ منوال ومواطن قوّته وضعفه ومدى واقعيّته النفسيّة. كما تفترض الورقة وجود منوال معجميّ خفيّ يمكن استخراج مكوّناته باستقراء المدونات المعجمية العربية القديمة؛ لذلك حلّلنا نماذج من المعجم العربيّ تبيّن ملامح هذا المنوال وتبرز أهميّته في بناء مناويل معجمية جديدة تراعي خصوصيات اللغة العربية وتربط حاضر الدرس المعجمي الحديث بماضيه العريق عند اللغويين العرب.

الكلمات المفتاحية: المنوال - المنولة - المعجم الذهني - مناويل التعرّف -

مناويل الانتقاء - نظريات الكويرات الذرية - نظريات بيوت العنكبوت.

١- جامعة القصيم

Abstract:

This paper introduces the definitions of Model, Modalization, and Mental Lexicon, as well as the main assumptions and theories relating to its mental structure such as Atomic Globule Theories and Cobwebs Theories. It will then expose samples from lexicon models while delineating their theoretical background and the categories to which they belong according to their direct or indirect mental processes, and also according to the psycholinguistic aims and functions which they convey both in productive competence like retrieval models, and selection models, or in receptive competence like recognition models. We have in all this pointed out the specificity of each model, its strengths and weaknesses, as well as the extent of its psychological reality. Likewise, the paper subsumes the existence of a hidden lexical model the components of which can be extracted by scrutinizing samples from lexical corpora in Classical Arabic. Thus, samples from Arabic dictionaries were analyzed which clarify the pattern of such a model and its importance in the structuring of new lexical models that observe the characteristics of Arabic and link the ongoing modern lexicon study with its glorious past of Arabic Lexicography.

Keywords: Model – Modalization – Mental Lexicon – Recognition Model – Selection Model - Atomic Globule Theories - Cobwebs Theories.

١- المقدمة

الأصل الأول لمصطلح منوال modus هو الكلمة *modus* التي تعني في اللاتينية الكيفية والطريقة. وهذا المفهوم الأصلي يظل جامعاً للمناويلا على اختلاف أنواعها ووظائفها؛ بما أنَّ المنوال بالمفهوم السائد في الدوائر العلمية هو صورة لجزء من العالم الواقعي^١ تشتمل على بعض خصائصه ولا تشتمل عليها كلُّها؛ لأنَّ المنوال (أو النموذج) يكون دائمًا أبسط من الظاهرة التي يريد الباحث تمثيلها أو تفسيرها.

وللمناويلا منزلة خاصة في مجال العلوم الصحيحة ثم العلوم الإنسانية؛ لأنَّ العلم عندما يسعى إلى تبسيط الظواهر يجد ضالته في المناوila فيُولي أهمية خاصة لبنائها وفحصها ومراجعتها ومقارنتها ببعضها البعض. فهي من هذا النظور الإبستيمي حوامل معرفتنا بالعالم، بل إنَّ الجوانب المهمة من البحث العلمي قد تصبح قائمة على المناوila لا على الواقع نفسه.

والمناوila اللسانية حِيل يلجأ إليها اللسانيون للتغلب على صعوبات الوصف اللغوي^٣ ويلجأ إليها الدارسون عامةً للتقريب الأشياء أو الظواهر المتشعبة المراد درسها من الأذهان، وحسب نوع الممارسة العلمية أو التقنية؛ تكون المناوila. ورغم كثرة المناوila وتنوعها فإنَّ مناوila النحو التوليدية تظل أشهرها وأكثرها حضوراً عند جمهور التابعين للدراسات اللغوية ، وهي أساساً مناوila لسانية تركيبية؛ أمَّا في اللسانيات العربية فقد قدَّم مصطلح المنوال إلى القارئ واستعمل بمفاهيم متفاوتة من حيث التجريد ووقع التوسل به إجرائيًا في بعض البحوث الأكاديمية لاستقراء الفكر النحوي واللغوي. فافتراض المجدوب (١٩٩٨) وجود منوال نحوِي عربي ذي طبيعة إجرائية وسعى إلى تقديم الأدلة الاختبارية على ذلك. ورسم خالد ميلاد (٢٠٠١) ملامح منوال نحوِي تداولي انتلاقاً من مصنفات النحويين والبلاغيين وتحديداً مما كتب في مبحث الإنشاء؛ واقتصرت بسمة الشكيلي (٢٠١٤) منوالاً موَحدَاً شاملًا لعلوم البلاغة قوامه مطابقة الكلام لمقتضى الحال، أمَّا الشريف (٢٠٠٢) فلthen استعمل مصطلح المنوال بمفهوم مضيق^٤، فإنَّ نظريته في الإنشاء النحوي تعتبر منوالاً شاملًا لصور تحقق الملكة اللغوية في العرفان الاجتماعي.

نخلص، إذن، إلى أنَّ المنولة (أو النمذجة) ممارسة علمية منتشرة تشمل مختلف

مستويات الدرس اللساني ولا تقتصر على النحو التوليدي، وأن المناويل اللسانية متنوعة ولا تقتصر على مستوى التركيب أو الصرف أو الأصوات ممثلة في منوال الفونيم، وإنما تشمل أيضاً المناويل المعجمية باعتبارها أداة ضرورية لفهم جوانب مهمة من الظاهرة اللغوية ووصف مساراتها الذهنية. لهذا السبب استقر العزم على التعريف بأبرز ما جد في المنولة المعجمية خلال العقود الأخيرة (العنصر ٣)، على أن يسبق ذلك تعريف بالمعلم الذهني (العنصر ٢) لأن المناويل المعجمية تستند بالضرورة إلى تصور مسبق يحكم علاقتها بالنحو وبالملكة اللسانية عامة ويفسر كيفية انتظام المعلم الذهني واحتلاله في حالي التلقى والإنتاج، وفي مسارات التعرّف والانتقاء. ثم نختتم البحث بآفاق المنولة المعجمية انطلاقاً من التقليد المعجمية العربية.

وإذا انطلقنا من التصنيف الثنائي لمناويل محاكاة المعلم (العلوي والملاخ، ٢٠١٤) إلى ٢٥١ إلى مناويل ذات طابع هندسي تهتم بتنظيم المعرف المعجمية، ومناويل مهتمة بسيرورات اشتغال المعلم الذهني، فإن النوع الأول يمكن أن يكون همزة وصل بين المناويل المعجمية المحسوبة وبعض التقنيات المستعملة في الصناعة المعجمية العربية القديمة وهو ما سنعرضه في العنصر (٤) على أن نبدأ أولاً بعرض نماذج من مناويل السيرورات الذهنية في العنصر (١-٣).

٢- المعلم الذهني

يرجح أن مصطلح «المعلم الذهني» قد ظهر أول مرة على يد أولدفيلد^٧ وأصبح مفهوماً أساسياً في اللسانيات النفسية رغم أن الدارسين لا يعرفون حقيقة المعلم الذهني على وجه اليقين، فهو بمثابة الصندوق الأسود، شأنه في ذلك شأن الذهن نفسه. ومع تقدم البحث اللساني وتعدد المناويل المعجمية بدأت تتبدّل بعض الأوهام التي سادت التصور التقليدي؛ ومن بين تلك الأوهام اعتبار المعلم الذهني قائمة من المفردات^٨ وهو تصور مخالف للواقع اللغوي لسبعين على الأقل:

- من حيث الواقعية النفسية: مفهوم القائمة خالف لطبيعة المعلم الذهني؛ لأنّه متأثر تأثراً واضحاً بالمعجمية التطبيقيّة، وبمنهجية تنظيم المعاجم المادية الورقية، وقد أثبتت الاختبارات النفسية أن المعلم الذهني غير مهيكل في

شكل قائمة.

- من حيث المكونات: لا يتكون المعجم من مفردات فحسب؛ وإنما يتكون في مستوى ما دون المفردات من وحدات تصريفية واشتقاقية، أو ما يسميه البعض مورفيمات تابعة، ويتكوّن في مستوى ما فوق المفردات من علاقات سياقية من Colligation (Firth, 1957, Yuanwen, 2017) والتلازم اللفظي Collocation ... فهو حسب العرفانيين مكون لغويٌّ تفاعليٌّ يشتمل على معلومات تخصّ نطق الكلمات ومعانيها وخصائصها الإملائية والصرفية والإعرابية والسيقانية..

المعجم الذهني، إذن، ليس قائمة ساكنة من المفردات؛ وإنما هو - في منظور اللسانيات العرفانية - مستودع أو خزان نشط تجتمع فيه كلّ التمثيلات المعجمية المرتبطة بالكلمات^٩ في مستوى الذاكرة الفردية للمتكلّم، وهو المكون اللغوي الذي يشتمل على معاني المفردات واللفاظم وخصائصها النطقية والتركيبة والموسوعية والمقامية. ويمكن تلخيص حصيلة ما توصلت إليه البحوث في اللسانيات العرفانية بشأن المعجم الذهني في أمرین بارزین:

- المعجم الذهني واحد غير متعدد: رغم بعض اللسانين^{١٠} وجود معجمين في الذهن، أحدهما خاص بالكلمات المألوفة المتواترة وثانيهما بمثابة خزان رئيس تُجمَع فيه سائر المفردات، لكنّ جمهور الباحثين على غير هذا الرأي لأنّ الاختبارات النفسية تثبت بوضوح سرعة معالجة المفردات في حالتي التعرّف والانتقاء وترجح وحدة المعجم الذهني ولا ترجح تعدده. وقد قدّم بعض الباحثين أمثلة فورستر (١٩٨١) أدلة اختبارية كافية في هذا الصدد.

- المعجم الذهني منظم: أول سؤال تبادر إلى الأذهان منذ اهتمام الباحثين ببنية المعجم الذهني هو التالي: هل يوجد نظام في المعجم الذهني؟ والجواب عن هذا السؤال أضحت محل إجماع؛ مفاده أنّ المعجم الذهني منظم بطريقة ناجعة والدليل عليها قدرة المتكلّم على استحضار الكلمة المناسبة في بضعة أجزاء من الألف من الثانية انطلاقاً من منبهات سمعية أو بصرية (Sprida, 2008).

ولئن أجمع اللسانيون وعلماء النفس على مبدأ نظامية المعجم فإنّهم قد اختلفوا

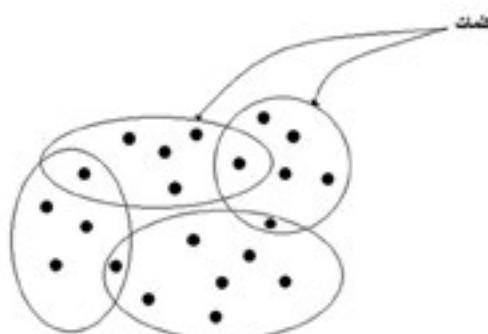
حول كيفية تخزين الكلمات في الذهن وبالتالي حول المسارات المحتملة لاستعمال المفردات والعرف عليها، فكانت أجوبتهم فرضيات متنوعة جمعها البعض^{١١} في صفين كبيرين من النظريات:

- نظريات الكويرات الذرية Atomic Globule Theories (سنسميتها اختصارا النظريات الذرية)؛
- نظريات بيوت العنكبوت أو شبكات العنكبوت Cobwebs Theories (سنسميتها اختصارا النظريات الشبكية).

١-٢ النظريات الذرية

يرى أصحاب النظريات الذرية أن الكلمات تُبني من مجموعات من الذرات المعنوية التي تجعل الكلمات ذات الذرات المشتركة مرتبطة بعضها بعض^{١٢}، وتقوم هذه النظريات أساسا على علاقات مفهومية تتحقق في شكل سمات دلالية وفي إطار حقول معجمية؛ فتتعالق الأسماء مثلاً، في صلب حقل المقاعد على أساس سمات دلالية مثل: بظهر/ دون ظهر - بمتكئ/ دون متكئ - يتسع لشخص / يتسع لأكثر من شخص - بأرجل / دون أرجل، الخ؛ وكل نوع من المقاعد يتكون من مجموعة من السمات ينفرد بها، ويشتراك في سمات أخرى مع غيره.

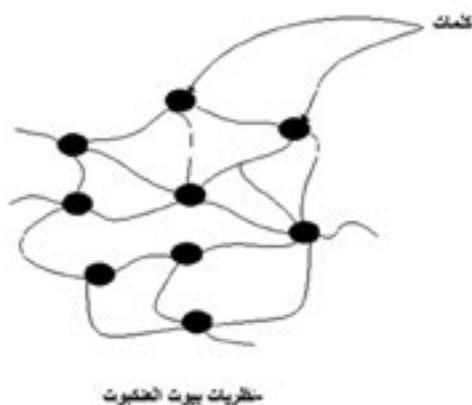
ويقترح أيتشيسون^{١٣} في هذا الصدد الخطاطة المعاوile لتمثيل هذا الضرب من النظريات؛ فرسم الكلمات المتعلقة في الذاكرة المعجمية في شكل دوائر، والسمات الدلالية أو الذرات المعنوية في شكل نقاط، والتعليق الذري بين الكلمات في شكل تقاطعات بين الدوائر.



• نظرية الكويرات الذرية

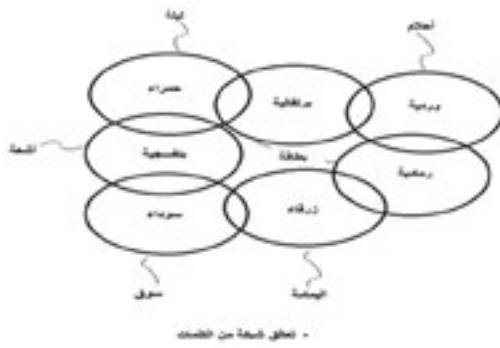
٢-٢ النظريّات الشبكيّة

يرى أنصار النظريّات الشبكيّة أو ما يُسمّى نظريّات بيوت العنكبوت أن الكلمات لا ترتبط في ما بينها على أساس ذري؛ وإنما على أساس علاقات بينها المتكلّمون.^{١٤} تكون هذه العلاقات ماديّة قوامها التشابه الصوتي كالعلاقة بين صوت وموت، وبين كتاب ومكتبة أو سياقية تلازمية تأسّست نتيجة التردد المستمر في الاستعمال مثل جنون العظمة، الجنون فنون ، حب جنوني... وفي ما يلي خطاطة اقترحها أيتشيسون Aitchison لتمثيل كيفية انتظام الكلمات في الذهن من منظور شبكيّ:



نظريّات بيوت العنكبوت

ونقتبس من أيتشيسون^{١٥} الخطاطة التالية لنقرّب إلى الأذهان أشكال الترابط في الذاكرة المعجميّة؛ وقد اخترنا تعويض الأمثلة الإنجليزية بأمثلة من اللغة العربيّة تنتهي إلى حقل الألوان؛ حيث يبدو ترابطها ناتجاً أساساً عن تلازمها سياقياً في الاستعمال مثل: أحلام وردية وأشعة بنفسجيّة... أو تلازمها جدولياً paradigmatic في الذاكرة؛ حيث يستدعي اسم لون معين أسماء الألوان الأخرى :



يتبين مما تقدّم اتفاق الدارسين على وجود معجم ذهني موحّد محكم التنظيم بدليل سرعة استحضار المتكلم ما يحتاجه من المفردات؛ وفي سرعة الاستحضار تلك دليل قاطع على وجود علاقات بين الكلمات تجعل تنشيط واحدة منهاقادحاً لتنشيط غيرها. وهذه العلاقات تبدو - من خلال الاختبارات والفحوص الإجرائية - متنوّعةً: منها القويّ ومنها الضعيف، منها الدائم ومنها الوقتيّ، منها ما ينبع للسياق ومنها ما لا ينبع له، ومنها المنطقيّ ومنها التلازميّ...^{١٦}. ويعكس هذا التنوّع العلاجيّ - إلى جانب النظميّة - تعقيداً في بنية المعجم الذهنيّ، ويمثل صعوبة إضافيّة أمام المَنْوِلَة ويفسر تعدد المناويل المعجميّة وتتنوع مسارات البحث اللسانيّ، وتعدد المقاربات النظرية والتصورات المنهجية للمعجم وللظاهرة اللغويّة عامةً (الملاخ وعلوي، ٢٠١٤) ولا تعنينا في هذه الدراسة منزلة المعجم من المقاربات العرفانية أو من المناويل اللسانية والوجهية أو المنظوميّة Modular وإنما تهمّنا المناويل المعجميّة الصريحة.

المناويل المعجميّة

يجدر بالباحث في المناويل المعجميّة أصنافاً موزّعة حسب المسارات الذهنيّة والمهام المعجميّة وحسب المجالات البيئيّة التي يتقاطع فيها المعجم مع مستويات لغويّة أخرى مثل الدلالة والتركيب والأصوات^{١٧}. ويمكن تصنيف المناويل المعجميّة صنفين كبيرين حسب مجال التخصّص في إطار العلم العرفايّ Cognitive Science، هما:

- مناويل الذكاء الاصطناعيّ وهي مناويل هندسيّة حوسية تسعى إلى معالجة اللغات الطبيعية آليّاً بضرب من الهندسة اللغويّة تقتضي وضع مناويل مشكلنة وخوارزمات. وتتنوع الأطر النظرية لهذه المناويل^{١٨}، فمنها نظرية من المعنى إلى النص لإيغور مالتشوك Igor Mel'čuk^{١٩} ونظرية النحو الموجّه بالرأس^{٢٠} بولارد وصاق Pollard & Sag ومنها ما يعود إلى النحو التوزيعي عند هاريس Harris، مثل نظرية أصناف الأشياء لقاسطون قروس Gross ...
- مناويل عرفانية وهي بالأساس مناويل المعجم الذهنيّ وكلّ ما اتصل بها من مسائل متعلقة بكيفيّة تمثيل المفردات وتخزينها في الذهن والنفاذ إليها؛ أي بكلّ ما له صلة بالمعالجة الذهنيّة للمعجم باعتبارها فرعاً من مسارات ذهنيّة

أشمل، لذلك يقع هذا المبحث في مجال تمازج فيه تخصصات علم النفس وعلم الأعصاب وعلم اللسان. والنوع الثاني هو الذي يعنينا في هذا البحث.

١-٣ مناويل السيرورات الذهنية وأصنافها

تمكّن الباحثون على تخوم علم النفس وعلم الأعصاب واللسانيات من بناء مناويل تتکهن بكيفيّة تخزين الكلمات في المعجم الذهني وكيفيّة التعرّف عليها في حال التلقّي أو في حال التلفظ وذلك بالنفاذ إليها وانتقائتها واستحضارها. وفي حالة النفاذ إلى الكلمات تُصنّف المناويل المعجمية حسب طبيعة المسارات المقترحة إلى مناويل مباشرة ومناويل غير مباشرة.

١-١-٣ المناويل المباشرة:

يشتغل المناول المباشر - حسب البعض - بمثابة المعالج في جهاز الكمبيوتر فيتم العثور على الوحدة المعجمية بمجرد قراءة حروفها الأولى أو نطقها ومثال ذلك مناول مورطن Morton (١٩٨٢) المعروف بمناول المولدات Logogen، ومناول مارسلن - ولسون (١٩٨٧) المعروف بمناول المَفرَزة أو الكتبة Cohort^{٢١}. وهو مناول للتعرّف السمعي على الكلمات يبدأ في طور أول بتنشيط كل الكلمات التي تشتراك في حرف أو جزء من المقطع الأول ثم يقع تضييق الاختيار تدريجيًّا حسب تعاقب الصواتم (الفوئيمات) وصولاً إلى نقطة التفرد التي يقع فيها التعرّف على الكلمة باعتبارها مختلفة عن سائر الكلم المتميّز إلى المفرزة نفسها، ويمكن توضيح هذا الضرب من المسارات الذهنية للتعرّف السمعي عبر المراحل المحتملة لانتقاء كلمة مَنزَه:



في الوادي الأول من اليمين يقع تنشيط عدد من الكلمات التي تبدأ باليمين بمجرد نطق الصوت الوظيفي / م / والفتحة القصيرة / ـ / ثم يقع تنشيط عدد من الكلمات التي تبدأ بالمقطع المنغلق / مـن / في الوادي الثاني، ثم بالمقطعين / مـن / زـ / في الوادي الثالث، وأخيراً يُنطق الصامت / ه / فيمثل نقطة التفرد التي لا تشتراك فيها كلمة متزهء مع أي من الكلم في العربية.

ولعل نقطة الضعف في هذا المنوال اقتضاؤه عدم الانحراف Undistortion أثناء نطق الأصوات اللغوية وهذا بعيد عن واقع التواصل الشفهي الذي لا يخلو من زلات اللسان، وتحريفات النطق العفوية أو الناتجة عن بعض السمات النطقية الخاصة بالإنجاز الفردي لبعض الحروف.

٢-١-٣ المناويل غير المباشرة

المناويل غير المباشرة متعددة أشهرها^{٢٢} منوال عالم النفس فورستر (١٩٧٦) المعروف بمنوال البحث المتسلسل المستقل^{٢٣} وهو بمثابة سيناريو بحثٍ عن ملفات أو كتب في رفوف مكتبة، يكون منطلقه نصف من المعلومات تهم موضوع الكتاب أو عنوانه أو اسم مؤلفه، يليه البحث في فهارس المكتبة ثم البحث عن الكتاب أو الوثيقة في الأروقة والرفوف... وعلى هذا النحو يكون النهاذ المعجمي منظوميا Modular ينطلق من الشفرة الصوتية أو الشفرة الهجائية (الرموز المكتوبة) للكلمة أو من خصائصها الصرفية أو التركيبية أو الدلالية، ويكون البحث في قوائم أو ملفات مصنفة حسب هذه الخصائص اللغوية المختلفة في مداخل ترابط في ما بينها بمشيرات Pointers تتصدرها الكلمات الأكثر تواتراً في الاستعمال، وعندما تتم المطابقة بين المدخل وبين المثير - أي الشكل اللغوي المكتوب أو المنطوق - يشير المدخل إلى الملف الرئيس للمعجم الذهني حيث تتوفر كل البيانات المتعلقة بالكلمة؛ وبذلك يقوم هذا المنوال على عمليات تنشيط متسلسلة متsequente مستقلة بعضها عن بعض، وهي تنتشر من مستوى إلى آخر دون أن تتضرر بالضرورة الجسم في المستوى السابق.

واجه هذا المنوال القائم على استعارة القاموس نقداً من وجوه عديدة؛ منها البطء المحتمل الناتج عن التسلسل وعن المنظومية Modularity بما تقتضيه من استقلال

بين المستويات وعدم قابلية التفاعل بين الكلمة والسياق^٤؛ وكل هذا لا تدعمه الواقعية النفسية بناء على سرعة التعرف على الوحدات المعجمية التي نلاحظها في الأداء العادي للمتكلمين. وهذا ما أجا فورستر إلى تعديل منواله التسلسلي القائم أساساً على محاكاة اشتغال الحاسوب^٥ وجعله يتأسس على مبادئ المعالجة التفاعلية المتوازية.

٣-١-٣ التصنيف الثلاثي لمناوئيل معالجة الكلمات

يقترح هاندكه (٢٠١٢) Handke تصنيفياً ثلاثة لمناوئيل معالجة الكلمات في الذهن حسب طبيعة المسار الذهني المتعلق بـ (أ) الإدراك الأولى في مرحلة ما قبل المعالجة المعجمية أو (ب) مرحلة الاستعادة المعجمية Lexical Retrieval والتعرف على الكلم في حالة الأداء الاستقبالي أو (ج) مرحلة الانتقاء المعجمي أثناء الأداء الإنتاجي.

أ- مناوئيل ما قبل المعالجة المعجمية Prelexical Processing Models

هي مناوئيل خاصة بالقناة السمعية أو بالقناة البصرية تقترح تفسيراً لكيفية التقاط السمات Feature Detectors المكونة لصورة معينة، وهذه السمات تكون في شكل خطوط وحدود خاصة بكل صورة تبعث من الأجسام في شكل موجات طاقية^٦. والملاحظ في المستوى البيولوجي هو اشتراك الشبيهات في الخصائص العامة لمنوال اللوافط Template Matching المتمثلة في التقاط العين للصورة ثم إرسالها إلى المركز العصبي حيث تقع مقارنتها بأنساق Patterns مخزنة في الذاكرة يسمى بها المختصون قوالب^٧ Templates. وعلى نحو مشابه بُنيت المناوئيل الخاصة بالقناة السمعية مع اعتبار الفارق النفسي والعصبي بين الحاسطين.

ب- مناوئيل التعرف على الكلم Models of Word Recognition

يرى البعض أنَّ المناوئيل المعجمية المدخلة أي المناوئيل الذهنية الخاصة بالمعجم تُصنَّف حسب المهام وحسب طبيعة المعالجة الذهنية إلى مجموعتين أساسيتين هما ماناوئيل التعرف ومناوئيل الانتقاء، أمّا ماناوئيل ما قبل المعالجة المعجمية فمجاها

العرفان العام، وهي ليست خاصة بالعرفان اللغوي لأنّ لواقط المعلومات تتعامل مع المحيط العرفي عامّة، وتلتفت المعلومات اللغوية وغير اللغوية على حد سواء. وهذه الحقيقة تدعم المبدأ العرفي العام القائل بعدم انفصال الملكة اللغوية عن سائر الملكات العرفانية الأخرى.

يبدو التعرّف على الكلم في ظاهره مسألة بسيطة؛ إذ يكفي أن يُسجّل المتلقّي الكلمة ويجزّئها إلى مقاطع ويبحث عنها في مستودع الألفاظ في الذهن؛ غير أنّ هذا التصور البسيط لا يتناسب مع الواقع النفسيّ ومع الظروف الطبيعية للتواصل؛ إذ من الممكن أن يتبع المتلقّي سيل المقاطع الذي يبلغ حوالي عشرين (٢٠) مقاطعاً في الثانية ثم إنّ المقاطع قد تتدخل وتتعامل صوتيّاً فيكون بعضها عرضة لتحريرات نطقية كبيرة.

والأقرب إلى الواقع النفسيّ حسب بعض مناوئي التعرّف هو التعامل التقريريّ عن طريق التخمين انطلاقاً مما يسمّعه المتلقّي من مقاطع، فيعرض ما يسمعه على معجمه الذهنيّ ليختار من بين عناصره المرشّح الأنسب في ضوء ما تقتضيه مطابقة الكلمات المسمووعة للمعاني المقصودة. وهنا توجد مقاربتان: مقاربة «الكلمة كلمة» ومقاربة «سباق الخيول»، في الحالة الأولى يختبر المتلقّي الكلمات واحدة بعد الأخرى طبقاً للمنوال التسلسلي المنظوميّ، وفي الحالة الثانية تؤخذ الكلمات دفعة واحدة بصفة تفاعلية متزامنة وكأنّها في سباق ثم تقع معاجلتها بصفة متوازية، ومن الدارسين من يقترح الجمع بين المقاربتين^{٢٨}.

ومناوئي التعرّف أنواع منها منوال المفرزة أو الكتيبة الذي قدمناه ضمن المناوئي المباشرة ومنوال المعالجة بالتوالي Parallel Processing Model، ومنوال التسلسلي Serial Model وهو من المناوئي غير المباشرة الخ.

ج- مناوئي انتقاء الكلم Models of Word Selection

يؤكّد بعض الدارسين أنّ عمليّة الانتقاء المعجميّ غير عمليّة الوسم الصوتيّ، فالعنور على الكلمات يقتضي أولاً انتقاء المعنى الأساسيّ وقسم الكلام الذي يناسبه، وهو ما يكونان معاً ما يعرف باللّمة Lemma^{٢٩} أو الجذع حسب بعض الترجمات، ثم

يلي ذلك البحث عن «الأصوات التي تكسو تلك اللّمة»^{٣٠}. وهذا التقسيم الثنائي لطوري الانتقاء تأكّد وجاهته من خلال حالات تعثر الإنجاز الكلامي أو ما يُعرف بظاهرة «طرف اللسان»، أي من خلال انتقاء اللّمة مع عدم العثور على الشكل الصوتي المطابق لها، وهذا الموقف يعبر عنه المتكلّم عادة بعبارات من قبيل: «الكلمة على طرف لساني ...»، لكنّه يجد صعوبة في استحضارها.

وأبرز لغز حاولت مناوبل الانتقاء^{٣١} الإجابة عنه يمكن تلخيصه في السؤال التالي: ما الذي يحدث في الذهن عندما يتتقى المتكلّم مفردة معينة؟ فعلى سبيل المثال، يستعير منوال الوثب فوق الأحجار Stepping-Stone Model لوضعية المتكلّم وهو يتتقى الكلمات، وضعية شخص يعبر مياه النهر بالوطء فوق الأحجار فيثبت ساقيه (أو ساقه) على الحجر الأول قبل أن يَثِب إلى الحجر الموالي، وهو بذلك يُنهي كلّ طور من أطوار العبور قبل أن يبدأ الطور الموالي. على هذا النحو يتصرف المتكلّم عندما يتتقى اللّمة قبل أن يتتقى الشكل الصوتي المطابق لها، ويفترض أصحاب هذا المنوال وجود علامة^{٣٢} في الطور الأول تشير باتجاه الطور الموالي^{٣٣}. لكنّ منوال «شلال الماء» وهو منوال تفاعلي متوازن، لا يفصل بين الطورين ولا يشترط انتقاء سلسلة الأصوات بعد الفراغ من انتقاء اللّمة، وإنما يسمح بالتفكير في المعنى أثناء انتقاء الأصوات ويأخذ في الاعتبار إمكانية تعديل عملية الانتقاء في ضوء المعلومات السياقية الجديدة التي قد تعدل مسار المعالجة الذهني، وهو ما يعني أنّ البيانات التي يقع تنشيطها في طور سابق تظل سارية المفعول في الطور الموالي.^{٣٤}

نلاحظ من خلال عيّنات المناوبل المعجمية التي استعرضناها تنوعاً حسب طبيعة المسار العرفاي والخلفيات النظرية والمنهجية، بعض المناوبل منظومي وبعضها الآخر ترابطي تفاعلي، ثم إنّ المناوبل التي تشتراك في الخلفية النظرية وفي بناء المسار العرفاي نفسه وفي طبيعة المخرجات قد تختلف في بناء الآليات الداخلية للمنوال؛ ومن هنا اختلفت الاستعارات المختارّة لتسمية المناوبل، وهو اختلاف راجع كذلك إلى طبيعة المولدة باعتبارها حاكاة تقريبية للواقع النفسيّ قائمة على التكهن والتخيّل. ولئن كان لكلّ منوال نقاط ضعفه ونقاط قوّته فإنّ كلّ منوال جديد يعتبر إضافة مهمة في وصف جوانب غامضة من المعجم الذهني، ويُعتبر خطوة إلى الأمام تسهم في تعميق فهمنا للمعجم وللمملكة اللغوية عامة.

٤- نحو منوال محوّب يستثمر مكتسبات التقاليد المعجمية

إن المطلع على تقنيات صناعة المعاجم العربية القديمة يلاحظ أن الصناعة المعجمية التقليدية، على بساطتها الظاهرة، تقوم على انسجام ضمني أساسه حدوس اللغويين التي تسعى ضمنيا إلى محاكاة الذاكرة المعجمية الجماعية واستبطانها بطريقة لاذعة؛ والثابت لدينا من خلال قراءة بعض المصنفات المعجمية أن المعاجي (صانع المعاجم) عندما يضع المدخل يبدو حريضا على إبراز سماته الإفراديّة قصد تمييزه تمييزا واضحا من المداخل الأخرى ولا سيما القرية منه شكلا أو معنى، وذلك بتقديم كل المعلومات الالزامـة للتعرـف عليه أو استعمالـه استعمالـا يطابـق سنـن اللـغـة ويستجـيب لـقتـضـيات التـداولـ.

والانطباع العام الحاصل من خلال استقراء عينـات من المعاجم العربية هو أن واضعيـها - على ما بينـهم من اختـلافـات جـزـئـية في منهجـات الـوضع - يلتـقـون أـثنـاء التـوثـيق المعـجمـي في مراعـاة الشـروـط التـالـية:

- **الإفراد المعجمي:** تخصيص مدخل لكل شكل معجمي - كلمة أو متلازمة - تتوفـر فيه سمة التـفرد بمـدلـولـ معـجمـي يـخـتـصـ به دونـ غـيرـه.
- **الكافـيـة الوـصـفيـة:** يـسـعـي مؤـلـفوـ المعـاجـمـ إلى تقديمـ أـقصـىـ ما يمكنـ منـ البـيـانـاتـ الـلـغـوـيـةـ وـالـمـوـسـوـعـيـةـ وـالـتـدـاوـلـيـةـ الـلـازـمـةـ لـتـخـصـيـصـ المـدـخلـ المعـجمـيـ وـجـعـلهـ مـفـهـومـاـ وـقـابـلاـ لـإـعادـةـ الـاستـعمالـ طـبـقاـ لـماـ تـقـضـيـهـ مـعـايـرـ الـاسـتـعمالـ الـلـغـوـيـ.
- **النجـاعةـ الـلـغـوـيـةـ:** تـحرـيرـ النـصـوصـ المعـجمـيـةـ بـلـغـةـ وـاصـفةـ خـاصـةـ بـالـصـنـاعـةـ الـمعـجمـيـةـ تـجـمـعـ بـيـنـ دـقـةـ التـمـثـيلـ وـالـاقـصـادـ فـيـ الـمـوـادـ.
- **وـحدـةـ الـمـنهـجـ:** تـقـومـ الصـنـاعـةـ الـمعـجمـيـةـ عـلـىـ جـمـلةـ مـنـ الـمـبـادـئـ الـمـنـهـجـيـةـ الضـمـنـيـةـ الـتـيـ تـبـدوـ شـبـهـ موـحـدةـ فـيـ عـرـضـ الـمـادـلـ وـتـشـكـيلـهـاـ وـوـصـفـهـاـ لـدـىـ الـمـؤـلـفـ الـواـحـدـ أـوـ عـنـ جـلـ الـمـؤـلـفـينـ.

بناء على ما لاحظناه يمكن أن نسلـمـ بـوـجـودـ منـوـالـ معـجمـيـ خـفـيـ اـتـّـبعـهـ الـلـغـوـيـونـ العربـ وـتوـاضـعـواـ عـلـيـهـ ضـمـنـيـاـ.ـ وـهـوـ منـوـالـ تـوـفـرـ فـيـ شـرـوطـ الـوـاقـعـيـةـ الـنـفـسـيـةـ

والنجاعة الوصفية لأنّ المعاجم^{٣٥} لا يصف ما سمعه من كلام العرب وما جمعه من المعاجم الأخرى بصفته متلقّياً فحسب، وإنّما يصف ما سمع وجّه وكأنّه يستحضره من ذاكرته المعجمية فيستدعيه باعتباره متكلّماً أيضاً؛ وهذا من شأنه أن يجعل المتلقّي يقرأ الشروح المعجمية فيستبطنها متمثلاً جلّ خصائص المدخل الدلالية إضافة إلى خصائصه الشكليّة السياقية المتعلقة بالتطريز الصوتي وبالتعليق التركيبي وخصائصه الجدولية التي تشمل العلاقات الاستئقاقيّة والانتظام الجذري بين المداخل التي تتّمي إلى حقل استئقاقي واحد وهو انتظام يمكن أن يعكس التمثيل الذهني الذي يتعامل مع الجذور باعتبارها وحدات لغوية مخزنة في الذاكرة منفصلة عن القوالب الصارفية^{٣٦} ولا شكّ أنّ هذا الضرب من المناوئل سيكون مختلفاً عن المناوئل الصارفية الخاصة باللغات اللصقية أو السلسلية Concatenative مثل اللغات الأوروبيّة سيما بعد أن قدّمت بعض الدراسات^{٣٧} أدلة اختبارية مستمدّة من أخطاء مريض بالحُسْبة تثبت وجود معجم ذهني خاص باللغة العربيّة يمثل الوحدات الجذرية مكوّناً من أبرز مكوناته.

إذا سلّمنا - بناء على ما تقدّم - بوجود منوال معجميّ ضمنيّ لدى اللغويّين العرب القدماء؛ وإذا صحّ اعتباره منوالاً لا يخلو من محاكاة الذاكرة المعجمية الجماعيّة جاز لنا أن نزعم أنه يمكن أن يكون منطلقاً مناسباً لبناء مناوئل للمعجم الذهنيّ وللمعاجم الآلية تأخذ في الاعتبار خصائص اللغة العربيّة الاستئقاقيّة والتراكبيّة، وذلك بعد إعادة صياغته بصفة صريحّة تستجيب لمقتضيات الشكلة الصارمة التي تقبلها الآلة ويقتضيها بناء المناوئل الهندسيّة المحوسبة. وهذه الحوسنة أو المنولة المشودة تقتضي أولاً رصدًا شاملًا للسمات المعجمية التي اعتمدتها اللغويّون العرب في لغتهم الواصفة.

٤- ١ منوال السمات المعجمية

نسّلّم في هذا البحث بإمكانية بناء منوال وصفيّ صريح للمعجم العربي مستمدّة من عناصره الأساسية من تقاليد الصناعة المعجمية العربيّة، وتحديداً من مداخل المعاجم العربيّة حيث نلاحظ فيها أمرين مهمّين:

أولاً: تحتوي العناصر المكونة للمداخل المعجمية على نوعين من الدلالات:

- دلالات ذاتية **Autonymiques**: أي دلالات المفردات بأبيتها الذاتية على مقولات نحوية أو صرفية أو معجمية، مثلاً يدلّ الفعل أتى بصيغته الصرفية على البناء للفاعل، ويدلّ الفعل جُنَّ على البناء للمفعول، ويدلّ أعلم بصيغته الاستئقاقيّة على الجعل واستعلم على الطلب... ويدلّ المدخل نظارات ذاتياً بصيغته الصرفية على الجمع.. وهكذا لا يحتاج مؤلف المعجم إلى التصريح بمثل هذه المعلومات بعد كل مدخل لأنّها التصريح بها يعدّ حشوًا يتنافى مع نزوع الصناعة المعجمية إلى الاختصار والاقتصاد في المواد.
- دلالات علاقية: أي دلالات تفصح عنها الخصائص التركيبيّة للرؤوس المعجمية الفعلية مثل خاصيّتي التعديّة واللزموم، فمن بنيّة المدخل أتى Ø بمعنى « جاء وقرب » نستنتج أنّ الفعل مقتصر على الفاعل، ومن البنيّة التركيبيّة للمدخل أتى الأمر بمعنى « فعله » نعرف أنّ الفعل متعدّ مباشرة، ومن المدخل أتى عليه كذا بمعنى « مرّ به » ندرك أنّ الفعل متعدّ بحرف الجرّ على؛ ومن المدخل أتى فعلاً فاحشاً أو فاضحاً بمعنى أفحش هو فعل خفيف Light Verb أو فعل عياد يكون جزءاً من متلازمة لفظية تعتبر وحدة معجمية متشرّبة.. وهكذا توفر المدخل الفعلية على معلومات تركيبية دقيقة رأى القدماء أن لا داعي إلى التصريح بها في إطار العبارات الشارحة مadam حضورها الذاتي وتحقّقها في التركيب مغنياً عن الوصف.

ثانياً : تكون المداخل المعجمية في شكل أنساق تركيبية دلالية

تشمل نوعين من المفردات :

- مفردات ذات معنى معجمي ثريّ تتصدر التركيب مثل أتى، أو معمولات للرأس المعجمي الذي ينتقيها حتى تكون قيada دلاليّاً يخصّص معناه ويحدد مجاله المعجمي مثل المرأة في المدخل تسورت المرأة بمعنى لبست السوار، أو الشاة والعنز في قولهم جز الشاة وحلق العنز على اعتبار أنّ الجز يكون في الصوف والحلق يكون في الشعر (ابن فارس، الخصائص)، الخ.

- أسماء عامة مثل الشيء والأمر، وأسماء مبهمة مثل هو، وكتابات من نوع فلان و كذلك، مثال ذلك: أتي الأمر: فعله وأتى عليه كذا: مرّ به...

المطلوب من خلال هذا التشخيص الأولي هو استقراء المعاجم وجرد قوائم في الأسماء العامة والمبهمات وتحديد ما تمثله من سمات معجمية لتكوين معجم مقوليًّا موحد يعتمد واسع المعاجم في لغتهم الواصفة سواءً أكانت لغة طبيعية أو صورية.

ويمكن وضع منهجة واضحة «الترجمة» هذه المفردات - التي تتنمي إلى اللغة الواصفة عند المعاجميين القدامى - إلى سمات مقولية كونية مناسبة للمعالجة الآلية ولمناوييل التحليل الإعرابي Parsers والإحصائي. لكن يجب - قبل ذلك - تفكيك الشفرة المقولية لتلك اللغة التقنية وكشف ملامحها باستقراء المدونة المعجمية العربية استقراء شاملًا. ويمكن توضيح منهجة الاستقراء تلك وما يواجهها من تحديات بفحص سريع لعيّنات من مادة أتى في (١-٢).

إذا انطلقنا من المدخل الرئيس أتى وجدنا المدخل الفعلية المتفرعة عنه جلا هي في حقيقة أمرها أنساق معجمية تركيبية يتصلّرها المحمول أتى مشفوعاً بنوعين من المتعلقات:

- مفردات ذات معنى معجمي ثريّ وهي من صنف الموضوعات أو المخصصات المعجمية.
- وحدات وظيفية ذات معانٍ مقولية مجردة تستوجب رفع الإبهام عنها بالرجوع إلى شواهد من الاستعمال.

النوع الثاني يتواتّر في تحليله لاحقاً (العنصر ٤-١)، أمّا النوع الأول من المتعلقات - أي الوحدات المعجمية الثرية - فتوضيحه في المثالين (١-٢):

(١) أتى الرجل والمكان: جاءه.

(٢) أتى المرأة: باشرها.

يتكون (١) - في حقيقة الأمر - من مدخلين دمجاً اختصاراً في مدخل واحد بما أنَّ المعنى المعجمي الإجمالي واحد وهو حدث «إتيان» أي القدوم والفرق مقتصر على الهدف. ونسوق شاهدين أوّلها على إتيان المكان (٣)، وثانيهما على إتيان الشخص (٤):

(٣) ... وأمّا الفاضل الزهاوي مفتى الحنفية ببغداد فهو من بلدة السليمانية أتى بغداد وسكن بها.^{٣٩}

(٤) ... وفي حديث آخر للشيخ الصدوق أنّ رجلاً أتى أمير المؤمنين فشهد أنه رأى رجلين بالكوفة من المسلمين يصلّيان لصنم.^٤

الرجل والمكان في (١) يعتبران من الأسماء العامة وذكرهما من باب توضيح سياقات الاستعمال الممكنة، لكن التخصيص حاصل في المثال (٢) إذ يمكن إدراجه في إطار ما سماه ابن فارس سنن العرب في كلامها، لأنّ المعنى في قولهم أتى المرأة غير المعنى في أتى الرجل وأتى المكان. وهذه المعاني الخاصة أو الشاذة بمفهوم بلومفيليدها أولوية الرصد في المعاجم.

٤-١ المبهمات والكنايات في المدخل المعجمية

لا تحتوي المدخل المعجمية على أسماء عامة ووحدات معجمية ذات محتوى دلاليٍ ثريٍ فحسب، وإنما تشتمل أيضاً على مبهمات وكنایات وظفّها اللغويّون ضمن تقنيات صناعتهم المعجمية واستعملوها في مداخل معاجمهم محقّقين بها الدقة والاختصار. ويمكن استقراء تلك المبهمات لتحديد مدلولاتها. ولعل أكثرها تواتراً في النصوص المعجمية ضمير الغائب هو، ومثاله في (٥):

(٥) أتى عليه (هـ) الدهر : أهلكه.

يعوّض هو الاسم مفرداً مذكراً؛ ومن المفترض - في غياب المزيد من التخصيص - أن يشمل الضمير العاقل وغير العاقل إذ ييدو لنا من عاداتهم إذا أرادوا تمييز الأسماء، في ضوء مفهوم العاقليّة، استعملوا كلامات مثل الرجل أو فلان للعاقل والشيء والأمر غير العاقل، ويمكن إجراء اختبار للتبّث من إمكانية حضور سمة العاقليّة وذلك بتعريض الضمير في (٥) بمجموعة من المفسّرات في (٦) :

(۶)

أ- أتي الدهر على الطلل / البنيان: هدمه ودمراه...

بـ-أَتَى الدَّهْرُ عَلَى الْقَوْمِ / الْأَقْوَامُ: أَهْلُكُهُمْ وَأَفْنَاهُمْ

ج- أتى الدهر على الرجل : أهلکه ؟؟

يكون مفسّر الضمير هو من غير العاقل طلاً أو نحوه (٦-أ) ومن العاقل قوماً من الأقوام (٦-ب) لكننا قد نتردّد في مقبولية (٦-ج) لأنّ الدهر - وهو الزمن الطويل - قد لا يتناسب مع عمر الإنسان وهو قصير، وإن ورد استعمال الدهر تجويزاً في سياقات أخرى من قبيل «فلان يصوم الدهر» أي كاملاً أيام السنة وهذا راجع لدلول كلمة الدهر.

وعلى العموم يتبيّن لنا في (٦) أنّ الضمير يعود على العاقل وغير العاقل، وهو ما يفهم استلزماماً من اكتفائهم بسمتي الإفراد والتذكير. وفي هذا الاختبار الذي أجريناه دليل كافٌ على اقتصادهم في جهاز الوصف واقتصارهم على السمات المفيدة التي تميّز المداخل وتحصّصها.

والملاحظ أيضاً أنّ كلمة الدهر في (٦) عوّضتها عبارة كذا في المدخل الفرععي (٧):

(٧) أتى عليه كذا: مرّ به^{٤١}

وكذا كناية^{٤٢} بحثنا عن لوازمهما في شواهد من الاستعمال فوجدنا منها (٨):

(٨)

أ- الثنّي من الإبل ما أتى عليه خمس سنين وطعن في السادسة، والثّنّي من البقر ما أتى عليه ستّة وطعن في الثالثة [...] والجذع العظيم من الضأن وهو عند الفقهاء ما أتى عليه أكثر الحول^{٤٣}.

ب- مَنْ أتَى عَلَيْهِ أَرْبَعُونَ سَنَةً فَلَمْ يَغْلِبْ خَيْرٌ شَرَّهُ فَلَيَّجَهَرْ إِلَى النَّارِ^{٤٤}.

ج- هَلْ أَتَيْعَلَى الْإِنْسَانِ حِينْ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُورًا (الإنسان، ١)

د- [...] ما معك من القرآن؟ قال كذا وكذا. قال زوجتكها بما معك من القرآن.
(Hadith^{٤٥}).

نلاحظ أنّ عبارة كذا يمكن أن تكون كناية عن المقدار المحدّد من الوقت (٨-أ) - (٨-ب) أو المدّة غير المحدّدة (٨-ج) أو العدد مطلقاً (٨-د)؛ لكنّها تظلّ - على العموم - كناية عن المجهول وما لا يُراد التصرّيف به كقولهم فعل كذا وقال كذا... وفاعل أي

قد يكون حيناً من الدهر معلوماً أو غير معلوم (٨)، وربما كان جائحة أو كارثة أو ظاهرة اجتماعية وبذلك يقترن المركب الفعلي «أتي عليه كذا»^{٤٥} بمعتقدات معجمية ذات دلالة سلبية نذكر أمثلة منها في (٩) :

(٩)

أ- أتي الانفجار على معظم سيارات الموكب.

ب- أتي الحريق على طوابق المستشفى الستة.

ج- أتي الفساد والاستبداد على الحرف والنسل.

د- انتشار نوع من أمراض النباتات أتي على الكثير من الخضروات المستنبطة^{٤٦}.

هذه، إذن، عيّنات محدودة تُبيّن السبيل التي يمكن أن تسلك - في طور أول - لرصد اللغة الواصفة عند المعاجيّن العرب القدامى على أن تُشفع - في طور ثان - بالكشف الشامل عن طبيعة الجهاز الواصف الذي تواظوا عليه، والتقسيي الدقيق لمهمجيّاتهم في استعماله وتوظيفه، وهو في حقيقته جهاز مقوليٌ يمكن أن يشكّل لبنة أساسية لبناء مناويل معجمية عربية صريحة تتماشى مع مقتضيات الأنساق المعرفية الجديدة ومتطلبات الصناعة المعجمية الحديثة، سواء أكانت هذه المناويل عرفانية تسعى إلى تمثيل المعجم الذهني وأدوات اشتغاله في علاقة بالملكة اللغوية عامّة أو مناويل حاسوبية هدفها تحاكاة الأنشطة الذهنية أو المعالجة الآلية للبيانات اللغوية في اللسان العربي. وفي كلتا الحالتين تتعمّي هذه المناويل المنشودة إلى العلم العرفاني وأهمّ مكوناته كما هو معلوم الذكاء الاصطناعي واللسانيّات العرفانية وعلم النفس العرفاّي.

ملاحظات ختامية

لقد حدث تطوير كبير في مجال الصناعة المعجمية من حيث التقنيات والأهداف.

فبعد أن كان هدف المعاجم التقليدية الرئيس هو التوثيق صار هدف المعاجم الحديثة يتجاوز ذلك إلى المعاجلة الآلية وتطبيق النظريات المعجمية في ضوء ما حدث من مستجدّات في مستوى الذكاء الاصطناعي والنظريات اللسانية الحاسوبية والعرفانية. ثم أصبحت الممنولة شرطاً ضرورياً لدراسة المعجم الذهني وتحقيق الكفاية التفسيرية لجوانب غامضة من الملكة اللغوية. بل أصبح من الديهي القول إن كل نشاط معجمي ذهني قائم بالضرورة على آليات عرفانية قابلة للممنولة، وكل نظام معجمي أو بنك بيانات معجمية يحسّد بالضرورة منوالاً لسانياً أحکم بناؤه على أساس قابلة للتبرير العلمي.

غير أن هذا التطور الكبير الحاصل في مستوى النظريات والتطبيقات لا يجب أن يحول دون الاستفادة من المدونة المعجمية التقليدية، وإعادة النظر في تقنيات الصناعة المعجمية عند القدامى عساها تكون منطلقاً جيداً للممنولة والشكلنة. فالانطلاق من اللغة الواسعة في المعاجم القديمة يمكننا من توظيف الجهاز المقولي المستمدّ من خصوصيات اللغة العربية ويُجنبنا استعمال جهاز مقولي بعض مكوناته مستمدّ من لغات هندية أوروبية تختلف في بُنائها اللغوية^{٤٧} وأصولها الوراثية عن اللغات السامية. وبذلك يُبني المستقبل العلمي والتكنولوجي للغة العربية على ماضيها العريق في صناعتي النحو والمعجم.

الهوامش:

١ العالم الواقعي كما يفهمه العرفانيون يتسع ليشمل الواقع والأحداث الذهنية.

.Lave & March, 1993 : ٣

٣ المجدوب، ٢٠١٩ : ١٦

٤ من أنواع المناويل نذكر: - المناويل البيانية: مثل الخرائط والرسوم (الصورة منوال للواقع كما يقول فتنشتاين) - المناويل الرياضية: تمثل الواقع بمعادلات ورموز رياضية - المناويل المحسّنة أو الحقيقة Scale Models: تمثل الخصائص الظاهرة من الأشياء : مجسم جسر أو سيارة أو منزل - مناويل الظواهر : يمثل ظاهرة معينة مثل مناويل التواصل ومناويل المناخ ومناويل الاحتباس الحراري... - المناويل التّماثيلية analogical مثلاً الحاسوب هو منوال يحاكي الذهن البشري - المناويل الإحصائية: مجموعة من المقاييس التي تضبط احتمالات انتشار العينات في الفضاء - المناويل الظاهرة : لا تستند إلى نظرية وتكتفي بتمثيل المستوى الظاهر من الأشياء - المناويل المؤمّلة : الأمثلة هي تبسيط مدروس لشيء معقد يُراد جعله قابلاً للطرق والمعالجة...

٥ غلغان، ٢٠١٠ ، المجدوب، ١٩٩٨ ...

٦ جاء المصطلح في نظرية إنشاء النحوى للكون بمفهوم القالب التركىي مثل منوال [...] إن...] وهو مفهوم موجود في اللسانيات البنوية بالخصوص.

.Oldfield, 1966 ٧

.Chomsky, 1965 ٨

.Bonin, 2004: vii ٩

.Glanzer & Ehrenreich, 1979 ١٠

.80-Aitchison, 2003 : 75 ١١

.Aitchison, 2003 : 76 ١٢

١٣ نفسه.

١٤ Aitchison, 2003: 76

١٥ نفسه، ص ٩٤, ٩٤.

١٦ نفسه، ص ١٠١.

١٧ من هذه المناويل المعجمية ذكر: مناويل النفاذ المعجمي Lexical Access - مناويل القرار المعجمي Lexical Decision Task Models - مناويل الانتشار المعجمي Lexical Diffusion Models - مناويل المُحلّلات المعجمية Lexical Analyzer Models - مناويل الإفراد المعجمي Lexical Models of Individuation - المناويل الدلالية المعجمية Acoustic and Lexical Semantic Models Models

Bolshakov & Gelbukh, 2004: Computational Linguistics: ١٨
.Models, Resources, Applications

.Meaning-Text Theory ١٩

Head Driven Phrase Structure Grammar ٢٠

٢١ المَفْرِزة أو الكتيبة استعارة تعني في الأصل مجموعة من المحاربين في الجيش الروماني متظاهرة في صفوف متعاقبة تقلل أعدادها تدريجياً وصولاً إلى القائد في مقدمة الجيش.

٢٢ ... Becker, 1979 ; Norris, 1986 ; Paat et alii, 1982

.Serial Search model, Garman, 1990 : 266 ٢٣

.57-Randall, 2007: 55 .20-Garrod & Pickering, 1999:19 ٢٤

.٢٤٤-٢٤٥: ٢٠١٤ ، علوى، الملاخ ٢٥

.Morrone & Burr, 1988 ٢٦

https://www.zeepedia.com/read.php?pattern_recognition_template_matching_models_human_flexibility_cognitive_psychology&b=85&c=14

.231-Aitchison, 2003 : 230 ٢٨

٢٩ اللّمّة (أو الجذع) هي الشكل المعجميّ الأصليّ الذي يقبل التحليل إلى معنى أساسيّ وانتهاء مقوليّ إلى قسم من أقسام الكلام . وقد ترددنا في استساغة هذا التعريب الصوتي لمصطلح Lemma ثمّ وجدنا له حفازاً دلاليّاً بعد إرجاع الشكل الصوتي إلى معنى اللّم في العربية لأنّ الأمر في مستوى العرفان، متعلّق بضرب من اللّم لشّتات المعنى بواسطة العضو الذهنيّ، وهو ما يتتحقّق على ما يبدو، في منطلق المسار الذهنيّ، بتحديد المعنى الأساسيّ وقسم الكلام الذي يناسبه.

.Aitchison, 2003 : 220 ٣٠

٣١ من هذه المناويل نذكر: منوال الشلال المائي Waterfall Model والمنوال الكهربائي المفصل Elaborate Electricity Model

٣٢ لم توضّح هذه المناويل طبيعة القرائن المشيرة Pointers وهي في تقديرنا ذات طبيعة دلالية تصريفية. فالانتقال من طور إلى طور في منوال الأحجار يحدّده ويوجّه المحتوى الدلالي وما يقتضيه من تركيب صوتيّ صرفيّ إعرابيّ.

. ٣٣ أتشيسون، ٢٠٠٣ : ٢٢١ .

.55-Berman, 2004 : 54 ٣٤

٣٥ نقصد به واضح المعاجم.

٣٦ الملاخ، علوى ، ٢٠١٤ : ٢٤٩ .

.Prunet, Béland, Idrissi, 2000, 2008 ٣٧

.Milner, 1989 : 331 ٣٨

٣٩ الحيدري، إبراهيم، عنوان المجد في أحوال بغداد والبصرة ونجد، دار الكتب العلمية لبنان، ١٩٧١ ، ص .٨١

٤٠ الكاش، علي، اغتيال العقل الشيعي، إصدارات إي كتب ، لندن، ٢٠١٥
ص ٤٠٤.

٤١ المعجم الوسيط، مادة (أ. ت. ب. ي).

٤٢ الحمزاوي، محمد ، الفوائد البهية في القواعد الفقهية دار الكتب العلمية
بيروت ، ١٩٧١، ص ٢٢٦.

٤٣ الشوكاني ، محمد بن علي ، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، دار
الكتب العلمية ، ص ٨٧٠.

٤٤ السندي، أبو الحسن نور الدين، صحيح البخاري بحاشية السندي، دار
الكتب العلمية، ج ٣، ١٩٧١، ص ١١٤.

٤٥ نلاحظ في مداخل أتى وجود تناغم دلالي Semantic Prosody سلبي بالنسبة إلى المتواالية «أتى على»، وتناغم دلالي إيجابي بالنسبة إلى «أتى» في عبارات مثل «أتى أكله وأتى ثماره» وكذلك في «أتى ب» : كما في الشاهد: «يبدو أن العمل الشاق قد أتى بنتائج عظيمة»..

٤٦ الشواهد المذكورة من النت (متضمن قوائق).

٤٧ تقدّم الدرس اللساني في مستوى الكليات لا يتنافي مع العناية بالخصوصيات بحكم أهميتها في الوصف اللساني وفي المعالجة الآلية للألسن (انظر المسعودي ، عبد العزيز ، ٢٠١٦).

المراجع العربية:

- الشريف ، محمد صلاح الدين، الشرط والإنشاء النحوي للكون، كلية الآداب منوبة، ٢٠٠٢.
- الشكيليّ، بسمة بلحاج رحومة، المنوال البلاغي العربي من البناء القائم إلى البناء الممكن، مخبر نحو الخطاب وبلاغة التداول ، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة ، ٢٠١٤ .
- علوى، حافظ إسماعيلي ، الملاخ ، الحمد، المعجم الذهني والتقييس الحاسوبي، في «المعجمية العربية قضايا وأفاق» ، إعداد وتقديم متصر أمين عبد الرحيم ، حافظ إسماعيلي علوى ، الجزء الثاني ، الطبعة الأولى ، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ٢٠١٤ .
- غلavan، مصطفى، الملاخ احمد، علوى، حافظ إسماعيلي ، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي ، علم الكتب الحديث، ٢٠١٠ .
- ابن فارس، أحمد بن زكريا، الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ، ١٩٧١ .
- المجدوب، عز الدين، مفاهيم دلالية ولسانية لوصف العربية، جامعة القصيم ، ٢٠١٩ .
- المجدوب، عز الدين، المنوال النحوي العربي، كلية الآداب سوسة ، دار محمد علي الحامي ، ١٩٩٨ .
- المسعودي، عبد العزيز، تفضية الزمان بين الكونية العرفانية والخصوصية الثقافية، حوليات الجامعة التونسية ، ع. ٢٠١٦ ، ٦١ .
- مجع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، الطبعة الرابعة، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤ .
- ميلاد، خالد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، دراسة نحوية تداولية، جامعة منوبة ، المؤسسة العربية للتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ .

المراجع الأجنبية

- Aitchison, J. 2003: Words in the Mind: An Introduction to the mental Lexicon, Blackwell Publishing.
- Al-Dala'ien, O. & Mudhsh, B.& AL-Takhayinh, 2015: Mental Lexicon: A Conceptual Framework, International Journal of Scientific and Research Publications, Volume 5, Issue 5, May 2015.
- Berman, R. 2004: Language Development across Childhood and Adolescence, Benjamins Publishing Company.
- Bolshakov, I. & Gelbukh, A. 2004: Computational Linguistics: Models, Resources, Applications, Instituto Politécnico Nacional.
- Bonin, P. 2004: Mental Lexicon “Some Words to Talk about Words”, Nova science Publishers, New York.
- Garman, M. 1990 : Psycholinguistics, Cambridge University Press.
- Garrod, Martin J. Pickering, Simon, 1999: Language Processing, Psychology press, UK.
- Glanzer, M., & Ehrenreich, S. L.1979: Structure and Search of the Internal Lexicon. Journal of Verbal Learning and Verbal Behavior, 18, 381-398.
- Handke, Jurgen. 2012: The Structure of the Lexicon: Human versus Machine, Walter de Gruyter.
- Harley, Trevor, 2004: The Psychology of Language: From Data

to Theory, Psychology Press, New York.

- Lave, A. March, G. 1993: An Introduction to Models in the Social Sciences, University Press of America.
- Milner, J.C. 1989 : Introduction à une Science du Langage, Paris, Seuil.
- Morrone, Concetta & D. C. Burr 1988: Feature Detection in human Vision: a phase-dependent energy model, Proc. R. Soc. Lond.B.235, 221-245.
- Oldfield, R.C. (1966): Things Words and the Brain, Quarterly Journal of Experimental Psychology.
- Prunet, J-F, Béland, R. and Idrissi A. (2008): On The mental Representation of Arabic Roots, Linguistic Inquiry, vol. 39, no 2: 221-259.
- Prunet, J-F, Béland, R. and Idrissi A. (2000): The mental representation of Semitic words, Linguistic Inquiry 31: 609-648.
- Randall, M.2007: Memory, Psychology and Second Language Learning, Benjamins Publishing Company.
- Watkins, Amie: Accessing the Mental Lexicon, SILO. TIPS.
- <https://silo.tips/download/accessing-the-mental-lexicon>
- Yuanwen, L. (2017): A Corpus Study of Collocation in Chinese English Learners, Routledge.

تسكين اللغة: (إشكالات المنطوق والمكتوب في اللسانيات الحديثة)

د. عزمي محمد عيال سلمان^(١)

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تناول نظام الكتابة بوصفه أحد أهم العوامل الثقافية في تشريح اللغة وتسكينها، وقد تبيّن للباحث أن العقل يميل لحظة تكوين ثقافة ما إلى أن يبني أمامه صورته الخاصة، وإنَّ هذا ليظهر بالمعنى الحقيقي في الجهد الذي يبذله كي يُدخل الوحدة في كل ما هو مُختلف ومُتعدد. وهكذا فإنَّ جوهر وجود الكتابة، بوصفها مُنجزاً ثقافياً، هو إدخال الوحدة على كل ما هو مُختلف ومُتعدد في أصوات الكلام المنطوق، وإنَّ التغيير الصوقي الذي يخضع له الكلام، بعد ذلك، نادراً ما يُغيِّر من هذا المنسج الثقافي، بل إنَّ هذا التغيير الصوقي الذي يتعدَّ بالصورة المنطقية عن الصورة المكتوبة عادة ما يُنظر إليه على أنه خراب ناطقي، ولذلك فلا بدَّ من تسكين اللغة بإخضاعها لسلطان الحرف المكتوب للحد من هذا الخراب اللاحق بها، وهذا مظاهر الانتصار للصورة المكتوبة على الصورة المنطقية قبل أن تظهر اللسانيات الحديثة. وقد كشف سوسير عن هذا الخلل المنهجي الذي وقع فيه النحاة وعلماء اللغة من قَبْلِه، ويَبيَّن في تحليلات دقيقة أثر الكتابة في العمليات اللغوية محاولاً بذلك أن يُعيِّن فوائدتها وعيوبها وخطورتها. وحتى يستقيم المنهج كان على سوسير أن يُحدِّد موقع الكتابة الحقيقي من اللسانيات، فهذه المسألة لم تُقيِّم بجدية قَبْل سوسير، وقد تمَّ تجاهلها من النحويين وفلاسفة اللغة، أو بالأحرى لم يَتبَهُوا الآثارها البعيدة في العلم الذي يدرسونه. وقد انتهت الدراسة إلى أن اللسانيات الحديثة، وهي تُفصل بين هيئة الكلام المنطوق وشكل اللغة المكتوب، قد جعلت من الأول وسطها الطبيعي الذي لا يحق لها التحرك إلا في مجاله.

١- أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية. كلية العلوم والآداب. جامعة نجران. المملكة العربية السعودية.

Abstract:

This study aims to address the writing system as one of the most important cultural factors in the stabilization of language. It will be found that the mind, in its attempt to build its own image, tends to form a culture. This is indeed shown in its effort to bring unity into everything that is different or multiple. Thus, the essence of writing, as a cultural achievement, is to bring unity into the different and multiple sounds of spoken speech, and the phonetic change to which speech is subjected rarely affects this cultural achievement. A spoken image of a written image is usually seen as a rhetorical devastation, so it is necessary to soothe language by subjecting it to the authority of the written graph in order to reduce this subsequent devastation. This is a manifestation of the triumph of the written image on the spoken image before the emergence of modern linguistics. Saussure revealed this systematic imbalance in which grammarians and linguists have fallen. He precisely analyzed the impact of writing on linguistic processes in an attempt to identify its benefits, disadvantages and importance. To correct the method, Saussure had to determine the true status of writing. However, this issue was not properly evaluated by him, and was ignored by grammarians and philosophers of language; or rather they did not pay attention to its distant impact on the science they study.

مقدمة

لا يوجد اليوم في اللسانيات الحديثة أي نزاع نظري كبير بين من يُريد أن يفسّر عملية التغير اللغوي من وجهة نظر واحدة، كأنْ يرى أن العوامل الداخلية هي السبب في تغير اللغة فقط، أو أن يفسّر العملية مبرزاً الظروف الخارجية دوماً. فاللسانيات البنوية تتحدث بكل تقدير عن المبادئ الذاتية لتغير اللغة: (مبدأ الاعتراضية ومبدأ الاختلاف ومبدأ القيمة)، غير أنها نجد أيضاً أصواتاً أخرى تتحدث عن حالات تكون فيها المبادئ الذاتية غير كافية، فتذهب إلى أنه منها رفعتنا من شأن تلك المبادئ فإنها لن تصل إلى أن تكون مجموعة وصفات تسمح بتفسير كل شيء انتلاقاً من أي شيء^(١).

ولهذا فإننا نجد هذه الأصوات قد حضرت عملية التغير اللغوي في الظروف الخارجية، وجعلت منها عوامل تتَحدَّد لتخلق شدَّ أو تار بين ما يُسميه (باحثين) بـ(قوى اللغة الجاذبة) و(قوى اللغة الطاردة). فتشمل القوى الجاذبة العوامل الثقافية والسياسية والمؤسساتية التي تسعى إلى فرض نظام شفري واحد أو نوع من السكون على اللغة في الاستعمال، وتُعدُّ هذه العوامل قوى جاذبة؛ لأنها تُجبر المتكلمين على اعتقاد هُوية لغوية مُوحَّدة. وأما القوى الطاردة فتشمل العوامل الاجتماعية والبيولوجية التي تدفع المتكلمين خارج المركز الواحد ونحو التنوع والاختلاف، ويُمثل هذه القوى، بشكل انتيادي، الناس الذين نجدهم جغرافياً وعددياً واقتصادياً في محيط النظام الاجتماعي^(٢).

وقد سعت هذه الدراسة التي نضطلع بإنجازها إلى تناول أهم عامل ثقافي يقف بين تغير اللغة وثباتها، وهو نظام الكتابة، فالكتابية تحاول دائمًا إقناعنا، نحن مستخدموها، بقيمتها عبر إظهار ذاتها كنظام مُحدَّد يُسكن الكلام المنطوق في حالة من الكينونة الثابتة؛ نظام يقبض على المنطوق بتحويله إلى شيء مرئي وملموس؛ بتحويله إلى حَجَر أو جلد أو ورق.

وهذا تعين ثقافي لا يتواافق مع طبيعة اللغة الراسخة، فهو يحجب ضمن غطاء مُغلق تطور اللغة وتغييرها، فكل استعمال للكلام يُرهن على تغيير دائم ليس لنظام الكتابة قدرة على محارتها وتمثيله. فاللغة لها قدرة الانقلاب الذاتي على كل تعين لأي

هوية راسخة أو مفروضة تحاول حجب الواقع، ولا يُستثنى من ذلك الأمر التعين الذي يفرضه نظام الكتابة على هوية اللغة.

فعلى الرغم من التصالح الدائم بين شكل اللغة المنطوق وشكلها المكتوب منذ بضعة آلاف من السنين، إلا أن اللغة اليوم تنقلب على هذا الوضع مع ظهور تقنيات جديدة أكثر أمانة في تعين هويتها. وسند اللغة في ذلك هو اللسانيات الحديثة التي ترى في شكل اللغة المنطوق، ضمن أي غطاء يشف عنده، هو الوسط الوحيد لأي إجراء أو دراسة تتغياً الوقوف على عمليات اللغة الطبيعية.

وقد استقت هذه الدراسة محدداتها، وهي تبني موضوعها، من دروس سوسير في الألسنية العامة، ففي الباب السادس المعنون بـ(تمثيل اللغة بواسطة الكتابة) يشير الفصل الأول منه إلى ضرورة دراسة هذا الموضوع، فالكتابة وإن كانت في حد ذاتها لا تمت إلى نظام اللغة الداخلي بصلة، فإنه يستحيل علينا أن نُسقط من حسابنا هذه الطريقة التي تصور بها اللغة على الدوام، فيُصبح من الضروري إذاً أن نعرف فائدة الكتابة وعيوبها ومخاطرها. ومن الجدير ذكره أن الباحث وهو يتبع دور دروس سوسير في إثارة هذا الموضوع في الدراسات العربية، فإنه لم يقف، بحسب اطلاعه، على دراسة حديثة تكفلت ببيان إشكالات الكتابة في الدرس اللساني المعاصر، ومن هنا كان لزاماً على الباحث أن يفرد هذه الصفحات لتناول جوانب متعددة من الموضوع.

وبالاتكاء على المنهج الوصفي التحليلي، حاولت الدراسة ضمن أهدافها المتعددة الإجابة عن مجموعة من الأسئلة التي يمكن صياغتها على النحو الآتي: ما هي السنائد التي تحول إليها قناة اللغة (السمعية - الشفهية) لتوسيع شرطها التواصلي؟ ولماذا يُعدُّ السند الكافي أكثرها أهمية؟ وما هو الفرق بين الكلام المنطوق والشكل المكتوب من حيث تمثيل اللغة؟ وما الأثر الذي يتركه استعمال الكتابة على الوسط المنطوق؟ وهل هناك أسباب علمية لتبجيل الكتابة وتفضيلها على هيئة اللغة المنطقية؟ وكيف للكتابية أن تكون تحليلاً أولياً للغة؟ وكيف قامت الكتابة بإعطاء دفعٍ حاسم

للبحث النحوي؟ وهل تُشكّل الكتابة خطراً على هيئة اللغة المنطقية؟ ولماذا لا تُدرج اللسانيات المعاصرة اليوم شكل اللغة المكتوب ضمن مواضعها الأساسية؟ وغير ذلك من الأسئلة الأخرى التي إن استطاعت الدراسة أن تُجيب عنها جميعها، فإنها ستكون بذلك قد حققت الغاية التي وُضعت من أجلها، والله ولي التوفيق.

١. سَنَادُ اللِّغَةِ الْمُحَوَّلَةِ:

هنا لك شيء يُميّز اللغة بحد ذاتها، وهي حقيقة أن اللغة كنظام يمكن أن تتمايز عن أي نظام تواصلي آخر بقدرتها على التحوّل، فاللغة البشرية لا تبدو مرتبطة ارتباطاً لا فكاك منه بخصوصيات القناة السمعية الشفهية؛ إذ إن الظاهرة الأشد إثارة للدهشة في اللغة تمثل بوجود سَنَادَ مُحَوَّلَةً لقناتها الطبيعية، ويُقصد بذلك كل تحول يطرأ على سند سمعي شفهي لصالح سند آخر، وذلك من أجل توسيع الشرط التواصلي، لكن من غير ضمانات تحفظ اللغة هويتها وخصائصها الطبيعية.

ومن هذه السَّنَادَ الْمُحَوَّلَةِ ما يَسْتَعْمِلُ جسم الإنسان مع الإبقاء على السند السمعي الشفهي، مثل التحويل إلى لغة الصفير، ومنها ما لا يُبقي على هذا السند، مثل التحويل إلى لغة الحركة. وتمثل النقطة الأساسية بإمكانية التحويلات التي لا تستمر في استعمال جسم الإنسان على غرار لغة الضرب على الطبول أو إشارات الدخان أو أعمدة إشارات المرور. وقد عرف العالم الحديث ازدياداً في السَّنَادَ الْمُحَوَّلَةِ بهدف التواصل عن بعد، وتمثل بسنادات تماثلية، كتغيرات شدة التيار الكهربائي التي استعملت في الهواتف الأولى، وتلك المتعلقة بأمواج الراديو أو الأمواج الرقمية، كالمورس الذي يُعدُّ في الواقع ترميزاً للكتابة، وتقنيات ترميم الصوت التي تتجاوز بصورة كبيرة حدود اللغة، وهي اليوم الأسرع انتشاراً^(٣).

ومن بين هذه السَّنَادَ الْمُحَوَّلَةِ هنا لك السند الكتائي الذي يُعدُّ بلا جدال الأكثر أهمية، ليس لأنه يستعمل ثنائية الأبعاد للمكان المُسْطَح فحسب، وإنما كذلك لأنَّه يُمثِّلُ السند الأول الذي أتاح للكلام البشري أن يبقى ويدوم خارج وجود قائله. وفي الحقيقة إن خبرتنا الأساسية باعتبارنا موجودات خاضعة للزمان هي أن كل

الأشياء تفرّ منّا، وأن كل أحداث حياتنا تتلاشى شيئاً فشيئاً، حتى إنها في أحسن الأحوال تتوهّج بوميض غير حقيقي غالباً في فعل التذكر الذي يكون عن بُعد، وإنه عندما يكون علينا أن نُبقي على شيء ما، فإن هذا يكون راجعاً إلى كونه سريع الزوال، ويُهدّد بالفرار من قبضتنا، وليس أدل على ذلك من كلامنا المنطوق، فما نتلفظ به يبقى دائمًا خارج النطاق أو يتملّص من المساعي الرامية إلى حيازته.

ولهذا لجأت البشرية قديماً إلى طرفيتين للإبقاء على القرب فيما يتعلّق بالمنطوق، الأولى منها هي ابتكار أساليب شفهية تستند إلى تقاليد تُدير الكلام المنطوق على نحو أدبي. فحقيقة الشعر، على سبيل المثال، تكمن في إبداع إبقاء القرب، والقصيدة الغنائية تتيح لنا أن نعيش القرب على ذلك النحو الذي يتم فيه إيقاؤه في الشكل الموزون لها. ولكن القصيدة لا تتلاشى لأن الكلمة الشعرية تُوقِف تاماً زوال الزمان، بل لأنها أيضاً تبقى مكتوبة. وبذلك تظهر الطريقة الثانية للإبقاء على القرب، والمتمثلة باختراع الكتابة الذي تتيح لنا أن نعيش القرب على نحو يتم فيه إيقاؤه في الشكل المكتوب للأدب ومن خلاله^(٤).

ويجب هنا التمييز بين الأسلوب الشفهي وأسلوب الكلام المحكي؛ لما لهذا التمييز من علاقة بظهور الكتابة؛ إذ يُشير هذا الأخير إلى الاستعمال العادي للكلام، البعيد إلى حدّ ما عن اللسان المكتوب في حالة التخاطب. أما الأسلوب الشفهي فهو يستند إلى تقاليد تُدير الكلام المنطوق على نحو شعائري مُهذّب، فهو نوع أدبي بحق، يحفظ صروح الثقافة لكن دون ترك أثر مكتوب. ويبدو أن ظهور الكتابة مرتبط بهذا الأسلوب وتتابع له، وربما كان ذلك في لحظة شَعَر فيها الإنسان بأن هنالك شيئاً مما يقوله يستحق التسجيل ويستحق عناء الاحتفاظ به. ويتعلّق الأمر هنا في الحقيقة بتقليل ثقافي يبدو أنه يُبرّر ابتداع مصطلح (الأسلوب الشفهي) الذي أصبح موازياً لمصطلح (الكتابة الأدبية)^(٥).

فالأسلوب الشفهي - أو (اللغة الأدبية) كما في اصطلاح سوسيير - يُكبس الكتابة مزيداً من تلك القيمة التي هي غير جديرة بها. فاللغة معاجمها وكتبها النحوية، والتعليم في المدارس إنما يكون بالإحالة إلى الكُتُب وبواسطة الكُتُب. وهكذا يكون للصورة التي تتجلى عليها اللغة قانون يُنظمُها، وما هذا القانون في حد ذاته سوى

مجموعة من السنن المكتوبة الخاضعة في الاستعمال لقواعد صارمة، هي قواعد الرسم. ولهذا السبب تراهم ينزلون الكتابة المنزلة الأولى من حيث الأهمية، فيغيب عنهم في نهاية الأمر أن الإنسان يتعلم الكلام قبل أن يتعلم الكتابة، فيعكسون الآية عكساً^(٦).

ومن هنا تطرح اللغة الأدبية مشكلًا كبيراً؛ مشكل النزاع الذي ينشب بينها وبين لغة التخاطب اليومي، وعلى الألسيني أن يفحص العلاقات المتبادلة بينهما؛ إذ ليست كل مستويات استعمال اللغة تتساوی في قدر ثباتها وتغيرها، فالتطور غير المنقطع كثيراً ما يحجبه عناً ما يوليه الناس من عناء باللغة الأدبية. فاللغة الأدبية - وهي نتاج الثقافة - تترافق على اللغة العادية، وتكون خاضعة من حيث وجودها لظروف خارجية وملابسات معايرة، تتمكن من خلاها أن تفصل مجال وجودها عن المجال الطبيعي؛ أي مجال لغة التخاطب اليومي. ثم تظل اللغة الأدبية، بعد أن تكونت، على قدر كبير من الثبات والاستقرار بوجه عام، ويكون من شأنها أن تنبع إلى أن تبقى هي هي لا تتغير، وفضلاً عن ذلك فإن خصوصيتها للكتابة يوفر لها ضمادات خاصة تضمن بقاءها على حال لا تغير. وقد زعم بعض العلماء أن غياب (الحرف) و(الأدب) من شأنها أن يتركا لغة التخاطب اليومي في حالة تقلب دائمة، وهي أشبه ما تكون بتلك التي تعاني منها اللهجات عديمة الشكل لشعوب أميركا البدائية، مما يجعل دراستها عديمة الفائدة لعلم الاستيقاظ، ولا ترك في الذهن سوى مضات غامضة، وفي معظم الأحيان خاطئة^(٧).

وفي حقيقة الأمر إن وجود الكتابة لا يمنع من تقلب اللغة بقدر ما يمنع من أن تمضي اللغة في سيرورتها الطبيعية، فالكتابه تُبَطئ من عملية اشتراق مفردات جديدة تحتاجها الألسن، وهي بذلك تكون قوى مضادة تُعطل من ولادة تركيبات متطرفة للمفردات، وفي مثل هذه الولادة - على بعض تعقيداتها - غنى لعلم الاستيقاظ. ويعقع جانب من اللوم لهذا الاتجاه على عاتق مناهج التعليم التقليدية، فقد أصرَ أصحابها على قولبة اللغة وفقاً لاستعمال مشاهير الكتاب في العالم القديم، وهي الاستعمالات التي تجسّدت في أعمال مكتوبة فحسب. وقد بدأ هذا الاتجاه منذ زمن بعيد يصل إلى القرن الثاني قبل الميلاد، حين اتخذ كتاب القرن الخامس من علماء الإسكندرية

اليونانيين نهادج يكتذونها في كتابتهم، واستمر هذا الاعتقاد في تفوق اللغة المكتوبة لما يزيد على الألفي عام، حتى أصبح عالمنا الذي يُدار بوسائل الكتابة والتدوين عالمًا أدبيًا إلى درجة كبيرة تقريرًا^(٨).

وإذن فليست اللغة الأدبية - وهي شكل اصطناعي من أشكال اللغة - هي التي من شأنها أن تكون مقياسًا على مدى قابلية اللغات الطبيعية للتبدل والتغير. فالتمييز بين التغيير الطبيعي العضوي في لسان من الألسن من أشكاله الاصطناعية، وهي أشكال راجعة إلى عوامل خارجية ومن ثم غير عضوية، هذا التمييز من الضرورة بمكان لإعطاء صورة أوضح لتغير اللغة^(٩). فالخصائص المميزة للغات الأدبية تعكس تدخلًا ثقافيًّا ضد التغيير الطبيعي للغة، وإخضاع لغة ما للكتابة هو أساسًا أداة لتشكيل اللغة، تُظهر وتأكد معًا دعوى الاعتراف بجدارة تنوع معين في حد ذاته، والتي من دونها لا يمكن تطوير لغة إلى لغة مشتركة^(١٠).

ومهما يكن من أمر فإن المصطلح الكتابة معانٍ مختلفة؛ إذ يمكن أن تدرج فيه النقوش الحجرية التي تُظهر مشاهد الصيد في العصر الحجري القديم الأعلى، ولكن إذا ما تم الاقتصار على المعنى الشائع، والمتعلق بتقنية إعادة تمثيل الكلام بواسطة أثر حامل قابل للحفظ، فإنه يمكن هنا الحديث عن (اختراع) لكن بالمعنى العام للكلمة، حدثَ مرة واحدة منذآلاف السنين، وفي مكان واحد بين دجلة والفرات. فقد كانت الكتابة مُغامرة حاسمة لهذا القسم من البشرية الذي استفاد منها، ويمكن مقابله هذه المغامرة بتلك المغامرة الضاربة في القدم؛ أي باكتشاف النار^(١١).

وإحدى أكثر المراحل إبداعًا في تاريخ البشرية تقع إبان قدوم العصر الحجري الحديث، وهو العصر المسؤول عن الزراعة وتدجين الحيوانات إضافة إلى تقنيات أخرى. وللتوصل إلى هذا المنجز الحضاري كان لا بدًّ لآلاف من السنين قامت فيها جماعات بشرية من خلال التجربة واللاحظة بنقل ثمرات أفكارها بهمة وعزيمة مستمرة، وفي وقت لم تكن الكتابة فيه معروفة بعد. وعندما ظهرت الكتابة بين الألفيتين الرابعة والثالثة قبل الميلاد، فإنَّ ظهورها لم يكن شرطًا لتحضُّر البشرية، وإنما كان نتيجة من نتائج مَدِينتها. وإذا كانت البشرية قد خطَّت في العصر الحجري الحديث خطوات عملاقة بدون معرفة الكتابة، فإنَّ ظهور الكتابة أثْرًا في جمود

الحضارة التاريخية زمناً طويلاً، فعاشت البشرية منذ اختراع الكتابة وحتى بزوغ فجر العلم الحديث خمسة آلاف سنة، تقلّبت فيها المعرف أكثر مما تزايدت.

وقد حَتَّم ظهور الكتابة تغيرات عميقة في شُرُط الوجود الإنساني، وهذه التحولات كانت من طبيعة فكرية؛ فامتلاك الكتابة يُضاعف قدرة بني الإنسان على تثبيت معارفهم، وينظر إليها بكونها ذاكرة اصطناعية ينبغي أن تقترب تجربتها بوعي أفضل بالماضي، وبكفاءة أكبر في تنظيم الحاضر والمستقبل. ويرغب اليوم كثير من العلماء بجعل الكتابة عاملًا أساسياً في تقسيم الشعوب إلى فئتين: شعوب تعرف الكتابة وأخرى تجهلها. فالأولى قادرة على مراكمه المكتسبات القديمة، والتقدم بسرعة أكثر فأكثر إلى الهدف الذي اختطته لنفسها. بينما الأخرى وهي عاجزة عن حفظ ماضٍ أبعد مما تكفي ذاكرة فردية لتبنيه، ستظل حبيسة تاريخ متغير يعزوه دائمًا الأصل والوعي المستدام بالمشروع^(١٢).

ومع الكتابة بدأ الجنس البشري يتمتع بوسيلة صارمة طويلة الأمد لتبني الكلام، والإبقاء على تاريخ مُهَدَّد بالنسيان، فقبل الكتابة لم تكن الذاكرة الجمعية عن طريق وسيلة التناقل الشفهي العريقة القدم بمنأى عن الواقع في أعماق النسيان. وبعد الكتابة - ولها للمفارقة! - لم تكن الذاكرة الفردية بمنأى عن الضياع، فظهور الكتابة أسهم في ضعف ملكة الذاكرة بشكل كبير، وانتشارها مسؤولة عن فقدان الذاكرة الرهيب، حيث جعلت ذاكرتنا بليدة حتى يكاد المرء يعجز عن تذكر أسماء أصدقائه المُقرَّبين، إننا بكل بساطة نعاني من تردي ملكة أصبحت مع نظم الكتابة وتقنيات التسجيل غير مجدية^(١٣).

وعلى عكس الكلام الذي هو جزء من الجهاز الإنساني الأساسي، فإن الكتابة أداة ثقافية يترك استعمالها المعتمد آثاراً في الوسط الذي تُعطي له شكلاً، فمن خلال الكتابة يُزَوَّد الوسط الطبيعي للغة بعنصر ثقافي، واللغات بوصفها مُنتجاً جمِيعاً وعن طريق توافر معيار مقنن وموضوعي بقدر الإمكان، أصبحت صناعية بإعطائها صورة مكتوبة^(١٤). وهكذا فإنه من الطبيعي أن يتكلَّم المرء، وليس كذلك هي الكتابة؛ ذلك أن استعمالها شأن ثقافي، فالوحيدون الذين يُحسّنون الكتابة هم أولئك الذين

أُخضعوا لتشقيقٍ نُفَذ بانتباه في المدارس أو ضمن العائلات، وتعلّم الكتابة لا يزال يطرح مشكلات لم يتوقف التربويون عن السعي في طلب حلول لها. وخلاف ذلك (الكلام المنطوق)، فنحن لم ننظر مطلقاً حتى يومنا هذا في أن نضبط مناهج خاصة كي نكتسب تملّكاً للسان المنطوق، وتملّك المرء للكلام المنطوق لا يعني أن يكتسب تملّكاً للغة، وإنما تملّكاً للسان مخصوص هو أداة التواصل لِتَحدُّد اجتماعيٍ معينٍ، ونحن على افتخار بأنه يحصل من تلقاء نفسه، والدليل هو أن كل الناس يتكلمون^(١٥).

فهناك إذن أولية منوحة للكلام، فالأطفال يتعلّمون الكلام قبل تعلّمهم الكتابة، وهناك ملايين الناس يتتكلّمون من غير معرفتهم بالكتابة حتى في الثقافات الرفيعة. ولا تُتَّخذ مثل هذه الواقع برهاناً على مجرد أسبقية واقعية أو محلية للكلام على الكتابة، وإنما تُتَّخذ أيضاً برهاناً على أسبقية سائدة وشاملة. فالكلام عملية من التواصل المباشر، تتدفق فيه الكلمات وكأنها علامات عفوية تَشَفُّ تماماً عن فكره الحاضر الذي يريد مُستمعه الظفر به. أما الكتابة فتتألف من إشارات فيزيقية منفصلة تماماً عن الفكر الذي قد أنتجته، وتؤدي دورها في غياب المتكلم، فتقرب من فكره بشكل غير أكيد، كما تبدو إشاراتها وكأنها مجهلة المصدر بالكلية؛ أي مبتورة عن أي متكلم أو مؤلف.

ومن ثمَّ فليست الكتابة مجرد أداة تقنية لتمثيل الكلام فحسب، وإنما هي أيضاً تشويه للكلام، وهذا الحكم على الكتابة قديم قدم الفلسفة نفسها، ففي حماورة (فيدروس) يشجب أفالاطون الكتابة بعدها شكلاً لقيطاً من أشكال التواصل؛ أي مفصولة عن الأب أو لحظة الأصل، ولذلك تشير الكتابة كل أنواع إساءات الفهم بما أن المتكلم غير موجود كي يُوضّح للقارئ ما يدور في ذهنه^(١٦). فالكلام المنطوق وهو يقيم صلة بين إنسان وآخر أو حتى بين الإنسان ونفسه بهذه الطريقة الحية، يمكن له كذلك أن يتَّخذ الشكل الصارم للعلاقات المكتوبة، ويمكن فك معاليق هذه العلاقات المكتوبة وقراءتها وتوليدها بحسب قانون جديد للمعنى. فالشكل المكتوب ثابت أما الوعي الذي يملكه المرء حاله فهو الذي يتغير، فالشكل المكتوب لا يفرض عليه معنى واحداً، بل إنه يوحّي له بمعانٍ مختلفة عبر أزمنة متعددة^(١٧).

٢. سلطة الكتابة:

يربط بعض العلماء نشوء اللغة البشرية بـ «اللوسات» سمعية، فالكلمات وهي تصدر عن نصف الدماغ الأيمن، كان النصف الأيسر من دماغ الإنسان الأول يحسبها قادمة من مكان ما في العالم الخارجي. وحين اخترع الكتابة، سمعت الإشارات المكتوبة كأصوات مَعَزَّزةً إلى آلة ناطقة، ولم يدرك الإنسان أن الأصوات تصدر عن دواخله حتى بداية الألفية الأولى قبل الميلاد^(١٨). وهذه نظرة قد يشوبها شيء من الأسطرة إلا أنها تعطي تصوّراً واضحاً للسلطة العالية التي حظي بها شكل اللغة المكتوب فيما مضى من عمر البشرية، فالكتابة على النقيض من كونها ظل الكلام، تستولي على كُلِّ اللغة^(١٩)، فهي أشبه بنظام شمولي لديه ميول دائمة لفرض نوع من الوحدة على كل مظاهر التنوع والاختلاف لكييفيات اللغة المنطقية. وقد سعى سوسير لأن يضع أسباباً علمية لهذه الظاهرة التي تُحيط بالكتابة، وأوجزها في ما يأتي:

١. إن تحديد حرف واحد لكل صوت ارتبط لدى الواقع الأوّل بحسّ السمع التي تميّل إلى فرض نوع من الوحدة على النطق المتعدد للصوت الواحد، ورأى في هذا التعدد اختلافاً في درجة النطق لا في طبيعته، وقد ظهر ذلك من خلال تجاوز الاختلافات اللفظية التي تبدو من شخص لآخر ورؤيه تلك الوحدة التي تقف خلفها، وهذا ما أدى إلى أن تسترعى صورة الكلمات في الخط انتباها من حيث هي شيء ثابت متبّن، فهي أكثر قدرة من الصوت على تشخيص وحدة الكلام عبر الزمان. ومما يُ يكن هذا الرابط سطحياً ومما تكن الوحدة التي يُسخّصها اصطناعية محضة، فإن إدراكنا له أيسّر من إدراكنا لذلك الرابط الطبيعي الحقيقى الوحيد الذي هو رابط الصوت، فقد شقّ على النحاة أن يعالجوا بنجاح تلك المنطوقات اللغوية الواقية قبل اختراع أجهزة تسجيل الصوت^(٢٠).

فهذه الأجهزة تقوم بعكس ما تقوم به الكتابة، فإذا كانت الأخيرة تُسخّص وحدة الكلام، فإن أجهزة تسجيل الصوت لا تحفظ سوى الاختلاف، ولا يمكن اللسانيات المعاصرة عدم الافتراض بمثل هذا التطور الذي تشهده التقنيات اليوم، بل هي وجدت فيه فرصة لتطوره. فدراسة الاختلاف لم تكن غائبة عنها في حقيقة الأمر، وهي سبقت بكثير دخول الأجهزة القادرة على تسجيل واستعادة

ملامح الاختلاف بأمانة كبيرة، إلا أن أجهزة تسجيل الصوت سرّعت من إيقاع الحركة التي كانت قد بدأت^(٢١).

وتعُد تقنيات التسجيل الحديثة، مع قدرتها العالية على حفظ التنوع والاختلاف في المنطوق، وسيلةً تقف أيضًا في وجه الميل إلى التغير والتعدد، فالتوسيع الجغرافي، الذي هو عامل من عوامل التعدد والازدياد، يزول أثره بعد اليوم بسبب تطور تقنيات الاتصال الحديثة. فالمذيع والتلفاز والفضائيات ووسائل التواصل الاجتماعي... إن الخ لا تسمح أبدًا بجعل إنجليزية أمريكا وإنجليزية بريطانيا، على سبيل المثال، لغتين مختلفتين، والحال كذلك بالنسبة إلى فرنسيّة فرنسا وفرنسية كيبيك. ولو كان هذا الوضع قائمًا بشرط الفصل الجغرافي نفسها منذ ستة قرون أو يزيد بجرت الأمور على هذه الشاكلة. فلئن كان مُقدَّرًا أن تستمر اللغات في التغير والتعدد وفي أن يحل بعضها محل بعض، فإن هنالك أمورًا كثيرة تدفع إلى الاعتقاد بأن حركة التعدد والازدياد الكبرى التي وسمت التاريخ اللساني العالمي بمسمها منذ عشرات القرون قد أوقفتها ظروف تكنولوجيات التواصل الحديثة^(٢٢).

٢. إنَّ علاقة اللغة بالرسم علاقة متراكبة، فالكلام المنطوق من اللغة هو بحد ذاته رسم لما نراه ونعقله، وهو أداة غير كاملة للقيام بهذه الوظيفة؛ لأنَّه يقع إزاء المرئي في عجز يجهد عبئًا لتجاوزه، وأنَّه أيضًا لا يمكن أن يحتزل أحد هما الآخر، فعَبَّنا نقول ما نراه؛ لأنَّ ما نراه لا يسكن أبدًا فيما نقول، وعَبَّنا عملنا على أن نجعل الآخرين يرون بالصور والاستعارات والمقارنات ما نراه بأعيننا، فالمكان الذي تتلاَّأ فيه ليس هو المكان الذي تراه الأَعْيُن، وإنما هو المكان الذي يُحدِّده تتبع التراكيب اللغوية^(٢٣).

وكذلك شأن الكتابة إزاء الكلام المنطوق، فهي رسم لما ننطقه بأسنتنا، وهي كذلك أداة غير كاملة للقيام بإظهار جميع سماته، ومع ذلك فإنَّ ما ننطقه يسكن فيما نكتبه ويُخْتَزل فيه إلى حد كبير؛ لأنَّ التتابع النُّطقي الذي تظهر فيه الأصوات شبيه بالتتابع الخططي الذي تظهر فيه الحروف، سوى ما يتعلَّق بوجود فجوات بيضاء في التتابع الثاني تضع حدًا لنهاية وحدة سابقة وبداية وحدة لاحقة. وهكذا تكون الكتابة في رسماها للمنطوق أكثر دقة وأمانة من الكلام في رسماه للعوالم

المريئة، وما لم يتم اعتبار ذلك نجاحاً مميزاً للكتابة في أداء وظيفتها، فإن عدم اعتباره في الكلام المنطوق أولى.

فالكتابة في إطار العائلة الكبرى للأنساق العلامية تنتهي إلى طبقة التوسيم الخطي، وهي طبقة تجمع أنساق العلامات ذات السمة الدائمة التي لها دعم بصري ومكاني، وتكون الشارة المميزة للكتابة إزاء التوسيمات الخطية الأخرى في كونها تشير إلى وحدات لسانية، وهي لا تختلف فيما تولده من انطباعات مرئية عن التوسيمات الخطية الأخرى. فالكتابة الأسطورية، على سبيل المثال، وإن كان التوسيم الخطي فيها لا يحيل إلى وحدات اللسان إلا أنه يُشير إلى تمثيلات ذهنية معقدة أو إلى أشياء وحوادث واقعية، وفي هذا الجانب لا يوجد ما يُميّز الكتابة الأسطورية من الكتابة العادية، فالتأشير المرئي سمة مشتركة بينهما^(٢٤).

وهكذا فإن تبجيل الكتابة، كما يرى سوسر، عائد إلى كون الانطباعات المرئية أوضح وأبقى لدى معظم الناس من الانطباعات الصوتية؛ لذلك ترى تعليقهم بالانطباعات المرئية أشد وأقوى، وهو ما يفضي بالصورة المكتوبة إلى أن تفرض نفسها على حساب الصوت. فالصورة المكتوبة، بوصفها جانب اللغة الذي يمكن رؤيته ببساطة، تساعد على المحافظة اللغوية على نحو أسهل، فحالما تؤسس نظم الكتابة، فإنها تكون شديدة الثبات والمقاومة للتغيير^(٢٥).

٣. إنَّ اللغة تتطور بدون انقطاع، وأما الكتابة فتنزع إلى الثبات على حالها لا تتغير، فالكتابة المُتَّبعة للقواعد في صورتها الخطية الثابتة بمساعدة الأشكال الورقية أقل خصوصاً للتعديلات الحاصلة في الجانب الزمانى والمكاني، ولهذا فإن اللغة المكتوبة تبدو أكثر محافظة من الأخرى المنطقية، وتمثِّل ثباتاً لا تعرفه هذه الأخيرة، فأي فرد يسمح لنفسه في سهولة تامة بارتكاب خطأ تجاوز القواعد النحوية أو استخدام الألفاظ العامية عند الحديث، بينما لا يسمح بذلك في اللغة المكتوبة^(٢٦).

فالكتابة هي عامل استقرار للغة، وقد يكون الجهل الكبير بها سبباً يزيد من التغيرات الصوتية ويزيد من إيقاعها، فقد عرفت أوروبا أهم التغيرات في العصور الوسطى، قبل ظهور الطباعة، وفي عصر كانت فيه أعداد الأميين

كبيرة^(٢٧). وينجُرُ عن ذلك أن الصورة المكتوبة تصبح في النهاية غير مطابقة لما هي عليه، وكلما عَظُم البون بين الخط وما ينبغي أن يُمثّله بالنطق من أصوات قوياً نزعة بعضهم إلى اتخاذ الكتابة عماداً. فعلى الرغم من أنه كلما وُجد بون أو اختلاف بين اللغة وقواعد رسمها فإن حسم الجدال في ذلك قد يكون عسيراً إلا على الألسنين، لكن لِمَ لم يكن للألسنين حق في إبداء الرأي في موضوع الرسم الإملائي تحتم تغلب الصورة المكتوبة على الصورة المسموعة^(٢٨).

ولذلك نجد النحاة يغالون في لفت الأنظار إلى الصيغة المكتوبة، وهذا ما دعاهم إلى أن يقفوا تجاه اللغة وقوفهم أمام شكل قد تَمَ وضعه بصورة نهائية، ويعرض بدوره بصفة ثابتة ودائمة الشكل نفسه. غير أن في هذه النظرة إغفالاً لطبيعة اللغة التي ما تزال في طور سيرورتها، وداخل السيرورة لا يمكن للغة أن تعكس نفسها شيئاً ثابتاً ودائماً، ولذلك لا يحق لنا عَدَّها شكلاً ثابتاً، ولعادة النحاة هذه ما يُبرّرها من الوجهة النفسية إلا أن لها عواقب وخيمة جداً^(٢٩).

وقد يزداد البون بُعداً بين الهيئة المسموعة والصورة المكتوبة بحيث تُعدُّ كل واحدة منها لغة، ويظهر ذلك لدى سوسيير في نظام الكتابة الإيديوغرافية، وهو نظام تمثّل فيه الكلمة بدليل خططي واحد لا يمت إلى الأصوات التي يتكون منها بأية صلة، ويتصل ذلك الدليل بمجموع الكلمة، ومن ثم فإنه يتصل - على نحو غير مباشر - بالفكرة التي تعبّر عنه. والكتابة الصينية هي المثال الذي يسوقونه عادة لهذا النظام، فالكتابة بالنسبة إلى الصينيين لغة ثانية، ولذلك تراهم إذا ما وردت في كلامهم كلمتان لها في النطق صورة واحدة، فإنهم أحياناً يلجؤون إلى الكلمة المكتوبة لترجم عن مقصدhem^(٣٠).

ويبدو أن هذه الأسباب التي دعت إلى تمجيل الصورة المكتوبة متعلقة بذلك الحجاب الذي تقيمه الكتابة بيننا وبين رؤية اللغة في حيويتها، فذلك الحجاب يمنعنا من رؤية اللغة كما هي في وضعها الطبيعي متغيرةً ومتوّثبةً باستمرار. ففي هذا الاستسلام لخداع الكتابة إذا رکون إلى ما هو أيسر السُّبُل بدلاً من العناء الذي يجده الباحث في مطاردة شيء لا يثبت، وهو كذلك افتتان بالثوب غير العادي الذي تلبسه اللغة وتتنّّر فيه، فقد شاعت العادة أن تُمْوَه الكتابة على الانتباه بفرض حالة

من الثبات على عناصر اللغة، لا نعود معها قادرين على متابعة حركة التغيير المستمرة لها^(٣١).

فكثيرة هي اللغات الحديثة، لا سيما الإنجليزية والفرنسية، التي لا تزال تلبس ثوباً قدّيماً وتنتّر بنظام أبجدي يرتكز على لفظ قديم جدًا، فهذا النظام الأبجدي يخفي الكثير من التغيرات الصوتية والfonologique التي حدثت. وإنْ كان المroe على سبيل الفرض متضليلًا بالقدر الكافي من الإنجليزية أو الفرنسية، فلن يجد صعوبة في فهم مؤلفات شكسبير أو فولتير عند قراءتها، أما عندما يُتاح له أن يسمعها من الكتاب الذين ألقواها، فسيجد أن هذه المؤلفات عسيرة على الفهم. فالباحثون والعلماء الثقات لم يتمكنوا من الوصول إلى فهم أفضل للعلاقة بين اللغات المكتوبة والمنطقية من جهة واللغات المعيارية وغير المعيارية من جهة أخرى إلا بعد أن قاموا ببحوث مستفيضة خلال القرن التاسع عشر؛ أي في تلك الفترة التي تسمى الآن بالفترة الكلاسيكية لللسانيات التاريخية التي بدأت في سنة ١٨٢٠ واستمرت حتى سنة ١٨٧٠^(٣٢).

وطغيان الحرف المكتوب لا يقف عند حد فرض حالة من الثبات الوهمي على اللغة، بل إن له عملاً آخر معاكساً لما سبق، فهو من شدة ما يفرض نفسه على الجمهور يؤثر في اللغة ويحورها تحويراً، وهذا لا يحدث إلا في الألسن الضاربة في الأدبية^(٣٣)، كالعربية الفصيحة، على سبيل المثال، حيث للوثيقة المكتوبة شأن عظيم، ففي هذه الحال قد يصل الأمر بالصورة المكتوبة إلى التسبب في حدوث كيفيات في النطق فاسدة، كما نجده اليوم في نطق كلمتي: (مائة) و(عمرو)، فقد وُجدت (الألف) في الكلمة الأولى و(الواو) في الكلمة الثانية كعلامات خطية ذات قيمة صوتية غير مباشرة، وقد غُفل عن ذلك وأصبح كثير من الناطقين بالعربية يظهرون نطق كل حرف من حروفهما المكتوبة.

وفي الحقيقة لا تُشكّل مثل هذه الكلمات عائقاً في نطق العربية وفي قراءة نصوصها، فهي كلمات معدودة ليس لها أثر يُذكر. إضافة إلى أنه عندما يتم تخصيص حرف لكل صوت من أصوات الكلام المنطوق لاسم معين، فإننا عندئذ إذا أضفنا أو حذفنا أو وضعنا حرفاً في غير موضعه، فإن الاسم الذي يُكتب، وإن خالف الشكل المنطوق،

فإنه يبقى هو هو، ولن يصبح شيئاً آخر غير هذا الاسم، وهذا ما ينطبق على كل ما هو كيفي أو على أي شيء يُقدم من خلال صورة. وبخلاف ذلك كل ما هو كمي، فالأعداد ينبغي أن تكون تماماً هي ما هي عليه، أو لا تكون البتة، فالعدد (عشرة)، على سبيل المثال، يصبح في الحال غير العشرة إذا ما زدت عليه وحدة أو طرحتها منه، وهكذا بالنسبة إلى أي عدد آخر^(٣٤).

ومن المحتمل أن هذه التحريرات ستتكرّر عبر الزمن، وأن نطق الناس بالحروف الزائدة في الخط سيتزايد، وهو الاختلاط بعينه، فلهذه التحريرات وجود حقيقي في اللغة إلا أنها ليست تغيرات ناتجة عن عمل اللغة الطبيعي، بل المُتسبّب فيها عامل لا يمت إلى اللغة بصلة، وقد تحدث بأوهى سبب^(٣٥). ففي القرن الثامن عشر بأسكتلندا كانت كلمة: غضب (wrath) تتردّ بشكل متواصل على منابر الوعظ، حيث إن الشخص المعنى بطباعة العِظات عندما كان يستند خزنته من حرف (W) كان يُجبر على استخدام حرفٍ: (v) بدلاً منه^(٣٦).

ويتعيّن على الألسني، كما يرى سوسيير، أن يُفرد مثل هذه الحالات قسماً خاصاً يفحصها فيه؛ ذلك أنها تمثّل حالات مسخ، فوضع علامات تمييزية لبعض الكلمات في مرحلة ما من مراحل عمر كتابة إحدى اللغات وبقاوتها بعد ذلك، من شأنه أن يخلق صوراً مفجعة في التلفُّظ، فمن البديهي أن مثل هذا الإجراء، لشدة الحرص فيه على الدقة، سيعumi ما كان يقصد إلى إياضه، وسيشوّش على القارئ أمره، وقد لا نجد فيه من الفوائد ما يكفي لتلافي مثل هذه النقائص^(٣٧).

٢. الكتابة بوصفها التحليل الأول للغة:

إن النُّظم التي تَدرس اللغات مع أنها مستقلة إلى حد كبير عن الوسط الذي تنشأ فيه اللغة، إلا أنها يجب أن لا تُباشر مادتها اللغوية إلا ضمن وسطها الصوقي، وهو الوسط الرئيس الذي تنمو فيه اللغة، ونتيجة لذلك فإن دراسة الصوت أهم بكثير من دراسة الكتابة أو دراسة الإيماءة أو دراسة أي وسط آخر نتوهّمه للغة،

سواء أكان هذا الوسط وسطاً حقيقياً أم محتملاً. فليس الصوت بحد ذاته ولا حتى النطاق الكامل للصوت هو المهم بالنسبة إلى اللغوي، بل إن ما يحظى باهتمام اللغوي هي تلك الأصوات التي تتوجهها أعضاء النطق أو تلك التي لها دور رئيس في النُّظم اللغوية^(٣٨).

فمثل هذه الأصوات يدركها كل المتكلمين الأصليين للغة معينة، من غير استثناء وعلى نحو مضبوط، ويدركون كذلك اختلافاتها الدقيقة جداً في نطاق إنجازها وظيفة تمييزية في تلك اللغة. في حين أن الأجنبي، بما في ذلك الملاحظ المتدرب أو اللغوي المتخصص، غالباً ما يواجه صعوبة بالغة في إدراك تلك الاختلافات، فإذا لم تُنجز هذه الوظيفة التمييزية في لغته الأصلية. فالфонيات المتنوعة التي تكون لغة من اللغات فيها من الاختلافات السمعية الصغيرة والدقيقة جداً إلى حدّ أنه من الصعوبة في بعض الأحيان ضبطها حتى بالوسائل الحساسة، فالمتخصصون المحدثون في حقل الأكoustيكية يندهشون بحيرة إزاء الإمكانية التي تدرك بها الأذن البشرية من غير صعوبة ذلك التنوع الضخم في أصوات لغة معينة، بحيث إن هذه الأصوات تكون كثيرة جداً، وتتنوعها غير مدركة حسياً. والфонيات كذلك ليس لها في ذاتها معان محددة خاصة، فما ندركه في لغة محكية ليس أصواتاً مختلفة في ذاتها، وإنما استعمالات مختلفة عبرت عنها اللغة، أي إنها اختلافات مع أنها في ذاتها من غير معنى، تستعمل لتمييز كيان من بين كيانات أخرى في مستوى أعلى (المورفيات، الكلمات)^(٣٩).

ولهذا فاللغة كما يرى سوسيير لا تبدو للدارس، وبالذات من غير الناطقين بها، في صورة مجموعة من الدلائل المعينة الحدود سلفاً، إنما هي كتلة صوتية غير واضحة المعالم، تنفلت في أغلب الأحيان عن الملاحظة، ولا يمكن أن تقف فيها على عناصر بأعيانها إلا عن طريق الانتبه والعادة^(٤٠). والذي يضع حدّاً لسلسلة من الأصوات، ويجعلنا نعرف ونحن ننتقل على طول السلسلة أنها انتهينا من كلمة وببدأنا بأخرى هو الانتقال من مفهوم إلى آخر، فالجملة المنطقية منها تكون بسيطة كجملة: the boy ليس فيها مؤشر عند نهاية كل كلمة وببداية الأخرى، وما يُشير

إلى الفجوة بين الكلمات هو الانتقال من مفهوم إلى آخر، فالfoniyahات التي تشتمل عليها (boy) ترتبط بمفهوم معين، والfoniyahات المتابعة في (kicked) ترتبط بمفهوم آخر، في حين أن مثل: (boyk) أو (icked) لا ترتبطان بأي مفهوم^(٤١).

فالملاحظ قد يستطيع أن يؤكد أن ما قيل في كلام ما يؤلف سلسلة صوتية ممكنة ومقبولة، ولكنه إذا ما أراد أن يميّز هذا الكلام، فإن العملية ليست مجرّد تحديد للأصوات واحداً تلو الآخر، وبعد ذلك يكون وضعها مع بعضها البعض، فمثل هذا التصور البسيط غير واقعي تماماً لعدة أسباب:

١. إن سرعة الكلام تجعل من المستحيل فيزيائياً تحديد كل صوت بمفرده، فالإنسان بمقدوره أن يحدد أقل من عشرة أصوات منفصلة في الثانية، في حين أن إصدار الكلام يتضمن ضعف هذا الرقم.

٢. وعلى الرغم من التقدُّم الحاصل في الوسائل الإلكترونية، فإنها ما زالت تُقدِّم صورة وهمية لشيء (الكلام) هو بطبيعته وهمي، فتحديد الأصوات تحديداً واضحاً ومتناهياً غير ممكن؛ لأنَّه ليس لها صفات ثابتة، وذلك لكونها تتدخل بطرقتين: فمن الناحية الأولى لا يوجد حد ثابت وصارم بين الأصوات المجاورة، ومن الناحية الأخرى لا يوجد حد ثابت وصارم بين الأصوات المتشابهة سمعياً. فنحن نسمع الكلام على هيئة سلسلة من الكلمات المعزولة، لكن الحدود بين الكلمات لا يمكن سماعها، وسبب ذلك أن الكلمة في الموجة الصوتية الكلامية تدخل في الكلمة التي تليها من غير إشعار بهذا الدخول؛ إذ لا يوجد وقوفات صغيرة بين الكلمات الملفوظة تُشبه تلك الفراغات البيضاء التي نجدها بين الكلمات المكتوبة، فنحن نقوم ببساطة بتخييل حدود الكلمة حين نصل إلى حافة قطعة صوت معينة تتوافق مع مدخل معين في معجمنا العقلي. ويظهر هذا بوضوح حين نستمع إلى كلام بلغة أجنبية؛ إذ لا يمكن أن نعرف في تلك الحال أين تنتهي كلمة ما؟ وأين تبدأ الكلمة التي تليها؟ كما يتَّضح عدم وجود الحدود في سلاسل الكلمات التي تستخدم (الجنس)، ويمكن أن يكون منها كلمات بطرقين مختلفين^(٤٢).

٣. إن الأصوات لا تتغير من متكلم لآخر فحسب، بل تتغير لدى المتكلم نفسه الذي يُيدل كلامه بشكل غير واع في أغلب الأحيان، وبها يتناصف وطبيعة المقام، أو الحالة النفسية التي يتتكلّم بها^(٤٣).

فالاختلافات الهائلة في التنوعات النطقية لم تحل دون تواصل أفراد الجماعة اللسانية الواحدة وتفاهمهم، وما ذلك إلا لوجود ثوابت لا تختلف، ووجود الكتابة في مبدئها كان تحليلاً لسانياً للغة، يناغم مع نظرة العلم الأولى التي كانت ترى كل شيء موحداً وثابتاً في الكون. واللغة كما يرى (هيراقليطس) هي الشيء الأكثر ثباتاً في عالم دائم التغير، ومن ثم فإن هذه النظرة لا تلقي بالاً لأعراض التعدد والاختلاف. والكتابة هي شكل العثور على الثابت اللامتغير الذي يمكن وراء التدفق والجريان المتغير باستمرار للكلام المنطوق، فلا يوجد شخصان يتكلمان بشكل متماثل تماماً، وقد ينطبق ذلك بالأحرى على عدم تماثل نطق الشخص الواحد في أوقات مختلفة، وكل ما ننطق به يمضي ولا شيء يبقى، ولا يمكننا أن نعيد نطق العبارة نفسها مرتين من غير أن يكون هنالك اختلاف؛ ذلك أن هنالك كيفيات أخرى وأخرى لا تكفل عن الظهور والتعدد.

والكتابة بوصفها تحليلاً أوّلياً للغة ارتبطت بتلك الرؤية التي غضت الطرف عن تعدد المنطوق واختلافه، وسايرت إغراء التوحّد؛ لاحتواه أو لإدراجه في شمولية ما، ورأت ما هو ثابت ومُوحَّد فيه، فالمعنى البعيد في اختلاف المنطوق يُطلّعنا على مزيد من الوحدة التي تراءى خلفه. والكتابة بوصفها تحليلاً لسانياً بدرجات وعي متفاوتة، هي التي أعطت دفعاً حاسماً للبحث النحوي بكل تأكيد، فاستعمال دليل لغوي واحد لتدوين تلك التنوعات المناطقية والفردية التي لا حصر لها لحرف مثل (الجيم) أو (الكاف) أو (الفعل)، يدفعنا بالضرورة إلى وعي مدهش بوجود ثوابت لا تتغير.

فاللسانيات ولدت من الوعي بالثوابت، وما هي اللسانيات إذا لم تكن البحث عن الثوابت في مجال الأصوات كما في مجال المعجمية والنحو؟ فاللسانيات هي العلم الوحيد مع الرياضيات التي تمتلك نواعة نظرية ثابتة على المدى الطويل، وبالإمكان إرجاع التقابل بين (الاسم) و(ال فعل)، على سبيل المثال، إلى أفلاطون وأرسسطو،

والواقع أن هذه النواة الثابتة ظهرت على ما يbedo بطريقة مستقلة في تقاليد مختلفة في اليونان والهند ولدى العرب، من غير أن يكون هنالك علاقة تأثر وتأثير^(٤٤).

والعمل المُلْهِم لا يُصبح موضوع دراسة علمية إلا بالقيام بنوع من التشبيه يُشبه ترسيخ الحديث بكتابته، فلدى الغرب وجهة نظر تقول: إن أول خطوة تسمح بمعرفة شيء ما هي معرفة كتابة اسمه^(٤٥)، فالكتابة هي الطريقة الفريدة التي بواسطتها يجعل الإنسان نفسه على لُفَّة بالكلام المنطوق، فالكتابة تتيح لنا أن نتعرّف إلى كلامنا ونألفه؛ لكونها تُعَدُّ وسيلة توضيح مُثُلٍ لوحدات اللغة وعنصرها. وعملية التعرّف هذه تتأسس على أن كل فعل أَوَّل من أفعال التعرّف إلى شيء ما يكون قد تحرّر بالفعل من إدراكتنا العارض لذلك الشيء. ففعل التعرّف الذي تقيمه الكتابة للكلام المنطوق يعني دائماً أننا قد أصبحنا نعرف لغتنا على نحو أوضح مما كان في استطاعتنا لو اقتصرنا على الجانب المنطوق منها، فالمنطوق لا يعطي فرصة لأن يتكرّر للمرة الثانية ليتم التعرّف إليه، وهكذا يقوم الشكل المكتوب باستخلاص الدائم من العابر. والوظيفة الأساسية للكتابة بوجه عام هي أن تُحقّق هذا الشرط الذي جعل منها وضعًا مثالياً للسان الذي تُشكّله، وهو شرط لم تتوافق عليه اللسانيات الحديبية؛ لكون العملية اللغوية لا تقوم إلا على العابر ولا يوجد فيها ما هو دائم، فهي عملية متغيرة باستمرار^(٤٦).

وقد اصطنعت الكتابة رسم حدود ومعالم واضحة بين عناصر اللغة، ولئن كانت الكتابة في حد ذاتها لا تمت إلى نظام اللغة الداخلي بصلة، فإنه يستحيل علينا أن نُسقط من حسابنا هذه الطريقة التي تُصوّر بها اللغة على الدوام، وإن نحن تخيلنا انتفاء الكتابة فإن من يُحرّم هكذا من هذه الصورة المحسوسة يوشك أن لا يُدرك من اللغة شيئاً بعدئذ سوى كتلة لا معالم لها، لا يدرى ما عسى أن يصنع بها، فيكون، كما يقول سوسيير، شأنه شأن متعلم السباحة يُجُرّد من حزام النجاة.

فنحن، كما يذهب سوسيير، نلجأ في كل حين وأوّنة، حتى في لغتنا الأولى، إلى الوثائق المكتوبة، وإذا ما تعلق الأمر بلسان يتكلّمه الناس في مكان بعيد عنّا بعض البعد، فإن اللجوء إلى الشواهد المكتوبة يصبح أكثر ضرورة وإلحاحاً، ومن باب أولى وأحرى أن يكون ذلك ضروريًا بالنسبة إلى الألسن التي انفرضت. ولو أردنا أن

تَتوافر لنا في جميع الحالات وثائق مباشرة لكان ينبغي أن يكون الناس قد قاموا منذ أقدم العصور بما نقوم به اليوم؛ أي بجمع نماذج من التسجيلات الصوتية عن جميع لغات العالم، وحتى في هذه الصورة فإنه يتحتم اللجوء إلى الكتابة كي نطلع القراء على النصوص المحفوظة المسجلة تسجيلاً صوتيًا. وهذا ولئن كانت الكتابة في حد ذاتها مُنجِزاً ثقافياً ليس له صلة بالنظام الذاتي للغة، إلا أنه يستحيل علينا أن نتجاوز هذه الطريقة التي نُمثِّل بها كلامنا المنطوق على الدوام، ومن هنا - كما يؤكّد سوسير - تكمّن ضرورة معرفة فائدة الكتابة وعيوبها ومخاطرها^(٤٧).

٤. تمایز المنطوق من المكتوب:

يقتضي تحديد اللغة لدى سوسير أن نطرح جانباً كل ما هو غريب عن جهازها العضوي وعن نظامها، ولتوسيع ذلك عمد سوسير إلى استعمال مصطلح (اللسانيات الخارجية) ليضع تحته كل ما هو بعيد عن نظام اللغة، والأمر مختلف بالنسبة إلى (اللسانيات الداخلية) التي ترى في اللغة نظاماً لا يعرف سوى نسقه الخاص. وسوسير في حديثه عن اللسانيات الخارجية لا ينكر اشتراها على أشياء ذات أهمية عادة ما تحضر في الذهن عند دراسة الكلام، ومن هذه الأشياء علاقة اللغة بالعلوم الأخرى و مجالات الحياة المختلفة، وكذلك علاقة حاملتها بتاريخهم وثقافتهم بما في ذلك الأدب وغيره.

وما يُطلق عليه سوسير عبارة: (اللسانيات الخارجية) له دائمًا صلات بالإثنولوجيا (علم الأجناس البشرية) بدرجة أولى، فجميع النقاط التي بواسطتها تتصل اللسانيات بهذا العلم، وهي جميع العلاقات التي يمكن أن توجد بين تاريخ لغة من اللغات و الجنس من الأجناس البشرية أو حضارة من الحضارات. وهذا التارikhان يتداخلاً و يقيمان علاقات متبادلة؛ إذ عادة ما يكون لأخلاق أمة من الأمم انعكاس يرتدي على لغتها، ومن جهة أخرى فإن اللغة هي التي تصطليع إلى حد كبير بأن تجعل من الأمة أمة.

وفي مرتبة ثانية يُشير سوسير إلى العلاقات الموجودة بين اللغة والتاريخ السياسي،

فإن لبعض الواقع التاريخية الكبرى من التأثيرات ما لا حصر له في عديد من الظواهر اللغوية. فالاستعمار، على سبيل المثال، ينقل لساناً من الألسن إلى أوساط مختلفة، وهو ما يؤدي إلى تغيرات في صلب ذلك اللسان. وليس السياسة الداخلية للدول دون ذلك أهمية بالنسبة إلى حياة اللغات، فإن بعض الحكومات مثل (سويسرا) ترتضي وجود عدة ألسن في ترابها، بينما نجد بلدانًا أخرى مثل (فرنسا) تسعى إلى توحيد لغتها. ويفضي كل هذا إلى نقطة ثالثة، وهي علاقات اللغة بمؤسسات شتى كالصالونات والبلاتطات والمجامع اللغوية والمدارس، فهذه المؤسسات بدورها مرتبطة بالتطور الأدبي في لغة من اللغات ارتباطاً وثيقاً. وأخيراً فإن كل ما يتصل بانتشار اللغات جغرافياً أو بتنوع اللهجات يدخل في اللسانيات الخارجية، ولا شك أن التمييز بين اللسانيات الداخلية واللسانيات الخارجية في هذه النقطة بالذات يدو أكثر مدعاه للاستغراب، وذلك لشدة ارتباط الظاهرة الجغرافية بوجود كل لغة، ولكنها في الواقع لا تمثل الجهاز الداخلي من اللسان^(٤٨).

فاللسانيات الخارجية إذن تصف الروابط التي يمكن اللغة أن تقييمها مع ما هو خارجي عنها من خلال مراكمه معلومات عديدة ومتعددة، فهي تستطيع أن تراكم جزئيات كثيرة من غير أن تكون مقيمة بنسق، ومن غير أن يكون لها صلة برواية اللغة الداخلية. وهكذا فإن كلاً نطافي اللسانيات الداخلية والخارجية يتجاوران دون واسطة، فكل واحد منها يجلب معه منهجاً غير الآخر، فاللسانيات الخارجية تنطلق من نظرية شاملة يمكنها أن تحشد كميات ضخمة من التفصيات من غير أن تهدف إلى وضعها في شبكة نظام ما. وعلى عكس ذلك اللسانيات الداخلية، فهي لا تستعمل أية خطة عشوائية، ولا تجيز سوى ما يتوافق مع نظام اللغة الخاص^(٤٩).

بقاء لسان من الألسن ثابتاً ثبوتاً نسبياً يمكن أن يكون ناتجاً عن عوامل خارجية لا تمت إلى اللغة بصلة، مثل تأثير بلاط أو مدرسة أو مجمع لغوي أو نظام كتابة إلخ؛ فنظام الكتابة، وهو موضوع دراستنا، يفرض على اللغة ثابتاً يعود إلى ما يتميز به من طابع رسمي عال، ففي الحضارات كلها، ولأسباب ثقافية وإدارية ودينية... إلخ تكون قاعدة مكتوبة لتكون نموذجاً يسير على نهجه الكتاب، وهو لاء يلزمون

أنفسهم بها تقدّم ويلغون ما لهم من عادات شخصية أو اختيارات مفضّلة (إقليمية أو فردية). فتعليم المدارس، على سبيل المثال، قد رَسَخَ في عدد هائل من الأفراد استخداماً ثابتاً نسبياً، يتعارض دوماً وبصورة واضحة مع العادات الشفهية، وقد أمكن لهذا الاستعمال الذي جاء وفقاً للقواعد أن يهارس بدوره تأثيره على لغة الكلام^(٥٠). وهذه العوامل بدورها يساعدها التوازن الاجتماعي والسياسي مساعدة إيجابية^(٥١).

فاستعمال الكتابة يعتمد على جانب كبير من الرسمية حيث يفترض أن ما يقال يُشكّل معلومات، ويعني ذلك اعتبار أن اللغة تُستعمل للتعبير عن أفكار، واللغة في حقيقة الأمر قد تتلاعب بأصواتها، وتتيح مجالاً لكي تُستعمل بشكل لعب، مما يؤدي إلى وضع شكل الكلام في الطليعة بدلاً من محتواه، وهكذا لا تكون اللغة فقط لنقل المعلومات. ومن ثمَّ تظهر لدينا مشكلة تتعلق بجانب الكتابة الرسمي، وهي أن الكتابة لا تبين بعض الظاهرات غير اللغوية كالتلاء بالأصوات، ولا يمكنها من ثمَّ أن تعمّم أي ملاحظات عنها^(٥٢).

ولهذا فإن اللغة وكتابتها تشكّلان نظامين متباينين من أنظمة الدلائل، ولا مبرر لوجود الكتابة سوى تمثيل اللغة، وموضع اللسانيات لا يتحدّد في كونه نتيجة الجمع بين صورة الكلمة مكتوبةً وصورتها منطقية، بل ينحصر هذا الموضوع في الكلمة المنطقية فقط، إلا أن امتراج الكلمة المنطقية بصورتها المكتوبة امتراجاً عميقاً انتهى بالصورة المكتوبة إلى اغتصاب الدور الأساس للصورة المنطقية. حتى إن الأمر قد آل بالناس إلى أن يُعيروا الدليل المكتوب أهمية تفوق أهمية الدليل الصوتي، ومثلهم في ذلك، كما يرى سوسيير، كمثل المرء يريد معرفة أحد الأشخاص، فيتصوّر أن أفضل طريقة لذلك هي أن ينظر إلى صورته الفوتوغرافية بدل النظر إلى ملامحه الحية. فلغة إذاً صورة شفهية مستقلة عن الكتابة وأكثر صدقًا منها بكثير، ولكن تعظيم الناس للصورة المكتوبة يمنعهم من تبيّن ذلك، وقد أخطأ اللسانيون الأوائل في هذا الشأن كما أخطأ قبلهم المختصون في دراسة الآداب واللغات العتيقة^(٥٣).

وقبل هذا أدرك سوسيير أن عالم اللغة (بوب) نفسه، على سبيل المثال، لا يُميّز تميّزاً

واضحًا بين الحرف المكتوب والصوت، بل إن من يقرأ ما كتبه يتوجهُ أن لا سبيل إلى الفصل بين لغة ما وحروف أبجديتها، ثم وقع تابعوه المباشرون في الفَحْ نفسه. بل إن الأمر وصل، كما يذكر سوسيير، بـ(فاسطون دي شان) متهدّلاً عن (برتلو): إنه قد صان اللغة الفرنسية من التلف والاندثار بتصديّه لتسهيل قواعد رسمها^(٥٤).

فاللسانى عندما يصل به الأمر إلى مسألة وصف لغات معينة يجد من الأسباب ما يكفي لاعتبار الصورة المنطقية والصورة المكتوبة للغة الواحدة متماثلين بشكل مطلق، وحالة التمايز التامة لا تحدث إلا في النموذج النظري المثالي. ولهذه النظرة ما يبرّرها، فالصوت هو عنصر إمكانية وقابلية التغير والتشكل اللامحدود، وهو بوصفه المادة الأولى للكلام لا صورة له مطلقاً، فهو مادة لا توجد فعلاً في ذاتها أبداً، فهو محض إمكانية مجرّدة وغير محددة للسيرة، فلا يوجد عزل تام للصوت، والصوت المعزول لا وجود له، وحينما نعزل صوتاً ما فإن ذلك يكون بافتراضخلفية معيارية وسياق خيالي مجرّد، نرى أنه قادر على تجسيد الصوت وتمثيله، وهذه عادة لها من القوة ما يجعل التخلص منها دفعه واحدة وإلى الأبد أمراً مُستعصياً.

ولقد أدرك سوسيير ذلك عندما قال: «إن استعمال النحاة للفعل (نطق) وللمصدر منه؛ أي (النُّطُق) هو تكريس لذلك الشطط وقلب للعلاقة الشرعية الحقيقة التي تجمع بين الكتابة واللغة رأساً على عقب، فقوهم بأن حرف كذا أو كذا يُنطق هكذا أو هكذا دليل على أنهم يجرّون صورة الشيء الخارجية مجرّد الشيء ذاته»^(٥٥). وهذا وبشكل مواز لمصطلح (صوت) يستعمل سوسيير مصطلح (هيئه صوتية)، وهو مصطلح مهم جدّاً؛ ذلك أن سوسيير يعتبر أن لا وجود لصوت خام في لسان ما، فكل (صوت) هو في اللسان هيئه صوتية على الأقل، والإشارة التي هي مجرد تتبع موجات صوتية لا تستحق بالنسبة إليه سوى اسم هيئه صوتية، وهكذا يُعرّف المنطوق بأنه هيئه صوتية لها القدرة على الإيحاء^(٥٦). وتجدر الإشارة هنا إلى أن هيئه الصوتية هي أكثر من مجرد مجموعة أو سلسلة من الأصوات المفردة، إنها أشبه بالإيقاع الذي تُهمّل معه عادة حدة الأصوات بعضها إلى بعض.

ومن ثَمَّ فإن الصوت بلا تشكيل؛ أي ارتباط صوت بأصوات أخرى ضمن

وحدة لغوية ما، لا وجود له، وهكذا يكون في ذاته غير مُحدَّد لكنه قابل للتحديات المعاقبة التي تجعل تشكيل البنية المنطقية ممكناً. والمنطق هو التشكُّل القابل للتغيير المحدود وفق ما تميله قوى التوجيه الذاتي لنظام اللغة، فإمكانيات تغير الصوت المتشَّكل محدودة؛ لأن المادة الصوتية التي تلقت الصورة النهائية التي تجعل من الوحدة اللغوية ما هي عليه هي أيًضاً محدودة على نحو ما، وهذا التحديد هو ما أوهم العلماء بوجود شيء من التماثل بين الشكل المنطوق والشكل المكتوب.

فالكتابة لم تبلغ مرتبة الكمال مع كونها اختراعاً حاسماً؛ إذ يلاحظ في الألسنة كافة تعديل تدريجي في النطق تتفاوت سرعته، يُبطل كتابة كانت في البدء أمينة، فالكتابة في مبدأ وضعها عادة ما تكون متناسبة مع الكلام ذاتية فيها، ولكن بعد أن يمضي على اللغة زمن وتأخذ في التغير والابتعاد عن وضعها السابق لا يكون أمام الكتابة سوى الشروع في مقاومة التغيير للبقاء على ملامح الارتباط الأولى. ومن هنا تأتي صعوبة ضبط الإملاء لدى معظمشعوب؛ مما يفسِّر جزئياً كارثة تعلُّمه، فصعوبة التدوين الأبجدي، وهو يحمل آثار نطق قديم يمكن أن تزداد بسبب تغيرات صوتية^(٥٧).

وعندما يوضع نظام كتابي من هذا القبيل، فإنه يعكس في بدايته حالة اللغة عكساً فيه قدر كاف من الخضوع لمقتضيات النطق، اللهم إلا إذا كان ذلك النظام الكتابي قد استعير من لغة أخرى مع ما يحمل في طياته من شائن الاختلالات، فعندما يستعير الشعب من الشعوب نظامه الكتابي من شعب آخر ففي كثير من الأحيان لا تلائم إمكانيات ذلك النظام المستعار وظيفته الجديدة ملائمة كافية، فتراهم يلجؤون اضطراراً إلى جملة من الحيل، ومن ذلك استعمالهم حرفين اثنين للدلالة على صوت واحد.

وعلى الرغم من وجود خصائص مميزة جداً للألفبائيات العربية من حيث مقتضيات النطق، فإن هذا الانسجام بين الخط والنطق لن يُعمَّر طويلاً، فقد تكون الصورة المكتوبة منطقية في وقت ما، ولكنها تصبح لا وجه لها بعد أن يمضي عليها قرن من الزمان. ويجب الإشارة هنا إلى أنه في العصور الأولى كان الناس يعتبرون في الكتابة ما يَحْدُدُ من تغيرات في طريقة نطقهم، فكان لكل طور من أطوار تاريخ

اللغة طور مناسب في تاريخ الكتابة. ولكن الكتابة بعد ذلك ظلت كما هي ولم تتغير، بينما تواصل تطور اللغة من حيث النطق، ومنذ ذلك الحين نشأ بينها وبين قواعد الرسم اختلاف ما فتئ يتضاعف ويستفحّل، وفي آخر الأمر لما بقي الناس يصلون بين هذين الضريبين من العناصر المتنافرة كان لهذا الأمر انعكاسه المباشر على نظام الكتابة نفسه^(٥٨).

ولا يوجد نظام كتابي حتى الآن يستطيع أن يُقدّم تمثيلاً لجميع المميزات الصوتية المهمّة، وعليه فإنه توجد طرائق غير متكافئة عديدة للفظ الجملة المكتوبة نفسها، وتختلف هذه الطرائق بالنبرة والتنغيم وعلامة الإعراب ... إلخ، وتحقّق علامات الترقيم والحرروف المائلة والكبيرة في اللغة المكتوبة المدف نفسه الذي تحقّقه النبرة والتنغيم في اللغة المنطوقة، إلا أن اللغة المكتوبة لا تستطيع مع ذلك أن تمثّل اللغة المنطوقة بشكل يفي بالمطلوب^(٥٩).

فالامتياز المُتعَقّد للكلام يجعل من تمثيل الكتابة له تمثيلاً متطفلاً وغير تام، حيث يستبعد سمات كثيرة ينطوي عليها الكلام، ويستبعد كذلك وجودها من وظيفته، ولذلك فإن نقاش سوسير للكتابة يُشير إلى شيء مهمٌ محل رهان، إنه يتكلّم عن مخاطر الكتابة، مخاطر تنطوي على إخفاء الكلام وأغتصاب دوره أحياناً. فاستبداد الكتابة قوي وماكر، ويفضي إلى أخطاء في النطق تُعدُّ مَرَضية؛ أي أخطاء تؤدي إلى إفساد طرائق الأداء السوية، فالكتابه بقدرها أن تؤثر في الكلام، ولذلك تُصبح العلاقة بينهما أكثر تعقيداً مما بدت عليه للوهلة الأولى^(٦٠).

ومع وجود أنظمة مختلفة للكتابة، فإن اللسانين يتفقون على أنه لا نظام من أنظمة الكتابة المستعملة عموماً يفي بمتطلبات كل ما يوجد في اللغة، وكل أنظمة الكتابة لا تسعى من حيث المبدأ إلا إلى تمثيل الألسن، وتعجز عن ذلك بدرجات متفاوتة^(٦١). ولا يمكن لقارئ بواسطة الكتابة وحدها أن يتكلّم بلكتمة المتكلّم الأصلي، فالمعلومات التي يمكن وضعها في حروف أبجدية ما زالت محدودة^(٦٢)، «وقد شغل علماء الأصوات أنفسهم حتى وقت قريب بإصلاح الإملاء، بما في ذلك ابتكار رموز أبجدية إضافية وبأنظمة رموز صوتية عامة. وقد أصبح واضحاً في النصف الثاني من

القرن العشرين أنه مع الزيادة في تعقيد البنية الصوتية فإن كل نظام كتابة - مهما تكن درجة إصلاحه - لا بد أن يتتجاهل كثيراً من الفروق الصوتية الملحوظة، وإنَّ أي كتابة صوتية ضيقة تكون قريبة من الهدف المتعذر: (رمز واحد للصوت الواحد)، سوف تكون شديدة التعقيد على نحو ميؤوس منه فيها يتصل بالاستعمال الفعلي في كتابة لغة معينة»^(٦٣).

٥. تقويض اللسانيات للكتابة:

إذا كان التخلِّي عن الكتابة في الدرس اللساني الحديث يُعدُّ، من وجهة نظر سوسير، خطوة خططوها صوب الحقيقة، فإن معناه بالنسبة إلى علماء اللغة الأوَّلِين هو أن تَزَلَّ بهم القَدْمَ، وإنَّ لهم شاع بينهم منذ أقدم العصور ولا يزال، فما شاع من اعتقاد بأن اختلال اللسان يكون أسرع إذا انعدمت الكتابة هو الضلال بعينه، كما يرى سوسير. فقد تُخفَّفَ الكتابة في بعض الحالات من سرعة التغيرات التي تطرأ على اللغة، لكن وبخلاف ذلك فإن دوام اللغة وبقاءها لا يؤثُّر فيها انعدام الكتابة بالمرة، فقد تواصل وجود ظواهر لغوية معينة على جانب كبير من الدقة من غير أي لجوء إلى الكتابة^(٦٤). فالذي يُحدِّد نطق الكلمة من الكلمات ليس صورة رسماها، وإنما هو تاريخها، وأما صورة رسماها في الخط في زمن ما، فتُمثِّل مرحلة ما من مراحل تطورها، وهو تطُور مفروض على الكلمة ابْنَاعه ومضبوط بقوانين دقيقة، وكل مرحلة من المراحل يمكن أن تُضبط بالمرحلة السابقة لها^(٦٥).

فالاعتماد على الشكل المكتوب في دراسة اللغة يقود إلى أخطاء جسيمة، فعلم اللغة المبني على الشكل المكتوب علم مُزَيَّف، ما لم يكن الهدف منه النظرة التاريخية للفترة التي مثلَ فيها شكل اللغة المكتوب شكلها المنطوق، فالشكل المكتوب يُمكِّن الاعتماد عليه لصالح مقاربة تاريخية ومعرفية لدراسة تطور اللغات. ولهذا لا يوجد مفهوم للكتابة يسمح بالتفكير بأن جوهر هذه الظاهرة يتماثل مع الكلام المنطوق بشكل قار، فيروز الكلام لدى البشر متعلِّق بالتغيير والتطور، وظهور سند الكتابة متعلِّق بحالة ما من حالات الكلام المنطوق، أَخَذَت صفة الديمومة والثبات. فالمنطوق يسبق دائمًا المكتوب، والنظام الكتبي للسان ما هو دائمًا نسخ مُطَوَّر تقريرياً لبنية المنطوق، والعلماء يؤرخون للمنطوق بحدود ملايين السنوات، بيد أن البشرية لم تبدأ إلا منذ بضعة

آلاف من السنين في استعمال الأشكال الكتابية، ولم يُعرف أن ظهور الكتابة المتأخر كان من أجل الإبقاء على الكلام المنطوق وحفظه من الاندثار، ولو صحَّ ذلك لكان عمر الكتابة إذاً من عمر الكلام المنطوق^(٦٦).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن تأثير الكتابة في التحليل اللغوي وعلاقتها باللسانيات لم يُقيِّمها بجدية قبل سوسيير، وقد تم تجاهل هذه المسألة من قبل التحويليين وفلاسفة اللغة، أو بالأحرى لم يتبنَّها لأنَّ ثمارها البعيدة في العلم الذي يدرسونه^(٦٧). ويمكن أن نستثنى من هؤلاء (فيلهلم فون همبولت) الذي قدَّم تحذيرات غير مباشرة بهذا الشأن، وذهب إلى أن اللسان ليس عملاً؛ أي نتاجاً متناهياً، ولكنه نشاط؛ أي طاقة، فهو شيء ما، علينا تصوُّره في انتشاره. ومع هذه التحذيرات فقد تصرَّف النحاة كما لو كان اللسان وضعياً مادياً؛ نتاجاً وليس حدثاً، وكأن رسالة (هэмبولت) لم تُفهم فهماً كلياً؛ لأنَّه في الحقيقة لم يكن دائماً واضحاً. فلماذا نمتلك جيئاً انطباعاً بأن اللسان نتاج، وليس حدثاً أساسياً؟ لأننا في حقيقة الأمر نُمثِّله بشكل نص مكتوب بصورة عامة، فتأثير صورة الخط تبقى ملحوظة^(٦٨).

وكي تتم دراسة لسان ما، فنحن نُثبتُه ونجمده، لا بواسطة صورة الخط المتمثلة بالكتابات التصويرية والتصوُّرية والمقطعية والأبجدية فحسب، ولكن عندما نُوفِّر له كذلك كتابة صوتية، وبذلك لا يكون أمامنا سوى شكل جامد، وهذا ما يعطي انطباعاً بأننا نعمل بواسطة نتاج متناه، فالكتابة بجميع أنواعها أسهمت في حجب الممارسة الحية للكلام، وهي بذلك لا تكون سوى إسقاطات خطية ميتة وغير كافية للأداء النطقي. وفي القرن العشرين، عندما اعْتَنَى العلماء باللغة لذاتها وبذاتها، وفقاً لصيغة دروس سوسيير، لم يعد اللسانيون يحتفظون بهذا المظهر على الإطلاق، فقد كشف سوسيير عن اشتغالية اللغة الإنسانية وانتشارها، وجميع قراء دروس سوسيير يتذَكَّرون، على الأرجح، الرأسين اللذين يتبدلان الرسائل اللغوية^(٦٩).

وقد حذَّر سوسيير من أن تكون الكتابة موضوعاً للبحث اللساني، ويبدو ذلك

صراحة في تعامله مع الكتابة؛ إذ يمنحها وضعًا ثانويًا ومُشتقةً، يبتعد بها عن أن تُشكّل مع الكلام المنطوق توليفة للتحليل اللغوي. فالشكل المنطوق هو وحده ما يؤسس موضوع اللسانيات، وأما الشكل المكتوب فليس سوى وسيلة لتمثيل الكلام، أي هو أداة تقنية أو ملحقاً برأيًا لا ضرورة لوضعه في الاعتبار عند دراسة اللغة^(٧٠).

وإنْ صحَّ وجود ما يُسمَّى بـ(علم الكتابة)، فإن هذا العلم مُزيف في حال لم تكن هذه الكلمة تعني الرؤية التاريخية لتطور أنظمة الكتابة، وهو علم يجب التخلِّي عن مشروعه لصالح مقاربة تاريخية ومعرفية لعلوم اللغة والتقنيات المتعلقة بها، ولا يوجد مفهوم للكتابة مبني على أُسس جيدة ويسمح بالتفكير بأن جوهر هذه الظاهرة يسبق وجود الكلام أو يتساوى معه في القيمة العلمية^(٧١). وتمثل دراسة الكتابة اختصاصاً مغايِراً للسانيات، وإن كانت عملياً فرعاً من فروعها، فاللسانى لا يأخذ بعين الاعتبار ما يتعلق بالرسم من معطيات إلا إذا أثَّرت هذه المعطيات في شكل العلامات الصوتية، وهو تأثير في العموم محدود^(٧٢).

ولقد قدَّم سوسيير نقداً دقيقاً للسانيات بما هي مقاربات تقنية بحق اللغة، وتمثَّل ذلك النقد باختزال دراسة اللغة في شكلها المكتوب، وألحَّ سوسيير شأنه شأن بعض اللسانيين على أهمية اللغة المنطقية بوصفها الوسط الطبيعي لرصد وقائعها، وذلك بخلاف الكتابة التي هي مجرَّد مُنجز ثقافي تم استيقافه منها. ولا يتعلَّق الأمر هنا بكون الكلام سابقاً تاريخياً على الكتابة، أو كون كثير من اللغات ليس لها أنظمة كتابية بعد، وإنما يتعلَّق الأمر بالعمليات اللغوية التي لم تكن أبداً سكونية، فالكيفية التي تعمل بها اللغة هي كيفية متحركة باستمرار، وهو ما يُظهره شكل اللغة المنطق ب بصورة واضحة، يفتقر إليها شكلها المكتوب.

ومن هذه العمليات اللغوية غير السكونية عملية التغيير اللغوي، فقد أثبتت القوانين التاريخية المتعلقة بالتغييرات الصوتية التي يُبرِّزُها فقهاء اللغة أنها تنطبق بصورة صحيحة على الشكل المنطوق، وليس على الشكل المكتوب، فتغير اللغات

المكتوبة يمكن أن تحكمه طريقة مختلفة تماماً عن عملية تغير اللغات غير المكتوبة. وتجدر الإشارة هنا إلى أن ذلك لا يعني أن هنالك انقطاعاً تاماً بين شكل اللغة المنطق و المكتوب في ما يتعلّق بعملية التغيير اللغوي، فخلال القرن التاسع عشر حدث تقدُّم كبير في الأبحاث المتعلقة باستقصاء تطور اللغات التاريخي، فبدأ العلماء يدركون بوضوح أكثر من ذي قبل أن التغيرات التي حدثت في اللغة الأدبية المكتوبة في العصور المختلفة يمكن تفسيرها بواسطة التغيرات التي حدثت في اللغة المنطقية المقابلة لها^(٧٣).

وقد أحدث سوسير وغيره من العلماء انقلاباً في نهج النحاة القديم، فاللسانيات المعاصرة تقوم بعكس ما يقوم به النحو، فهي لا تُعنِّي سوى بالشكل المنطق من اللغة؛ أي هي لا تدرس سوى التغير، وقد وجدت في هذا النهج فرصة لتطور. فدراسة عملية التغيير اللغوي لم تكن غائبة عن لسانيات القرن التاسع عشر في حقيقة الأمر، إلا أن لسانيات القرن العشرين كانت أقدر على رسم الملامح الحقيقية لعملية التغيير اللغوي بدقة أكثر علمية، وهو ما جعلها تصبح علم المتغير؛ علمًا لا يدرس العناصر المتغيرة في حالة انعزالها، وإنما ينظر إلى تغيرها في ضوء العلاقات التي تجمعها بغيرها من عناصر النظام الأخرى، وكذلك علمًا لا يجعل أسباب التغير منحصرة في الظروف الخارجية الطارئة على نظام اللغة، وإنما يرجعها إلى مبادئ ذاتية تُسِّمِّهم في تغيير النظام الداخلي للغة وحفظ توازنه في آن معًا.

وهذه واقعة كثيرة ما يغفل عنها من يتعمون إلى ثقافات كتابية؛ ذلك أن الشكل المكتوب أسهل مناً، وهو ما يجعله يبدو واقعياً بصورة لا يختلف فيها عن الشكل المنطق، وذلك مأزق يسهل وقوع فقهاء اللغة ودارسي اللغات الميتة فيه، فهم لا يدرسون سوى الوثائق المكتوبة، ولم يسمعوا أبداً اللغة التي يدرسوها وهي تُنطق. فالكتابة وحدها لا يمكن أن تُقدّم انتظاماً حقيقياً عن المنطق؛ ذلك أن المعلومات التي يمكن وضعها في حروف أبجدية لا تزال محدودة^(٧٤).

النتائج:

لقد انتهت الدراسة إلى أنه ليس للغة شكل مفضل لتمثيلها، فهي تتيح مجالاً لسناند كثيرة يستفاد منها في تمثيلها بدلًا من الاقتصار على سند واحد يكون له طابع الأفضلية. فالكتابة، على سبيل المثال، وإن حصلت قدّيماً على امتياز خاص ومتفرد بوصفها أفضل صورة لروح اللغة، إلا أنها اليوم لم تعد كذلك؛ إذ لا يمكن الكتابة في نظر اللسانيين أن تنبع بشكل كامل إلا إذا بدأت تتغير بشكل مستمر لتوافق مع الكلام المنطوق.

ولهذا يجب على ممارسي الكتابة أن يُبدوا استعداداً دائمًا لاختبار صلاحيتها وتطويرها على أكمل وجه؛ لتقوم بما نظن أنه دورها الأساس. ولو افترضنا حصول ذلك الأمر، وهو هدف لساني بحت، فإن الكتابة ستفقد كثيراً من وظائفها التي وجدت من أجلها، وخصوصاً أن بداية وضعها لم تكن مرتبطة بصدق ووضوح تمثيل الكلام المنطوق بدرجة أولى، بقدر ما كان مرتبطاً بحفظ تراث مهدد بالنسيان، وحفظ هذا التراث واستحضاره يفي به أدنى نظام مقتضى من الرموز المتعارف عليها. ولهذا فإن إجراء تعديلات مستمرة على نظام الكتابة ليوافق الكلام المنطوق يتناقض مع الغاية الثقافية من وجوده، ويُسهم في إبعاده عن أشكاله الأولى التي لا تعود قابلة للقراءة من قبل الأجيال اللاحقة، وهو ما يؤدي إلى إحداث قطيعة مع تراث الأمة القديم.

والكتابة هي أداة ناقصة بالنظر إلى الكيفية التي تحدّد بها الكلام المنطوق، وإن صح المبدأ الذي يقول: (أن يكون الشيء هو أن يكون قيمة لمتغير) فإن نجاح الكتابة، وهي غير قادرة على تحديد قيم المتغيرات التي يحملها الكلام المنطوق، يُعدّ نسبياً بالنظر إلى ما يجب عليها أن تقوم به، فالكتابة لا يمكنها أن تمثل الكلام المنطوق بأشكال توافق طبيعته المتغيرة والمتحدة، ومنى ثم الاحتياج إلى تأويل لبعد الكتابة عن شكلها المنطوق، فإنها بذلك تفقد كثيراً من قيمتها الوظيفية.

ويبدو أن الكتابة قد وجدت لتكون دائمًا بعيدة من شكلها المنطوق، ومحاولة سدّ الفجوة بينهما لا يجعل منها نظاماً، بل مجرّد نسخ فردي لحالات غير متناهية من اختلافات النطق. ولهذا فإنه لا يوجد طريقة واحدة تجعل من الكتابة أداة كاملة

لتحديد الكلام المنطوق بدقةٍ و موضوعية، وبالنسبة إلى أي عدد من حروف لغة ما، يفترض فيه أن يكون ممثلاً دقيقاً لجميع فروق أصواتها، لا توجد أيضاً كيفية واحدة موضوعية تمثل اللغة بعدد معين من الحروف يمكنه أن يُعيدها شكلاً يوافق هيئة شكلها المنطوق.

واللسانيات اليوم تنظر إلى الكلام المنطوق على أنه الشكل الوحيد الذي تبني عليه دراسات علمية دقيقة؛ لكونه يظهر التعدد والاختلاف، وترفض هذه اللسانيات أن تُقيم بحثها على السند المكتوب لكونه يظهر اللغة كما لو كانت تنطوي على ديمومة ووحدة. وفي الحقيقة إن الكتابة لا تُشوه الكلام على النحو الذي يعتقد، بل إن ما نفعله بشهادتها هو ما يضع التشويه في داخلها، مثل مقوله الوحدة ومقوله الشيئية ومقوله الديمومة.

فالكتابة هي الشاهد الوحيد على تغير اللغة و اختلافها قبل أن تظهر التقنيات الحديثة، والعقل هو السبب في تزييف شهادة الكتابة على الكلام المنطوق، وإن الكتابة ولكونها تحفظ لنا أقدم أشكال اللغة، تُعدّ أصلاً يُظهر حجم الاختلاف والتعدد الذي يحمله شكل اللغة المنطوق كلما ابتعد عن هذا الأصل. فالبعد شرط أساسي؛ لأنه يصعب أن نلحظ اختلافاً في مَنْ كان يسكن قرب الأصل، ومن هذه الناحية يكون الفارق بين شكل اللغة المكتوب وشكلها المنطوق هو المحدد لسيرورة اللغة وحجم تغيرها.

وإنَّ علاقة الشكل المكتوب بالشكل المنطوق تُلخص لنا الكيفية التي ننظر بها إلى مسألة ثبات اللغة وتغيرها، ففي ما مضى كان يُنظر إلى مسائل التعدد والتغيير والسيرورة بشكل عام على أنها دليل على ظاهرية الكلام، وعلامة على أنه لا بد أن هنالك شيئاً ما يقودنا إلى الخطأ. واليوم فإننا على العكس من ذلك نرى أبعد ما يمكن إلى الحد الذي نرفض فيه مسائل وحدة اللغة و ثباتها، فالخطأ يكمن في هذه النظارات الموزعة بالتحديد، فهنالك النظرة الثقافية التي ترى جوهر اللغة في ثباتها المعلن عنه في شكلها المكتوب، وهنالك طبيعة اللغة التي تتولى مهمة الدفاع عن تغير الكلام وسيرورته، وهو ما يُشكّل هويتها الأساسية.

وإنَّ اللسانيات الحديثة اليوم وهي تُنقد الكتابة تعلم أن لا جدوى من محاولة

إصلاحها؛ ذلك أنه من باب المفارقات الكبيرة أنْ يُطلب من الكتابة تمثيل صور متغيرة وهي بحد ذاتها شكل ثابت *قلماً* يتغير. فالكتابة، وهي آلة، لا يمكنها أن تكون دائمة الحركة، ولا يمكن لكتفيتها أن تكون ١٠٠٪، فشأنها في ذلك شأن أي آلة من صنع الإنسان.

فمهما يتم من ابتكار رموز ميزة وعلامات فارقة، فإن الكتابة مع ذلك ت عدم كل وسيلة من شأنها أن تجعل تدفق سيرورة الكلام يسري فيها، فالتكلّسات التي تفرضها على الشكل المنطوق لا يمكن مواجهتها، وكل دعوة لإصلاحها عليها أن لا تُغفل هذا العيب الذي لا يمكن تداركه.

ومع ذلك يستوجب الأمر أن يُصار على أي حال إلى المواظبة على الكتابة دون انقطاع، ومن غير هذا الوعي فيما من نظام للكتابة يكون ممكناً، فاستعمال الكتابة قائم على الرغم من نجاحها النسبي في أداء وظيفتها، وإنْ قُدِرَ اليوم للسانيات الحديثة أن تهزم الكتابة إلا أن ذلك لن يدفعها لأن تتخلى عنها تماماً، وكان شعار اللسانيين هو: ينبغي أن نهزم الكتابة، لكن من دون إلغائها.

هواش الدراسة:

١. يُنظر: مونان، جورج: علم اللغة في القرن العشرين، ترجمة: نجيب غزاوي، وزارة التعليم العالي، دمشق، ١٩٨٢م، ص ٢٤٨.
٢. يُنظر: دورانتي، ألسندر: الأنثروبولوجيا الألسنية، ترجمة: فرانك درويش، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٣م، ص ١٣٧.
٣. يُنظر: أورو سيلفان وديشان جاك وكولوغلي جمال: فلسفه اللغة، ترجمة: بسام بركة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٢م، ص ٩٧.
٤. يُنظر: جادامر، هانز جيورج: تجلّي الجميل ومقالات أخرى، ترجمة: سعيد توفيق، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٢٣٧.
٥. يُنظر: حجاج، كلود: إنسان الكلام (مساهمة لسانية في العلوم الإنسانية)، ترجمة: رضوان ظاظا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ١١٠.
٦. يُنظر: يُنظر: دي سوسيير، فردینان: دروس في الألسنية العامة، تعريب: صالح القرمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٥م، ص ٥١.
٧. يُنظر: حجاج: إنسان الكلام، ص ٩١.
٨. يُنظر: إتشسن، جين: اللسانيات (مقدمة إلى المقدمات)، ترجمة: عبد الكرييم محمد جبل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ٣٦. غادامير، هانز جورج: الحقيقة والمنهج (الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية)، ترجمة: حسن ناظم وعلي حاكم صالح، دار أويا، طرابلس، ٢٠٠٧م، ص ٦٩٨.
٩. يُنظر: دي سوسيير: دروس في الألسنية العامة، ص ٤٥، ٢١٣.
١٠. يُنظر: كولاس، فلوريان: اللغة والاقتصاد، ترجمة: أحمد عوض، الكويت، سلسلة عالم المعرفة (٢٦٣)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، ٢٠٠٢م، ص ٢٤٣.
١١. يُنظر: حجاج: إنسان الكلام، ص ٩٥.

١٢. يُنظر: شتراوس، كلود ليفي: مداريات حزينة، ترجمة: محمد صبح، دار كنعان، دمشق، ٢٠٠٣م، ص ٣٨٢، ٣٨٣.
١٣. يُنظر: أورو وديشان وكولوغلي: فلسفة اللغة، ص ٩٧. حاجاج: إنسان الكلام، ص ٩٣.
١٤. يُنظر: كولاس: اللغة والاقتصاد، ص ٢٤٢.
١٥. يُنظر: مارتينه، أندرية: وظيفة الألسن وдинاميتها، ترجمة: نادر سراج، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٩م، ص ١٧٠.
١٦. يُنظر: كلر، جوناثان: «التفكير»، ترجمة: حسام نايل، مجلة النقد الأدبي فصوص، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ٦٦، ٢٠٠٥م، ص ٩٩.
١٧. يُنظر: غادامير: الحقيقة والمنهج، ص ٦٩٨. بارت، رولان: نقد وحقيقة، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، بيروت، ١٩٩٤م، ص ٨٣.
١٨. يُنظر: مانغويل، ألبرتو: الفضول، ترجمة: إبراهيم قعوني، بيروت، دار الساقى، ٢٠١٧م، ص ٩٤.
١٩. يُنظر: إليس، جون: ضد التفكير، ترجمة: حسام نايل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٢م، ص ٣٧.
٢٠. يُنظر: دي سوسيير: دروس في الألسنية العامة، ص ٥٠، ٥١.
٢١. يُنظر: حاجاج: إنسان الكلام، ص ١٢٤.
٢٢. يُنظر: كالفي، لويس جان: حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة: حسن حمزة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٨م، ص ٥٤.
٢٣. يُنظر: فوكو، ميشيل: الكلمات والأشياء، ترجمة: مطاع صفدي وآخرين، مركز الإنماء القومي، بيروت، ١٩٩٠م، ص ٣٤.
٢٤. يُنظر: ديكرو، أوزوالد وستايفر، جان ماري: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ٢٧٢.
٢٧٢. كولاس: اللغة والاقتصاد، ص ١.

- .٢٥. يُنظر: دي سوسيير: دروس في الألسنية العامة، ص ٥١.
- .٢٦. يُنظر: مالبرج، برتيل: مدخل إلى اللسانيات، ترجمة: السيد عبد الظاهر، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠م، ص ٩٥.
- .٢٧. يُنظر: حجاج: إنسان الكلام، ص ١٠٢.
- .٢٨. يُنظر: دي سوسيير: دروس في الألسنية العامة، ص ٥١.
- .٢٩. يُنظر: دي سوسيير: دروس في الألسنية العامة، ص ٥٦، ٥٧.
- .٣٠. يُنظر: دي سوسيير: دروس في الألسنية العامة، ص ٥١، ٥٢.
- .٣١. يُنظر: دي سوسيير: دروس في الألسنية العامة، ص ٥٦.
- .٣٢. يُنظر: ليونز، جون: اللغة واللغويات، ترجمة: محمد إسحاق العناني، مؤسسة رلي للنشر، عمان، ١٩٩١م، ص ٢٣٨.
- .٣٣. يُنظر: دي سوسيير: دروس في الألسنية العامة، ص ٥٨.
- .٣٤. يُنظر: أفلاطون، محاورة كراتيليوس (في فلسفة اللغة)، ترجمة: عزمي طه السيد أحمد، عمان، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩٥م، ص ١٩٠.
- .٣٥. يُنظر: دي سوسيير: دروس في الألسنية العامة، ص ٥٩.
- .٣٦. يُنظر: مانغويل، ألبرتو: يوميات القراءة (تأملات قارئ شغوف في عام من القراءة)، ترجمة: عباس المفرجي، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ٢٠٠٨م، ص ٧٢.
- .٣٧. يُنظر: دي سوسيير: دروس في الألسنية العامة، ص ٥٨، ٥٩.
- .٣٨. يُنظر: ليونز: اللغة واللغويات، ص ١١٤.
- .٣٩. يُنظر: ياكوبسون، رومان: ست محاضرات في الصوت والمعنى، ترجمة: علي حاكم صالح وحسن ناظم، دار الرافدين، بغداد، ٢٠١٨م، ص ١٠٦.
- .٤٠. يُنظر: دي سوسيير: دروس في الألسنية العامة، ص ٢٤، ١٦٢.

٤٤. يُنظر: جاكسون، ليونارد: **بؤس البنية** (الأدب والنظرية البنوية)، ترجمة: ثائر ديب، دار الفرقان، دمشق، ط٢، ٢٠٠٨م، ص٨٧.
٤٥. يُنظر: بنكر، ستيفن: **الغريرة اللغوية** (كيف يبدع العقل اللغة)، تعریف: حزة قبلان المزیني، دار المريخ للنشر، الرياض، ٢٠٠٠م، ص٢٠٣.
٤٦. يُنظر: أتكيسن، جين: **اللغة والعقل** (اللغويات النفسية)، ترجمة: محبي الدين حميدي وعبد الله الحميدان، ضمن كتاب: (الموسوعة اللغوية)، المجلد الثاني (مجال اللغة الأوسع)، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٢١هـ، ص٣٣٦.
٤٧. يُنظر: أوورو وديشان وكولوغلي: **فلسفة اللغة**، ص٤٤٤.
٤٨. يُنظر: دورانتي: **الأنثروبولوجيا الألسنية**، ص١٩٤، ٢٢١.
٤٩. يُنظر: جادامر، هانز جيورج: **تجلي الجميل ومقالات أخرى**، ص١٣٧.
٤٥. يُنظر: دي سوسيير: **دروس في الألسنية العامة**، ص٤٨، ٤٩.
٤٦. يُنظر: دي سوسيير: **دروس في الألسنية العامة**، ص٤٤، ٤٥.
٤٧. يُنظر: دي سوسيير: **دروس في الألسنية العامة**، ص٤٥ - ٤٧، ٢٢٣.
٤٨. يُنظر: دي سوسيير: **دروس في الألسنية العامة**، ص٤٦ - ٤٩.
٤٩. يُنظر: دي سوسيير: **دروس في الألسنية العامة**، ص٤٥ - ٤٧، ٢٢٩.
٤٥. يُنظر: بافو، ماري آن وسرفاقي، جورج إليا: **النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعيّة**، ترجمة: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٢م، ص١١١. بارتشت، برحيته: **مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي**، ترجمة: سعيد بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٩٩.
٥٠. يُنظر: مالبرج: **مدخل إلى اللسانيات**، ص٩٥.
٥١. يُنظر: دي سوسيير: **دروس في الألسنية العامة**، ص٢٢٧، ٢٢٨.
٥٢. يُنظر: دورانتي: **الأنثروبولوجيا الألسنية**، ص٢٣٧.
٥٣. يُنظر: دي سوسيير: **دروس في الألسنية العامة**، ص٤٩.

٥٤. يُنظر: دي سوسيير: دروس في الألسنية العامة، ص ٥٠.
٥٥. دي سوسيير: دروس في الألسنية العامة، ص ٥٧.
٥٦. يُنظر: دوبيكير، لويك: فهم فرديناند دو سوسور وفقاً لمخطوطاته (مفاهيم فكرية في تطور اللسانيات)، ترجمة: ريماء بركة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٥م، ص ١٣٤.
٥٧. يُنظر: حجاج: إنسان الكلام، ص ١٠٢. ريتشاردز، آيفور آرمسترونغ: فلسفة البلاغة، ترجمة: سعيد الغانمي وناصر حلاوي، أفريقيا الشرق، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ٧٤.
٥٨. يُنظر: دي سوسيير: دروس في الألسنية العامة، ص ٥٢ - ٥٤.
٥٩. يُنظر: ليونز: اللغة واللغويات، ص ٣٩.
٦٠. يُنظر: كلر: «التفكير»، ص ٩٩.
٦١. يُنظر: إليس: ضد التفكك، ص ٤٠.
٦٢. يُنظر: دورانتي: الأنثروبولوجيا الألسنية، ص ٢٣٨.
٦٣. روبنز: موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)، ترجمة: أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة (٢٢٧)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٧م، ص ٢٩١.
٦٤. يُنظر: دي سوسيير: دروس في الألسنية العامة، ص ٤٩.
٦٥. يُنظر: دي سوسيير: دروس في الألسنية العامة، ص ٥٨.
٦٦. يُنظر: مارتينيه: وظيفة الألسن وдинاميتها، ص ١٧٠.
٦٧. يُنظر: دورانتي: الأنثروبولوجيا الألسنية، ص ٢١٦.
٦٨. يُنظر: مارتينيه: وظيفة الألسن وдинاميتها، ص ٨٩.
٦٩. يُنظر: دي سوسيير: دروس في الألسنية العامة، ص ٣١. حجاج: إنسان الكلام، ص ١١٠.

٧٠. يُنظر: كلر: «التفكير»، ص ٩٩.
٧١. يُنظر: أورو وديشان وكولوغلي: فلسفة اللغة، ص ١٣٩.
٧٢. يُنظر: مارتيني، أندربي: مبادئ في اللسانيات العامة، ضمن كتاب: إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ترجمة: عز الدين المجدوب، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون (بيت الحكمة)، تونس، ٢٠١٢م، ص ٣٦، ٣٧.
٧٣. يُنظر: ليونز: اللغة واللغويات، ص ٣٠.
٧٤. يُنظر: جاكسون: بؤس البنية، ص ٩٠.

قائمة المصادر والمراجع:

- إتشسن، جين: اللسانيات (مقدمة إلى المقدمات)، ترجمة: عبد الكريم محمد جبل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- أتكيسن، جين: اللغة والعقل (اللغويات النفسية)، ترجمة: محبي الدين حميدي وعبد الله الحميدان، ضمن كتاب: (الموسوعة اللغوية)، المجلد الثاني (مجال اللغة الأوسع)، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٢١هـ.
- أفلاطون، محاورة كراتيليوس (في فلسفة اللغة)، ترجمة: عزمي طه السيد أحمد، عمان، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩٥م.
- إليس، جون: ضد التفكير، ترجمة: حسام نايل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٢م.
- أورو سيلفان وديشان جاك وكولوغلي جمال: فلسفة اللغة، ترجمة: بسام بركة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٢م.
- بارت، رولان: نقد وحقيقة، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، بيروت، ١٩٩٤م.

٧. بارتشت، بريجيت: مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، ترجمة: سعيد بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ٢٠٠٤ م.
٨. بافو، ماري آن وسرفاتي، جورج إلية: النظريات اللسانية الكبرى من التحوير إلى الذرائية، ترجمة: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٢ م.
٩. بنكر، ستيفن: الغريزة اللغوية (كيف يبدع العقل اللغة؟)، تعریب: حمزة قبلان المزيني، دار المريخ للنشر، الرياض، ٢٠٠٠ م.
١٠. جادامر، هانز جبورج: تحلي الجميل ومقالات أخرى، ترجمة: سعيد توفيق، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٧ م.
١١. جاكسون، ليونارد: بؤس البنوية (الأدب والنظرية البنوية)، ترجمة: ثائر ديب، دار الفرقد، دمشق، ط٢، ٢٠٠٨ م.
١٢. حاجاج، كلود: إنسان الكلام (مساهمة لسانية في العلوم الإنسانية)، ترجمة: رضوان ظاظا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٣ م.
١٣. دويكير، لوبيك: فهم فرديناند دو سوسور وفقاً لخطوطيه (مفاهيم فكرية في تطور اللسانيات)، ترجمة: ريماء بركة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٥ م.
١٤. دورانتي، ألسندرورو: الأنثروبولوجيا الألسنية، ترجمة: فرانك درويش، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٣ م.
١٥. دي سوسيير، فردينان: دروس في الألسنية العامة، تعریب: صالح القرمادي و محمد الشاوش و محمد عجينة، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٥ م.
١٦. ديكرو، أوزوالد وشنايفر، جان ماري: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٣ م.
١٧. روينز: موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)، ترجمة: أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة (٢٢٧)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٧ م.
١٨. ريتشاردز، آيفور آرمسترونغ: فلسفة البلاغة، ترجمة: سعيد الغانمي وناصر

- حلاوي، أفريقيا الشرق، بيروت، ٢٠٠٢ م.
١٩. شتراوس، كلود ليفي: مداريات حزينة، ترجمة: محمد صبح، دار كنعان، دمشق، ٢٠٠٣ م.
٢٠. غادامير، هانز جورج: الحقيقة والمنهج (الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية)، ترجمة: حسن ناظم وعلي حاكم صالح، دار أوبيا، طرابلس، ٢٠٠٧ م.
٢١. فوكو، ميشيل: الكلمات والأشياء، ترجمة: مطاع صفدي وآخرين، مركز الإنماء القومي، بيروت، ١٩٩٠ م.
٢٢. كالفي، لويس جان: حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة: حسن حمزه، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٨ م.
٢٣. كلر، جوناثان: «التفكير»، ترجمة: حسام نايل، مجلة النقد الأدبي فصول، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ٦٦، ٢٠٠٥ م.
٢٤. كولماس، فلوريان: اللغة والاقتصاد، ترجمة: أحمد عوض، الكويت، سلسلة عالم المعرفة (٢٦٣)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٠ م.
٢٥. ليونز، جون: اللغة واللغويات، ترجمة: محمد إسحاق العناني، مؤسسة رلي للنشر، عمان، ١٩٩١ م.
٢٦. مارتيني، أندربي: مبادئ في اللسانيات العامة، ضمن كتاب: إطارات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ترجمة: عز الدين المجدوب، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون (بيت الحكمة)، تونس، ٢٠١٢ م.
٢٧. مارتينيه، أندربيه: وظيفة الألسن وديناميتها، ترجمة: نادر سراج، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٩ م.
٢٨. مالبرج، برتيل: مدخل إلى اللسانيات، ترجمة: السيد عبد الظاهر، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠ م.
٢٩. مانغوييل، ألبرتو: الفضول، ترجمة: إبراهيم قعدي، بيروت، دار الساقية،

٢٠١٧ م.

٣٠. مانغويل، ألبرتو: *يوميات القراءة* (تأملات قارئ شغوف في عام من القراءة)، ترجمة: عباس المفرجي، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ٢٠٠٨ م.
٣١. مونان، جورج: *علم اللغة في القرن العشرين*، ترجمة: نجيب غزاوي، وزارة التعليم العالي، دمشق، ١٩٨٢ م.
٣٢. ياكوبسون، رومان: *ست محاضرات في الصوت والمعنى*، ترجمة: علي حاكم صالح وحسن ناظم، دار الرافدين، بغداد، ٢٠١٨ م.

مشكلات المصطلح والترجمة في معجم "اللغويات الاجتماعية"

د. منتصر أمين عبد الرحيم*

١ - صدرت عن مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية ترجمة عربية لـ"معجم اللسانيات الاجتماعية" A Dictionary of Sociolinguistics الذي قام بتحريره كل من Theresa Lillis و Ana Deumert و Joan Swann و Rajend Mesthrie Edinburgh سنة ٢٠٠٤ و صدر ضمن منشورات جامعة في ٣٦٨ صفحة، وقد تكفل بهذه الترجمة الدكتور فواز محمد الراشد العبد الحق أستاذ اللغويات الاجتماعية بجامعة اليرموك، والدكتور عبد الرحمن حسني أحمد أبو ملحم أستاذ اللغويات والأدب الإنجليزي بجامعة البلقاء التطبيقية، وقد نشرت هذه الترجمة بعنوان -معجم اللغويات الاجتماعية- ضمن المجلد الرابع من سلسلة المعاجم التي يصدرها المركز سنة ٢٠١٩ في ٥٨٤ صفحة.

يبدأ المجلد بمقدمة للمترجمين (ص ١٤: ١١)، ثم مقدمة المؤلفين (ص ١٥: ١٦) بعدها ترجمة لمعنى المعجم (ص ٤١٧: ١٧)، تلتها قائمة مصادر المعجم (ص ٤١٨: ٤٦٧)، ثم فهرس المصطلحات الواردة في المعجم مرتبة وفق الألفبائية الإنجليزية (ص ٥١٤: ٤٦٩) فهرس المصطلحات وفق الألفبائية العربية (ص ٥١٥: ٥٨٣)، ثم صفحةأخيرة للتعریف بالأساتذة المترجمين.

بدأت المقدمة بالتأكيد على استشعار المترجمين أهمية هذا العلم "علم اللغة الاجتماعي" نظراً لدراساتها المتعددة في هذا الاختصاص وعلم التخطيط اللغوي وأهمية وجود معجم يخدم القارئ العربي والمحترفين بعلم اللغة وعلم اللغة الاجتماعي أو "السوسيولساني"^(١)؛ ومن ثم اختارا أن يترجما هذا المعجم "معجم

*١ - مدرس اللغة العربية بالتعليم الأساسي (ج. م. ع.).

اللغويات الاجتماعية” “لأهمية لعلم اللغة بشكل عام وعلم اللغة الاجتماعي بشكل خاص”^(٢) ثم تحدثا عن المنحى التطبيقي في علم اللغة الاجتماعي وفرعاً مجالات هذا العلم وفقاً لما أورده Coulmas 1997 في كتابه (دليل السوسيولسانيات)^(٣) وقد ذكر أن علم اللغة الاجتماعي هو ”المصطلح الشائع في بلاد المشرق العربي أو علم السوسيولساناني الشائع في بلاد المغرب العربي“^(٤) ثم بينما ”الفرضيات الأربع“ التي أشار إليها Wardhaugh 1996 للعلاقة بين اللغة والمجتمع^(٥)، وأهمية ظهور علم التخطيط اللغوي حيث ”قدم نماذج في التنقية اللغوية ... والجندرية اللغوية وأبجدة اللغة“^(٦)، ”ونظراً لأهمية حقل علم اللغة الاجتماعي وتطوير معجم تعريف بالمصطلحات الخاصة به ، قام المترجمان بهذا المشروع ”الطموح الذي يهدف إلى تقديم دليل لغوي اجتماعي بمسارд للمصطلحات والمفاهيم التي تعين القارئ العربي والدارسين والباحثين في أقسام اللغات في العالم العربي ومجتمع اللغة العربية لندرة توفر مثل هذا المعجم في المكتبات العربية“^(٧).

نحن إذن أمام عدة من ترجمات المصطلح Sociolinguistics وردت في مقدمة هذه الترجمة هي: ”علم اللغة الاجتماعي“، و”اللغويات الاجتماعية“، و”السوسيولسانيات“، و”علم السوسيولساناني“، ويبدو أن المترجمين يستثنian ”اللسانيات الاجتماعية“ من بين الترجمات العربية المقترحة إزاء هذا المصطلح. فإذا أضفنا إلى هذا مجموعة المصطلحات الأخرى التي وردت بالمقدمة ذاتها مثل ”التنقية اللغوية“ و ”الجندرية اللغوية“ و ”أبجدة اللغة“ التي تتسمى بحسب المترجمين إلى علم التخطيط اللغوي بصفتها فرعاً من علم اللغة الاجتماعي ولا تجد لها أثراً في الوقت نفسه ضمن مداخل المعجم المترجم أو فهرسة مصطلحاته، فالتساؤل الذي يجب طرحه هنا ينحصر بمشروعية وجودي رؤية المترجمين لـ ”تطوير معجم تعريفي“ يمكن أن تساهم فيه هذه الترجمة.

انتهت مقدمة المترجمين دون تعريف واف بالعمل موضوع الترجمة يبين أهميته؟

فالامر لا يتعلق هنا فقط بما ذكر من أهمية الاختصاص ولا حتى بعدم وجود ما يهأله في المكتبة العربية، إنما يتعلق بطبيعة العمل والمصطلحات التي تضمنها وخارطة توزيعها على مباحث ومواضيعات الاختصاص والمصطلحات المتصلة به من خارجه وطريقة عرض المداخل بالصورة التي تسمح بفهم هذه المصطلحات وشبكة تداخلاتها.

وحتى تتضح أهمية هذا المعجم في ذهن القارئ أعود إلى وصفه الذي قدمته تارا سانشيز Tara Sanchez من جامعة ولاية "ميتشجن"^(٨) إذ أحصت حوالي ٨٨٥ مدخلاً يتضمنها المعجم، في كل مدخل عدة إحالات إلى مصطلحات أخرى يتراوح عددها من ثلاثة إلى أربعة على الأقل، وبلغت جغرافياً تتضمن حوالي ٥٧٨ مرجعاً، و٦ ستة رسوم توضيحية^(٩)، وحوالي ١٥٠٪ من المداخل الخاصة بمجالات اللسانيات الاجتماعية ونظرياتها، وعدداً من المصطلحات اللسانية (الصوتية والفنونولوجية وتحليل الخطاب والتداولية) التي يستعملها اللسانيون الاجتماعيون بلغت نسبتها ٣٢٪، وحوالي ١١٪ من المداخل التي تتعلق بعلم الاجتماع وعلم النفس والأثربولوجيا وغيرها، و٣٪ من مصطلحات اكتساب اللغة الثانية SLA، و٥,١٪ تتعلق بالإحصاء ومناهجه، وأسماء ٢٢ من أعلام اللسانيات الاجتماعية بنسبة ٤٪ من المداخل (مع ملاحظة أن هذه النسبة تقريرية وفق طبيعة المصطلحات التي قد يتمي بعضها إلى أكثر من مجال متصل). وهذه كما ترى المعلومات التي كان من الأجدى تفصيلها أو حتى التلميح إليها في مقدمة المترجمين. أما عن طريقة عرض المداخل وتعريفاتها وإحالاتها فقد ذكرت "سانشيز" أن طريقة أصحاب المعجم تسمح للقارئ بفهم الروابط بين النظريات والمفاهيم بصورة مثالية دون حاجة إلى الرجوع إلى أدبيات هذا الاختصاص. كما امتدحت جانت كوترييل Janet Cotterill من جامعة "كارديف" هذا المعجم قائلة: إن وضع معجم يعالج تلك المنقطة الدقيقة بين الإيجاز وشمولية التغطية، وبين التفصيل والتلخيص يعد

مشروعًا صعباً، ولكنه مشروع نجحت "يان سوان" وأصحابها في إنجازه بصورة لافتة^(١٠).

على أية حال انتقل المترجمان بعد مقدمتها إلى ترجمة مقدمة المؤلفين أصحاب العمل التي جاءت كما رأينا في الوصف السابق للترجمة في صفحتين (١٥ - ١٦). أما المقدمة في نصها الإنجليزي فتقع في أربع صفحات (x : vii)، وهو أمر لافت لأننا نتفق جيئًا على أن الترجمات العربية تكون أطول عادة من نصوصها الأصلية، وحينما تقارن مقدمة مؤلفي المعجم بترجمتها العربية ترى أن هذه الترجمة تصرفت في نصها اختزالاً وحذفًا لفقرات ليست بالقليلة.

ولكن قبل الحديث عن هذا دعنا ننظر في بنية المقدمة الأصلية إذ حملت عنوان "تمهيد: ملحوظة للقراء" (p. viii) وشملت قسمين آخرين بعنوان "التغطية الأكاديمية" (p. viii)، و"كيف تم ترتيب المداخل" (p. ix) لحق بالأخير منها جدول (x) يبين كيفية قراءة المعجم والتعرف على المصطلحات التي تشكل مداخله الرئيسة، والمصطلحات المستعملة في التعريف ولها مدخل خاص بها، والأمثلة الواردة ضمن التعريف، وكيفية تعريف المفاهيم ذات التسميات المختلفة وطريقة ترتيب هذه التعريفات، وكيفية تمثيل الأصوات والرموز الصوتية، ودلالة استعمال العلامة النجمية قبل بعض الجمل والعبارات.

أما صورة هذه المقدمة في الترجمة فقد اشتغلت على مقدمة المؤلفين (ص ١٥) والمح토ى الأكاديمي للمعجم (ص ١٥ : ١٦)، ثم ختمت بذكر أسماء المؤلفين.

وهذا معناه أن الجزء المتعلق بطريقة ترتيب مداخل العمل، والجدول الخاص بالرموز والإرشادات تم حذفهما بالإضافة إلى حذف بعض فقرات وعبارات من المقدمة الأصلية أضع وسطها خطأ فيما يلي:

Preliminaries: A Note to Readers

A Dictionary of Sociolinguistics is intended as a useful resource for students, teachers and researchers in sociolinguistics, or any area of language study that takes a socially-oriented approach (e.g. communication studies, language and gender, language and power, critical discourse analysis). The dictionary is also relevant to the study of related areas that sometimes focus on language, texts or discourse, such as anthropology, psychology and sociology. We hope that, in addition, it will interest people with an 'applied' interest in language, such as educationists and policy-makers.

Sociolinguistics is an exciting and academically vibrant area, marked by increasing diversity. A glance through the programme of any contemporary conference in the subject will reveal a wide range of topics and analytical approaches, informed by divergent, and sometimes conflicting, paradigms and perspectives. This is reflected in dictionary entries, where ~~tear~~ rubs shoulders with ~~entailment~~, ~~post-tacit~~ (*s*) with ~~poststructuralism~~ and ~~substrate~~ with ~~subjectivity~~. This is not just a matter of discrete research traditions: the same researcher may be engaged with technical linguistic description whilst grappling with contemporary theories about the nature of language, personhood and the self. On a practical level, this means that students of sociolinguistics are faced with a proliferation of terms and concepts – sometimes a minefield, with the same term used to different effect or different terms used to characterise broadly similar phenomena within different fields of enquiry. In explaining sociolinguistic terminology, the dictionary will also map out the traditions and approaches that comprise sociolinguistics and thus help to locate and contextualise terms and concepts.

Academic Coverage

The dictionary covers contemporary sociolinguistics as this has developed since the 1960s. It also covers some earlier work in areas such as

dialectology and anthropological linguistics/linguistic anthropology that are relevant to contemporary sociolinguistics. In terms of contemporary approaches, the dictionary adopts a broad coverage. It includes various approaches to the study of language variation and change; language contact phenomena, including bilingual language use, language in interaction; the socially oriented analysis of text and discourse; critical language study; specific topics such as language and gender, literacy, intercultural communication and international/global languages; applied areas such as language policy and planning, and language in education.

Where appropriate, entries indicate changes and differences in the use of terms, and locate these within particular traditions of enquiry. Entries try to provide an ‘insider’ perspective whilst also adopting a broadly critical approach to the discussion of linguistic ideas and concepts—the overall aim of the dictionary is to support critical engagement and dialogue with the discipline.

The dictionary includes technical terms that we think have some currency in sociolinguistics, and that readers are likely to encounter in academic texts. It does not include terms that are highly specific (e.g. that have limited currency) or that seem unlikely to ‘bed down’ within the discipline. Nor does it include terms that are also found with the same meanings in everyday language use (e.g. *alphabet*). But it does include terms that are given a particular inflection within sociolinguistics, or that are used differently from their more everyday sense (e.g. *accent*, *dialect*, *style*). We have paid particular attention to terms that are used differently within different traditions (e.g. *discourse*, *text*, *trace*).

We include a small number of names of people who might be regarded as foundational within sociolinguistics (e.g. Labov, Hymes) or whose theories are increasingly being drawn on in sociolinguistic study (e.g. Bakhtin, Foucault). These are restricted to people who have more or less ‘adjectiveal’ status within the discipline, and who might be referred to in sociolinguistic texts with limited explanation, on the assumption that their main ideas are known. Because of the way this (and other) academic disciplines have developed, the names include a preponderance of white Anglophone (or European) male academics: a situation likely to change over the next few years. For a fuller list of key sociolinguistic figures, see Rajend Mesthrie’s (2001) *Concise Encyclopedia of Sociolinguistics*.

We faced a problem in deciding which terms to include from linguistic description and analysis. Since, in principle, sociolinguists may study any aspect of language, we ran the risk of reproducing other excellent reference works such as David Crystal’s (2002) *Dictionary of Linguistics*.

PRELIMINARIES: A NOTE TO READERS ix

and Phonetics. We decided eventually not to include terms students of sociolinguistics might be expected to have as part of their general knowledge about language (e.g. noun, verb, adjective); nor have we included more specialist terms unlikely to occur in the sociolinguistics literature (e.g. *adverb*). This gives us a bias towards certain types of language description, e.g. common descriptors for sounds, which frequently occur as variables in sociolinguistic analyses of language variation and change; to a lesser extent, some grammatical terms found in variationist research; descriptive terms likely to occur in sociolinguistic analyses of text, discourse or conversation. Crystal probably remains the most comprehensive and concise source for general linguistic terminology.

How entries are organised

Entries may contain minimal information with a reference to other more relevant entries. However, we have tried to make most entries complete in themselves. This produces occasional overlaps in entries for related terms: we have preferred this to extensive reliance on cross-referencing, which would make individual entries harder to read. Nevertheless, entries do include cross-referencing, which should help readers track related terms and perhaps gain a fuller understanding of a set of concepts. Where relevant, entries include examples; many entries include references to further reading (examples of studies, discussion of a topic etc.) for those who wish to follow up a particular idea. Within entries, we have tried to describe terms in a non-technical way.

On specific conventions adopted in entries, see below.

8 PRELIMINARIES: A NOTE TO READERS

Entries adopt the following conventions:

- **bold type** is used for terms explained in the entry that have no separate entry of their own;
- **small capitals** are used for terms explained in separate entries, but we adopt this convention only where it may be useful to cross-refer to such entries;
- **italics** are used for examples of linguistic items, where these are explained the gloss may be in quotation marks (e.g. *lune de miel*, meaning ‘honeymoon’);
- where a term has quite different uses, or where it is helpful to separate out related uses, each definition is separately numbered; however, where uses are closely related we have sometimes found it easier to deal with these together;
- for the representation of speech sounds, we have sometimes used **INTERNATIONAL PHONETIC ALPHABET** symbols. Phonetic symbols are enclosed within square brackets (e.g. [b]); **PHONEMES** are enclosed within slashes (e.g. /b/); **LINGUISTIC VARIABLES** used in sociolinguistic studies are enclosed within curved brackets (e.g. (ng) for the final sound in *rushing*). We have given examples of speech sounds, usually from English (RP) as a commonly-used reference point likely to be familiar to many readers. The International Phonetic Association web site includes a full set of phonetic symbols: see <http://www.arts.gla.ac.uk/IPA/ipachart.html> (last accessed October 2003);
- the asterisk * is used as a syntactic convention to mark a sentence or utterance regarded as ungrammatical (i.e. the used in a particular dialect).

ولا شك في أن ما تتضمنه هذه الفقرات المحدوقة من طرق ترتيب المداخل وما يحتويه المعجم من مصطلحات و مجالات هذه المصطلحات و اختصاصاتها و طريقة عرضها داخل التعريف وعلاقة المعجم بالمعاجم اللسانية العامة، وكيفية تعامله مع أسماء الأعلام، والمنهج المتبع في تنظيم المداخل، وإرشادات استعماله، كل هذه المعلومات تعد أمراً أساسياً في التعريف بمنهج المعجم ولا يجوز حذفها من الترجمة؛ لأن هذا الحذف يوحي للقارئ بعدم وفاء المترجم للنص ولا أقصد بالوفاء هنا ”حرفيّة الترجمة“ بل دقتها و موضوعيتها.

٢- لقد امتد هذا الحذف ليشمل أيضاً بعض أجزاء من تعريفات عدد غير قليل من المصطلحات إذ تم الاكتفاء فقط بترجمة بعض فقرات التعريف رغم ما يتضمنه المحدوّف من تفاصيل مهمة توضح حدود هذا المصطلح و علاقاته وفي بعض الأحيان تطوره عبر الزمن والإشارة إلى بعض الدراسات التي قامت على ما يمثله من مفاهيم، وهي أمور كما سنرى في الأمثلة التالية لا يجوز حذفها، والمثال الأول من أمثلة هذا الحذف يخص تعريف المدخل Implicational Scale^(١) الذي وردت ترجمته على النحو التالي: المقاييس التطبيقي (Implications Scale Scaling).

وهو أسلوب يستخدم لتمثيل البيانات، كما يعرف أيضاً بمقاييس Guttman التحليلي David Guttman Scalogram Analysis عالم DeCamp عام (١٩٧١) في تحليله للغة الكريول في جامايكا.

على ضوء هذه الترجمة يمكن لي أن أشير إلى المحدوّف من تعريف هذا المصطلح بالصورة التالية:

implicational scale (- scaling) A method for data representation. Also called Guttman scalogram analysis (Guttman, 1944). Implicational scaling was first used in linguistics by David DeCamp (1971) in his analysis of the Jamaican CREEOLE CONTINUUM to show the ordered-transitions from basilect to acrolect (see BASELECT, MESOLECT, ACROLECT). Among other forms DeCamp looked at lexical co-occurrence rules. In the Jamaican acrolect, for example, speakers use the English words *cat*, *granny*, *child* and the verb form *didn't*; in the basilect these would be *nyam*, *nana*, *pikni* and *na bin*. DeCamp noticed that use of these words by individual speakers was not random but followed a well-structured-pattern. Figure 4 represents this pattern as an implicational scale (also termed panlectal grid). It demonstrates that, if a speaker used a basilectal form to the left of the implicational scale, he or she would also use all the basilectal forms to right of that form: use of form B (*nana*) implies use of C and D but not A; use of form C (*na bin*) implies use of D but not A and B, and so on.

	A	B	C	D
speaker 1	cat	granny	didn't	child
speaker 2	cat	granny	didn't	pikni
speaker 3	cat	granny	na bin	pikni
speaker 4	cat	nana	na bin	pikni
speaker 5	nyam	nana	na bin	pikni

Figure 4 - Implicational scale showing lexical co-occurrence rules in Jamaican Creole (based on the more complex scale given in DeCamp, 1971, 355).

ويغض النظر عن كم المحفوظ فإن من الأشياء التي لم يكن ليتم حذفها إشارة التعريف إلى الترافق الحاصل بين المصطلح ومصطلح Panlectal Grid الذي تمت الإحالة إليه في موضع لاحق ضمن تعريف المدخل Panlectal ولم يتضمنه التعريف السابق بسبب هذا الحذف، وسأعود إلى هذا المصطلح في موضع تال من هذه الورقة. والحقيقة أن حذف أجزاء من التعريفات لم يقتصر على هذه المصطلحات فقط بل امتد إلى تعريفات كثيرة ذكر بعضها في مواضع لاحقة.

٣- نعرف جميعاً أن الممكن أن يتقلص المصطلح من مجال معرفي إلى مجال آخر عن طريق ما يسمى بالاقتران عبر التخصصي، والاقتران هنا يشبه الاستعارة ولا يكون إلا لمناسبة، وفي بعض حالات التقارب يمكن أن يحتفظ المصطلح بصورته лингвистическая وأن يسمى في الوقت نفسه مفاهيم مختلفة ينتمي كل منها إلى مجال مختلف، وفي

حال وضع معجم لمثل هذه المصطلحات فالتابع هو تدوين المصطلح وتعديل تعريفاته (١، ٢، ... أو أ، ب، ...) مصحوبة بذكر مجالتها بصورة صريحة حتى يتبيّن تمييزها، وقد يشار إلى هذه المجالات عن طريق التلميح إلى بعض الأعمال أو أسماء الأعلام التي تتطلب من مستعمل المعجم معرفة مسبقة تساعده في تحقيق هذا التمييز. أما في حال الترجمة فقد تكون هناك ضرورة لأن يترجم هذا المصطلح بألفاظ مختلفة تمثل مفاهيم تلك الحقول، وقد يكون من الخطأ مساواة هذه المفاهيم وتسميتها بمصطلح واحد. فعلى سبيل المثال ورد للمصطلح **Argument** في النسخة الإنجليزية من معجم اللسانيات الاجتماعية (وسأشير إليها بقية هذه الورقة بالاختصار DS ثلاثة تعريفات؛ أولها تعريف عام، والثاني خاص بالمجالات الأكاديمية، والثالث خاص باللسانيات، والتعريف الأخير كما نعلم مرتبط باللسانيات التوليدية على وجه الخصوص، وإذا نظرنا إلى ترجمة المعجم وجدنا أن ترجمة واحدة لهذا المصطلح وهي "الجدل" تصدرت جميع هذه التعريفات، وفيما يخص اللسانيات ورد تعريفه على النحو التالي: "الجدل" يستخدم أيضاً في علم اللغة بطريقة غير مألوفة كثيراً، حيث يشير إلى عناصر معينة يتطلبها الفعل في الجملة^(١٢). والمعروف أن "الجدل" ليس من المصطلحات اللسانية وأن الترجمة العربية المختار له هي الـ "موضوع"^(١٣)، وكان من الضروري أن يوضع أمام كل تعريف المصطلح الذي يناسبه. وإن كان المعجم DS قد جمعها تحت مصطلح وحيد فقد قام بترقيم كل تعريف للتأكد على انتصافها وعدم ترافقها^(١٤) مع ملاحظة أن أصحاب المعجم أشاروا بداية التعريف إلى ما يدل على أن معنى **Argument** في اللغة الإنجليزية لا يتناسب مع تعريفه في اللسانيات وهو حدس يدعوه إلى انتقاء ترجمة مختلفة إزاء هذا المفهوم ضمن مجال اللسانيات.

المثال الثاني هو المصطلح **Assimilation** الذي ورد في المعجم DS متبعاً بتعريفين لكل منها رقمه الخاص، الأول [١] يتحدث عن علاقته بالأصوات، والثاني [٢] عن علاقته باللغات كونه من المصطلحات المستعملة في مجال احتكاك اللغات، فالأول مصطلح صوتي، والثاني يتميّز إلى اللسانيات الاجتماعية، ورغم هذا الاختلاف اختار المترجمان "الإدغام" مقابلًا عربياً يعنون تعريف المصطلح، وقد أورد تعريفيه دون ترقيم (أنقل هنا النص كما ورد في الترجمة):

الإدغام Assimilation

فيها يتعلّق بالأصوات، هي عملية تتأثّر فيها الأصوات المجاورة في الكلام ببعضها البعض، وتصبح أكثر تشابهاً من حيث نطقها، على سبيل المثال: السنخية الأنفية /n/ في (Banbury) يمكن أن تلفظ على أنها ثنائية الشكل [m]، يتأثر الصوت من الشفاه [b].

فيها يتعلّق باللغات، يشير مصطلح Language Assimilation إلى الحالات التي يتبنّى فيها المتحدثون بلغة من لغات الأقليات لغة الأكثريّة. يحث على الاستيعاب اللغوي في بعض أشكال التخطيط اللغوي Language Planning، انظر تنوع اللغة Language Diversity^(١٥).

وفي غير هذا الموضع استعمل "الإدغام" ترجمة للمصطلح Diphthong الذي ترجم مرة ثانية بـ "حرروف العلة المزدوجة"^(١٦)، لذا أرجح أن الترجمة التي تصلح للجمع بين هذين التعريفين هي "المائلة" التي يمكن تخصيصها فتكوّن "مائلة صوتية" فيما يتعلّق بالأصوات في التعريف الأول، و "مائلة لغوية" فيما يتعلّق باللغات في التعريف الثاني.

وربما تستوقفنا في التعريف الأول عبارة "تلفظ على أنها ثنائية الشكل [m]"، يتأثر الصوت من الشفاه [b] وهي عبارة غير مفهومة وغير مترابطة إذ كيف يلفظ الصوت بطريقة يكون فيها ثنائي الشكل؟ وما معنى أن يتأثر بذلك الصوت من الشفاه؟ هذه العبارة تجعلك مضطراً إلى الرجوع إلى المعجم الأصلي DS فتجد ما يمكن أن تترجمه بـ "ينطق [يقصد الصوت /n/] على أنه صوت شفهي [m] متاثراً في هذا بالصوت الشفهي اللاحق [b]".

بالطبع هناك إمكانية لأن نستعمل ترجمة واحدة في تسمية مفهومين كما قد نرى في بعض المعاجم، ولكن هذا الاستعمال مشروط بكونهما متراوفين (أولاً) أو يتميّان إلى مجالين مختلفين (ثانياً)، وعلى الرغم من إمكانية استعمال ترجمة واحدة لمصطلحين مختلفين يحفظ تمييزهما النص على اختلاف مجاليهما، فإن (صحة الترجمة ودقتها) هي الأساس الذي تقوم عليه هذه الإمكانية؛ بمعنى أن مصطلح "الإدغام" في المثال

السابق لم يكن دقيقاً في تمثيل المفهوم الصوتي الذي نص عليه التعريف الأول، ولم يكن دقيقاً أيضاً في تمثيل المفهوم الآخر، ومن ناحية أخرى استعمل هذا المصطلح في تسمية مفهوم ثالث، وهذا ما يجعل دقته موضع تساؤل. كذلك المصطلح "لهجة جديدة" الذي تخيره المترجمان لترجمة كل من *New Dialect* و *Interdialect* لا يحقق شروط استعمال الترجمة الواحدة مقابل مفاهيم متباينة، فالمطلعان غير متراوفين وينتميان إلى مجال واحد.

٤- إن ترجمة معجم مصطلحات مجال معين مثل وضع معجم مصطلحي لا بد أن تخضع لما يسمى في علم المصطلح بعمليات الفحص، ومن بين هذه العمليات فحص المداخل المكررة، وهو تدقيق يجريه أصحاب العمل للتأكد من عدم تكرار المداخل، وال الحاجة إلى مثل هذا الفحص أشد في ترجمة هذه المصطلحات منعاً (ليس كما يتوقع القارئ الكريء لترداد المصطلحات بل) للخلط الذي قد نجده في مثل المصطلحات التالية:

فعل الكلام (الفعل، القوة) *Ilocutionary (Act, Force)*

فعل الكلام (الفعل، القوة) *Locutionary (Act, Force)*

فعل الكلام (الفعل، القوة) *Perlocutionary (Act, Force)*

إن أي باحث مختص أو غير مختص لا يحتاج إلى مجهد كبير في ملاحظة الخلط الحاصل في ترجمة هذه المصطلحات، فهي مصطلحات متباينة مختلفة المفاهيم؛ ومن ثم وجوب أن يسمى كل منها بالمصطلح الذي يمثله في الموضع الذي تتخذه ضمن النظام المتبوع في ترتيبها، وقد وردت هذه المصطلحات في ترتيبها الألفبائي دون تعريف وأحيل القارئ إلى المدخل *Speech Act* حيث قدم المترجمان لهذه المصطلحات ترجمة مختلفة تماماً عن الترجمات السابقة وذلك على النحو التالي^(١٧): الفعل الدلالي *Ilocutionary*، الفعل التعبيري *Act*، الفعل التأثيري *Locutionary*، الفعل التأثيري *Perlocutionary*. وإذا كان المترجمان قد قدما فيها سبق مصطلح "القوة" ترجمة للمصطلح *Force*، فقد وردت له هنا ترجمة مختلفة أيضاً هي "الإلزام"^(١٨). وبغض النظر عما إذا كنا نتفق أو نختلف مع هذه الترجمة، فالحاصل أن المترجمين قدما ترجمات مختلفة للمفهوم الواحد وفي الوقت عينه قدما ترجمة واحدة لعدة من المفاهيم المتباينة.

ومن أمثلة وضع المصطلح الواحد تسمية لأكثر من مفهوم استعمال المصطلح "مراحل اكتساب اللغة" مقابل كل من Basilang, Mesolang, Acrolang رغم أن هذه المصطلحات لا تربطها أي علاقة بمراحل هذا الاكتساب، ومنها أيضاً استعمال مصطلح "اللهجة الرسمية" مقابل ثلاثة مصطلحات هي Basilect, Mesolect, Acrolect، واللافت أن هذه المصطلحات وضعت في مواضعها من المعجم بترجمات أخرى مخالفة لما تقدم:

Acrolang	مراحل اكتساب اللغة	Acrolect	اللهجة الفردية المتقدمة
Basilang	اللهجة المستقرة الأولى	Basilect	اللهجة المستقرة الأولى
Mesolang	اللغة المتوسطة	Mesolect	اللهجة المتوسطة

٥- ومن التداولية واللسانيات الاجتماعية إلى علم الأصوات حيث لم يستقر المترجان على مصطلح يشير إليه فتارة يترجم بـ "علم الأصوات"^(١٩) وتارة أخرى يشار إليه بـ "علم الصوتيات"^(٢٠)، والمتأمل في ترجمة المصطلحات الخاصة بهذا المجال يلحظ أن هناك خلطاً بين مفهومي "الصوت" و"الحرف"، وتجاهله أسئلة كثيرة منها على سبيل المثال:

- ما الفرق بين مصطلح "صوت الحرف الساكن Affricate" و "الصوت الساكن Alveolar"؟
- هل يتتحول "الصوت" إلى "خرج" كما يمكن أن نفهم من المصطلح "الأصوات السادة لتيار الهواء Plosive"؟
- هل يمكن أن يمكن أن تتساوى صفة الصوت بمخرجه كما يمكن أن نفهم من مصطلح "اللهبة Uvular" بدلاً من "لحوى"؟
- هل يمكن أن يشار إلى "الأصوات الساكنة Consonants" بـ "الثوابت"^(٢١) كما في الرياضيات والفيزياء؟ وما علاقة هذه الأصوات بالمصطلح "الصوت الساكن Alveolar"؟
- هل "مكان النطق"^(٢٢) هو نفسه "مكان التعبير"^(٢٣)؟

- هل يتكون المصطلح (Rounding) من مصطلحين اثنين متزادفين أم أنه مصطلح مركب تجوز ترجمته كما فعل المترجمان بـ”التدوير المستدير“؟ وما معنى ”أن (u) كما في الكلمة boot هو حرف غير مستدير“^(٢٤)؟ وإذا كان (u) هو حرف غير مستدير وليس صوتاً مستديراً، فلماذا كتب في المعجم DS على هذه الصورة [u] بين معقوفين؟ وما جرى للصائر غير المستدير [i] في الكلمة beat؟
- ٦- من بين الطرق التي يستعين بها واضع المعجم للإشارة إلى طريقة استعمال المصطلحات تعين الفئات والوظائف النحوية للصيغ التي ترد عليها هذه المصطلحات، فيشار إلى الاسم بالرمز n. والفعل بالرمز v. والصفة بالرمز Adj. وقد يجمع المصطلح الواحد بين فئتين أو وظيفتين فيكتب إلى جواره مجموع هذه الفئات على الصورة (adj./n.). والحقيقة أن معجم DS لا يستعمل هذه الطريقة كثيراً، بل يستعيض عنها في بعض المصطلحات القليلة بطرق أخرى منها ما ورد في المصطلح Areal الذي كتب على الصورة التالية ليقرأ بها اسمًا وصفة (Area)، ولكن جاءت ترجمته على الصورة التالية^(٢٥):

المنطقة (Area) :

بالمعنى ”الجغرافي“، انظر الجغرافيا اللغوية. وفيما يخص اللغويات الحقيقة، انظر المنطقة “Sociolinguistic Area، منطقة اللغويات الاجتماعية“^(٢٦)، والأصل أن الحرف بين القوسين هو (A) وليس (a) إذ يستعمل المصطلح مرادفاً لكلمة جغرافي ومنه اللسانيات الجغرافية، وكنت قد ترجمت سابقاً مصطلح Pseudolinguistics، وهو جزء من عنوان كتاب Rober A. Hall 1987 بـ”اللسانيات المزيفة“، ولكنني لم أستطيع فهم ”اللغويات الحقيقة“^(٢٧) الواردة في التعريف السابق حتى رجعت إلى المعجم DS فوجدتها ”اللسانيات الجغرافية“ أو كما يفضل المترجمان ”اللغويات الجغرافية“ وليس ”الحقيقة“.

٧- وهنا أنتقل إلى مصطلح ”Realisation“ كي أفهم معنى ”اللغويات التجريدية“^(٢٨) وكيف تُصنَّع (بالناء المضمومة) حيث ترجم المصطلح بـ”الإدراك“ وجاء في تعريفه:

"إدراك كيف تُصنع اللغويات التجريدية حقاً". على سبيل المثال، بعض المقاطع الصوتية Phoneme ممكن تخرج (تصنع) مختلفة باختلاف المتحدين، أو باختلاف السياق ... إلخ. حيث تتضمن المصطلحات الأخرى لهذا المفهوم التفعيل .^(٢٨)"Actualisation".

أرجح أننا نتفق على أن تعريف هذا المصطلح غامض إلى الدرجة التي يفتقد بها إلى أبسط وظائف التعريف، وبالتالي ليس أمامي في سبيل الحصول على مزيد من الفهم غير الرجوع إلى مصطلح "Actualisation" التفعيل" بداية الترجمة الذي ورد فيها على الصورة التالية:

"التفعيل: Actualisation".

انظر وضعية خاصة Realisation

نحن إذن أمام ترجمتين لـ المصطلح Realisation؛ الأولى هي "الإدراك"، والثانية هي "وضعية خاصة"، وكلتاها تخالف الترجمة الشائعة لها، فالمعروف أن المصطلحين Realisation و Actualisation متافق على ترجمتها بـ "التحقيق"، وهو ما من المصطلحات اللسانية المتراوفة؛ إذ يشار بها إلى كيفية إنتاج الوحدات اللغوية المجردة وتحققها الفعلي، فـ "الفنون" الواحد يمكن أن ينطق بعدة صور لدى مختلفين مختلفين ضمن سياقات متنوعة.

- إن وظيفة الإحالة داخل العمل المعجمي ينظر إليها في الدراسات المعنية بمنظور المستعمل على أنها وسيلة من وسائل تيسير البحث عن المصطلحات وبيان العلاقات التي تربطها بغيرها بمعنى أنها أداة بيان وهدي، والحق أن معجم DS اهتم بالإحالة اهتماماً شديداً كما رأينا ذلك في وصف "سانشيز" له، ولكن الإحالة في هذه الترجمة فأقل ما يقال عنها إنها فقدت وظيفتها الأساسية. وعليه كان أساسياً من بين إجراءات فحص أي عمل مصطلحي مراجعة المداخل المتراقبة عبر الإحالة، ولعل الجدول التالي يكشف لنا أن الترجمة لم تهتم بفحص المداخل المتراقبة وإحالاتها بأي شكل من الأشكال، وسأكتفي في الجدول التالي ببعض الأمثلة (بغض النظر عن دقة الترجمة)

المصطلح	الترجمة	مصطلح الإحالات	ضمن تعريف المصطلح
Lexeme	الكلمة	الوحدات الصرفية	Lexicon
Diffusion	الانتشار	نشر اللغة	Wave Model
Linguistic Ecology	علم البيئة اللغوية	علم البيئة اللغوية	Language Ecology
a priori Language	اللغة الاستدلالية	لغات مسبقة	Artificial Language
a posteriori Language	اللغة المتأخرة	اللغات الخلفية	Artificial Language
Audience Design	تصميم الجمهور	تصميم الحضور	Accommodation
Mixed Code	الرمز المختلط	الشفرة المختلطة	Bilingual Mixed Language

وللأسف اتسع عدم الاهتمام بالإحالات إلى حد تقديم ترجمة للمصطلح المدخل وعرضه بترجمة مختلفة ضمن التعريف الخاص به، ويمثل هذه الحال مصطلح Saussurean Paradox الذي ترجم بـ”مفارة دي ساسور“ وقدم في تعريفيه بـ”مقارنة دي ساسور“، ولا يخفى على أحد أن الترجمة الصحيحة له يمكن أن تكون ”المغالطة السوسيوية“.

٩- إن ضعف الإحالات في أي عمل مصطلحي يأتي من الإفراط في استعمال المترادفات، فإذا نظرنا على سبيل المثال إلى مصطلح Phoneme الذي ورد ضمن تعريف مصطلح Realisation السابق مترجماً بـ”مقاطع صوتية“^(٢٩) تجد أن المترجين قدما له عدة من الترجمات المختلفة هي: ”قطع صرفي يمثل أصغر وحدة لغوية ذات معنى“^(٣٠) و ”مورفيم“^(٣١) و ”وحدة صوتية صغرى“^(٣٢) و ”وحدات صرفية“^(٣٣) و ”قطع“^(٣٤)، وبالتالي ليست للإحالات في الترجمة أي وظيفة يمكن أن يتکئ عليها باحث المعجم في تعرف منظومة العلاقات المفاهيمية التي تربط بين مصطلحات المعجم.

١٠- والحقيقة أن ترجمة مصطلح Morpheme بعبارة شارحة مثل ”قطع“

صرف يمثل أصغر وحدة لغوية ذات معنى " تأخذنا إلى بعض الأمثلة التي توضح اعتقاد المترجمين هذه الطريقة في ترجمة بعض المصطلحات التي ربما يكون قد جرى الاتفاق على تسمياتها مثل: "حرف علة واحد يلفظ بدون حركة أعضاء النطق" في ترجمة Monophthong، و "خصائص مشتركة بين مختلف اللهجات لنفس اللغة" ترجمة لـ Pandialectal و "وصف حروف العلة المركزية" إزاء (ise(d)) و "الوحدة اللغوية الأصغر من الجملة" للمصطلح Clause، و "مرحلة التغيير عن فكرة كاملة من خلال كلمة واحدة" للمصطلح Holophrasis، والملفت أن هذه الطريقة لم تخلص من الترافق حيث استعمل المصطلح "التناوب اللغوي داخل الجملة" مقابل Intersentential Code-switching والمصطلح "التناوب اللغوي ضمن الجملة" مقابل IntraSentential Code-switching.

أعتقد أن الباحث ربما تستوقفه هنا بعض هذه العبارات لا سيما إذا استعملت في تسمية أكثر من مفهوم، فعبارة «خصائص مشتركة بين مختلف اللهجات لنفس اللغة» استعملت ترجمة لمصطلحين مختلفين: Panlectal و Pandialectal، نافية عن صيغتها دلالة الوصف، وسائلقارن هنا بين الترجمة والأصل لعرف حقيقة هذه المصطلحات، فقد وردت ترجمتها على النحو التالي^(٣٥):

خصائص مشتركة بين مختلف اللهجات لنفس اللغة Pandialectal

مصطلح يستخدم في علم اللهجات للإشارة إلى ظاهرة لغوية؛ مثل خصائص لغوية معينة، وجانب من جوانب التغير اللغوي والذي يوجد في جميع اللهجات للغة ما^(٣٦).

خصائص مشتركة بين مختلف اللهجات لنفس اللغة Panlectal

تصنّف طريقة للقواعد التي ترى اللغة كوحدة من نظام فرعى (اللهجات)، والتي من الممكن أن ترتُب ضمنياً في شبكة عريضة Panlectal Grid.

وإذا عدنا إلى تعريفها في المعجم DS نجد كالتالي:

sometimes used in DIALECTOLOGY to refer to linguistic phenomena (e.g. particular linguistic features, Pandialectal

an aspect of language change) that are found across all the DIALECTs of a language

لهجاتي: يستعمل المصطلح أحياناً في علم اللهجات ليشير إلى ظواهر لغوية (مثل: سمات لغوية معينة، أو مظاهر تغير اللغة) توجد في جميع لهجات لغة معينة.

Describes an approach to grammar which sees a LANGUAGE as a union of subsystems (varieties or LECTs) which can be ordered implicationally on a panlectal grid^(٣٧).

ضُرُوفِي: يصف المصطلح مقاربة نحوية تنظر إلى اللغة باعتبارها وحدة مكونة من أنظمة فرعية (أبدال أو ضروب) يمكن ترتيبها ضمنياً على شبكة ضروفية.

وإذا حاولنا أن نعطي أمثلة توضح المراد بهذه المصطلحات فيمكنني أن أفترض بالنسبة إلى المصطلح الأول أنه إذا كانت اللهجات الإنجليزية الحالية أو السابقة تتفق على نطق صوت معين بطريقة معينة فإن هذا النطق تنطبق عليه صفة "لهجاتي" نسبة إلى مجموعة لهجات هذه اللغة ضمن جغرافية معينة. أما بالنسبة إلى المصطلح الثاني فإذا أمكننا القيام ببحث حول طريقة التعبير عن الملكية في لهجات العربية في أثيوبيا أو الصومال أو حتى السودان ومكونات تلك التراكيب التي تتضمن هذا التعبير وخصائصها على الطريقة التي أدار بها David DeCamp 1971 بحثه حول التحليل التوليدى للمتصل الكلامى في المجتمعات الجامايكية متعددة اللغات (الذى وردت بعض تفاصيله في المعجم DS ضمن تعريف المدخل جدول استباعي Implicational Scale^(٣٨)) التي قام المترجمان بحذفها) فلربما يمكن أن نطلق على هذه المقاربة مقاربة نحوية ضروفية يشار إليها في بعض أعمال اللسانيات الاجتماعية الأخرى بالمصطلح Polylectal Grammar أو Panlectal Grammar. والحقيقة أن الترجمة المقترحة هنا لهذين المصطلحين (لهجاتي وضروفى) مأخوذة عن ترجمة الدكتور بعلبكي في معجمه الصادر سنة ١٩٩٠ (٣٩) وقد كان ضرورياً بالنسبة إلى المترجمين الرجوع إلى جهود سابقة في نقل المصطلحات اللسانية والإفاده منها حتى لا يتم اللجوء إلى مثل هذه العبارات الشارحة الطويلة.

١١ - كنت سأخصص هذه الفقرة للحديث عن غموض عدد غير قليل من

التعريفات التي تضمنتها هذه الترجمة، وأحسب أنني أشرت إلى هذا في أمثلة وردت سابقاً؛ لذا سأتحدث هنا عن أمر مختلف يتعلق بضرورة التزام ترجمة ثابتة للمصطلح الواحد ومراعاة هذه الترجمة في كل ما يتعلق به؛ بمعنى أنني إذا ترجمت مصطلحاً ما بـ"التآدب السلبي"^(٤٠) فلا ينبغي أن أترجم ضده بـ"التآدبية الإيجابية"^(٤١)، وإذا ترجمت Context بـ"السياق"^(٤٢) فلا ينبغي أن أستعمل هذه الترجمة لمصطلح مثل Lexis ولا أن أشتقت منها صفة "سياسي" للمصطلح Syntagmatic، وإذا استعملت "سلسلة" إزاء المصطلح Chain فلا أستعمله إزاء Continuum، ولا ينحصر "سلسلة لغوية متصلة" للتعبير عن مصطلح مفرد مختلف مثل Cline، وإذا استعمل مصطلح مثل "عملية تبسيط اللغة Pidginisation" فلا يتم تفكيكه بـ(De) مصطلح بديل "تفكيك اللغات الكريولية Depidginisation"، كل هذا وغيره من أجل الحفاظ على الاتساق والإبقاء على تميز المفاهيم.

وهناك بالإضافة إلى الملحوظات السابقة بعض التفاصيل الدالة على أن هذه الترجمة لم تلتزم خطة ذات معالم واضحة أو ثابتة في التعامل مع المصطلحات أو تعريفاتها كذا توحى الصورة المجملة التي خرجت بها بأن أعمال المراجعة والفحص والتشفير لم يكن لها أي نصيب من اهتمام المترجمين، وإذا كان لورانس فينوتي Lawrence Venuti قد نقل عن ددلي فيتيس قوله: "إن ترجمة القصيدة يجب أن تكون قصيدة، قابلة للتحقق كقصيدة"^(٤٣)، فيمكنني على النسق ذاته أن أختتم هذه الورقة قائلاً: إن ترجمة المعجم لابد أن تكون معجماً، تلتزم صورته، وتؤدي جميع وظائفه.

الهوامش والتعليقات

١. معجم اللغويات الاجتماعية ص ١١ .

٢. السابق ص ١١ .

٣. السابق ص ١١ . ملحوظة: لم يوثق المترجمان البيانات الخاصة بهذا الكتاب وأرجح أنه كتاب *The Handbook of Sociolinguistics* الذي أعده فلوريان كلوماس *Florian Coulmas* بمشاركة مجموعة كبيرة من الباحثين (٣١ باحثاً) ونشرته *Blackwell*, وما قام به المترجمان هنا هو ترجمة عناوين الفصول (٢٧ فصلاً) التي تضمنها هذا الكتاب على أنها مجالات أساسية تقوم عليها اللسانيات الاجتماعية. وعلى كثرة هذه العناوين ترى سوزان رومين *Suzanne Romaine* من جامعة "ميرتون كولج" أن هناك غياباً ملحوظاً لدراسات مهمة في اللسانيات الاجتماعية لم يتضمنها هذا الكتاب منها على سبيل المثال الدراسات المتعلقة بعلم النفس الاجتماعي والتداولية وتحليل الخطاب، كذا لم يتضمن الكتاب دراسات حول منهجية اللسانيات الاجتماعية أو علاقتها بالعلوم الأخرى. انظر:

Suzanne Romaine 1997: FLORIAN COULMAS (ed), *The handbook of sociolinguistics*. Oxford (UK) & Cambridge .2-(MA) Blackwell, 1997. *Language in Society* 26: 591

٤. معجم اللغويات الاجتماعية ص ١٢ .

٥. السابق ص ١٣ . ملحوظة: لم يوثق المترجمان البيانات الخاصة بهذا الكتاب وهو *An Interoduction to Sociolinguistics* لرونالد واردو *Ronald Wardhaugh* Wiley and Blackwell انظر الطبعة السادسة ٢٠١٠ ص ١٠ . والحقيقة أن "واردو" لم يتحدث عن "فرضيات"، بل عن "علاقات" محتملة تجمع بين اللغة والمجتمع.

٦. معجم اللغويات الاجتماعية ص ١٣ .

٧. السابق ص ١٤ .

Tara Sanchez 2006: A DICTIONARY OF SOCIOLENGUISTICS. .٨ .6-p.155. *Studies of Second Language Asquistion* 28 (1): 155

٩. ترى «إيما مور» من جامعة «شيفيلد» أن هذا العدد قليل وكان من الممكن إدراج كثير من هذه الأشكال بالنظر إلى طبيعة بعض المصطلحات التي تتطلب بعض الأشكال التوضيحية حتى تقترب من ذهن القارئ (مثلاً: Multidimensional Scaling – Cluster Analysis). انظر:

Emma Moore 2005: A dictionary of sociolinguistics. p.392 .394-Journal of English Linguistics 33 (4): 389

Janet Cotterill 2008: A DICTIONARY OF SOCIOLINGUISTICS. . ١٠ .8-p.368. Journal of Sociolinguistics 12 (3): 366

١١. معجم اللغويات الاجتماعية ص ١٨٠ قارن: Joan Swann et al 2004 . ١٤ ٢.A Dictionary of Sociolinguistics. p

١٢. معجم اللغويات الاجتماعية ص ٣٦ .

١٣. انظر د. عبد القادر الفاسي و د نادية العمري ٢٠٠٩ : معجم المصطلحات اللسانية ص ٢٣ . والحقيقة أن المغفور له الدكتور محمد فتحي كان قد ترجم هذا المصطلح بـ«المشارك» ضمن ترجمته لكتاب تشومسكي «المعرفة اللغوية: طبيعتها وأصولها واستخدامها» سنة ١٩٩٣ (انظر على سبيل المثال ص ١٦٥) غير أن هذه الترجمة لم تنتشر انتشار الترجمة الأولى.

Joan Swann et al 2004: A Dictionary of Sociolinguistics, . ١٤ .15-p.14

١٥. معجم اللغويات الاجتماعية ص ٣٨ .

١٦. السابق ص ٤٠٩ .

١٧. السابق ص ٣٦٦ .

١٨. السابق ص ٣٦٦ .

١٩. السابق ص ٤٠٠ .

٢٠. السابق ص ٤٠٤ .

٢١. السابق ص ٤٠٤ .

- .٢٢. السابق ص٢٩٩.
- .٢٣. السابق ص٤٠٤.
- .٢٤. السابق ص٣٣٥.
- .٢٥. السابق ص٣٥.
- .٢٦. السابق ص٣٥.
- .٢٧. السابق ص٣٢٢.
- .٢٨. السابق ص٣٢٢.
- .٢٩. السابق ص٣٢٢.
- .٣٠. السابق ص٢٦٥.
- .٣١. السابق ص٢٦٥.
- .٣٢. السابق ص٣٩٥.
- .٣٣. السابق ص٢٢٨.
- .٣٤. السابق ص٢٤٣.
- .٣٥. السابق ص٢٨٩.
- .٣٦. السابق ص٢٨٩.

Joan Swann et al 2004: A Dictionary of Sociolinguistics, .٣٧
.p.231

Ibid., p.142. ٣٨

- .٣٩. د.رمزي مير بعليكي ١٩٩٠: معجم المصطلحات اللُّغويَّة، ص٣٥٦.
- .٤٠. معجم اللغويات الاجتماعية ص٣٠٧.
- .٤١. السابق ص٢٨٩.
- .٤٢. السابق ص٨٣.
- .٤٣. لورانس فينوتி ٢٠٠٩: اختفاء المترجم تاريخ للترجمة، ص٢٨٤.

المصادر والمراجع

- جون سوان وآخرون : ٢٠١٩

معجم اللغويات الاجتماعية، ترجمة د. فواز العبد الحق ود. عبد الرحمن الملحم، (الرياض: مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية، الطبعة الأولى).

- د. رمزي منير بعلبكي : ١٩٩٠

معجم المصطلحات اللغوية، (بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الأولى).

- د. عبد القادر الفاسي ود. نادية العمري : ٢٠٠٩

معجم المصطلحات اللسانية (إنجليزي - فرنسي - عربي)، (بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى).

- لورانس فينوت : ٢٠٠٩

اختفاء المترجم تاريخ للترجمة، ترجمة سمر طلبة، مراجعة د. محمد عناي، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب: سلسلة ألف كتاب الثاني، الطبعة الأولى).

- نوام تشومسكي : ١٩٩٣

المعرفة اللغوية: طبيعتها وأصولها واستخدامها، ترجمة وتقديم وتعليق د. محمد فتيح، (القاهرة: دار الفكر العربي، الطبعة الأولى).

- Cotterill, Janet 2008: A Dictionary of Sociolinguistics. (Review)
Journal of Sociolinguistics 12 (3): 366-8.
- Moore, Emma 2005: A Dictionary of Sociolinguistics. (Review)
Journal of English Linguistics 33 (4): 389-394.
- Romaine, Suzanne 1997: The Handbook of Sociolinguistics. (Review) *Language in Society* 26: 591-2.
- Sanchez, Tara 2006: A Dictionary of Sociolinguistics. (Review)

Studies of Second Language Asquisition 28 (1): 155-6.

- Swann, Joan et al. 2004: A Dictionary of Sociolinguistics. University of Edinburgh Press.
- Wardhaugh, Ronald 2010: An Interoduction to Sociolinguistics. 6th Edi. Wiley and Blackwell.

السانيان العربية

مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز الملك
عبدالله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية
العدد ١١ ذو القعده ١٤٤١هـ - يونيو ٢٠٢٠م
Allisaniyat Al Arabiyah

رقم الإيداع ٩٤٦٧-١٤٣٧
ردمـ ٧٤٢١-٦٥٨



مركز الملك عبدالله بن عبد العزيز الدولي

لخدمة اللغة العربية

King Abdullah Bin Abdulaziz Int'l Center for
The Arabic Language



ص.ب. ١٢٥٠٠ الرياض ١١٤٧٣
هاتف: ٠٠٩٦٦١١٢٥٨١٠٨٢ - ٠٠٩٦٦١١٢٥٨٧٢٦٨
البريد الإلكتروني: nashr@kaica.org.sa